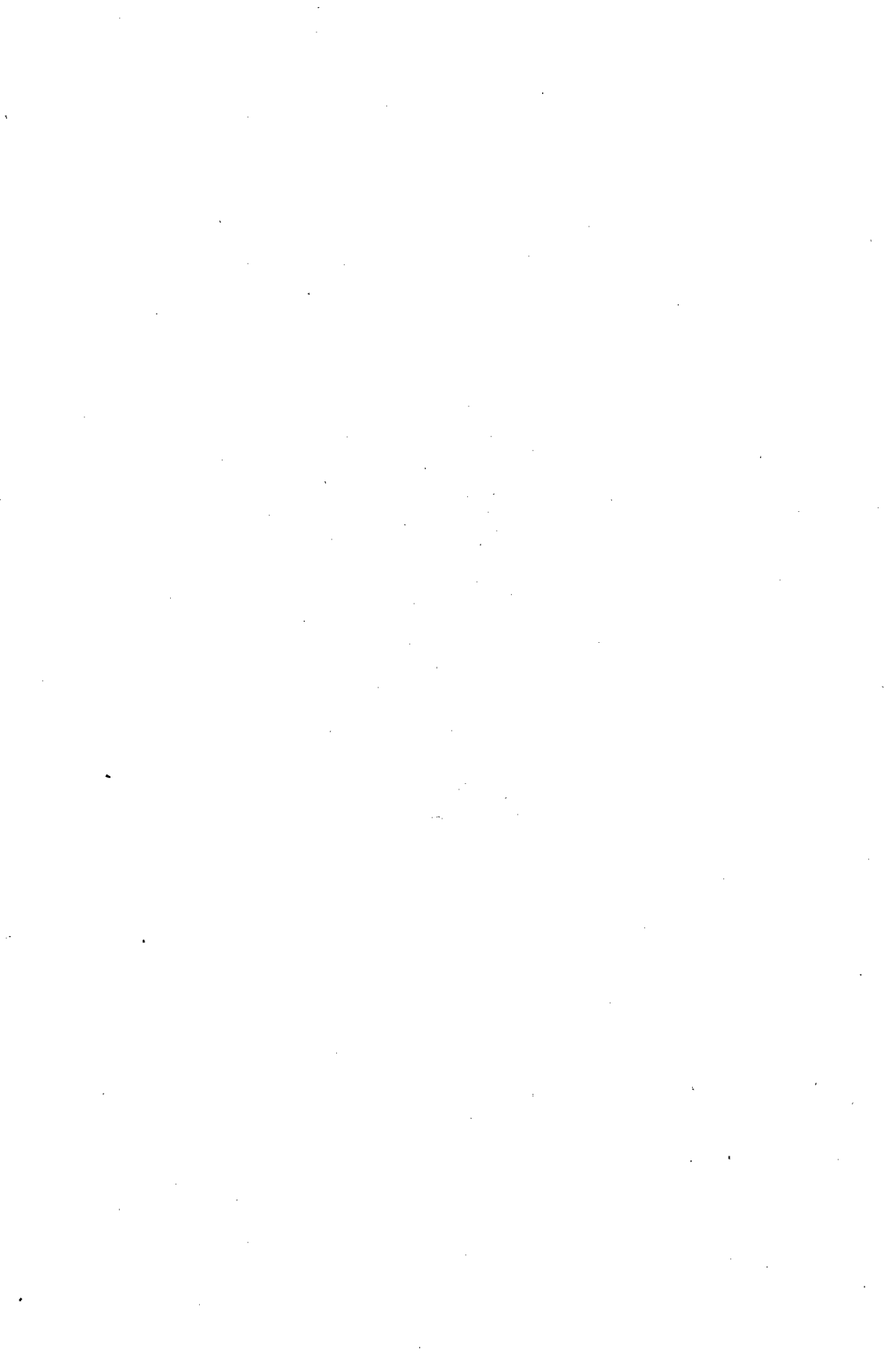


صحيح الأبي  
٢٠١٦  
١٤٣٧

---

الجزء السابع

---



دار الكتب السلطانية

كتاب

صحيح الأئمة

تأليف

الشيخ أبي العباس أحمد القلقشندي

الجزء السابع

حقوق إعادة طبعه محفوظة لدار الكتب السلطانية

طبع  
بالمطبعة الأميرية بالقاهرة

سنة ١٣٣٣ هـ  
م ١٩١٥



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رَوَى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ

## الطَّرْفُ الْعَاشِرُ

فِي الْمَكَاتِبَاتِ الصَّادِرَةِ عَنْ مَلُوكِ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ  
(وَلَهَا حَالَتَانِ)

### الْحَالَةُ الْأُولَى

(مَا كَانَ الْأَمْرُ عَلَيْهِ قَبْلَ دَوْلَةِ الْخُلَفَاءِ الْفَاطِمِيِّينَ بِهَا فِي الدَّوْلَةِ

الْأَخْشِيدِيَّةِ وَالطُّوْلُونِيَّةِ وَمَا قَبْلَهُمَا)

وَالَّذِي وَقَفْتُ عَلَيْهِ مِنْ رِسْمِ الْمَكَاتِبَةِ عَنْهُمْ أَنْ تَفْتَحَ بِلَفْظِ: «مَنْ فُلَانٌ إِلَى فُلَانٍ». .  
كَمَا كَتَبَ أَبُو عَبْدِ كَانٍ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ طَوْلُونَ إِلَى ابْنِهِ الْعَبَّاسِ حِينَ عَصَى<sup>(١)</sup> [عَلَيْهِ]  
بِالْإِسْكَانْدَرِيَّةِ، مَنذِرًا لَهُ وَمَوْجِبًا لَهُ عَلَى فِعْلِهِ، وَهُوَ:

«مَنْ أَحْمَدُ بْنُ طَوْلُونَ مَوْلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، إِلَى الظَّالِمِ لِنَفْسِهِ، الْعَاصِي لِرَبِّهِ، الْمُعْتَمِدُ  
بِذَنْبِهِ، الْمُفْسِدُ لِكِتَابِهِ، الْعَادِي لَطُورِهِ، الْجَاهِلُ لِقُدْرَتِهِ، النَّاكِسُ عَلَى عَقْبِهِ، الْمَرْكُوسُ  
فِي فِتْنَتِهِ، الْمَبْحُوسُ [مَنْ] حَقَّظَ دُنْيَاهُ وَأَخْرَجَتْهُ!» !

سَلَامٌ عَلَى كُلِّ مُنِيبٍ مُسْتَجِيبٍ، نَائِبٍ مِنْ قَرِيبٍ، قَبْلَ الْأَخْذِ بِالْكَظْمِ، وَحُلُولِ  
الضُّوْتِ وَالنَّدَمِ .

(١) الزيادة من الضوء تؤلف ص ٤٦٦ و٤٦٧ .

وأحمد الله الذي لا إله إلا هو حمد معترف له بالبلاء الجميل ، والطول الجليل ،  
 وأسأله مسألة مخليص في رجائه ، مجتهد في دعائه ؛ أنت يصل على محمد المصطفى ،  
 وأمينه المرتضى ، ورسوله المجتبي ، صلى الله عليه وسلم .

أما بعد ، فإن مثلك مثل البقرة ثير المديّة بقرتها ، والنملة يكون حتفها في جناحها ،  
 وستعلم - هبتك الهوايل ! أيها الأحمق الجاهل ، الذي نعى على النوى عطفه ، وأعدت  
 بضجاج المواقب خلفه - أي مؤرودة هلكة بإذن الله توردت ، إذ على الله جل وعز  
 تمرت وشردت ، فإنه تبارك وتعالى قد ضرب لك في كتابه مثلا : ﴿ قَوْمٌ كَانَتْ آمِنَةً  
 مُطْمَئِنِّينَ يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَانُهَا لِيَبْأَسَ الْجُوعُ  
 وَالْخَوْفَ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ .

وإنا كما نقرّبك إلينا ، وننسبك إلى بيوتنا ، طمعا في إنايتك ، وتأميلا لفيتك ؛  
 فلما طال في النوى أنهماك ، وفي عمرة الجهل أرتياك ، ولم تر الموعظة تلين كبدك ،  
 ولا التدكير يقيم أودك ، لم تكن لهذه النسبة أهلا ، ولا لإضافتك إلينا موضعا  
 ومحلّا ؛ بل لأنكئى أبى العباس إلا تكرها وطمعا بأن يهب الله منك خلفا تقلده أسماء  
 ونكئى به دونك ، وتعدك كنت نسيا منسيا ، ولم تك شيئا مقضيا ؛ فانظر ولا نظّر  
 بك إلى عار نسبته تقلدت ، وتخطيت من قبلنا تعرضت ؛ وأعلم أن البلاء بإذن الله  
 قد أظلمك ، والمكروه إن شاء الله قد أحاط بك ؛ والعساكر بحمد الله قد أنتك كالسيل  
 في الليل ، تؤذئك بحرب ويويل ؛ فإنما نقسم ، وزجوا أن لا تجور ونظّم ؛ أن لا نغنى  
 عنك عانا ، ولا تؤرّ على شانك شانا ؛ ولا تتوقل ذروة جبل ، ولا تلج بطن واد ؛  
 إلا جعلناك بحول الله وقوته فيهما ، وطلبناك حيث أئمت منهما ؛ متفقين فيك كل  
 مالٍ خطير ، ومستصغرين بسديك كل خطب جليل ؛ حتى تستمر من طعم العيش

(١) لعله "تبعك" والمراد اقتفاء. أنه حيث يم .

ما استحلّيت ، وتستدفع من البلايا ما استدعيت ؛ حين لا دافع بحول الله عنك ،  
ولا مخرج لنا عن ساحتك ؛ وتعرف من قدر الرعاء ما جهلت ، وتود أنك هبئت  
ولم تكن بالمعصية عجبت ، ولا رأى من أضلك من عوانك قبليت ؛ <sup>(١)</sup> حينئذ يتقرئ  
لك الليل عن صبحه ، ويُسير لك الحق عن محضه ؛ فننظر بعينين لا عشاوة عليهما ،  
وتسمع بأذنين لا وقرفيهما ؛ ونعلم أنك كنت ممسكا بجبال غرور ، ممسادا  
في مقابح أمور ؛ من عقوق لا ينأم طالبه ، وبغى لا يججو هاربه ؛ وغدر لا ينعش  
صريمه ، وكفران لا يودي قبيله ؛ ويقف على سوء رويتك ، وعظم جريرتك ؛ في تركك  
قبول الأمان إذ هو لك مبدول ، وأنت عليه محمول ؛ وإذ السيف عنك مغمود ،  
وباب التوبة إليك مفتوح ؛ وتلهف وتلهف غير نافعك إلا أن تكون أجبت إليه  
مسرعا ، وأخذت إليه متصحا .

وإن مما زاد في ذنوبك عندي ماورد به كتابك على بعد نفوذى على الفسطاط من  
الثمويات والأعالي ، والعيدات بالأباطيل ؛ من مصيرك بزعمك إلى إصلاح ما ذكرت  
أنه قسد على ، حتى ملت إلى الإسكندرية ، فأقمت بها طويلا هذه المدة . وأستظها را  
عليك بالهجة ؛ وقصعا لمن عسى أن يتعلق به معذرة علم بأن الأثاة غير صادة ، ولا أنه  
حاجبني شك ولا عارضني ريب في أنك إنما أردت الترويح والاحتفال للهرب ، والتروع  
إلى بعض المواضع التي لعل قصدك إياها يؤديك ، ولعل مصيرك إليها يكتفينيك ؛  
ويبلغ إلى أكثر من الإرادة فيك ، لأنك إن شاء الله لا تفضل موصفا إلا تلوتك ،  
ولا تأتي بلدا إلا قفوتك ؛ ولا تلوذ بعصمة تظن أنها تحيك إلا استعنت بالله عز وجل  
في جد جبنها ، وقصم عرونها ؛ فإن أحدا لا يؤوي مثلك ولا ينصره إلا لأحد أمرين

(١) أي يضيق بمجال فراه فانقرئ وتفقرئ اعثر المختار .

من دينٍ أو دُنْيَا . فاما الدين فانت خارج من حملته لمقامك على العُقوق ، ومخالفة ربك وإسقاطه . وأما الدنيا فما أراه بقي معك من الخَطَام الذي سرقته وحمَلت نفسك على الإيثار به ، ما يتبهاً لك مكافئتنا بمنته ، مع ما وهب الله لنا من جزيل النعمة التي نستودعه تبارك وتعالى بإياها ، ونرغبُ إليه في إنعامها ، إلى ما أنت مقيمٌ عليه من البغي الذي هو صارحك ، والعقوق الذي هو طالبُك .

وأما ما مئنتاه من مصيرك إلينا في حُشودك وجموعك ، ومن دخل في طاعتك ؛ لإصلاح عملنا ، ومكافحة أعدائنا ؛ بأمر أظهروا فيه الشجاعة بنا ، فما كان إلا بسببك فاصليح أيها الصبي الأخرق أمر نفسك قبل إصلاحك عملنا ، وأخزيم في أمرك قبل استملاك الحزم لنا ؛ فما أحوجنا الله وله الحمد إلى نُصرتك وموآزرتك ، ولا اضطررتنا إلى التكثر [بك] على شِقَاك ومعصيتك : ﴿ وما كُنْتُ مَسْخَدَ الْمُضِلِّينَ عَصْدًا ﴾

ولست شعري على من تهول بالجنود ، وتمخرق بذكر الجيوش ؛ ومن هؤلاء المسخرون لك ، الباذلون دماغهم وأموالهم وأديانهم دونك ؟ دون رزق تزرعهم إياه ، ولا عطاء تدره عليهم ؛ فقد علمت إن كان لك تمييز ، أو عندك تحصيل ؛ كيف كانت حالك في الوقعة التي كانت بناحية أطرابلس ، وكيف خذلك أولياؤك والمرزقة معك حتى هزمت ، فكيف تغتر بمن معك من الجنود الذي لا أسم لهم معك ، ولا رزق يجري لهم على يدك ؟ فإن كان يدعُوهم إلى نُصرتك هيبتك والمداراة لك والخوف من سلطانك ، فإنهم ليجذبهم أضعاف ذلك منّا ، ووجودهم من البسئل الكثير والعطاء الجزيل عندنا ما لا يجِدونه عندك ، وإنهم لأخرى بخذلك ، والميل إلينا دونك . ولو كانوا جميعا معك ومقيمين على نُصرتك ، لرجونا أن يمكّن الله منك ومنهم ، ويعمل دائرة السوء عليك وعليهم ، ويخربنا من عادته في النصر وإعزاز الأمر على ما لم يزل . يتفضل



علينا بأمثاله ، ويتطوّل بأشباهه . فما دعاني إلى الإرجاء لك ، والتسهيل من خنّاقك ،  
والإطالة من عَنانك ، طوّل هذه المدة إلا أمران : أغلّبهما كان على - أحقّاقُ أمرِك  
وأستصغاره ، وفلّة الاحتفال والأكثراب به ؛ وإني أقصرت من عقوبتِك على  
ما خلقتَه بنفسك من الإباق إلى أقاصي بلاد المغرب شمريدا عن متراك وبلدك ،  
فريدا من أهلك وولّدك - والآخرا تى علمت أن الوحشة دعتك إلى الانحياز إلى  
حيث انحزت إليه ، فأردت التسكين من نِفارك ، والطمانينة من جأشك ؛ وعميت  
على أنك نَحْنُ إلينا حين الولد ، وتثوق إلى قُربنا توقان ذى الرّحم والنسب ؛ فإن  
في رِفقا بك ما يعطُفك إلينا ، وفي تأخينا إليك ما يردك علينا ، ولم يسمع منا سامع  
في خلّاء ولا ملائمتنا بكَ ، ولا غَضًا منك ، ولا قدحا فيك ؛ رِقّة عليك ، وأستهما  
للبد عندك ؛ وتاملا لأن تكونَ الراجع من تلقاء نفسك ، والموفق بذلك لرؤسك  
وحظك ؛ فاما الآن مع اضطرابك إياي إلى ما اضطرتني إليه من الإزعاج نحوك ،  
وحبسك رُسلى النافذين بهمد كثير إلى ما قبلك ؛ وأستعمالك المواربة والخذاع فيما  
يجرى عليه تديرك . فما أنت بموضع للضيانه ، ولا أهل للإبقاء والمحافظة ، بل اللعنة  
عليك حاله ، والذمة منك بريّه ، والله طالبك ومؤاخذك بما أستعملت من المعقوق  
والفطيعه ، والإضاعه لرحم الأبيوه - فعليك من ولّد عاق شاق لعنة الله ولعنة اللاعنين ،  
والملائكة والناس أجمعين ؛ ولا قيل الله لك صرّفا ولا عدلا ، ولا ترك لك مُتقلبا  
ترجع إليه ، وخذلك خذلان من لا يؤوبه له ، وأنكلك ولا أمهلك ، ولا حاظك  
ولا حفيظك . فوائه لأستعملنّ لعنك في دُبُر كلّ صلاة ، والدعاء عليك في آناه الليل  
والنهار ، والعُدوة والأصال ؛ ولأ كُتِبَ إلى مصر ، وأجناد الشامات والثغور ،  
وقسرين ، والعواصم ، والبحزيرة ، والحجاز ، ومكّة ، والمدينة كُتِبَ تُقرأ على منارها

فيك ، باللعن لك ، والبراءة منك ، والدلالة على عقوقك وقطيقتك ؛ ينأقلها آخر عن  
أول ، ويأثرها غير عن ماض ، وتخلد في بطون الصحائف ، وتحملها الركان ، ويحدث  
بها في الآفاق ، وتلحق بك وبأعقابك عارا ما أطرد الليل والنهار ، وأختلف الظلام  
والأنوار .

حينئذ تعلم أيها المخالف أمر أبيه ، القاطع رحمه ، العاصي ربه ؛ أي جنابة على  
نفسك جنت ؟ وأي كبيرة أفترت واجتنت ، وتنتهي لو كانت فيك مسكه ،  
أو فيك فضل إنسانية ؛ أنك لم تكن ولدت ، ولا في الخلق عرفت ؛ إلا أن تراجع  
من طاعتنا والإسراع إلى ما قبلنا خاضعا ذليلا كما يلزمك ، فقيم الاستغفار مقام  
اللعنة ، والرفقة مقام الغلظة ؛ والسلام على من سمع الموعظة فوعاها ، وذكر الله  
فاتقاه ، إن شاء الله تعالى .



وكما كتب الأخشيدي محمد بن طنج [صاحب الديار المصرية] <sup>(١)</sup> وما معها من البلاد  
الشامية ، والأعمال المجازية ، إلى أرماتوس : ملك الروم ، وقد أرسل أرماتوس إليه كتابا  
يذكر من جلته بأنه كاتبه وإن لم تكن عادته أن يكتب إلا الخليفة ، فأمر بكتابة  
جوابه فكتب له الكتاب عدة أجوبة ورفعوا نسختها إليه ، فلم يرتض منها إلا ما كتبه  
إبراهيم بن عبد الله التميمي وكان عالما بوجوه الكتابة :

ونسخته على ما ذكره ابن سعيد في كتابه "المغرب في أخبار المغرب" :

من محمد بن طنج مولد أمير المؤمنين ، إلى أرماتوس عظيم الروم ومن يليه -  
سلام بقدر ما أنتم له مستحقون ، فإننا محمد الله الذي لا إله إلا هو ، ونسأله أن  
يصلي على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم .

(١) ياض في الاصل والتصحيح من ضوء الصحح للزلف ص ٤٦٧ .

أما بعد ، فقد تُرجم لنا كتابك الوارد مع نُقولا وإسحاق رسوليك ، فوجدناه ممتنعا بذكر فضيلة الرحمة ، وما نُحى عنا إليك ، وصحَّح من شئنا فيها لَدَيْكَ ، وبما نحن عليه من المعدلة وحسن السيرة في رعائنا ، وما وصلت به هذا القول من ذكر القداء والتوصل إلى تخليص الأسرى ، إلى [ غير ] ذلك مما أشتمل عليه وتفهمناه .

فأما ما أُطببت فيه من فضيلة الرحمة فمن سيد القول ، الذى يليق بِذَوِي الفضل والنبل ، ونحنُ بحمد الله ونعمه علينا بذلك عارفون ، وإليه راغبون ، وعليه باعثون ، وفيه يتوفيق الله إيانا مجتهدون ، وبه متواصلون وعاملون . وإياه نسأل التوفيق لمرآشد الأمور وجوامع المصالح بمنه وقدرته .

وأما مانسبته إلى أخلاقنا من الرحمة والمعدلة ، فإننا نرغبُ إلى الله جلَّ وعلا الذى تفرد بكل هذه الفضيلة ، وهبها لأوليائه ثم أنابهم عليها ، أن يُوفقنا لها ، ويجعلنا من أهلها ، وييسرنا للإجتهد فيها ، والاعتصام من زيغ الهوى عنها ، وعرة القسوة بها ، ويجعل ما أودع قلوبنا من ذلك موقوفا على طاعته ، وموجبات مرضاته ، حتى نكون أهلا لها وصفتنا به ، وأحقَّ حقا بما دعوتنا إليه ، ومن يستحقُّ الرضى من الله تعالى ، فإننا فقراء إلى رحمته . وحقَّ لمن أنزله الله بحيث أنزلنا ، وحمله من جسم الأمر ما حملنا ، وجمع له من سعة الممالك ما جمع لنا بمولانا أمير المؤمنين أطلال الله بقاءه ، أن يتَّهَّل إلى الله تعالى في معونته لذلك وتوفيقه وإرشاده ، فإن ذلك إليه وبيده : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴾ .

وأما ما وصفته من ارتفاع محلِّك عن مرتبة من هو دون الخليفة في الكتابة لما يقتضيه عظم مُلْكِكُمْ ، وأنه المُلْك القديم الموهوب من الله ، الباقى على الدهر ، وأنتك إنما خصصتنا بالكتابة لما تحققت من حالنا عندك ، فإن ذلك لو كان حقا

وكانت منزلتنا كما ذكرته تقصّر عن منزلة من تُكاتبه ، وكان لك في ترك مكاتبتنا غمٌّ  
ورُشد ، لكان من الأمر البين أن أحظى وأرشد وأولى بن حلّ محلّك أن يعمل  
بما فيه صلاح رعيته ، ولا يراه وشمّة ولا قبيصة ولا عيباً ، ولا يقع في معاناة صغيرة  
من الأمور تعقبها كبيرة ، فإن السائس الفاضل قد يركب الأخطار ، ويخوض النهار ،  
ويعرض مُهيجته ، فيما ينفع رعيته ؛ والذي تجشمته من مكاتبتنا إن كان كما وصفته  
فهو أمرٌ سهل يسير ، لأمرٍ عظيمٍ خطير ، وجُلُّ نفعه وصلاحه وعائده تُحصى ، لأن  
مذهبنا أنتظارُ إحدئ الحُسدَيْن ، فمن كان مناً في أيديكم فهو على يئنه من ربه ،  
وعزيمة صادقة من أمره ، وبصيرة فيما هو بسيدله ؛ وإن في الأسارى من يُؤثر  
مكانه من ضنك الأسر وشدة البأساء على نعيم الدنيا وخيرها لحسن متقلبه ، وحيد  
عاقبه ، ويعلم أن الله تعالى قد أعاده من أن يفتنه ، ولم يعدّه من أن يثليه . هذا  
إلى أوامر الإنجيل الذي هو إمامكم ، وما توجبه عليكم عزائم سياستكم ، والتوصل  
إلى استنقاذ أسرائكم ؛ ولولا أن إيضاح القول في الصواب ، أولى بنا من المسامحة  
في الجواب ؛ لأضربنا عن ذلك صفحاً . إذ رأينا أن نفس السبب الذي من أجله  
سأنا إلى مكتبة الخلفاء عليهم السلام من كاتبهم ، أو عدا عنهم إلى من حلّ محلنا  
في دولتهم ؛ بل إلى من نزل عن مرتبتنا ، هو أنه لم يثق من منعه ، وردّ ملتَميه  
ممن جاوره ، فرأى أن يقصد به الخلفاء الذين الشرف كلّه في إجابتهم ، ولا عار على  
أحد وإن جلّ قدره في ردهم ؛ ومن وثق في نفسه ممن جاوره ، وجد قصده أسهل  
السييلين عليه ، وأدناهما إلى إرادته ؛ حسب ما تقدم لها من تقدم . وكذلك كاتب  
من حلّ محلّك من قصّر عن محلنا ، ولم يقرب من منزلتنا ؛ فهالِكاً عدّة ، كان يتقلد  
في سائف الدهر كل مملكة منها ملكٌ عظيم الشان .

فنها مُلكُ مصر الذى أطفى فرعونَ على خَطَرِ أمره ، حتى آدعى الإلهية وأنخر على نبيِّ الله موسى بذلك .

ومنها ممالكُ اليمن التى كانت للتبابعة ، والأقوال العبايلة : ملوكِ حير ، على عظم شأنهم ، وكثرة عددهم .

ومنها أجنادُ الشام التى

منها جُندُ حِمص ، وكانت دارهم ودارِ هرقلِ عظيمِ الرومِ ومن قبله من عظامها .

ومنها جُندُ دِمَشقَ على جلالته فى القديم والحديث ، واختيارِ الملوكِ المتقدمين له .

ومنها جُندُ الأردنِّ على جلاله قدره ، وأنه دارُ المسيحِ صلى اللهُ عليه وسلم وغيره من الأنبياء والحواريين .

ومنها جُندُ فِلَسطينَ ، وهى الأرضُ المقدسة ، وبها المسجدُ الأقصى ، وكرسىُ النصرانية ، ومعتمدُ غيرها ، ومَحَجُّ النصارى واليهود طراً ، ومقرُّ داودَ وسليانَ ومسجدَهُما . وبها مسجدُ إبراهيمَ وقبره وقبرِ إسحاقَ ويعقوبَ ويوسفَ وإخوته وأزواجهم عليهم السلام ، وبها مولدُ المسيحِ وأمه وقبرها .

هذا إلى ما تنقلده من أمر مكة المحفوظة بالآيات الباهرة ، والدلالات الظاهرة ، فإنا لو لم نتقلد غيرها لكانت بشرفها ، وعِظَم قدرها ، وما حوت من الفضل تُوفى على كل مملكة ، لأنها محجُّ آدمَ ومَحَجُّ إبراهيمَ وارثه ومهاجره ، ومَحَجُّ سائر الأنبياء ، وقبلتنا وقبلتهم عليهم السلام وداره وقبره ، ومَنبتُ ولده ، ومَحَجُّ العربِ على امرِّ الحَقْب ، ومحلُّ أشرفها ، ودَوَى أخطارها ، على عظم شأنهم ، ونفامية أمرهم . وهو البيتُ

(١) كذا فى " المنرب " أيضاً ويظهر أنه مقدم على ما بعده ويكون الضمير فيه عائداً على سيدنا إسماعيل فإن مكة كانت داره ومنبهه تأمل .

العتيق ، المحترم المحجوج إليه من كل بئح عميق ، الذى يعترف بفضلِهِ وقدمه أهل الشرف ، من مَضَى وَمَنْ خَلْفَ ؛ وهو البيت المعمور ، وله الفضل المشهور .

ومنها مدينةُ الرسولِ صلى اللهُ عليه وسلم المقدسةُ بئرته ، وانها مهبطُ الوحي ، وبيضةُ هذا الدينِ المستقيمِ الذى امتدَّ ظلُّهُ على البرِّ والبحرِ ، والمهملِ والوعرِ ، والشَّرْقِ والغَرْبِ ، وصحارىِّ العَرَبِ على بعدِ أطرافها ؛ وتَسَارُجِ أَقْطَارِها ؛ وكثرةِ سُكَّانِها فى حاضِرَتِها وبَادِيَتِها ، وعظَمِها فى وفودِها وشِدَّتِها ، وصِدْقِ بَاسِها وتَجَدُّتها ؛ وكبرِ أَهْلِها ، وتُعدُّ مَرَامِها ، وأتَعادُ النَّصْرُ من عندِ اللهِ بِرِايَتِها . وإن اللهُ تعالى أَبَادَ خَضْرَاءَ كِسْرَى ، وشَرَّدَ قَيْصَرَ عن دارِهِ ومحلِّ عِزِّهِ ومَجْدِهِ بظانفةٍ منها . هذا إلى ما نَعْلَمُهُ من أَعْمَالِنَا ؛ وتَحَتَّ أَمْرُنَا ونَهْنِنا ثلاثَةُ كَراسِيٍّ من أعظَمِ كَراسِيٍّ : بَيْتُ المَقْدِسِ ، وأنطاكيَّةُ ، والإسكندريَّةُ . مع ما إلينا من البحرِ وجزائرِهِ ، واستظهارنا بِأَتَمِّ العِتَادِ . وإذا وَقَّيتِ النظرَ حَقَّهُ علمتِ أن اللهُ تعالى قد أَصْفانا بِمَجَلِّ الممالكِ التى يَنْتَعِجُ الأثامُ بِها ، وبشَرَفِ الأَرْضِ المخصوصَةِ بالشَّرَفِ كُلِّ دُنْيَا وآخِرَةٍ ، وعَمَّقَتِ أنْ مَنزلتنا بما وهبَهُ اللهُ لنا من ذلكِ فَوْقَ كُلِّ مَنزِلَةٍ . والحمدُ لله ولىَّ كُلِّ نِعْمَةٍ .

وسيامنَّا لهذهِ الممالكِ قَرِيبًا وبَعِيدًا على عِظَمِها وسَعَتِها بِفَضْلِ اللهِ علينا وإِحسانِهِ إلينا ومُعُونَتِهِ لنا وتوفيقِهِ إيانا كما كَتَبْتَ إلينا وَصَحَّ عندَكَ من حُسْنِ السَّيْرَةِ ، وبِما يُؤَلِّفُ بين قُلُوبِ سائرِ الطَّبَقاتِ مِنَ الأُولِياءِ والرعيَةِ ويَجْمَعُهُم على الطَّاعَةِ وأَجْتِماعِ الكَلِمَةِ ، ويوسعِها الأَمْنَ والدَّعةَ فى المَعيشَةِ ويَكسِبُها المودَّةَ والمحبةَ .

والحمدُ لله رَبِّ العالمينِ أَوَّلًا وآخِرًا على نِعْمِهِ التى نَمُوتُ عندنا عَدَدَ العاديينِ ، وإِحْصاءِ المُجْتَهِدينِ ، ونَشْرِ الناشرينِ ، وقَوْلِ القائلينِ ، وشُكْرِ الشَّاكِرِينَ . وسألهُ أنْ يجعلنا من تَحَدَّثَ بِنِعْمَتِهِ عليه شُكْرًا لها ، ونَشْرًا لها مَنعَهُ اللهُ منها [ وَمَنْ رَضِيَ

اجتهاده في شكرها، ومن أراد الآخرة<sup>(١)</sup> وسعى لها سعيها، وكان سعيه مشكورا،  
إنه حيد مجيد .

وما كنت أحب أن أباهيك بشيء من أمر الدنيا ، ولا أتجاوز الاستيفاء لما  
وهبه الله لنا من شرف الدين الذي كرمه وأظهره ، ووعدنا في عواقبه الغلبة  
الظاهرة ، والقُدرة القاهرة ، ثم الفوز الأكبر يوم الدين . لكنك سلكت مسلكا  
لم يحسن أن تعدل عنه ، وقلت قولا لم يسمعنا التقصير في جوابه ، ومع هذا فإننا لم  
نقصد بما وصفناه من أمرنا مكاثرتك ، ولا آتدنا تعيين فضل لنا نمؤذ به ، إذ نحن  
نكرم عن ذلك ، ونرى أن نكرمك عند محلك وميزلتك ، وما يتصل بها من حسن  
سياستك ومذهبك في الخير ومحبتك لأهلك ، وإحسانك لمن في يدك من أسرى المسلمين ،  
وعطفك عليهم ، وتجاوزك في الإحسان إليهم ، جميع من تقدمك من سلفك . ومن  
كان محمودا في أمره ، رغب في محبته ، لأن الخير أهل أن يحب حيث كان . فإن  
كنت إنما تؤهل لمكاتبك ومماثلتك من آسعت مملكته ، وعظمت دولته ، وحسنت  
سيرته ، فهذه ممالك عظيمة ، واسعة جمة ، وهي أجل الممالك التي ينتفع بها الأنام ،  
وسر الأرض المخصوصة بالشرف . فإن الله قد جمع لنا الشرف كله ، والولاء الذي  
جعل لنا من مولانا أمير المؤمنين أطال الله بقاءه ، مخصوصين بذلك إلى مالنا بقدينا  
وحديتنا وموقعنا . والحمد لله رب العالمين الذي جمع لنا ذلك بتمته وإحسانه ، ومنه  
نرجو حسن السعي فيما يرضيه بلطفه . ولم ينطو عنك أمرنا فيما آتدناه ،

وإن [كنت] تجرى في المكاتبه على رسم من تقدمك فإنك لو رجعت إلى ديوان  
بلدك ، وجددت من كان تقدمك قد كاتب من قبلنا من لم يحل محلتنا ، ولا أغنى

(١) الزيادة من "المغرب في أخبار المغرب" .

(٢) في المغرب "لم يهزل لنا أن تعدل الخ" .

غَدَاءَنَا ، ولا سَأَسَ في الأمور سِيَّاسَتَنَا ، ولا قَلَدَهُ مولانا أمير المؤمنين أطلال الله بقاءه ما قَلَدْنَا ، ولا فَوْضَ إليه ما فَوْضَ إلينا ، وقد كُوتِبَ أبو الجَيْشِ نَحْرَويه بن أحمد ابن طُلوون ، وآخر من كُوتِبَ تِيكِينِ مولانا أمير المؤمنين ولم يكن تقلد سوى مِصْرَ وأعمالها .

وبن محمد الله كثيرا أولا وآخرا على نِعْمَةِ التي يفوت عندنا عَدَدُهَا عَدَّ العَادِينَ ، ونَشْرُ النَاشِرِينَ . ولم نرد بما ذكراه المَفَاحِرَةَ ، ولكننا قصدنا بما عَدَدْنَا من ذلك حالاتٍ : أولها التَحَدُّثُ بنِعْمَةِ الله علينا ، ثم الجَوَابُ عما تَضَمَّنَهُ تَحَابُّكَ من ذِكْرِ المَحَلِّ والمُتَزَلِّةِ في المَكْتَابَةِ ، ولتَعَلَّمْ قَدْرَ ما بَسَطَهُ اللهُ لنا في هذه المَسْأَلَةِ ، وعندنا قُوَّةٌ تَامَةٌ على المَكافَاةِ على جَمِيلِ فِعْلِكَ بالأَسَارِي ، وشُكْرُ وإيِّ لِمَا تُؤَلِّمُهُم وتَتَوَخَّاهُ من مَسَرَّتِهِمْ إن شاء اللهُ تعالى وبه التَّفَقُّه ، وَفَقَّكَ اللهُ لِمَواهِبِ خِيَرَاتِ الدُنْيَا والآخِرَةِ ، والتَوْفِيقِ لِسُدَادِ في الأمور كُلِّهَا ، والتيسيرِ لِمَصْلَاحِ القَوْلِ والعملِ الذي يُجِيبُهُ ويرضاه وَيُشِيبُ عليه ، ويرفَعُ في الدُنْيَا والآخِرَةِ أَهْلَهُ ، بِمَنَّةِ وَرَحْمَتِهِ .

وأما المُلْكُ الذي ذَكَرْتَ أَنَّهُ باقٍ على الدَهْرِ لَأَنَّهُ مَوْهُوبٌ لَكُمْ من اللهُ خَاصَّةً ، فَإِنَّ الأَرْضَ اللهُ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ من عِبَادِهِ وَالعَاقِبَةَ لِلتَّقِيينَ . وإن المُلْكُ كُلُّهُ اللهُ يُؤْتِي المُلْكَ مَنْ يَشَاءُ وَيَنْزِعُ المُلْكَ مِمَّنْ يَشَاءُ وَيُعِزُّ مَنْ يَشَاءُ وَيُنزِلُ مَنْ يَشَاءُ بِيَدِهِ الخَيْرِ وإِلَيْهِ المَصِيرُ ، وهو على كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . وإن اللهُ عَزَّ وَجَلَّ نَسَخَ مَلِكِ المُلُوكِ وَجَبْرِيَّةَ البِخَّارِيينَ بِنُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى آلهِ أَجْمَعِينَ ، وَشَفَعَ نُبُوَّتَهُ بالإِمَامَةِ وحَازَهَا إلى العِتْرَةِ الطَّاهِرَةِ مِنَ العُنُصُرِ الذي مِنْهُ أميرُ المُؤْمِنِينَ أَطْلَالَ اللهُ بقاءَهُ ، وَالشَّجَرَةَ التي مِنْهَا عُصْنُهُ ، وَجَعَلَهَا خَالِدَةً فِيهِمْ يَتَوَارَثُهَا مِنْهُمْ كَأَبْرَءِ عَن كَأَبْرَءِ ، وَيُلْقِيهَا مَائِضٌ إلى ظَاوِرٍ ، حَتَّى تَجْزَأَ أَمْرُ اللهِ وَوَعْدُهُ ، وَبِهِرْ نَصْرُهُ وَكَلِمَتُهُ ، وَأَظْهَرَ حِجَّتَهُ وَأَضَاءَ عَمُودِ الدِّينِ بِالْأَمَّةِ



المهتدين ، وَقَطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ يُحِقُّ الْحَقَّ وَيُطِيلُ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ حَتَّى يَرِثَ اللَّهُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ .

وإِنَّ أَحَقَّ مُلْكٍ أَنْ يَكُونَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، وَأَوْلَاهُ وَأَخْلَقَهُ أَنْ يَكُنْفَهُ اللَّهُ بِحِرَاسَتِهِ وَحِطَابَتِهِ ، وَيَحْفَهُ بِعِزِّهِ وَأَيْدِهِ ، وَيَجَلِّلَهُ بِهَاءِ السَّكِينَةِ فِي سَهْمَةِ الْكِرَامَةِ ، وَيَجْمَلُهُ بِالْبَقَاءِ وَالنَّجَاءِ مَالِاحِ بَغْرٍ ، وَكَرَّ ذَهْرٍ ، مُلْكٌ إِمَامَةٌ عَادِلَةٌ خَلَقَتْ نَبِيَّةً بَغْرَتْ عَلَى رِثْمِهَا وَسَنَنِيهَا ، وَأَرْتَسَمَتْ أَمْرَهَا ، وَأَقَامَتْ شَرَائِعَهَا ، وَدَعَتْ إِلَى سُبُلِهَا ؛ مُسْتَنْصِرَةٌ بِأَيْدِهَا ، مُتَجِرَّةٌ لَوْعِدِهَا ؛ وَإِنْ يَوْمًا وَاحِدًا مِنْ إِمَامَةٍ عَادِلَةٍ خَيْرٌ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ عُمْرِ الدُّنْيَا عَمَلًا كَا وَجَبْرِيَّةً .

ونحن نسأل الله تعالى أن يُدِيمَ نِعْمَهُ عَلَيْنَا ، وَإِحْسَانَهُ إِلَيْنَا بِشَرَفِ الْوِلَايَةِ ، ثُمَّ بِحُسْنِ الْعَاقِبَةِ بِمَا وَفَّرَ عَلَيْنَا خَيْرَهُ وَعُلَادَهُ ، وَمُجِدِّهِ وَإِحْسَانَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَبِهِ التُّقَى ، وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ .

وَأَمَّا الْقِدَاءُ وَرَأْيُكَ فِي تَخْلِيصِ الْأَسْرَى ، فَإِنَّا وَإِنَّا نَكْفَى وَاتَّقِينَ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ بِإِحْسَانِ الْحُسَيْنِيِّ ، وَعَلَى بِنْتِهِ فَمِنْ أَمْرِهِمْ ، وَتَبَاتَ مِنْ حُسْنِ الْعَاقِبَةِ وَعِظَمِ الثَّوْبَةِ ، عَالِمِينَ بِمَا فَمِنْ ، فَإِنْ فِيهِمْ مِنْ يُؤْتِرُ مَكَانَهُ مِنْ صَنْكِ الْأَسْرِ وَشِدَّةِ الْبِاسِ عَلَى نَعِيمِ الدُّنْيَا وَلَدَّتْهَا ، سَكُونًا إِلَى مَا يَحْقَقُهُ مِنْ حُسْنِ الْمُنْقَلَبِ وَبَحْرِيْلِ الثَّوَابِ ، وَيَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَعَاذَهُ مِنْ أَنْ يَقْتِنَهُ ، وَلَمْ يَعْذِهِ مِنْ أَنْ يَنْتَلِيهِ ؛ وَقَدْ تَبَيَّنَّا مَعَ ذَلِكَ فِي هَذَا الْبَابِ مَا شَرَعَهُ لَنَا الْأَئِمَّةُ الْمَاضُونَ ، وَالسَّلَفُ الصَّالِحُونَ ؛ فَوَجَدْنَا ذَلِكَ مُوَافِقًا لِمَا أَلْتَمَسْتَهُ ، وَغَيْرَ خَارِجٍ عَمَّا أَحْبَبْتَهُ ؛ فَسُرَرْنَا بِمَا تَبَسَّرْنَا مِنْهُ ، وَبَعَثْنَا الْكُتُبَ وَالرُّسُلَ إِلَى عُمَّالِنَا فِي سَائِرِ أَعْمَالِنَا ، وَعَزَمْنَا عَلَيْهِمْ فِي جَمْعِ [ كُلِّ مَنْ قَبْلَهُمْ وَأَتْبَاعَهُمْ بِمَا وَفَّرَ الْإِيمَانَ فِي إِفْقَادِهِمْ ، وَبَدَلْنَا فِي ذَلِكَ ] كُلِّ مُمْكِنٍ ، وَأَنْعَزْنَا إِجَابَتِكَ عَنْ كِتَابِكَ لِتَقْدَمَ فَعَلْنَا

(١) الزيادة من "المغرب في أخبار المغرب" .

قولنا ، وإيجازنا وعدنا ، ويوشك أن يكون قد ظهر لك من ذلك ما وقع أحسن الموضع منك إن شاء الله .

وأما ما ابتدأنا به من المواصله ، واستشعرته لنا من المودة والمحبة ، فإن عندنا من مقابلة ذلك ما توجبه السياسة التي تجمعنا على اختلاف المذاهب ، وتقتضيه نسبة الشرف الذي يؤلفنا على تباين النحل ، فإن ذلك من الأسباب التي تحصنا وإياك . ورأينا من تحقيق جميل طُكَّ بنا إيناس رُسلِك وبسطهم ، والاستماع منهم والإصغاء إليهم والإقبال عليهم ، وتلقينا آتساطك إلينا ، والطافك إيانا بالقبول الذي يحقُّ علينا ، ليقع ذلك موقعه . وزدنا في توكيد ما اعتمدته ما حملناه رسلك في هذا الوقت على استقلالنا إياه من طرائف بلدنا وما يطرا من البلاد علينا ، وإن الله بعذله وحكمته أودع كل قرية صنفا ، ليتشوف إليه من بعد عنه ، فيكون ذلك سببا لعمارة الدنيا ومعاش أهلها . ونحن نفردك بما سلمناه إلى رسولك لتقف عليه إن شاء الله .

وأما ما أنفدته للتجارة فقد أمكنا أصحابك منه ، وأذنا لهم في البيع وفي آتباع ما أرادوه واختاروه ، لأننا وجدنا جميعه مما لا يحظره علينا دين ولا سياسة . وعندنا من بسطك وبسط من يرد من جهتك ، والحرص على عمارة ما بدأنا به ورعايته ، ورب ما غرسه ، أفضل ما يكون عند مثلنا لمثلك . والله يعين على ما تنويه من جميل ، وتعتده من خير ، وهو حسينا ونعم الوكيل .

ومن ابتدأ بجميل لزمه الجري عليه والزيادة ، ولا سيما إذا كان من أهله وخليقابه . وقد ابتدأنا بالمؤانسة والمباطنة ، وأنت حقيق بعمارة ما بيننا ، وباعتدانا بجهاتك وعوارضك قبلنا ، فأبشرت بيسير ذلك إن شاء الله .

والحمد لله أحق ما أتدعى به ، وختم بذكره ، وصلى الله على محمد نبي الهدى والرحمة ، وعلى آله وسلم تسليما .

## الحالة الثانية

(من حالات المكاتبات الصادرة عن ملوك الديار المصرية ما كان الحال عليه بعد الدولة الفاطمية في الدولة الأيوبية)

وقد ذكر «عبد الرحيم بن شيث» أحد كتّاب الدولة الأيوبية في أوامر دولتهم مصطلح ما يكتب عن السلطان في خلال كلامه، فقال: إن الناس كانوا لا يكتبون «المجلس» إلا للسلطان خاصة، ويكتبون لأعيان الدولة من الوزراء وغيرهم «الحضرة» ثم أفردوا السلطان بالمقام والمقر، وصاروا يكتبون «المجلس» لمن دونه، ولم يسوغوا مكتبة السلطان بعد ذلك بالمجلس ولا بالحضرة. قال: ويكتب السلطان إلى ولده المستخلف عنه «المجلس» دون المقام. وأصطلحوا على الاختصار في نعوت الملوك المكتوب إليهم والدعاء، بخلاف من هو تحت أمر السلطان وتحت حوزته، فإنه كلما كثرت النعوت والدعاء له في مكتبة السلطان إليه، كان أبلغ: لأن ذلك في معنى التشريف من السلطان، وأنه لا يقال في المقام «السامي» بل «العالى» . وأنه إذا كتب السلطان إلى من هو دونه من ذوى الأقدار عبر «بالمجلس السامى» ، ولا يزداد على ذلك، ثم يفرد عن النسب بعد السامى، فيقال: الأمير الأجل من غيرياء النسب . وأنه لا يقال العالى مكان السامى في الكتابة عن السلطان، وقد يجمع بينهما لذوى الأقدار، وأنه يضاف في نعت كل أمير «عمدة الملوك والسلاطين عز الإسلام، أو نصرة الإسلام، أو فارس المسلمين» أو ما شابه ذلك من غير ضبط ولا تخصيص لأحد دون أحد إذا أحرزوا النعت الذى أشتهر به المكتوب إليه . وأنه يقال: «عمدة الملوك والسلاطين» و«عمدة الملوك والسلاطين» و«دُخْر الملوك» ودونها «أخبار الملوك» . ونالأقارب «نقر الملوك» و«جمال الملوك» و«عز الملوك» و«زين الملوك» . ونالأماثل «معين الملوك» و«نصرة الملوك» وما أشبه ذلك .

وأنه يكتب للأمرء الأعيان : «حُسام أمير المؤمنين» و«سيف أمير المؤمنين» .  
ولكبراء الدولة من الكُتاب : «خاصة أمير المؤمنين» و«ولي أمير المؤمنين»  
و«صفوة أمير المؤمنين» . و«ثقة أمير المؤمنين» و«صديعة أمير المؤمنين» على  
مقدار مراتبهم . وأن نعت الأجل يذكر بعد العلو والسمو بأن يقال : «المجلس العالى  
الأجل» أو «السامى الأجل» وربما كان بعد ذكر الإمرة أو القضاء فيقال  
«الأمير الأجل» أو «القاضى الأجل» . وأن السلطان لا يتدعى بالدعاء فى كتبه إلى  
أحد إلا من مائله فى الملوك . وأن السلطان لا يكتب إلى أحد من هو تحت أمره  
«بلا زال» «ولا برح» فى الدعاء ، وإنما يكتب بذلك إلى من مائله من الملوك ،  
أو إلى ولده المستخلف عنه فى الملوك . وأن الدعاء للولك يكون مثل «أدام الله أيامه»  
و«خدد سلطانه وثبت دولته» وما أشبه ذلك . وأن التخميد فى أوائل الكُتب  
لا يكون إلا فى الكُتب الصادرة عن السلطان . وأن غاية عظمة المكتوب إليه أن  
يكون الحمد ثمانية وثلاثة فى الكُتاب ، ثم يؤتى بالشهادتين ، ويصلى على النبي صلى الله  
عليه وسلم . وأنه يكتب فى الكتب السلطانية «صدرت» و«أصدرناها» ولا يكتب  
«كتبت» . وأن الذى يُخاطب به الخلافة عن السلطان : «المواقف المقدسة  
الشريفة ، والعبات العالسة ، ومقر الرحمة ، ومحل الشرف» . والذى يخاطب به  
الملوك : «المقام العالى ، والمقر الأشرف» ولا يقال «المقام السامى» . والذى  
يخاطب به الوزراء : «الجناب العالى ، والمحفل السامى» . ومن دون ذلك «المجلس  
السامى» ودونه «مجلس الحضرة» . ودونه «الحضرة» . وأنه لا يكتب عن السلطان  
لمن هو تحت أمره إلا بنون الجمع لدلائها على العظمة ، ولا يكتب «تسعر» إلا عن  
السلطان خاصة بخلاف «تعلم» وأن الكتب الصادرة عن السلطان تكون طويلة  
الطرزة ، وتكون بقلم جميل غير دقيق . وأنه يوسع بين السطور حتى يكون بين كل

سطين ثلاث أصابع أو أربع أصابع . وأنه لا يخرج عن ستمت البسملة في الكتابة ، ولا يحتمل ذلك إلا في الحمدلة . وأنه لا يكثر النقط والشكل في الكتب الصادرة عن السلطان لاسيما في الألقاظ الظاهرة . وأن الدعاء على العدو كان محظورا في الكتب الصادرة عن السلطان إلى من دونه ، ثم استعمل ذلك . وأنه لا تترك فضلة في آخر الكتاب بيضا ، ولا يكتب في حاشية الكتاب . وأن الترجمة عن السلطان في كتبه لمن تحت أمره أعلاه وأدناهم ، العلامة ؛ فإن أراد تمييز أحد منهم كتب له شيئا بخطه في مكان العلامة . وأن العلامة تكون إلى البسملة من السلطان أقرب ، وأنه لا حرج على السلطان أن يترجم للقضاة والعلماء والعُباد بأخيه وولده . وأن عنوانه الكتاب وختمه مختص بصاحب ديوان الإنشاء ليدل ذلك على وقوفه على الكتاب . وأنه لا يجوز عنوانه الكتاب قبل أن يكتب عليه السلطان ترجمته أو علامته . وأن الكتب لا تبقى مفتوحة إلا أن تكون بإطلاق مال ؛ لأن كرم الكتاب ختمه ؛ ولا أكرم من كتب السلطان ؛ ويكون طي الكتاب الصادر عن السلطان عرض ثلاث أصابع .

ثم مشهور مكاتبتهم على أربعة أساليب :

### الأسلوب الأول

( أن تفتح المكتبة بالدعاء للجلس أو الختاب )

مثل : أدام الله أيام المجلس ، أو أدام الله سلطات المجلس ، أو أدام الله نعمة المجلس ، أو أدام الله اقتدار المجلس ، أو أدام الله سعادات المجلس ، أو خلد الله أيام المجلس أو سلطان المجلس ، أو ثبت الله دولة المجلس ، وما أشبه ذلك مما فيه معنى

(١) في الضم ، " وأنه يترك " بغير اللامفة وإثباتها أوضح .

الدوام، وربما أبدل لفظ الدوام وما في معناه بالمُصَافعة، مثل: ضاعفَ اللهُ نعمة المجلس. ويؤتى على الألقاب إلى آخرها، ثم يقال: نُشِعِرَ المجلس أو الأمير بكذا ونحو ذلك، ويؤتى على المقصود إلى آخره، ويُحْتَمُّ بالدعاء وقد يُحْتَمُّ بغيره. وهذه نسخة مكتوبة من هذا الأسلوب بالإخبار بفتح غزرة وأقتلاعها من الفرج الديوية، الذين كانوا مستولين عليها، وهي:

«أدامَ اللهُ سعادَاتِ المجلس، وأحسنَ له التدبير، وأصفى عَيْشَه من التكدير، وحققَ له وفيه أحسنَ الرجاء والتقدير، وجعلَ وجهه من أهلة الأكارم والتكبير، وأعاد تأخيرَ أجله من التقديم وتقديمَ حظه من التأخير.»

نُشِعِرَ المجلس بما منَّ اللهُ تعالى به من فتح مدينة غزرة يوم الجمعة الجوامع لشمل النصر، الفاطم لحبل الكُفْر، وهذه المدينة قد علم اللهُ أنها من أوسع المدائن، وأملِ الكائن، وأثرى المعادن؛ وهي كرسى الديوية ومهيط رؤوسهم، ومحط نفوسهم، وحي كليبهم بل كلابهم، وظهير صليبهم بل أصلابهم؛ وما كانت الأبصار إليها تطمع، ولا الأقدارُ بها قبلنا تسمع، ولها قلعة أنفها شامخ في الهواء، وعطفها جامع عن عطفة اللواء؛ قد أوغلت في الجؤ مرتفعه، وأومضت في الليل ملتصقه، ويرداء السحاب ملتصقه؛ قد صالقتها أيدي الأنام بالسلامة من قوارعها، وهادتها حوادث الأيام على الأمن من روائعها، إلى أن أتيح لها من أتاح لها الحين، وقبض لها من اقتضى منها الدين؛ فصبَّحها بما ساء به صبَّحها، وزرعها بالزير الذي تحرس له نبأها. وكان من خبرها أننا لما أطلنا عليها مغيرين، وأطفنا بها دائرين، ولكؤوس الحرب مديرين؛ تغلبت الأجداد والأبطال على الزحف، وأعمل آرتيأح النصر عن انتظام عقد الصف؛ وأنقضوا عليها، أنقضوا البراة على طرائدها، وأسرعوا إليها، إسراع العطاش إلى مواردها؛

ورُفِعَت الألوِيَةُ خَافِقَةً كذَوَابِ الضَّرَامِ ، طَالَعَةً بِرَسَائِلِ الخِطَامِ ، مُشِيرَةً بِالْعَدَابَاتِ  
إِشَارَةً لَمْ يَطْمَئِنُوا إِلَيْهَا بِالسَّلَامِ ؛ وَجَاءَهُم المَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ ، وَأَمْطَرَتِ الشُّهُبُ  
مِنْ كُلِّ سِنَانٍ ؛ فَرَأَوْا مَوَاهِمَ الخَيْبِ ، وَتَحَنَّنَهُمُ الخَيْبِ ؛ وَفَدْرَكَصَتْ فِيهِ خِيُولُ  
الغِيَرِ ، وَأَعْرَضَتْ فِيهِ سُيُُولُ العَيْرِ ، وَجُرِدَتْ فِيهِ نُصُُولُ القَدَرِ ؛ وَالنَّارُ قَدِ لَعِبَتْ فِيهِ  
بِحُدِّهِ ، وَأَحْمَرَتْ فِيهِ خَدُودَهَا مَحْدَهُ ؛ وَأَقْوَامَهُمُ المَدَّخِرَ ، وَأَمْوَالَهُمُ المَثْمَرَةَ ؛ نَقَلًا  
مُبَاحًا ، وَزَيْدًا مَطَاحًا ؛ وَمَقَاتِلًا مُشَاعًا ، وَتَهْبًا مُضَاعًا ؛ قَدُمِلْتَ مِنْهُ الرِّجَالُ وَأَخْصَبَتْ ،  
وَأَتَمَعَتْ بِهِ الأَيْدِي وَضَاقَتْ بِهِ الأَرْضُ بِمَا رَحِبَتْ .

### الأسلوب الثاني

( أن تفتتح المكاتبة بلفظ الإصدار )

مثلى : أصدرتنا هذه المكاتبة ، أو أصدرت ، أو صدرت ؛ ويؤتى على المقصود  
على ما تقدم .

وهذه نسخة كتاب من هذا الأسلوب كتب به القاضى الفاضل ، عن السلطان  
«صلاح الدين يوسف بن أيوب» إلى أخيه سيف الإسلام سلطان اليمن ، يستقدمه  
إليه معاونة له على قتال القرنج خذلهم الله ! ويشره بفتح كوكب ، وصعد ، والكرك  
فى سنة أربع وثمانين وخمسمائة وهو :

«أصدرنا هذه المكاتبة إلى المجلس . ومما تجدد بحضرتنا فروع كوكب : وهى كرمى  
الاستبارية ودار كفرهم ، ومستقر صاحب أمرهم ، وموضع سلاحهم وذخرهم ؛  
وكان يجمع الطرق قاعدا ، ولما تنوى السبل راصدا ؛ فتعالت بفتحجه بلاد الفتح  
وأسوطننت ، وسالكت الطرق فيما وأمنت ، وعمرت بلادها وسكنت ؛ ولم يبق  
فى هذا الجانب إلا صور . ولولا أن البحر يثبدها ، والمراكب تردها ؛ لكان قنادها

قد أمكن، ورحمها فقد أذعن، وما هم بحمد الله في حِصن ينجيهم، بل في سجن يحويهم؛ بل هم أسارى وإن كانوا طلقاءً، وأمواتٌ وإن كانوا أحياءً، قال الله عز وجل: ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَذَابًا﴾ ولكلِّ أمرئٍ أجلٌ لا بُدَّ أن يصدقَه غايته، وأملٌ لا بُدَّ أن يكذبه خائبه - وكان نزولنا على كوكب بعد أن فُتحت صَفدُ بلادِ الديوبية ومعقلهم، ومستغلهم وعملهم، ومحلهم الأحصن ومترهم؛ وبعد أن فتحنا الكركَ وحصونه؛ والمجلس السيفي أسماء الله أعلم بما كان على الإسلام من سُوءِته المُنقِله، وقضيته المُشكِله، وعلته المُعْضِله؛ وأن القرنج - لعنهم الله - كانوا يقعدون منه مقاعدَ السَّمع، ويتبوءون منه مواضعَ النَّفْع، ويحولون بين قات وراكبها، فيبدلون الأرض بما كان منه فِئلاً على مناكبها؛ والآن ما منُ بلادِ الهرميين، بأشدُّ من أمِن بلادِ الحرَميين؛ فكُلُّها كان مشتركاً في نُصرة المسلمين بهذه الفلعة التي كانت تُرأى ولا تُرام، وتُسامى ولا تُسام؛ وطامساً استفرغنا عليها بيوتَ الأموال، وأنفقنا فيها أعمارَ الرجال، وقرعنا الحديدَ بالحديد إلى أن صجَّت النصالُ من النَّصال؛ والله المشكورُ على ما أنطوى من كلمة الكُفر وانتشر من كلمة الإسلام. وإن بلاد الشام اليومَ لا نسمع فيها لغواً ولا ثانياً إلا قِيلاً سَلاماً سَلاماً. وكان نزولنا على كوكب والشتاءُ في كوكبه، وقد طلع بين الأنواءِ في موكبه؛ والتلوجُ تُنثرُ على البلادِ ملاءها الفضيض، وتكسو الجبالَ عمامتها البيض؛ والأوديةُ قد سَجَّتْ بِماءها، وفاضت عند أمتلائها؛ وشمخت أنوفها سيولاً، نخرقت الأرضَ وبلغت الجبالَ طولا؛ والأوحالُ قد أعقلت الطرقات، ومشي المطلق فيها مشية الأسير في الحَلَقَات؛ فنجسنا العناء نحن ورجالُ العساكر، وكأثرنا المدو والزمانُ وقد يُحورُ الحظَّ المكابر، وعلم الله النيسةَ فأوجدنا بفضلها، وصبر الأمانة فأعانَ على حملها؛ وزلنا من رؤوس الجبالِ بما نزلَ كان

(١) في "الروضين" ج ٢ ص ١٣٦ هكذا؛ بلاد الديوبية المصرية، وقصعة الكرك وحصونه الخ.



الاستقرارُ عليها أصعبَ من ثقلها، والوقوفُ بساحتها أهونَ من ثقلها؛ (وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ) .

والحمد لله الذى أَلَمَّنَا بِنِعْمَتِهِ الْخَدِيثِ . وَنَصَرَ بِسَيْفِ الْإِسْلَامِ الَّذِى هُوَ سَيْفُهُ  
وسيف الإسلام الذى هو أَحْوَنُ الطَّيِّبِ عَلَى الْخَلِيثِ ؛ فَدُخِ السَّيْفِ يَنْقَسِمُ عَلَى  
حَدِيدِهِ ، وَمُدْحُ الْكَرِيمِ يَتَعَدَّى إِلَى يَدَيْهِ ؛ وَالآنَ فَالْجُلُوسُ - أَسْمَاءُ اللَّهِ - يَعْلَمُ أَنَّ الْفَرَسَ  
لَا يَسْلُوكُ عَمَّا فَتَحْنَا ؛ وَلَا يَصْبِرُونَ عَلَى مَا جَرَحْنَا ؛ فإِنَّهُمْ - خَذَلَهُمُ اللَّهُ - أُمَّمٌ لِأَنْحَصَى ،  
وَجَبِوْشٌ لِأَنْتَصَصَى ؛ وَوَرَاءَهُمْ مِنْ مَلُوكِ الْبَحْرِ مَنْ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَضَبًا ، وَيَطْمَعُ  
فِي كُلِّ مَدِينَةٍ كَسْبًا ؛ وَيُدْأُ اللَّهُ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ؛ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِأَقْرَبِيهِمْ وَأَبْعَدِيهِمْ ؛ وَرَبُّ سَيِّجَعُلُ  
اللَّهُ بَعْدَ عُسْرِ يُسْرًا ؛ (لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا) .

وما هم إلا كلابٌ قد تعاوتت ؛ وشياطينٌ قد تعاوتت ؛ وَإِنْ لَمْ يُقَدِّفُوا مِنْ كُلِّ  
جَانِبٍ دُحُورًا ، وَيُتَمِّعُوا بِكُلِّ شَهَابٍ نَاقِبٍ مَدْحُورًا ، أَسْتَأْسَدُوا وَأَسْتَكَلَبُوا ، وَتَأَلَّبُوا  
وَجَلَبُوا وَأَجَلَبُوا ، وَحَارَبُوا ، وَحَرَّبُوا ؛ وَكَانُوا لِباطِلِهِمُ الدَّاحِضُ ؛ أَنْصَرَمْنَا حَقًّا  
النَّاهِضُ ؛ وَفِي ضَلَالِهِمُ الْفَاضِحُ ؛ أَبْصَرْنَا هُدَانَا الْوَاضِحُ . وَلَهُ دُرٌّ جَرِيحٌ يَقُولُ :  
إِنَّ الْكَرِيمَةَ يَنْصُرُ الْكَرِيمَ أَبْنَاءُ ، \* وَأَبْنُ اللَّيْمَةِ لِلنَّامِ نَصُورُ !

فَالِدَارُ إِلَى النَّجْدَةِ الْبِدَارُ ؛ وَالْمَسَارِعَةُ إِلَى الْجَنَّةِ فَإِنَّهَا لِأَسْأَلُ إِلَّا بِإِقَادِ نَارِ الْحَرْبِ  
عَلَى أَهْلِ النَّارِ ؛ وَالْهَيْمَةُ الْهَيْمَةُ ! فَإِنَّ الْبِحَارَ لَا تُلْقَى إِلَّا بِالْبِحَارِ ، وَالْمُلُوكَ الْكِبَارَ لَا يَقْفُ  
فِي وَجْهِهَا إِلَّا الْمُلُوكُ الْكِبَارُ ؛

وما هي إلا هَيْمَةٌ تُورِثُ الْعَلَا ؛ لِيَوْمِكَ مَا حَسَّتْ رَوَازِمُ نَيْبُ !

وَمَنْ فِي هَذِهِ السَّنَةِ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى - تَنْزِلُ عَلَى أَنْطَاكِيَّةَ ، وَيَنْزِلُ وَلَدْنَا  
الْمَلِكِ الْمُظْفَرِ - أَظْفَرَهُ اللَّهُ - عَلَى صَرَابَلُسَ ، وَيَسْتَقِرُّ الرِّكَابُ الْعَادِي - أَعْلَاهُ اللَّهُ -

بمصر، فإنها مذكورة عند العدو - خذله الله - بأنها تُطْرَق، وأن الطلب على الشام  
ومصر تفرَّق، ولا غنى عن أن يكون المجلس السيفي - أسماء الله - بحراً في بلاد  
الساحل يترس سلاحاً، ويجرد سيفاً يكون على ما فتحناه قفلاً ولما لم يفتح بعد مفتاحاً،  
فإنه ليس لأحد مالا يخرج من شعبة لها في كل مسمع سمعه، وفي كل روع روعه؛  
وفي كل محصر محصر، وفي كل مسجد منبر، وفي كل مشهد منبر، فما يدعى العظيم  
إلا للعظيم [الأيرجى] لموقف الصبر الكريم إلا الكريم [هذا] والأقدار ماضية، وبمشيئة  
الله جارية، فإن يشاء الله ينصر على العدو المضعف، بالعدد الأضعف؛ ويوصل إلى  
الجوهر الأعلى بالعرض الأدنى؛ فإننا لا نرتاب بأن الله ما فتح علينا هذه الفتوح ليملئها،  
ولا يجمع علينا هذه الأمة ليفرقها؛ وأن العدو إن خرج من داره بطراً، ودخل  
إلى دارنا كان فيها جزراً؛ وما بقى إن شاء الله إلا أموال تُساق إلى ناهبها، ورقاب  
تقاد إلى ضاربيها، وأسلحة تمحل إلى كاسيها؛ وإنما تؤثر أن لا تنطوي صحائف الحمد  
خالية من اسمه، ومواقف الرشد حاوية من عزيمته؛ وتؤثر أن يساهم آل أيوب  
في ميراثهم منه مواقع الصبر، ومطالع النصر؛ فوالله إنا على أن نعطيه عطايا الآخرة  
الفاحرة، أشد منا حرصاً على أن نعطيه عطايا الدنيا القاصرة؛ وإنا لا نسرنا أن ينقضي  
عمره في قتال غير الكافر، ويزال غير الكُفء المناظر؛ ولا شك أن سيفه لو اتصل  
بلسان ناطق وقم، لقال ما دممت هناك فلست قم؛ وما هو محمول على حطة يخافها،  
ولا متكلف قضية بحكمتنا يعافها؛ والذي بيده لا تستكثره، بل نستفصره عن حقه  
ونستصغره؛ وما نأولناه لفتح أرضه السلاح، ولا أعمرناه للملك مركزه النجاح؛ إلا على  
سخاء من النفس به وبأمثاله، على علم منا أنه لا يقعد عنا إذا قامت [الحرب] بنفسه  
وماله؛ فلا نكن به ظناً أحسن منه فعلاً، ولا نرضى وقد جعلنا الله أهلاً أن لا نراه

لنصيرنا أهلاً ؛ وليستنر أهل الرُشاد فإنهم [لا يألونه] <sup>(١)</sup> حقاً واستنماضاً ، وليعص أهل  
 العوابة فإنهم إنما يتعالون به لمصالحهم أغراضاً ؛ ومن بيته يظمن ، وإلى بيته يقفل ؛  
 وهو يمجينا جواب مثله لمتلنا ، ويتوى في هذه الزيارة جمع شمل الإسلام قبل نية جمع  
 شملنا ؛ ولا تقعد به في الله نهضة قائم ، ولا تحذله عزيمة عازم ، ولا يستفت فيها فوت  
 طالب ولا تأخذه في الله لومة لائم ؛ فإنما هي سفرة قاصده ، وزجرة واحدة ؛  
 فإذا هو قد بيض الصحيفة والوجه والذكر والشمعة ؛ ودان الله أحسن دين  
 فلا حرج عليه إن فاء إلى أرضه بالرجعة ؛ وليتدبر ما كتبناه ، وليتفهم ما أردناه ؛  
 وليقدم الاستخاره ؛ فإنها سراج الاستناره [وليغضب الله ورسوله ولدينه ولأخيه  
 فإنها مكانت الاستغصاب والاستشارة] <sup>(٢)</sup> وليحضر حتى يشاهد أولاداً لأخيه  
 يستشرون لفرقه عمماً ، وقد عاشوا ما عاشوا لا يعرفون أنت هم مع عمهم عمماً ؛  
 والله سبحانه يلهمه توفيقاً ! ويسلك به إليه طريقاً ؛ ويخجنا به سيقاً لربة الكفر  
 مرقاً ودمه مريقاً ، ويجعله في مضار الطاعات سابقاً لا مسبوفاً .

### الأسلوب الثالث

( أن تفتح المكتبة بلفظ « هذه المكتبة إلى المجلس » )

وهذه نسخة كتاب من هذا الأسلوب بالإخبار بفتح أيلة التي تحت العقبة في ممر  
 حجاج مصر . وهي :

هذه المكتبة إلى المجلس الفلاني أعلى الله سلطانه ، وعمّر بالنجاح آماله وبالسعادة  
 أوطانه ؛ ولا زالت يد النصر تُصرّف يوم اللقاء عنانه ، ويد لطف الله تُفيض على

(١) في الأصل فإنهم يألوه والصواب ما ثبتناه في النصب .

(٢) كذا في الأصل والمراد أنهم يجعلونه عرضاً لنوال مصالحهم الدانية .

(٣) تزيادة ما سبق له في الميع الثالث من هذا الجزء .

الخلق يوم العلياء عَنَانِهِ ، وَتَمَكَّنَ مِنْ هَامِ الْأَعْدَاءِ وَتُحَوَّرِهِمْ سِقْفَهُ وَسِنَانَهُ ؛ (شُعْرَهُ) أَنَّهُ  
لَمْ تَزَلْ عَوَائِدُ اللَّهِ سَبْحَانَهُ عِنْدَنَا مَتَكْفَلَةً مَا يُوجِبُ أَنْ يُبْدَأَ الْحَمْدَ وَيُعَادَ ، مَقْرَبَةٌ لَنَا مِنْ  
الْأَمَالِ كُلِّ مَا كَانَ رَهِيْنَ تَأْيِي وَبِعَادَ ، مُوَافَقَةً لَنَا بِالتَّوْفِيقِ فَكَانُوا وَإِيَّاهُ عَلَى مِيعَادِ ،  
مُعِينَةً لَنَا عَلَى مَا يَعْتَدُهُ الْفَاسِقُ مَعَاشَ وَعَيْدِ مُعَادَ . وَقَدْ كَانَ مَا عَلِمَ مِنْ غَزْوَتِنَا إِلَى أَيْلَةَ  
الَّتِي أَخَذَهَا الْعِدُوُّ مَعْقِلًا ، وَتَدِيرُهَا مَنَزِلًا ، وَعَدَّهَا مَوْتَلًا ؛ وَغَاصَّ بِهَا رَوْنُقُ الْجَمَلِ ،  
وَفَاصَّ بِهَا أَهْلُ الْقَبْلَةِ ؛ وَصَارَتْ عَلَى مَدَارِجِ الْأَنْفَاسِ ، وَعَلَى مَرَاوِدِ الْأَقْتِرَاصِ  
وَالْأَقْتِرَاسِ ؛ وَخَصَّصَتْ الْحَرَمِينَ بِأَعْظَمِ قَادِحِ ، وَأَشَدَّ عَنْ حَادِثَتِهَا مِنْ لُطْفِ اللَّهِ أَعْظَمُ  
فَاتِحِ ؛ وَلَمْ تُوَجِّهْنَا إِلَيْهَا ، وَزَلْنَا عَلَيْهَا ؛ شَاهِدْنَا قَلْعَةً يَحْتَاجُ رَامِيهَا إِلَى الدَّهْرِ الْمَدِيدِ ،  
وَالْأَمَلِ الْبَعِيدِ ، وَالزَّادِ الْعَتِيدِ ، وَالْبَأْسَ الشَّدِيدِ ؛ تَنَبُّوْا بِعَظِيمِ جَاحِ عَنِ الْخَطْبَةِ ، وَتُعْرِضُ  
بِذِكْرِ مَانِعٍ عَنِ النُّضْرَةِ ؛ وَتَعَطِّفُ بِأَنْفِ عَلَى السَّحَابِ شَاخِ ، وَتَطْلُعُ فِي الصَّبَاحِ بِوَجْهِ  
شَادِحِ ؛ كَأَنَّمَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْأَيَّامِ دِمَامُ ، وَكَأَنَّ نَارَ الْحَوَادِثِ إِذَا بَلَغَتْ مَاءَهَا بَرْدٌ وَسَلَامُ ؛  
فَأَطْفَأْنَا بِهَا مَتَبَصِّرِينَ ، وَزَلْنَا مِنْ نَاحِيَةِ الْبَرِّيِّهَا مَفَكَّرِينَ ؛ وَبَيْنَمَا نَحْنُ نَأْمُرُ بِالْحَرْبِ  
أَنْ يُنْسَبَ أَوَارِئُهَا ، وَبِالْخَيْلِ أَنْ تُسِيرَ أَسْرَارُهَا ؛ وَبِنَارِ اللَّقَاءِ أَنْ يَسْتَطِيرَ شَرَارُهَا ،  
وَبِقَنَاطِيرِ الْمَوْتِ مِنَ الْقَيْسِيِّ أَنْ تُعَقَّدَ أَوْتَارُهَا ؛ وَبِالْمَجَانِيْقِ أَنْ تُعَقَّدَ حَنَائِيهَا وَتُحَلَّلَ  
أَزْرَارُهَا ، وَبِالْكَوَاكِبِ أَنْ تُذَيِّقَهُمْ طَعْمَ الصَّغَارِ كِبَارُهَا ؛ إِذْ نَادَى مُنَادٍ مِنْ أَعْلَى قُمَّتِهَا ،  
وَرَأْسِ قُمَّتِهَا ، مُنْئِلًا بِالْأَمَانِ ، نَاحِيًا لِآيَةِ الْكُفْرِ بِآيَةِ الْإِيمَانِ ؛ فَأَعَاوَنَهُ الْأَسْمَاعُ  
بِإِنْصَاتِهَا ، وَاسْتَحَقَّتْ الْقُلُوبُ حَصَانَتَهَا ؛ وَعَمَدَتْ إِلَيْهِ بِنْتُ بَحْرِ ، عَادَتْ بِأَبِّ نَصْرِ ،  
وَسَاعَةَ بَدَهْرِ ؛ وَبَشَّرَنِي بِغَلَامٍ عَلَى كِبَرِ ، وَبَطْفَرَنِي سَفَرٍ عَلَى قَدَرِ ؛ فَأَعْطَى فَرَجَهَا  
مَاطِلِبُوا ، وَأَتَى اللَّطْفُ لِلْسَّالِمِينَ بِمَا لَمْ يَحْتَسِبُوا ؛ وَفِي الْحَالِ رُفِعَتْ عَلَيْهَا أَلْوِيَةُ الْإِسْلَامِ  
وَبُسِّرَتْ ، وَأَوْتَتْ إِلَيْهَا فَتَةُ الْحَقِّ وَحُسْبِرَتْ ، وَتَفَاضَلَتْ عَلَيْهَا أَوْلِيَاءُ اللَّهِ وَظَهَرَتْ ،  
وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

## الأسلوب الرابع

( أن تفتح المكتبة بلفظ : « كتابنا » وبقى الأمر على نحو ما تقدم )

وهذه نسخة كتاب من هذا الأسلوب كتب به الفاضل الفاضل عن الملك الناصر « صلاح الدين يوسف بن أيوب » إلى بعض الأمراء بالشام عند وفاة السلطان نور الدين محمود . وهي :

كتابنا هذا إلى الأمير معز بن الرزء الذي كَلَّمْت أقسامه وَتَمَّت ، ودمت أهدائه  
القلوب فأصممت وطرقت أحاديثه الأسماع فأصممت ، وأبى أن تغفوكلومه ، وكاد  
لأجله الأفق تنكسيف بدوره وشكدر نجومه ، وتلم جانب الدين لفقده من لولاه  
لدرست أعلامه ولم تدرس علومه ، وقباً فاستوى على كل قلب وجيبه وعلى كل خاطر  
وجومه ؛ بانتقال المولى « نور الدين » إلى سجن دار السلام ، وقُدومه على ما أعده الله  
من جزاء ذنبه عن الإسلام ؛ وبكى أهله على فقد عزائمه التي بها حُفِظَتْ وحرست ،  
وشكت الممالك وحشة بعده وإن أتتحت الملائكة بقربه وأنسنت ؛ فنه هو ! من  
مصائب أغرى العيون بفيضها ، والنفوس بغيظها ؛ ونقل الأولياء من ظل المسرة  
ونعيمها إلى هجير المساء وقبظها ؛ وأوجب تنجى الكفار بالنجاة من تلك السطوة  
التي لم تزل تزيدها غمًا وتزدها بغيظها .

ومهشين بما أسأ الكلم وداواه ، وحوى الحق إلى الجانب الأيمن وآواه ؛ من جلوس  
ولده « الملك الصالح » ذى التصويب والتسديد مشمولاً سناً بالعرف العميم ، والظول  
الجسيم ؛ جارياً على سننه المعهوده ، وعادته المحموده ؛ في رفع صالح أديته عن صفاء  
سريته ؛ وحلوص عقيدته ؛ مستمراً على جميل محبته ، في إمدادنا بركته ؛  
إن شاء الله تعالى .

قلت : والمصطلح الجارى عليه الحالُّ فى المكاتبات الصادرة عن ملوك الديار المصرية فى زماننا مأخوذة من الأساليب الثلاثة : الأولى والثانى والثالث المقدم ذكرها . على أن فى الدولة الأيوبية أساليب أخرى لا يسع استيعابها ، ويغتنى عنها بما تقدم ذكره .

### الطرف الحادى عشر

( فى المكاتبات الصادرة عن ملوك أهل الغرب )

وقد انفردوا عن كُتاب المشرق وكُتاب الديار المصرية بأمر :

منها أن الخطاب تقع للمكتوب إليه بجمع مع الأفراد ، كما تقع الكتابة عن المكتوب عنه بنون الجمع مع الأفراد .

ومنها أنهم يلتمون الدعاء بمعنى الكتابة عند قولهم : كتبنا ، بأن يقال : « كتبنا إليكم كتب الله لكم كفا » .

ومنها أنهم يرضون عن الخليفة القائم بدعوته فى كتبهم .

ومنها أنهم يذكرون اسم المكتوب إليه فى أثناء الكتاب ، وباقى مكاتباتهم على نحو من مكاتبات أهل المشرق والديار المصرية ، وكتبهم تُحتم بالسلام غالبا ، وربما أُختمت بالدعاء ونحوه .

ومنها أن الخطاب يقع عندهم بلفظ الرياسة مثل أن يقال : رياستكم الكريمة ونحو ذلك . ولها حالتان :

## الحالة الأولى

( ما كان الأمر عليه في الزمن المتقدم، وهو على أربعة أساليب )

## الأسلوب الأول

( أن تفتتح المكاتبة بلفظ "من فلان إلى فلان" ويُدعى المكتوب إليه، ثم يقع

التخلص إلى المقصود بأما بعد، ويُؤتى عليه إلى آخره. ويُحتم بالسلام

كما كتب أبو بكر بن هشام عن أبي محمد بن هود، في قيامه بالدعوة العباسية ببلاد المغرب إلى أهل بلده من رعيته .

"من فلان إلى أهل فلانة، أدام الله كرامتهم وآثرهم بتقواه، وعزفهم عوارف نعمه؛ وكنفهم في حرمة المنيع وحماه، وجعلهم من وفق إلى رضاه . وحف بغير ما قدره وقضاه، بسلام

أما بعد حمد الله على متابع واسع فضله، هازم الباطل وأهله، ومورط الجاهل في مهواة جهته؛ المائي بدعوة الحق ما أتسع من حزن المعمور وسهله؛ والصلاة على سيدنا محمد نبيه المصطفى خاتم رسله، المؤيد بالقرآن الذي تجرت الجفن والإنس أن يأتوا بمنله؛ وعلى آله وصحبه الجارين على قويم سنته وواضح سبله . والرضا عن الإمام العباسي أمير المؤمنين، الذي لإمام سواه للساين؛ المقرح من محمد الكريم وأصله؛ المدافع عن حرم أمره بسديد نظره وحديد نصله؛ والدعاء لمقامه العلي؛ ومكانه السني؛ بالسعد المصاحب بمصاحبة ظلّه؛ والمعصد الفائح مالم يفتح لأحد من قبله؛ فإنما كتبناه لكم - كتبكم الله من أتفع بقوله وعمله . وتوجه إلى رضاه بمسوط أملة، وجرت له الأقدار بأفضل معاد وأجمله - من فلانة؛ والتوكل على الله سبحانه نتائج تبرزها الأيام، ويستجدها السعد والحسام؛ ويستدنيها التفويض

إلى الله سبحانه والآنستسلام ، والدعوة العلية - أدام الله أيامها ، وأسعد أعلامها -  
 الآثار التي تجلت بها المذاهب ، والأنوار التي وضحّت بها المساري والمسارِب ،  
 وأضاءت بها المشارق والمغارب . والحمد لله حمدا كثيرا - المكان الذي نتجّد  
 حُرْمته ، وبتأكّد دَمته ؛ ولا تُوضَع عن يَدِ الاعتناء والاهتمام أزمته ، وإذا أُنهضت  
 العزائم لمصالح العباد تقدمت كلّ العزّات عزمته ؛ لأنه المكان الذي صرف وجوه  
 الأعداء ، وصار مكابدة الإضرار والاعتداء ؛ وأحتمل مكروه الدواء ، في معالجة  
 الشفاء ومعالجة حَسَم الداء ؛ فكُرمت آثاره ، وتعيّن تخصيصه بالمزيد وإيثاره ؛  
 وطابت أخباره ، وطالت في مصابيح جمال الرجال أسننته وشفاره ، فتحنّ نوجب  
 تكريمه ، وتؤثر تقديمه ؛ وتُنسج حديثه في الاعتناء قديمه ، والله يتولى تكميل قصدينا  
 الجليل فيه وتحميمه ! .

وقد بلغ - بلغكم الله أملكم ، وأتم نعمته قبلكم - تحرك ذلك الخائن للإضرار بالبلاد ،  
 وإيثاره دواعي الشر والفساد ؛ ومتى احتيج إلى إعلام جهة من الجهات بأحواله ،  
 وما يتصوّره بفساد خياله ؛ وتغلب كبره المردي واختياله ، وما يصدر عنه من قبيح  
 آثاره وأعماله ؛ فإنما يستعلم تحقيقها منكم ، ويُتعرّف تصديقها من لديكم ؛ يصدق  
 جواركم ، ودنو داركم ، وتداخل آثاره مع آثاركم ؛ فأنتم أقرب اطلاعا على خبث سره ،  
 وسوء مكره ، وما يُضمر للمسلمين من إذايته وضرره ؛ فتنبأ أنصرفت وجوه المسلمين  
 إلى جهادهم ، وأشتغلوا بتأمين بلادهم ؛ آتتهز الفرصة في فساد بُعده ، وعقد ينكته ،  
 وأسنعجال ما يجعل عليه ولا يلبثه ؛ ونحن نعرض عنه إعراض من يرجو متابه ،  
 ويرتقب رجوعه إلى الحق وإيابه ؛ وهو متخبط في أهوائه ، مستمر على غلوائه ، مُصر  
 على إضراره وأعدائه ؛ لا يكف الكف عنه من استظالته ، ولا يُريه الاستبصار  
 وجهة جهاته ؛ فوجب علينا بحكم النظر للبلاد التي لحقها عدوانه ، وأضر بها مكانه ،



وتكرّر عليها امتحانها ، أن تُعاجل حَسْمَ عِلَّه . وتُسَدِّ مَوَاقِعَ خَلَّه ، ونَزِدَ عَلَيْهِ كُلِّ  
 مَضْرَبَةٍ لَاحِقَةٍ مِنْ قِبَلِهِ ؛ حَتَّى يَسْتَرِيحَ النَّاسُ إِلَى أَمْنٍ مَبْسُوطٍ ، وَكَنْفٍ مَبْسُوطٍ ،  
 وَحَوْزٍ بِالْكَفَايَةِ وَالْوَقَايَةِ مَحُوطٍ ؛ وَقَدْ كُنَّا عِنْدَ انْفِرَاجٍ مِنْ مَصَالِحِ الْبِلَادِ الْغَرْبِيَّةِ ،  
 وَأَتْمَاءِ الْفَتْحِ فِيهَا ؛ إِنِّي مَا لَمْ يَدْرُ بِالْخَاطِرِ وَلَمْ يُحَسَّبِ بِاللَّيْلِ ؛ نَظَرْنَا فِي إِعْدَادِ جَمُوعٍ مِنْ  
 أَجْنَادِ الْغَرْبِ ، وَتَحَيَّرْنَا مِنْهُمْ كُلِّ مَنْ دَرَبَ بِالطَّعْنِ وَالضَّرْبِ ؛ وَسَعِدَ لَكُمْ (٢) مِنْ جَاهِلِيَّةِ  
 الْأَعْرَابِ وَجُرُؤَةِ وَسَائِرِ الْقَبَائِلِ النَّازِلِينَ بِالْبِلَادِ الْمُنَافِسِينَ لِمَا يُظَلِّمُونَ بِهِ مِنَ الْغَزْوِ  
 وَالْجِهَادِ ؛ وَرَسَمْنَا لَهُمْ أَنْ يَحْقُقُوا بِنَا عِنْدَ الْأَسْتِدْعَاءِ ، عَلَى مَا جَدَدْنَا لَهُمْ فِي الْإِتِّخَابِ  
 وَالِاتِّقَاءِ ؛ لِتَأْخُذَ الْبُحُورُ كُلَّهَا مِنْ حَوْزِ هَذَا الْخَلْقِ بِنَصِيبٍ ، وَتَضْرِبَ فِيهِ ، وَفِي كُلِّ  
 عَمَلٍ يَعْصِيهِ ؛ بِسَبَبِ مُصِيبٍ ؛ لَكِنْ لَمَّا تَعَجَّلَ حَرَكَتَهُ الَّتِي تَعَجَّلَ بِهَا الْحَيُّ ، وَسَاقَهُ إِلَيْهَا  
 الْقَدْرُ الَّذِي أَعْمَى الْبَصِيرَةَ وَالْمَعْيَنَ ؛ رَأَيْنَا أَنْ تُنْفِذَ إِلَيْهِ قُصْدَنَا ، وَأَنْ نَعَاجِلَهُ بِمَا حَضَرَ  
 عِنْدَنَا ؛ مَتَوَافِرَةَ الْأَعْدَادِ ، غَنِيَّةً عَنِ الْأَسْتِدَادِ ، غَيْرَ مَقْتَرَةٍ إِلَى الْأَزْدِيَادِ ؛ وَمَعَ هَذَا  
 فَقَدْ أَمْرْنَا أَهْلَ الْجَنَاحَاتِ كُلَّهَا بِاللِّحَاقِ بِنَا ، وَأَنْ يَنْهَضَ جَمِيعُ أَعْدَادِهِمْ مِنَ الْخَيْلِ وَالْبَطَلِ  
 وَالرِّمَاءِ عَلَى سَبِيلِنَا وَمَذْهَبِنَا ؛ لِتَكُونَ الْأَيْدِي فِي هَذِهِ الْمَصْلُحَةِ الْعَامَّةِ وَاحِدَةً ، وَالْعَقَائِدُ  
 فِي دَفْعِ هَذَا الضَّرَرِ عَنِ الْكَافَّةِ مُتَعَاوِدَةً ، حَتَّى يَذْهَبَ أَثْرُ هَذِهِ النُّكْبَةِ وَعَيْشُهَا ، وَيَزُولَ  
 عَنِ بَهْجَةِ الْإِحْقَاقِ وَالِاتِّفَاقِ شَيْئُهَا ؛ وَإِذَا وَجِبَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْجِهَاتِ أَنْ يَنْفِرُوا  
 فِي هَذِهِ الدَّعَاةِ خَفَافًا وَثِقَالًا ، وَيُيَادِرُوا رُكْبَانًا وَرِجَالًا ؛ كَانَتِ الْوَجُوبُ فِي حَقِّكُمْ  
 وَجُوبِينَ ، وَالْفَرَضُ عَلَيْكُمْ فَرَضِينَ ؛ لِمَا يُحْصِيكُمْ مِنْ هَذِهِ الْمَصْلُحَةِ الَّتِي أَنْتُمْ أَوْلَى مِنْ  
 يَحْتَلِي صُورَهَا ، وَيَحْتَنِي ثَمَرَهَا ، وَيَجِدُ فِي حَالِهَا وَأَسْتِقْبَالِهَا إِثْرَهَا ؛ فَلْيَكُنْ أَسْتِعْدَادُكُمْ  
 بِحَسَبِ ذَلِكَ ، وَأَسْتَوْعُوبُوا جَمِيعَ أَنْجَادِكُمْ ، مِنْ خَيْلِكُمْ وَرُجَالِكُمْ ، وَكُونُوا وَاقِفِينَ  
 عَلَى قَدَمِ التَّأَهُبِ إِلَى أَنْ يَكُونَ الْأَجْتِيَازُ مِنْ هُنَاكُمْ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى وَالسَّلَامُ ” .

## الأسلوب الثاني

( أن تفتتح المكاتبة بلفظ «أما بعد» وهو على ضربين )

## الضرب الأول

( أن تُعقب البعديَّةُ بالحمد لله ، وإِثْنِ عَشْرَ عَلَيَّ الخُطْبَةُ إِلَى آخِرِهَا ، ثُمَّ يَخْلُصُ

إِلَى الْمَقْصُودِ وَيَحْتَمُّ بِالسَّلَامِ عَلَيَّ نَحْوَ مَا تَقْتَضِي )

كما كتب أبو عبد الله بن الحليان عن أبي عبد الله بن هُودِ أيضاً إلى أكابر بلده بالرَّقِيقِ بِالرَّعِيَّةِ عِنْدَ وُرُودِ كِتَابِهِمْ عَلَيْهِ بِتَحْصِينِ الْبَلَدِ ، وَبَلُوغِهِ جَوْرَ الْمُسْتَعْدِمِينَ بِهَا عَلَيَّ الرَّعِيَّةِ ، وَهُوَ :

أما بعد حمد الله تعالى مُعَلِّي مَنَارِ الْحَقِّ وَرَافِعِهِ ، وَمَوْلَى مَتَوَالِي الْإِنْعَامِ وَمُتَابِعِهِ ، وَالصَّلَاةِ عَلَيَّ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَبْدِهِ وَرَسُولِهِ مَشْتَعِ الْحَشْرِ وَشَافِعِهِ ، الْمَبْعُوثِ بِبِدَائِعِ الْحِكْمِ وَجَوَامِعِهِ ، وَهَلِيَّ آلِهِ وَصَحْبِهِ الْمُبَادِرِينَ إِلَى مَقَاصِدِهِ الْعَلِيَّةِ وَمَنَازِعِهِ ، وَالذَّالِّينَ عَنِ حَوْزَةِ الْإِسْلَامِ ، بِمَوَاضِي الْأَعْتَرَامِ ، وَقَوَاطِعِهِ ، وَالرِّضَا عَنِ الْخَلِيفَةِ الْإِمَامِ الْعَبَّاسِيِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ذِي الْمَجْدِ الَّذِي لَا يَنْبَأُ سَمُّوْهُ مَطَالَعَهُ .

فإننا كتبنا إليكم - كتب الله لكم عِزَّةً فَدَحُّهَا بِالثَّبُوتِ فَائِزٌ ، وَسَعَادَةً قَسَطَهَا لِلنَّهَاءِ حَائِزٌ - مِنْ فِلَانَةٍ ، وَكَلِمَةُ الْحَقِّ مَنْصُورَةٌ لِلْوَاءِ ، مَنْشُورَةٌ الْأَضْوَاءِ ، وَالتَّوَكَّلُ عَلَيَّ اللَّهُ فِي الْإِعَادَةِ وَالْإِبْدَاءِ ، وَالتَّسْلِيمُ إِلَيْهِ مَنْطِقُ أَمْرِنَا فِي الْإِتْمَاءِ وَالْإِبْتِدَاءِ ، وَحَمْدُ اللَّهِ تَعَالَى وَشُكْرُهُ وَصَلَاتُنَا إِلَى نَيْلِ مَزِيدِ النِّعَمِ وَالْأَلَاءِ ، وَمَكَانَتِكُمْ لَدَيْنَا مَكَانَةُ النَّبِيِّ الْمُنَاصِبِ ، الْمُسْتَعْمِلِ إِلَى كِرَامِ الْمُنْتَمِيَاتِ وَالْمُنَاسِبِ ، الْمُنْتَحَلِّ فِي الْقِنَاءِ وَالْأَكْتِفَاءِ ، وَالْمُخْلِصِ وَالصَّفَاءِ ، بِأَكْرَمِ السَّجِيَّاتِ وَالْمُنَاقِبِ ، الْمَعْلُومِ مَالِدِيهِ مِنَ الْمَصَالِحِ السَّالِكَةِ بِأَكْرَمِ السَّجِيَّاتِ فِي الْمُنَاقِحِ الْحِسَانِ عَلَيَّ الْمُهَيَّبِ الْأَوْضَعِ وَالسَّنَنِ الْأَلْحَبِ .

وقد وقفنا على كتابكم معلماً بجزء فلانة وما رأيتموه من المصلحة في تخصيصها ،  
والاجتهاد في أسباب تأييدها ، ونحن نعلم أنكم تريدون الإصلاح ، وتوسخون  
ما توسخون فيه النجاح ؛ لكن أهم الأمور عندنا ، وأولى ما يوافق غرضنا وقصدنا ، الرفق  
بالرعية ، وحملها على قوانين الإحسان المرعية . وعلى أثر وصول كتابكم وصلنا كتاب  
[أهل] فلانة المذكورة يشكون ضرراً الخدمة المتصرفين فيهم ، ويتظلمون من متجنيبيهم  
ومتسفيهم ، وفي هذا ما لا ينبغي عليكم ، ولا ترضون به لو آتمى إليكم ؛ فإنه إذا كان  
الناظر في خدمة من لا يحسن سياسة الأمور ، ولا يعلم طريقة الرفق الجارية بوفق  
الخاصة والجمهور ؛ أعاد التسكين تغيراً ، والتيسير تعسيراً ، وتعلمون أنا لا نقدم  
على إيثار العدل في عباد الله المسلمين عملاً ، ولا نبغى لهم باطنية بغير التخفيف  
عنهم والإحسان إليهم بدلاً ، وأنتم أولى من يُعتقد فيه أنه يكفل هذا المقصد ،  
ويتحرى في مصالح الرعايا هذا السنن الأرشدي ، وقد خاطبنا أهل فلانة بما يذهب  
وجلهم . وينسط أمثلهم ؛ وعزفناهم بأنكم لو علمتم من جار عليهم من الخدمة لأخذتم  
على يده ، وجاز يئموه بسوء معتقده ؛ وأشعرناهم بأننا قد استوصيناكم بهم خيراً ،  
ونبهاكم على ما يدفع عنهم ضيقاً ويرفع ضيراً ؛ وأنتم - إن شاء الله - تستأيقون  
نظراً حيوياً ، وتوشحون عنهم الخدمة الذين لا يسلكون من السياسة سبيلاً ؛  
وتقدمون عليهم من تحسن فيهم سيرته ، وتكرم في تمشيته الرفق علانيته وسريته ،  
ومثلكم لا يؤكده عليه في مذهب تحسن عواقبه ، وغرض يوافق القصد الاحتياطي  
ويصاحبه ، إن شاء الله تعالى والسلام .

## الضرب الثاني

( أن تعقب البعديّة بذكر المقصود من غير حُطبة ، ثم يؤتى على المقصود  
إلى آخره على نحو ما تقدم )

كما كتب أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي ، المعروف بالأبّار ، عن الأُمير  
أبي جميل إلى أهل ناحية بولاية والٍ عليهم وهي :

أما بعدُ ، فالكتاب - كتب الله لكم ملء الجوانب ، قرّارا ، وأرسلَ عليكم سماءَ  
المواهب ، يدرّارا ، من فلاتة ، وليس إلا الخَيْرُ الدائم ، والبِسرُ المُلازم ، وقد توالى  
إعلامكم بالفرض الجميل فيكم ، والأعتناء المتّصل بتمهيد نواحيكم ، وأتم اليوم بشغور  
متحفّ ، وجنابٍ متطوّف ، يتضاعف الاحتياط عليه ، ويوجب تيسير المير إليه ،  
فالنظر له مُعَمَّل ، والتهمم به لا يهمل ، وهذه ألسنُ قد مُلك قيادها ، وأوثر بوجوه  
القرابة إمدادها ، وفلان قد خاطب يستأذن في القدوم على الباب الكريم ، ويؤكد  
ما عنده في الخدمة والتصميم ، والخيرات بسبيل الاتصال ، والمدبرات واردة مع  
البُكور والأصاال .

والحمد لله الجسيم فضله ، والمعظم نيّله ، فأحمدوا الله على ما يسرنا ولكم ،  
وأستوزعوه شكر ما خولنا وخولكم ، وأعلموا أنّنا لكم ، كما رعى أولنا أولاكم ، وقد عيّن  
لموضعكم كذا وكذا فأنفذوا إلينا بعضكم مُعجلا ، وأستشعروا إتمام الأثرة ، وأطراد  
النصرة ، حالا ومستقبلا ، والحركة الكبرى - يتنها الله - قد شرع في أسبابها ، وأتى  
ما يؤتى بمشيئة الله الفتح القريب من بابها ، ولا غنى بما يدار في ذلك عن فلان وقد  
حُوّط بالوصول ، ووجه إليكم فلان واليا عليكم ، وثاوريا لديكم ، وهو من خيرات  
كفايته ، وآر تضييت بلبر أحوالكم سياسته ، وشكرنا فأورثتم به هنالك ، وقد فوّض

إليكم من انظر خلاصتكم وجمهوركم، وقد بما يستعمل أتم الاستقلال من تدبير أموركم؛  
وأعني معه من الأحناد طائفة يحسنون الدفاع والذيادة، ولا يفارقون الحجة  
والاجتهاد؛ ووراء هذا من كريم العناية وجميل النظر، ما يقضي لكم بالفلاح والظفر،  
ويؤيدكم بالأمانة الشاملة من الذعر والحذر، إن شاء الله تعالى والسلام.

### الأسلوب الثالث

( أن تفتح المكتبة بلفظ « كتابنا إليكم من موضع كذا، والأمر على كذا وكذا »  
ويؤى على المقصد إلى آخره ويختم بالسلام )

وربما قيل : « هذا كتابنا إليكم » وربما قيل : « كتبنا إليكم » ونحو ذلك .

كما كتب أبو المصطفى بن عميرة عن ابن حرد في الإشارة بفتح حصن ، وهو :

كتابنا إليكم - أطلع الله عليكم من البشائر أنورها جبيناً ، وأوضحها صبغاً مينا - من  
فلانة في يوم كذا .

سلام عليكم فإني أحمد إليكم الله الذي تكفل بنصر من ينصره ، ونصلي على  
سيدنا محمد الكريم تحننه الراكي عنصره ، ونجدد مشقوع الصلوات ، ونزدد مرفوع  
الدعوات ؛ للإمام الخليفة « المستنصر بالله أمير المؤمنين » ذي المناقب التي لا عاذ  
بعدها ، ولا حاصر يحصرها .

والحمد لله الذي أنعم علينا بتقليد إمامته ، التي لا تعقد معها إمامه ، وأقامنا لإقامة  
دعوته ، التي لا تجوز على غيرها إقامه ؛ وجعلنا ترمي الغرض باسمه الأشرف فنصيبه ،  
ونستوهب فضل الله سبحانه فيتوقر قلبنا نصيبه ، ونستزول بخلاقه المباركة جوامع  
النصر ، كما استزول الفاروق بغرة جده جوامع القطر ، فمسير أمام رايته السوداء بالأثر

المبييض ، وتروى هذه أوام القلوب كما أروى ذلك أوام الأرض ؛ وما زلنا منذ كان  
الزول على هذا الحصن نتعرف فيه من مخايل النجح ، ودلائل القفر والفتح ؛  
ما أعطانا فتلج اليقين بأنا نفصم عروته ، ونفرع ذروته ، ولم يزل العزم يذل شماسه ،  
ويقلل ناسه ؛ حتى أذعنوا لما عرقتهم به من الزول لوقيت معدود ، وأمد معدود .  
ثم إنهم خامرهم طارق الوجل ، فجملوا أداء دينه قبل حلول الأجل ؛ وأمكن الله  
من هذا المعقل القد في المعقل ، وقتل الظالين لامتناعهم والحسام إن شاء الله تعالى  
في يد القاتل ؛ وقد صدعت رابئنا على السور ، وسعدت إدارتنا بالعزم المنصور ؛  
وشيد الله من هذا الفتح الجليل أقصى الفتوح بعلو ، وأشجأها للعدو ، وأدملها على  
نجح عميل مستأنف وبلوغ أميل مرجو .

والحمد لله الذي رد حقنا المعتصب ، وكفانا في وجهنا هذا التعب والنصب ؛  
وعزفناكم بهذا الخبر الذي هو غذاء للروح ، والمنبئ عن فتح الفتوح : تشكروا الله  
عليه شكراً ، وتوفوه حقاً إذاعة له ونشراً ، وتجددوا بحمد الله [على] ما أولى من خالص  
النعم ، ووافر القسم ؛ ما يطيب به المعرس والمقبيل ، ويستقصر به الأمد الطويل .  
وأكتبوا من خطبنا هذا نسطاً إلى الجهات ليأخذ منها كل بحظه ، وينعم القريب  
والبعيد بجلالة معناه وجرالة لفظه ؛ أعاننا الله وإياكم على شكر إحسانه الجزيل ،  
ولا أخلى من لطفه العميم ونظره الجميل ، بمنه والسلام .

## الحالة الثانية

(ما الأمر مستقر عليه الآن مما كان عليه علامة متاخري كُتاب المغرب)

أبو عبد الله محمد بن الخطيب وزير ابن الأحمر : صاحب

حراء غرناطة من الأندلس)

والأمر فيها على نحو ما تقدم في الحالة الأولى : من التعبير عن المكتوب إليه بيمين الجمع وإن كان واحداً، والالتزام الدعاء بمعنى الكتابة عند قولهم كتبنا إليكم ونحو ذلك . وعادتهم أن يكتب كتاب السلطان في صومارٍ كامل . فإن استوعب الكلام جميع الطومار كتب على حاشيته ، ويكتب صاحب العلامة علامة السلطان في آخره ، ويطوى طياً عريضاً في نحو ثلاث أصابع معترضة ، ثم يكسر ويطوى نصفين ، ويكتب العنوان بالألقاب التي في الصدر ، ويحزم بدسرة من الورق ، ثم يحتم بخاتم السلطان على شمع أحمر كما تقدم بيانه .

وهي على ثلاثة أساليب :

## الأسلوب الأول

( أن تفتح المكتبة باللقب اللاتي بالمكتوب إليه ، وهو على ضرب )

## الضرب الأول

( أن يتبدأ بلفظ «المقام» وهو مختص بالكتابة إلى الملوك )

والرسم فيه عندهم أن يقال : «المقام» وينعت بما يليق به ، ثم يقال : «محل أخينا، أو محل ولدنا، أو محل والدنا السلطان» ويؤتى بالقباه ثم يسمى ، ثم يقال : « من فلان » ويفعل فيه كذلك إلى منتهى نسبه ، ويدعى له بالبقاء وما يتبعه ،

ثم يقال : معظّم قدره أو معظّم مقامه ، وما أشبه ذلك ، ويذكر اسم المكتوب عنه ؛  
ثم يقال : أما بعد حمد الله ويؤتى بالخطبة إلى آخرها ؛ ثم يقال : فإننا كتبنا إليكم  
من موضع كذا ، ويؤتى على المقصود إلى آخره ، ويختم بالدعاء ثم بالسلام .

كما كتب أبو عبد الله بن الخطيب المقدم ذكره عن سلطانه ابن الأحمر المذكور  
أعلاه ، إلى السلطان أبي عيّن بن أبي الحسن المرينيّ صاحب فاس ، عند موت  
الطاغية ملك قشتالة من إقليم أشبيلية ، وطلّطة ، وقرطبة وما معها بعد نزوله على  
جبل الفتح من مملكة المسلمين بالأندلس بحاربة المسلمين فيه ، ورحيل قومه بعد  
موته به ، وهو :

المقام الذي أنارت آياتُ سعده ، في مسطور الوجود ، وتبارت جياذ مجده ،  
في ميدان البأس والحدود ، وضمنت إياك لمن هذه الأقطار الغربية تجديد السعود ،  
وإعادة العهود ، واختلقت كتابُ تأييد الله ونصره لوقته المشهور فيها ويومه المشهود ؛  
مقام محلّ أخينا الذي نعظّمه ونرفعه ، ويوجب له الحقّ العليّ موضعه ؛ السلطان  
أبي عيّن ابن السلطان أبي الحسن ، ابن السلطان أبي سعيد ، ابن السلطان  
أبي يوسف ، بن عبد الحقّ - أباه الله يتهلّل للبشرى جنّابه ، ويفتح لوارث الفتح  
الإلهيّ بابُه ، وتعمل في سبيل الله مكارمه وعزائمُه وركابُه ، ويتوقّر بالجهاد فيه  
مجده وسعده ونفّره وثوابُه ؛ معظّم قدره الأمير عبد الله يوسف ابن أمير المسلمين  
أبي الوليد إسماعيل بن فرج بن نصر ، سلام كريم مشفوع بالبشائر والتّهاني ، مخوف  
[الركاب<sup>(١)</sup>] ببلوغ الأمان ، ورحمة الله تعالى وبركاته .

أما بعد حمد الله مطابع أنوار الصنائع العجيبة متألّفة القُرر ، ومُنشئ سحاب  
الإلطاف ، الكريمة الأوصاف ، هامية الدرر ، الكريم الذي يُجيب دعوة المضطّر إذا

(١) الزيادة من "ريحانة الكتاب" .



دعاه، ويكشف السوء وما أمره إلا واحدة كأمح بالبصر، حجب كامن أظافه عن قوى الفطن ومدارك الفطر، فإن يعلم جنود ربك إلا هو وماهى إلا لا ذكرى للبشر<sup>(١)</sup>، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسول الله صلى الله عليه وآله والمعجزات الباهرة والآيات الكبر، الذى يجاهد الحصين فتح عند أسد شعار الحدرد، وينور هداه نستضى عند التباس الورد والصددر، فتحصل على الخير العاجل والمنظر، والرضا عن آله وأصحابه الكرام الأثر، الذين جئوا من أفنان الصبر فى الله تبارك وتعالى، وفازوا من إنجاز الوعد بأقصى الوطر، وأنظموا فى سلك الملة الرفيعة انتظام الدرر، والدعاء لمقامكم الأعلى باتصال المسرات وتوالى البشر، والسعيد الذى تجرى بأحكامه النافذة تصارىف القدر، والضحى الذى تجلى عجائبه فى أجل الصور - فإننا كتبناه إليكم - كتب الله لكم من حطوط فضله وإحسانه أجرال الأقسام، وعرفكم عواريف نعمه الثرة وآلائه الجسام - من حمراء غمر ناطة - حرسها الله - واليسر بفضل الله طارد الأزمات بعد ما قعدت، وكاشف الشدائد بعد ما أبرقت وأرعدت، ثم ما عندنا من الاعتداد بآياتكم التى أنجزت لنا فى الله ما وعدت، ومددنا إليها يد الانتصار على أعدائه فأسعدت، إلا الصنع العجيب، واليسر الذى أتاح أظافه السميع المحيب، واليمن الذى رفع عمادة التيسير العريب، ومدد رواقه الفرج القريب، وإلى هذا أيدكم الله على أعدائه، وأجرل لديكم مواهب آلائه، وحكم للإسلام على يديكم بظهوره وأعتلائه، وعزفكم من أخبار الفتح الحنى المدفع وأنبائه كل شاهد برحمته وأعتنائه، فإننا كتبناه إليكم تحقق لديكم البشرى التى يمثلها تنضى الركاب<sup>(٢)</sup>، ويخاض الغباب، وتعرض عليكم ثمرة سعدكم الحديد الأثواب، المفتح للأبواب، علماً بما عندكم

(١) فى دجاجة الكتاب "مكمن".

(٢) الركاب المفلح واحداً وراحة من غير لفظها.

من فضل الأخلاق، وكرم الأعراف، وأصالة الأحساب، والمعرفة بمواقع  
نعم الله التي لا تجرى خلقه على حساب، والعناية بأمور هذا القطر الذي تعلق  
بأذيال ملككم السامي الجناب. [وقد تقرر لدى مقامكم الأسنى ما كانت الحال  
ألت إليه بهذا الطاغية<sup>(١)</sup>] الذي غره الإمهال والإملاء، وأقدمه على الإسلام  
التحصيص المكتوب والإبتلاء؛ فتملاً نيتها ونجها، وأرتكب من قهر هذه الأمة  
المسلمية مَرَكِباً صَعْباً؛ وسام كلمة الإسلام بأساً وحرباً، فكاتب بره توسع  
الأرجاء طعناً وضرباً؛ وكاتب بحره تأخذ كل سفينة غضباً؛ والتخايف قد تجاربت  
شرفاً وغرباً؛ والقلوب قد بلغت الحناجر عمماً وكرهاً؛ وجبل الفتح الذي هو باب  
هذه الدار، وسبب الاستعداد على الأعداء والإنتصار، ومسلك الملة الحنيفة  
إلى هذه الأقطار؛ قد رماه بيواتفه، وصير ساحته مجز عواليه ومجري سوايقه؛  
وأخذ دَارَ مَقَامِهِ، وجعله شغل يقظته وحلم منامه، ويسر له ما يجاوره من المعامل  
إملاء [من الله] لأيامه؛ فاستقر به القرار، وأطعانت الدار، وطال الحصار، وعجزت  
عن نصره الخيل والأنصار؛ ورجحت الظنون وساءت الأفكار، وشجر نظار القلوب  
الأضطرار، إلى رحمة الله والافتقار، فجز الله الخواطر عظمها الإنكسار، ودار بإدالة  
الإسلام القلک النوار، وتمحّص عن عجائب صنع الله الليل والنهار، وهبت نوايسم  
الفرج، عاطرة الأرج، ممن يخلق ما يشاء ويختار؛ لا إله إلا هو الواحد القهار.

وبينا نحن نحوض من الشفقة على ذلك المعقل العزيز على الإسلام لحجة متراية  
المعاطب، وتفتد صعباً لا يليق بالراكب؛ ولولا التعلق بأسبابكم في أنواع تلك  
القياهب، وما خلص إلى هذه البلاد من مواهبكم الهامية المواهب؛ وموايدكم الصادقة  
ومكارمكم الغرائب، وكنتيكم التي تقوم عند العدو مقام الكتائب؛ وإمدادكم المتلاحق

(١) سافد من الاصل والصحيح من ربحانة الكتائب.

تلاحق العظام الجنايب ، لما رجع الكفر بصفقة الخائب ، إذ تجلى نور الفرج من خلال تلك الظلمة ، وهمت بحائب الرحمة والنعمة على هذه الأمة ، ورمى الله العدو بجيش من جيوش قدرته أغنى عن العديد وأعدّه . وأرانا رأى العيان لطائف الفرج من بعد الشدة ، وأهلك الطاغية حنق الله . وقطع به عن أمه قاطع حنقه ، وغالته أيدي المنون في غيبه ، وأنهى إلى حدود النواضع القوية والأشعة المريحجة نصير دليله ؛ فشفى الله منه داء ، وأخذ أشد ما كان أعيندا وأعنداء ، وحى الجزيرة الغربية وقد صارت نية طغاته ، وأشرقه بريقه وهي مفضة في كواته ، سبحانه لا مبدل لكلماته .

فانتثر سللكه الذي نطمه ، وأحتل تدبيره الذي أحكمه ؛ ونظمت بتبار عملاته السنة النار ، وعاجلت انتظامها أيدي الأتتار ، وركدت ريحه الزعرع من بعد الإعصار ، وأصبح من استظهر به من الأشباع والأنصار ؛ يجرؤون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعثروا يا أولي الأبصار ؛ وولوا به يحثون الثراب فوق المقاريق والثرائب ، ويخاطون يتر السبيل الصهب بدوب الذواب ؛ قد ليسوا المسوخ حزان . وأرسلوا الدهر مع مرنا ؛ وشقوا جيوبهم أسفا ، وأضرموا قلوبهم تلها ؛ وروا أن حصن استطبونة لا يثنى لهم به متناع ، ولا يمكهم لمن يرومه من المسلمين دفاع ؛ فأخلوه من سكرانه ، وعاد فيه الإسلام إلى مكانه ؛ وهو ماهو من طيب البقعة ، وأنفساح الرفعة ؛ ولو تمسك به العدو لكان ذلك الوطن بسوء جواره مكودا ، والمسلك إلى الجبل - عصمه الله - مسدودا ؛ فكان الصنيع فيه طرزا على عائق تلك الخلة الضافية ، ومزيذا حسنى العارفة الوافية ؛ فلما استجلبنا نرة هذا الفتح المهي . والممنح السنى ؛ فابتداء بشكر الله تعالى وحده ، وضرعنا إليه في صلة نعمه فلا نعمة إلا من عنده ؛ وعلمنا أنه عنوان على مزيذ ملككم الأعلى وعلامة على سعدنا ، وأثر نيتته

للإسلام وحسن قصده ، ونفر ذخره الله لأيامكم لا نهاية لحده ، فإنكم صرفتم وجهه عنايتكم إلى هذا القطر على تأني المحلّ وبعده ، ولم تشغلتم الشواغل عن إصلاح شأنه وإحراز ريفه .

وأما البلد المحصور ، فظهر فيه من عزيمكم الأمضى ما صدق الآمال والظنون ، وشرح الصدور بمقامكم وأقر العيون : من صلة الإمداد على الخطر ، وتردد السابلية البحرية على بُعد الوطن وتعدّد الوطر ، واختلاف الشواني التي تسرى إليه سرى الطيف ، وتخلص سهامها إلى غرضه بعد أذى وكيف ، حتى لم تقدم فيه مرفقة يسوء فقدانها ، ولا عدة يهيم شأنها ، بغزائكم عند الله موقور القسم ، وسعيكم لديه مشكور الذم ، كفا الله أعمالكم العالية الهيم ، وخلالكم الزاكية الشيم ، فقد ساعد الإسلام - والحمد لله - بملككم الميمون الطائر ، وسرت أنباء عنايتكم بهذه البلاد كالثل السائر ، وما هو إلا أن يستتب اضطراب الكفار واختلافهم ، ويتنازع الأمر أصنافهم ، فتفتنهم إن شاء الله فيهم الغرة التي ترتبها العزائم الشريفة ، والهيم المنيّف ، وتجمع شيمكم العليّا ، بين نحر الآخرة والدنيا ، وتحصل على الكال الذي لا شرط فيه ولا ثنيا ، فاهتوا بهذه النعمة التي خباها الله إلى أيامكم ، والشفعة التي بعثها السعد إلى مقامكم ، فإنما هي بتوفيق الله ثمرة إمدادكم ، وعقبى جهادكم ، أوزعنا الله وإياكم شكرها ، وألمنا ذكرها .

عرفناكم بما أتصل لدينا ، وورد من البشائر علينا ، عملاً بما يجب لمقامكم من الإعلام بالمتريّدات ، والأحوال الواردات ، ووجهنا إليكم بكاتبنا هذا من ينوب عنا في هذا الهباء ، ويُقرّر ما عندنا من الولاء ، وما يتردّد لدينا بالأنباء ، خالصة إنعامنا ، المتميز بالوسيلة المرعية إلى مقامنا ، الحظيّ لدينا ، المقرب إلينا ، القائد الفلاني أبا الحسن عبادا وصل الله عزّته ، ويمن وجهته ، ومجدكم يتعم بالإصغاء إليه ، فيما أحلنا فيه من ذلك عليه ، والله يصل سعدكم ، ويحرم مجدكم ، والسلام .



وكما كتب عنه أيضا إلى السلطان (أبي سعيد عثمان بن يغمراسن) صاحب  
تلمسان، عند بعثته بطعام إلى الأندلس. شاكرًا له على ذلك، ومجربًا له بفتح حصن  
من حصون الأندلس يسمى حصن قنيط، وهو :

المقام الذى تحدثت بسعادته دولة أسلافه ، وأتفق به قولنا من بعد اختلافه ،  
وعاد العقد إلى انتظامه والشمل إلى استلافه . مقام وثينا في الله الذى هيا الله له من  
جميل صنعه أسبابا ، وفتح به من [ منهم ] السعد أبوابا . وأطلع منه في سماء قومه  
شهابا . وصفتنا الذى تمهيب القول في شكر جلالة ووصف خلائه إسمابا السلطان  
أبو سعيد عثمان ، ابن الأمير أبي زيد ، ابن الأمير أبي زكريا ، ابن السلطان أبي يحيى  
يغمراسن ، بن زيان . مع ذكر ألقاب كل منهم بحسبه . أبقاه الله للدولة الزبانية -  
يزين بالأعمال الصالحة أجيادها ، وتملك بالعدل والإحسان قيادها ، ويحجى  
في ميدان الندى والبأس ، ووضع العرف بين الله والناس . جياها . سلام كريم  
كما زحقت للصباح شهب المواكب . وفتحت عن نهر المجرة أزهار الكواكب .  
ورحمة الله تعالى وبركاته .

أما بعد حمد الله جامع الشمل بعد أن صداعه وشتاته ، وواصل الجبل بعد انقطاعه  
وأثباته ، سبحانه لا يبدل لكلماته ، والصلوة على سيدنا ومولانا محمد رسوله الصادق  
بآياته . المؤيد بيناته . الذى أصفاه حمل الأمانة العظمى . وحياد بالقدر الرقيق  
والمحل الأسمى . والله أعلم حيث يجعل رسالته . والرضا عن آله وصحبه وأنصاره  
وحزبه ومحبيه . المتواصلين في ذات الله وذاته ، القائمين بنصر دينه وقهر عداته .  
فإننا كتبناه إليكم - كتب الله لكم سعدا ثابت الأركان . وعزًا سامي المكان . ومجدًا

وَشَيْقُ الْبُنْيَانِ ، وَصُنْعَا كَرِيمِ الْأَثَرِ وَالْعِيَانِ مِنْ حَمْرَاءِ غَرَّ نَاطِمَةٍ - حَرَسَهَا اللَّهُ وَالثَّقَّةُ بِاللَّهِ  
سُبْحَانَهُ أَسْبَابُهَا وَثَبَّتَهُ ، وَأَنْسَابُهَا عَتَبَتَهُ ، وَالتَّوَكُّلُ عَلَيْهِ لَا تَنْتَبِيسَ مِنْ سَائِلِكِهِ طَرِيقَهُ  
وَلَا تَخْتَلِطُ بِالْحَازِمِ مِنْهُ حَقِيقَهُ ، وَعِنْدَنَا مِنَ الْإِعْتِدَادِ بِكُمْ فِي اللَّهِ عُقُودٌ مُبْرَمَةٌ ، وَأَيُّ  
فِي كِتَابِ الْإِخْلَاصِ مُحْكَمَةٌ ، وَلَدَيْنَا مِنَ السُّرُورِ ، بِمَا سَأَاهُ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ أَسْبَابِ الظُّهُورِ ،  
الَّذِي حُلَّلَهُ مُعَلِّمُهُ ، وَحُجِّجَهُ بِالْبَالِغَةِ مُسَلِّمُهُ ، مَا لَا نَفِي الْعِبَارَةُ بِبَعْضِ حُقُوقِهِ الْمُتَلَزِمَةِ ،  
وَإِلَى هَذَا - أَيْدِ اللَّهِ أَمْرَكُمْ - فَإِنَّا وَرَدْنَا عَلَيْنَا فُلَانٌ وَصَلَّ اللَّهُ كَرَامَتَهُ ، وَسَتَى سَلَامَتَهُ ،  
صَادِرًا عَنْ جِهَتِكُمُ الرَّفِيعَةِ الْجَانِبِ ، السَّامِيَةِ الْمُرَاقِبِ ، طَلَّقَ اللِّسَانَ بِالنِّثَاءِ بِمَا خَصَّكُمْ  
اللَّهُ بِهِ مِنْ فَضْلِ الشَّمَائِلِ وَكَرَمِ الْمَذَاهِبِ ، مُحَدَّثًا عَنْ بَحْرِ مَكَارِمِكُمْ بِالْعَجَائِبِ ، فَخَضَرَ  
بَيْنَ يَدَيْنَا مُلْقِيًا مَا شَاهَدَهُ مِنْ زَيْدِيَادِ الْمَشَاهِدِ ، بِتِلْكَ الْإِيَالَةِ ، وَأَسْتَبْشَارِ الْمَعَاهِدِ ، بِعُودَةِ  
ذَلِكَ الْمَلِكِ الرَّفِيعِ الْجَلَّالِ ، الشَّهِيرِ الْأَصَالَةِ ، وَوَصَلَ صُحْبَتَهُ مَا حَمَلْتُمْ جَفْنَةً (١) مِنَ الطَّعَامِ  
بِرِسْمِ إِعَانَةِ هَذِهِ الْبِلَادِ الْأَنْدَلُسِيَّةِ ، وَالْإِمْدَادِ الَّذِي آفَتْحْتُمْ بِهِ دِيْوَانَ أَعْمَالِكُمُ السَّنِيَّةِ ،  
وَأَعْرَبْتُمْ بِهِ عَمَّا لَكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ خَائِصِ النَّيِّبِ ، وَأَخْبَرَ أَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا هُوَ رِشَّةٌ  
مِنْ عَمَامٍ ، وَطَلِيعَةٌ مِنْ جَيْشِ هُلَامٍ ، وَوَقْدٌ مِنْ عَدَدٍ ، وَبَعْضٌ مِنْ مَدَدٍ ، وَأَنَّ عِزَّائِكُمْ  
فِي الْإِعَانَةِ وَالْإِمْدَادِ عَلَى أَوْلَاهَا ، وَمَكَارِمِكُمْ يُنْسَى الْمَاضِي مِنْهَا بِمُسْتَقْبَلِهَا ، فَاتَيْنَا عَلَى  
قَصْدِكُمُ الَّذِي نَهَى أَخْلَصْتُمُوهُ ، وَهَذَا الْعَمَلُ الْبَرُّ خَصَّصْتُمُوهُ ، وَقَلْنَا : لَا يَنْكَرُ الْفَضْلُ  
عَلَى أَهْلِهِ ، وَهَذَا يَرُصِّدُ عَنْ مَحَلِّهِ ، فَلَيْسَتْ إِعَانَةُ هَذِهِ الْبِلَادِ الْجِهَادِيَّةِ بِيَدَعٍ مِنْ  
مَكَارِمِ جَنَائِكُمُ الرَّفِيعِ ، وَلَا شَادَّةٍ فِيهَا أَسْدَى عَلَى الْأَيَّامِ مِنْ حُسْنِ الصَّنِيعِ ، فَقَدْ عَلِمَ  
الشَّاهِدُ وَالغَائِبُ ، وَلَوْ سَكَّنُوا أُنْمَتَ عَلَيْهَا الْحَقَائِبِ ، مَا تَقَدَّمَ لَسَلَفِكُمْ فِي هَذِهِ الْبِلَادِ  
مِنَ الْإِرْفَاقِ وَالْإِرْفَادِ ، وَالْأَخْذُ بِالْحِظِّ الْمَوْفُورِ مِنَ الْمُدَافَعَةِ وَالْجِهَادِ ، وَأَتَمَّ أَوْلَى مَنْ  
جَدَّدَ عُهْدَ قَوْمِهِ ، وَكَانَ عَدُوَّهُ فِي الْفَخْرِ أَكْبَرَ مِنْ يَوْمِهِ ، وَقَدْ ظَهَرَتْ لَكُمْ فِي حَيْزِ تِلْكَ

(١) مراده سفينة أو نحو ذلك .

الإيالة الزبانية نتيجة تلك المقدمات، وعرفت بركة ما أسلفته من المكرمات. وسئى  
الله سبحانه بين يدي وصول ما به تفضلتم، وفي سبيله بذلتهم. أن فتح جيشنا حصناً  
من الحصون المجاورة لغرب مالقة يُعرف بحصن قنيط من الحصون الشهيرة المعروفة،  
والبقع المذكورة بالتحصن الموصوفه، ودفع الله مضرتة عن الإسلام وأهله، ويسره  
بعمهود فضله، بفعلنا من ذلك الطعام الذي وجّهتم طعمه حمانه، ونفقات رجاله  
ورماته، آخياراً له في أرضي المراقق من سبل الخير وجهاته. وأما نحن فإن ذهبنا إلى  
تقرير ما عندنا من الثناء، على معالي منكم الأصيل البناء، والأعداد بمقامكم الرفيع  
العماد، والأستناد إلى ولائكم الثابت الإسناد، لم نبلغ بعض المراد، ولا وفق اللسان  
بما في القواد، فمن الله نسأل أن يجعله في ذاته، وذريعة إلى مرضاته، ومرادنا  
من فضلكم العميم، وودكم السليم، أن تحسبوا هذه الجهة بجهتكم فيما يعرض من  
الأغراض: لتعمل في تحميمها بمقتضى الود العذب الموارد، الكريم الشواهد، والله  
يصل سعدكم، ويحرم من مجدكم، والسلام.

### الضرب الثاني

(أن يقع الإيشاء بالمقتر)

والرسم فيه أن يقال: المَقْتَر، ويُنتع، ثم يقال: مَقْتَر فلان، ويُنتع باللقاب،  
ثم يُذكر المكتوب عنه. ثم يقال: أما بعد حمد الله، ويؤتى على الخطبة إلى آخره،  
ثم يقال: فإننا كتبناه لكم من موضع كذا، ويُختلص إلى المقصد بلفظ: وإلى هذا  
فإن كذا وكذا، ويؤتى على المقصد إلى آخره ويُحتم بالسلام.

كما كتب ابن الخطيب عن سلطانه ابن الأحمر إلى تجلان سلطان مكة شرفها  
الله تعالى وعظمتها، وهو:

المَقَرَّ الأشرف، الذي فَضَّلَ الحَالُ الدِينِيَّةَ مَحَلَّهُ ، وَكَرَّمَ فِي بُرْزُمِزِمٍ مُنْبَطِ إِسْمَاعِيلَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهْلَهُ وَعَلَّهُ ، وَخَصَّه بِإِمْرَةِ الحَرَمِ الشَّرِيفِ الأَمِينِ مَنْ بِيَدِهِ الأَمْرُ كُلُّهُ ، فَاسْقَرَ عَنْ صُبْحِ النَصْرِ العَزِيزِ فَضْلُهُ ، وَأَشْتَمَلَ عَلَى خَوَاصِّ الشَّرَفِ الوَاضِحِ جَنَسُهُ وَفَصَلَّهُ ، وَمطَابَتْ فُرُوعُهُ لِمَا آسَمَدَتْ مِنْ رِيحَاتِي الجَنَّةِ أَصْلُهُ .

مَقَرُّ السُلْطَانِ الجَلِيلِ ، الكَبِيرِ ، الشَّرِيفِ ، الطَّاهِرِ ، الطَّاهِرِ ، الأَجْمَدِ ، الأَسْعَدِ ، الأَوْحَدِ ، الأَسْمَى الشَّهِيرِ البَيْتِ ، الكَرِيمِ الحَيِّ والمَيْتِ ، المَوْقَرِ ، المَعْظَمِ ، ابنِ الحُسَيْنِ ، وَحَافِدِ سَيِّدِ الثَّقَلَيْنِ ، تَاجِ المَعَالِي ، عَزِّ الدُّنْيَا وَالدِّينِ ، أَيْ السُّبْقِ عَجَلَانَ ، ابنِ السُلْطَانِ الكَبِيرِ ، الشَّهِيرِ ، الرَّفِيعِ ، الخَطِيرِ ، الجَلِيلِ ، المَثِيلِ ، الطَّاهِرِ ، الطَّاهِرِ ، الشَّرِيفِ ، الأَصِيلِ ، المَعْظَمِ ، الأَرْضِيِّ ، المَقْدَسِ ، المَنْعَمِ ، أَسَدِ الدِّينِ ، أَيْ الفَضْلِ "رَمِيثَةُ" بِنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي سَعِيدِ الحُسَيْنِيِّ - أَبَقَاهُ اللهُ ، وَجَعَلَ أَفئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوَى إِلَيَّ قَاطِنِي مَثْوَاهِ ، عَلَى بُعْدِ الدَّارِ ، وَتَقَرَّبُ فِيهِ إِلَى اللهِ بِالنِّثَامِ التَّرَابِ وَأَسْتَلَامِ الجِدَارِ ، وَتُجِيبُ أَذَانَ نَبِيِّهِ إِبرَاهِيمَ بِالْحُجِّ إِجَابَةً الإِيتِدَارِ ، وَهَنَاهُ المَذْبَحُ الَّذِي خَصَّهُ بِهَا مِنْ بَيْنِ مُلُوكِ الأَقْطَارِ ، وَأَوَّلِي المَرَاتِبِ فِي عِبَادَتِهِ وَالأَخْطَارِ ؛ كَمَا رَفَعَ قَدْرَهُ عَلَى الأَقْدَارِ ، وَتَجَمَّلَ لَهُ بِسِقَايَةِ الحُجِّ وَعِمَارَةِ المَسْجِدِ الحَرَامِ عَقْدَ الفَخَارِ . وَيُنْهَى إِلَيْهِ أَكْرَمَ التَّحِيَّاتِ تَنَازُحَ عَنْ شَدَاةِ الرُّوْضَةِ المَعْطَارِ ، عَقَبَ الأَمْطَارِ ، مَعْظَمِ مَاعَظَمِ اللهُ مِنْ شِعَارِ مَثْوَاهِ ، وَمَلْتَمَسُ البَرَكَةِ مِنْ أَبْوَابِ مِفْتَاحَتِهِ وَلِكُلِّ أَمْرٍ مَا تَوَاهَا ، وَمُوجِبُ حَقِّهِ الَّذِي يَلِيقُ بِبَنِي البَتُولِ وَالرِّضَا أَبْوَاهِ ، الشَّيْقِ إِلَى الوِفَادَةِ عَلَيْهِ وَإِنْ مَطَّلَهُ الدَّهْرُ وَلَوَّاهُ فَلَانَ . كَانَ اللهُ لَهُ فِي غَرِبَتِهِ وَأَنْفَرَادِهِ ، وَتَوَلَّى عَوْنَهُ عَلَى الجِهَادِ فِيهِ حَقَّ جِهَادِهِ .

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللهِ وَرَبِّ المَعْدِ فِي الأَوَّلِ وَالأَآخِرِ ، وَمَطْمَاحِ النُّفُوسِ العَالِيَةِ وَالمُهَمِّمِ الفَاخِرِ ؛ مُؤَيِّدِ العِزَائِمِ المَتَاعِضِدَةِ فِي سَبِيلِهِ المِتَنَاصِرَةِ ، وَمُعَزِّ الطَّائِفَةِ المُؤْمِنَةِ وَمُؤَيِّدِ



الطائفة الكافرة ، ومُنيل القياصرة الغنَّب والأكاسره ، وتارك أرضها عبدة للأذان السامعة والعيون الباصرة .

والصلاة على سيدنا ومولانا محمد عبده ورسوله نبي الرحمة الهامية الهامره ، والبركات الباطنة والظاهرة ، المجاهد في سبيل الله بالعزائم الماضية والصَّوارم الباترة ، مُضَمِّت المُفاسق الهادِرة ، ومُرغَم الضلالة المكابرة ، المنصور بالرعب من جنود ربه الناصره ، المحروس بحرس الملائكة الوافره ، الموعود ملك أمته بما روى له من أطراف البسيطة العامره ، حسب ما ثبت بالدلائل المتواتره .

والرضا عن آله وأحزابه ، وعترته وأصحابه ، المجاهدة الصابرة ، أولى القلوب المرقيقة والألسن الذاكِرة ، والآداب الحريضة على الأعتداء بهداء المتأثره ، الذين جاهدوا في الله حتى جهاده يخوضون لأن تكون كلمة الله هي العليا بخارج الروع الزاحره ، ويُقدِّمون بالجموع القليلة على الآلاف المتكاثرة ، حتى قوتُ ظهور الإسلام العيونُ الناظرة ، وحلت في العدو الفاقره ، فكانوا في الذب عن أمته كالأسود الحارِره ، وفي الهداية بسما ملته كالنجوم الزاهره .

والثناء لشرفكم الأصيل المتناسب الظاهره ، والمكارم الزاهية بسنوة الزهراء البتول بضعة الرسول الزاهره ، بالصنع الذي يسفر عن العُرر المشرقة السافره ، والعز الذي يفضو منه الجناح على الوفود الوافره ، والفضلاء من المجاوره . ولا زال ذِكْرُكم بالجميل هيمى الزكائب الواردة والصابرة ، والثناء على مكارمكم يُججل أنفاس الرياض العاطره ، عقيب الغائم المساطره .

فإنا كتبناه إليكم - كتب الله لكم عناية تحجب الأسواء [بجنتها] الساتره ، ورعاية تجمع الأهواء المختلفة والقلوب المتنافرة - من حمراء غرة ناطة دار الملك الإسلامى

(١) الزيادة من رجحانة الكتاب .

بالأندلس - حرسها الله ووفّر جموع حاميتها المتأخره - وسدّ بيد قدرته ما هم بها من أفواه العديّ الفاجره ، ولا زالت سمائب رحمة الله الخائطة لها الغامر، تُظَلِّلُ جموع جهادها الظافره ، وتجوّد رمم شهادتها الناخره ، ونعم الله تحطُّ ركائب المزيد في نواديبها الخامدة الشاكره .

والحمد لله كما هو أهله ، فلا فضل إلا فضله ، وجانيكم موفّي حقّه من التعميم الذي أناف وأرْبى ، وقدركم يعرفه من صام وصلّى فضلاً عن حجّ ولبي ، ومستند ودمكم (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) . وإلى هذا - حرس الله مجدكم ومقرّم الأشرف ، كما سمّح على البيت العتيق ظلّم الأورف - فإنّ الجهاد والحجّ أخوان ، يشهد بذلك الملّوان ، مرتضعان ندى المناسبه ، ويكادان يتكافآن في المحاسبه : سقرا وزادا ، ونيةً وأستعدادا ، وإتلافاً لمُصون المال وإفاداً ، ونروجاً إلى الله لا يُؤثر أهلاً ولا ولداً وإن أقرقاً محلاً فقد أجمعما جهادا ، ورفعاً لئله مناراً سامياً وعماداً ، ووطننا - والحمد لله - على هذا العهد المخصوص بكمال هذه المزيه ، والقيام بفرض كفايتها البحرية والبرية عن جميع البرية ، [السليمة من الضلال البرية] وهذا النسب واشجعة عروقّه ، صادقة بروقه ، ومئاته لا يفضله متأت ولا يفوقه . ونحن نعرفكم بأحوال هذا القطر المستمسكة فروعه بتلك الجرثومة الراسية ، الممدودة أيديه إلى مثابتها المتصدقة بالدعاء الموائيه ، فاعلموا أن الإسلام به مع الحياة في سَفَط حرج ، وفي أمر مريج ، وطائفة الحق قليلٌ عندّها ، منقطع إلا من الله مندّها ، مستغرق يومها في الشدة وغدّها ، فالطالع في قنن الجبال سُور ، والمُصِحْر من بيته مغزّر ، والصبيحة مع الأحيان مسموعه ، والأعداء لرد ما استخلصه الفتح الأوّل مجموعه ، والصبر قد لُيست مدارعه ، والنصر قد أتمست مشارعه ، والشهداء تُوش أشلاءهم

(١) الزيادة من "ريحانة الكتاب" . (٢) اللغات ما يمت به .

القشاع ، وتحفيلُ منها للعوائى الولائم والمطاعم . والصَّيَّاتُ تُدْرَبُ على العمل  
بالسَّلاح ، وتُعَلَّمُ أحكامُ الجهادِ تعلَّمُ الفرءان في الألواح . وآذانُ الخيلِ مستشرفة  
للصَّياح . ومَنَارِقُ الطائحين في سبيلِ الله تعالى تَسْلَى بأيدى الرياح . والمأذَنُ تُجِيبُهَا  
النوافيسُ مناقضه ، وتراجُعُهَا مُعَارِضُهُ . وعندُ المسلمين لا يبيحُ من عَدَدِ  
الكفَّارِ ، عَشْرَ المعشَّارِ ، ولا وَبْرَةَ من جلودِ العِشَّارِ ، إلا أن الله عز وجل حَلَّ بولآئنا  
المُتَّخِقِ المُشْدُودِ ، وفتح إلى التيسيرِ المُتَّهِجِ المُشْدُودِ ، وأضْحَى ظلالَ الثمنِ المُشْدُودِ ، وأهَمَّ -  
وله الشُّكْرُ على الإنلِسام . وتسديدِ السَّهام . والحمد لله الذى يَفُوتُ مَدَارِكَ الأفهام -  
إلى اجتهادِ قُرْنٍ به التوفيق . وجهادِ نُهْجٍ به إلى التَّجَاةِ المُتَّجِيةِ الطريق . سبحانه  
من كريمِ يُلْهِمُ العملَ لِيُثِيبَ . ويأمرُنا بالدعاء لِيُجِيبَ . فتحركنا بحركاتٍ ساعدَها -  
وبه المنة - السعد . وتوَلَّى أمرَها ونُضِرَّتْهَا مَنْ لَه الأَمْرُ من قَبْلُ ومن بَعْدُ .

ففتحنا مدينةَ بُرْغَةَ الفاصلةَ كانت بين البلادِ المُسَلِّمةِ ، والشَّجَا المَعْرَضِ في تَحْر  
الكَلِمَةِ . وتبعها بناتُ كَنْ رِضْعنِ أخلافِ دِرَّتِهَا ، وشِعْلَقنِ في الحربِ والسَّلْمِ بأرْزَتِهَا .  
ثم نازلنا حصنَ آشِ رِكابِ الغاراتِ الكافرةِ ، ومستَقَرَّ الشوكَةِ الوافرةِ . فرفع اللهُ  
بُصْرَهُ الثقيلَ ، وكان من عَثْرَةِ الدِّينِ فيه المَقِيلُ .

ثم قصدنا مدينةَ الجزيرةِ بنتَ حاضرةِ الكفرا ، وعَرِينِ الأسودِ العُلبِ وكِلاَسِ  
الطُّبَاءِ العُفْرِ ، فاستبحناها عَنَوَةَ أضرمتِ البلادَ نارًا ، ودارتِ بأسوارِهَا المنيعةِ سِوَارًا ،  
وَأَسْتَأصَّنَّا أَهْلَهَا قِتْلًا وإِسَارًا ، ومَلَاتِ الأيديِ من نُقَاوَةِ سَبِي تَمَدَّدتِ آلاَفُهُ ،  
وموقورِ عُنْمِ شَدَّتْ عن العبارةِ أوصافُهُ .

ثم كانت الحركةُ إلى مدينةِ جِيَّانِ وشُهْرَتُهَا في المعمورِ ، وشِياعُ وصفِهَا المشهورِ ،  
تُنْفِي عن بَسْطِ ماها من الأمورِ ، ففتحها اللهُ على يَدَيْنا عَنَوَةَ وجعلتِ مقاتلتُهَا تَهِيًا

للسيوف الرقاق، وسيبها ملكة للأسترقاق، وأهلة مبانيسا البيض دريشة للمحاق،  
وآستولت على جميعها أيدي الهدم والإحراق؛ ثم دُكَّت الأسوار، وعُقرت الأشجار،  
وآستُخلف على خارجها النار، فهي اليوم صَفْصَف ينشأ بها الاعتبار، ومعجب  
الأبصار.

وغزونا بعدها مدينة أبدة أختها الكبرى، ولديها ذات الحبل الأسمى؛ وكانت  
أسوة لها في التدمير، والتدمير والعفاء المبير.

ثم نازلنا مدينة قرطبة وهي أم هذه البلاد الكافرة، ودار التعم الوافرة، وذات  
الحاسن السافرة؛ فكدنا نستبيح جماها المنيع، ونُسنت شملها الجميع، ونحتفل بفتحها  
الذي [هو للدين أجل] صنيع<sup>(١)</sup>، ولولا عوائق أمطار، وأجل متيه إلى مقدار، فرحلنا عنها  
بعد آنتهاك زلزل الطود، ووعداها العود؛ ونؤمل من فضل الله إنفاذ البشري بفتحها  
على بلاد الإسلام، ومتاحفة من بها من الملوك الأعلام، بالإخبار به والإعلام.  
وبلغ [من] صنيع<sup>(١)</sup> الله لنا وهو كافي من توكل عليه، وفوض الأمور إليه؛ أن لاطقنا  
النصر بمحسون أربعة لم نوجب عليها ركابا، ولا نملكها غلابا؛ فطهرنا بيوت الله  
من دنس الأوثان، وعوضنا النواقيس بكلمة الإيمان، والحمد لله على مواهب  
الإمتان، ومنه نستريد عوائد الإحسان.

وهذه الجميلات تحتل شرحا، تسبح في بجره سنان الأعلام سبعا؛ من أوصاف  
مقام شدة عن الحصر، ومواقف لتزل السكينة وهبوب النصر؛ وما ظهر من جد  
المسلمين في آفتتاح تلك المعادل المنيفة المنيفة، ومقارعة الجوع الكئيفه؛ وبركة  
الحرم الشريف في كل حال موجوده، وأقطار الإسلام بها مجوده، والوسائل إلى الله  
بأهله في القديم والحديث لا محبة ولا مردوده؛ فهو الأصل، والغمد الذي سئل

(١) بياض بالأصل والتصحيح من الريحانة.

منه النَّصْلُ ، حتى بلغ التَّخَوُّمَ القاصيه ، وذلل المسالك المتعاصيه ، وقاد من تقاعد  
أو تقاعس بالناصيه .

وقد ظهر لنا أن نوجه إلى المدينة المقدسة صلوات الله على من بها وسلامه رسالة  
نعرفه بهذه البركات الهامية من سماء عنايته المعدود خارقها آية من آياته ، وكلنا جنأه ،  
وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله بهداه ، وأحسبنا أشخاصا من نواقيس الفرج مما  
تأتى حملة ، وأمكن نقله ، وما سواه فكانت جبالا ، لا يقبل نقلها أحيالا ، فتناول  
درعها المسخ والتكسير ، وشفي بدحاب رؤومها الافامة والتكبير ، والأذان الجهير ،  
ومرأذنا أن تعرض بجمتمع الوفود تذكرة تستدعي الإمداد بالدعاء ، وتقتضى بتلك  
المعاهد النصير على الأعداء ، ثم تضحب ركاب الزيادة ، إلى أبواب النبوة ومطالع  
الإنارة ، وأنتم تعملون في توفية هذه الأحوال ورعايتها ، وإبلاغها إلى غايتها ، ما يليق  
بحسبكم الوضاح ، ومجدكم الصراح ، وشرفكم المتبلجة أنواره تبتلج الإصباح (فاتم خير  
من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح) ولكم بذلك الحفظ الرغيب في هذه  
الأعمال البره . واته سبحانه لا يضيع مثقال الذرة ، وهو سبحانه يتولاكم بما تولى به  
من أعز شعاره وعظمتها : ورعى وسائله واحترمها ، ويصل أسباب سعدكم ،  
وينفعكم بقصدكم . والسلام الكريم ، الطيب البر العميم ، يحبي معاهدكم الكريمة  
على الله عهدوها . النامية بغائم الرحمت والبركات عهدوها ؛ ورحمة الله وبركاته .

وربما قُدم على لفظ المقر صلة يُعتمد عليها في البداءة .

كما كتب عنه أيضا في معنى ذلك إلى أمير المدينة النبوية على ساكنها سيدنا محمد  
أفضل الصلاة والسلام .

يعتمد المقر الأشرف الذي طاب بطنية نشره ، وجلل بإمارتها الشريفة أمره ،  
وقدر في الآفاق شرفه وشرف صدره ، وعظم بخده صريح سيد ولد آدم نقره ،

(١) [ أبواه الله منشرحا بجوار روضة الجنة صدره ، مُشرقاً بذلك الأفق الأعلى بدره ، ]  
 ذائعا على الألسن المساحة ، في الأقطار النازحة ، حمده وشكره ، مُزريا بشدا المسك  
 الأذفر في الجمع الأوفر ذكوره ، تحيةً مُعظم ما عظم الله من دار الهجرة داره ،  
 ومطلع إبداره ، للمتمس بركة آثاره ، المتقرب إلى الله بحبه وإيناره . فلان .

أما بعد حمد الله الذي فضل البقع بخصائصها الكريمة ومزايها ، تفضيل الرياض  
 الويسية بريها ، وجعل منها مناب رحمة تضرب إليها العباد آباط مطاياها ، مؤملة  
 من الله عُقران زلاتها وحط خطاياها ، وخص المدينة الأمانة بعمرج سيد المرسلين  
 فأسعد منها ممتاتها ونحياها ، ورفع عليها .

والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسول الكرم ، الرؤوف بالمؤمنين الرحيم ،  
 مطلع أوجه السعادة يروق مجباها ، وموضع أسرار النجاة ومبين خفاياها ، الذي  
 تدارك الخليفة بهديه وكشف بلاياها ، ورعى لسنة الله رعاياها ، وجمع بين صلاح  
 دينها ودنياها .

والرضا عن آله وصحبه ، وعترته وحزبه ، التي كرمت سبحاها ، وعظمت ألقافها  
 الهادية وهداياها ، وجاهدت بعده طوائف الكفار ، تُشعشع لها في أكواس<sup>(٢)</sup>  
 الشفار ، منايها ، وتطلع عليها في الليل البهيم ، سنا الصبح الوسيم ، من عُمر  
 سراياها ، وتسد بغمام الأسيمة ورياح ذوات الأعتة ثناياها .

والدعاء لمقر أصالتكم الشريفة حياها الله وبياها ، كما شرفها بولادة الوصي الذي قور  
 وصاياها ، وسلالة النبي الذي أعظم مواهب فخرها منه وعطاياها ، بالسعادة التي تُجز  
 أكف الأقدار على مرور الأعصار خباياها ، والعز الذي يُزاحم فوق السماء وثرياها .

(١) الزيادة من "ريحانة الكتاب" .

(٢) كذا في الريحانة أيضا وابن الخطيب يستعمل هذا الجمع كثيرا ولكن الذي في كتب اللغة أن جمع

الكاس أكوس وكسوس وور .

فانا كتبناه إليكم - كتب الله لكم من مواهب الصنع الجميل أغياها ، كما طيب  
 يذكركم أطراف البسيطة وزواياها ؛ وجعل فخر الحواري الكريم في عقبيكم كلمة صدق  
 لا تخلف قضاياها ، ما مرضت الرياض مورسات عشاياها ؛ جمعات من النواصم  
 مشمومتها ومن الأزهار البواسم حشاياها . من حراء غرناطة - حرسها الله -  
 ونعم الله بحوكك حللها الجهاد ، والسيوف الحداد ، وتبسها البلاد والعباد ، وتزيها ،  
 وفلول الكفرنا كصة على الأعقاب ، من بعد شد الوثاق وضرب الرقاب ، نراياها ؛  
 وبركات حرم النبي الوجيه على الله يستظلها الإسلام ويتقيها ، ويتقع الغلل  
 من روابها .

والحمد لله كثيرا كما هو أهله ، فلا فضل إلا فضله ، ولعاهدكم الكريمة الإرتياح ،  
 كلكا أو مضت البروق وخفقت الرياح ، ولسني عنايتها الاتحاح ، إذا أشجرت  
 الرياح ، وفي تأميل المنول بها تعمل الأفكار وإن هيض اجتراح ، وبهداها الاستنارة  
 إذا خفي للمرآشد الصباح ، وبالإعتال في مرضاة من حتمه منها الثرى الفواح ، والصفيع  
 الذي ثرت ساكنه العوامل بالمجاهدة والصفاح والجهاد الصراح ، تعظم في الصدر  
 الأنسراح ، ويعز المندى في سبيل الله والمرآح .

وإلى هذا أجزل الله مسرتكم بظهور الدين ، واعتلاء صبحه المبين ، فانا نعرفكم  
 أنسا فتح الله علينا وعلى إخوانكم المؤمنين بهذه الثنور المنقطعة الغريية ، المائة  
 على الآماد البعيدة بالدم الثريية ؛ فتوحا حوزت من مملكة الكفر البلاد ، ونقلت  
 الطارف والثلال - حسب ما ترضه محاطبتنا إلى نبينا الكريم الذي شرفكم الله بخدمة  
 لحده ، وأستخلفكم على دار هجرته من بعده . إذ لاجابة إلى التكرار بعد ما شرحت  
 به الصدور من الأخبار ، في الإيراد والإصدار ، ووجهنا صحتها من التواقيس التي  
 كانت تضيع نداء الضلال ، وتعارض الأذان بجلال الحدال ، وتبادر أمر التثال

بالإستئثار ، ما يكونُ تذكُّرًا تَمِينٌ بها القلوبُ إلى هذه الطائفةِ المسلمةِ إذا رأيتها ، وتنتظرُ قبولَ الدعاءِ لها من الله كُلِّها نظرَها ، وتصورُ الأيديَ المجاهدةِ التي جنتها من أفنانِ المستشرفاتِ العاليةِ وأهتصرتها إذا أبصرتها .

وهذا كله لا يتحصَّلُ على التمامِ إلا بمشاركةِ منكمُ تُسوِّغه ، وإعانةِ تُوَدِّيهِ وتُبَلِّغه ، تُسَبِّحُ لَكُمْ عندَ تعرفِها الشاءَ الدائمَ التُّرَادَ ، والدعاءَ بِحُسْنِ المكافأةِ من رَبِّ العبادِ ، وسَهْمِكُمْ في أمرِ الجهادِ ، وأنتم تعملون في ذلك بما يناسبُ منكم من الشرفاءِ الأجدادِ ، واللهُ عزَّ وجلُّ يواليكم بِعَمَّةِ الثَّرةِ العهادِ ، ويعرفُكم عوارفَ السعادةِ في الدنيا والمعادِ ، ويختمُ لنا ولكم بسعادةِ المعادِ ، والسلامُ الكريمُ بِمُحَضِّمِكُمْ عودًا على بَدءِ ورحمةِ الله تعالى وبركاته .

### الضربُ الثالثُ

( أن تُفتَحَ المَكاتِبُ بلفظِ الإمارةِ )

بأن يقال : الإمارةُ التي نَعَمْتُها كذا وكذا إمارةُ محلِّ أخينا فلان ، ويُدعى له .  
ثم يقال : معظَّمُ إمارته ، أو معظَّمُ أخوته فلان . سلامٌ عليكم ورحمةُ الله وبركاته .  
أما بعد حمد الله ، ويُؤتى بِمُخْطَبَةٍ ، ثم يقال : فإنَّا كَتَبْنَا إِلَيْكُمْ اللهُ لَكُمْ كَذَا وكذا من موضع كذا ، ثم يُخَلَّصُ إلى المقصودِ بلفظِ وإلى هذا ، ويُؤتى على القصدِ إلى آخره ، ويُختمُ بِالسَّلامِ على نحو ما تقدَّم في غيره من الضروب ، وبذلك يُكْتَبُ إلى الأمراءِ من أبناءِ الملوكِ وغيرهم . كما كتَبَ أَبُو الحَظِيْبِ عن أَبِي الأَمْرِ إِلَى أَبِي عَلِيٍّ النَّاصِرِ أَبِي السُّلْطَانِ أَبِي الحَسَنِ المَرِيْنِيِّ بِقَاسٍ ، عِنْدَ ما أَرْسَلَهُ وَالِدُهُ إِلَى نَاحِيَةِ مِنَ التَّوَأْحِ لِجَارَتِهَا وَإِصْلَاحِ حَالِهَا ، مَهَنَّا لَهُ بِمَا أَجْرَاهُ اللهُ عَلَى يَدَيْهِ مِنَ الصَّلَاحِ ، وَهُوَ :



الإمارة التي لها المكارم الراضية ، والمزازم الماضية ، وبحلالة الراقية ، والأعمال  
الصالحة الباقية ، إمارة محل أخينا الذي نعظم مجده السامى الجلال ، ونثني على اسمه  
الظاهرة الجلال ، ونعتمد بؤده الكريم الأقوال والأعمال ، ونسربما يستيه الله لعزّه  
الفسيح المجال ، من عوائد الثمن والإقبال .

الأمير الأجل . الأعز . الأسمى . الأظهر ، الأظهر . الأسمى . الأسعد ، الأرسد ،  
الأرضى ، المؤيد ، الأسمى ، الأفضل ، الأكل ، أبو على الناصر ابن محمّل أبينا الذي  
نُعظمه ونُجّه ، ونوجب له الحق الذي هو أهله ، السلطان الجليل الكذا أبو الحسن  
ابن السلطان المؤيد ، المعان المظفر ، صاحب الجود النهر في الأقطار ، والفضل  
الماتق الأنوار ، والمآثر التي هي أبهى من محيا النهار ، أمير المسلمين ، وناصر الدين ،  
المجاهد في سبيل رب العالمين ، أبى سعيد ابن أمير المسلمين وناصر الدين ، فامج  
الكافرين . المجاهد في سبيل رب العالمين . أبى يوسف بن عبد الحق . أبقاه الله  
والسعود إليه مبندة مستيقه ، والمسرات لديه منتظمة مأسقه ، وعمر أيامه واضحة  
مشرقه ، والأهواء على عفته متيقه . معظم إمارته الرفيعة الجانب ، الفائم من إجلاها  
ونشر خلافا بالحق الواجب . المثني على ما نفا من السير الفاضلة المذهب ، والأصالة  
الرفيعة المناسب ، والبسالة الماضية المضارب ، والمكارم التي تشهد بها مواقف  
الجهاد ، وظهور الجياد ، وصحائف الكُتب وصدوح الجلال ، الأمير عبد الله يوسف  
ابن أمير المسلمين ، أبى الوليد إسماعيل بن قرح بن نصر . سلام كريم ، برعميم ،  
نتارج الأرجاء من طيب نقعته ، ويشرق نور الود الأصيل على صفتته ، يخص  
أخوتكم الفاضلة ، وإمارتكم الحافله ، ورحمة الله وبركاته .

أما بعد حمد الله الذي شرح بالتوكل عليه صدورا ، و [جعل الوذ في ذاته كقرا<sup>(١)</sup> مذخورا] والأعمال التي تقرب إليه نورا ، والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله الذي بعثه بالحق هاديا وبالرغب منصورا ، ورفق لدعوته العالية لواء من عنايته منشورا ، واختاره لإقامة دين الحق والأرض قد ملكت إفتكا وزورا ، حتى بلغ ملك أتمه ما كان منها معمورا .

والرضا عن آله وأحزابه الذين آسقوا في فلاند ملته الرفيعة سُودرا ، وطلّموا في سماها بدورا ، وبذلوا نفوسهم النفيسة في نصره وإعلاء أمره فكانت شفاعته لهم جزاء وكان سميهم مشكورا .

والدعاء لإمارتكم العالية بالسعد الذي يصاحب منه ركبها مددا مؤفورا ، والتوفيق الذي يوسع عملها نجحا وأملها سرورا .

فإنا كتبناه إليكم - كتب الله لكم سَعدا متجددا لإحكام ، وصنعا مشرق القسام وافر الأقسام ، وعرفكم ماعزكم من عوارف الإنعام ، وعوائد النصر الواضح الأعلام - [ولازائد بفضل الله سبحانه - ثم بركة سيدنا ومولانا محمد رسوله الذي أوضح برهانه ، ثم بما عندنا من التشيع في مقام محل أئبنا والدكم السلطان الجليل ، أسعد الله سلطاناه ! ومهد به أوطانه ! إلا ما يرجئ من عوائد الله الجميله ، ومِنَّه الجزيله ، وأنطافه الكافية الكفيله] وعندنا من التعظيم لتلك الإمارة الرفيعة ما هو أشهر من الشهير ، وأعظم من أن يحتاج إلى التفسير ، فلا تزال نعتد بجانب أختوتها بالعتاد الكبير ، والأثر الخطير ، ونثني على مكارمها بالقلم واللسان والضمير . وإلى هذا أيد الله إمارتكم ، وسنى إرادتكم ، وأسعد إدارتكم ، فقد علم الغائب والشاهد ، والصادر والوارد ، ماعندنا لكم من الحب الذي

(١) الزيادة من "ريحانة الكتاب" .

صفت منه الموارد ، والولاء الذي تَصَوَّغَتْ من طيبه المعاهد ؛ وإنا نَعْرِفُنَا ما كان من قدومكم السعيد على أحواز الميريه من تلك الأقطار ، وطُلوْعِكُمْ عايها بالعرم الماضي والجيش أجزاز . وأن محلاً والذنا وصل الله له علو المقدار ، قدم منكم بين يديه مُقَدِّمَةُ اليمن والإستبشار ، ورائد السعادة المشروقة الأنوار ، بحلال مايتلاحق بها ركابه العلى قدره على الأقدار . وأن تحايل النجح لإمارتكم الرفيعة قد ظهرت ، وأدلة الصنع الجميل قد بهرت ؛ ومن بتلك الجهات ، من القبائل المختلفة ، بالطاعة قد أبدرت ؛ وبإمرها الإماراتية قد آخرت ؛ وأنكم قد أخذتم في تسكين الأوطان وتمهيدها ، وأستئناف العزائم وتجديدها ، [وإطفاء نار الفتن وإخمادها] وإعلاء أركان تلك الإبالة ورفع عمادها ؛ فكتبنا إليكم هذا الكتاب نهتكم بما سناه الله لمجدكم الرفيع ، من حُسن الصنيع ، وتقرر ما عندنا من الود الكريم . والحُبِّ الصَّحِيمِ . ونستفهم عن أحوال أخوتكم لتكون من علمها على السِّنِّ القويم . وحتى لا تزال الأسباب متصلة ، والمودة جديدة مقبلة ؛ ولولا العوائق المانعة ، والشقة البعيدة الشاسعة ، والامواج المترامية المتدافعة ؛ لم نغب المخاطبة . ولوصلنا المراسلة والمكاتبة . ومجدكم يقبل الأعدار الصحيحة بمقتضى كماله ، ومعهود إفضاله ؛ والله تعالى يُصَلِّحُ بكم الأحوال ، ويسكن الأهوال . ويبلغكم من فضله الآمال . وعرضنا أن نعرفوا بما لديكم من المتزيدات ، والصنائع المتجددات ؛ وبما عندكم من أحوال محل أيدنا وصل الله عوائد النضر لسلطانه . وتكفل بإعلاء أمره وتمهيد أوطانه . وقد كتبنا إليه صحيفة هذا كتاباً عرضنا من أخوتكم الطاهرة ، أن يصل إلى حضرته العلية تحت عنايتكم ووصاتكم ، والرعاية التي تليق بذاتكم ؛ وهو سبحانه يصل سعدكم ويحرس مجدكم ، ويحفظ ولاءكم الكريم ووودكم ؛ والسلام الكريم عليكم ورحمة الله وبركاته .

## الاسلوب الثانى

( أن تُفتتح المكاتبة باسم المكتوب إليه أو المكتوب عنه ، وهو على ضربين )

## الضرب الأول

( أن تُفتتح المكاتبة باسم المكتوب إليه تعظيماً له )

والرسم فيه أن يقال : إلى فلان ، ويُتبع بما يليق به ، ثم يؤتى بالسلام ، ويقال :  
أما بعد ، ويؤتى بخطبة ، ثم يقال : إنا كتبناه إليكم كتب الله لكم كذا وكذا ، من موضع  
كذا ، ويُتخلص إلى المقصود بلفظ « وإلى هذا » ويؤتى على المقصود إلى آخره  
ويُختتم بالسلام .

كما كتب أبو الخطيب عن سلطانه ابن الأحمر إلى الأمير يلبغا العمري الشهير  
بالخاصكى : أتاك العساكر بالديار المصرية في الدولة الأشرفية « شعبان بن حسين » .  
إلى الأمير المؤمن على أمر سلطان المسلمين ، المقلد بتدبيره السيد قلادة الدين ،  
المثني على رسوم به المقامة لسان الحرم الأمين ، الأوى من مرضاة الله تعالى ورسوله  
إلى ربه ذات قرار ومعين ، المستعين من الله على ما تحمله وأمله بالقوى المعين ،  
سيف الدعوة ، ركن الدولة ، قوام الملك ، مؤمل الأمة ، تاج الخواص ، أسد  
الجيوش ، كافي الكفاة ، زين الأمرء ، علم الكبراء ، عين الأعيان ، حسنة الزمان ،  
الأجل ، المرفع ، الأشنى ، الكبير ، الأشهر ، الأشمى ، الحافل ، الفاضل ، الكامل  
المعظم ، الموقر ، الأمير ، الأوحى ، « يلبغا الخاصكى » وصل الله له سعادة تُشرق  
عُرثها ، وصنائع تُسبح فلا تُسح دُرثها ، وأبقى تلك المثابة قلادة الله وهو دُرثها ،  
سلام كريم ، طيب عيم ، ينحس إمارتكم التي جعل الله الفضل على سعادتها أماره ،

وَالْيُسْرَهَا شَارَهُ ، فَيَسَاعِدُ الْفَلَكَ الدَّقْوَرَ مَهْمَا أَعْمَلَتْ إِدَارُهُ ، وَتُمَثِّلُ الرُّسُومَ كُلَّهَا  
إِشَارَتْ إِشَارَهُ .

أَمَا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ الَّذِي هُوَ بَعْلُهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ ، مِنْ قَاصِ وَدَانٍ ، وَإِلَيْهِ تُوجَّهُ  
الْوَجُوهُ وَإِنْ أَخْتَلَفَتِ السَّيْرُ وَتَبَاعَدَتِ الْبُلْدَانُ ، وَمَنْهُ يُتَمَسَّ الْإِحْسَانُ ، وَبِذِكْرِهِ  
يُنْشَرِحُ الصَّدْرُ وَيَطْمَئِنُّ الْقَلْبُ وَيَتْرَجُ اللِّسَانُ .

وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى سَيِّدَتِنَا وَوَلَاتِنَا مُحَمَّدٍ رَسُولِهِ الْعَظِيمِ الشَّانِ . وَنَبِيِّهِ الصَّادِقِ  
الْبَيِّنِ ، الْوَاضِحِ الْبُرْهَانِ .

وَالرِّضَا عَنِ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ ، وَأَعْمَامِهِ وَأَحْرَابِهِ . أَحْلَاسِ الْخَيْلِ ، وَرُهْبَانِ اللَّيْلِ ،  
وَأَسْوَدِ الْمَيْدَانِ .

وَالدُّعَاءِ لِإِمَارَتِكُمْ السَّعِيدَةِ بِالْعَزِّ الرَّائِقِ الْخَبَرِ وَالْعِيَانِ ، وَالتَّوْفِيقِ الْوَشِيقِ الْبَيِّنِ ؛  
فَإِنَّا كَتَبْنَاهُ إِلَيْكُمْ - كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ حَقًّا مِنْ فَضْلِهِ وَاقْرَأْ ، وَصَدِّعْنَا عَنْ مِحْيَا السُّرُورِ  
سَافِرًا ، وَفِي جَوْءِ الْإِعْلَامِ بِالنِّعَمِ الْجَسَامِ مُسَافِرًا . مِنْ حَمْرَاءِ عَرَاطَةِ - حَرَسَهَا اللَّهُ -  
دَارِ الْمَلِكِ بِالْأَنْدَلُسِ ، دَافِعِ اللَّهِ عَنْ حَوَازَتِهَا كَيْدِ الْأَعْدَاءِ ، وَاتَّخَفَ نَفْسَهَا بِيَوَاكِرِ  
النَّصْرِ الْمُهْدَاهِ ؛ وَلَا زَائِدَ إِلَّا الشُّوقُ إِلَى التَّعَارُفِ بِتِلْكَ الْأَبْوَابِ الشَّرِيفَةِ الَّتِي أُنْتَمِ  
عُنْوَانُ كِتَابِهَا الْمَرْقُومِ ، وَبَيْتُ قَصِيدِهَا الْمَنْظُومِ ، وَالنَّمَّاسُ بِرِكَاتِهَا الثَّابِتَةِ الرَّسُومِ ،  
وَتَقَرَّرُ الْمُثُولُ فِي سَبِيلِ زِيَارَتِهَا بِالْأُرُوحِ عِنْدَ تَعَدُّرِهِ بِالْجُسُومِ .

وَالِإِلَى هَذَا فَبِنَا كَانَتْ بَيْنَ مَلَفِنَا - نَقَبَلَّ اللَّهُ جِهَادَهُمْ وَقَدَسَ نُفُوسَهُمْ وَأَمَّنْ مَعَادَهُمْ -  
وَبَيْنَ تِلْكَ الْأَبْوَابِ السَّلْطَانِيَّةِ - أَلَى اللَّهِ عَلَى الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ ظِلَالَهَا ، كَمَا عَرَفْتَهُمْ  
عَدْلًا وَإِفْضَالَهَا - مِرَاسَلَةٌ بَيْنَ عَرَفِ الْخُلُوصِ مِنْ خِلَالِهَا ، وَتَسَطُّعِ أَنْوَارِ السَّعَادَةِ  
مِنْ آفَاقِ كَلِمَاتِهَا . وَتَلْتَمِجُ مِنْ أَسْفَارِ طُرُوسِهَا مَحَاسِنُ تِلْكَ الْمَعَاهِدِ ، الزَّاكِيَةِ الْمَشَاهِدِ ،

وَتُعْرَبُ عَنْ فَضْلِ الْمَنَاهِبِ وَكَرَمِ الْمَقَاصِدِ، أَشْتَقْنَا إِلَى أَنْ نُجَدِّدَهَا بِحُسْنِ مَنَابِكُمْ، وَنُصَلِّهَا بِوِاصِلَةِ جَنَابِكُمْ، وَنَعْتَمِ فِي عَوْدِهَا الْحَمِيدِ مَكَانَكُمْ، وَنَفْضِلُ لَهَا زَمَانَكُمْ بِتَخَاطُبِنَا الْأَبْوَابَ الشَّرِيفَةَ فِي هَذَا الْفَرَضِ بِتَخَاطُبِةِ تَحْمِيلَةٍ مِنَ التَّقْصِيرِ، وَجِلَّةٍ مِنَ النَّاقِدِ الْبَصِيرِ، وَتَوْمَلِ الْوُصُولَ فِي خِفَارَةِ يَدَيْكُمْ الَّتِي لَهَا الْأَيْدِي الْبَيْضُ، وَالْمَوَارِدُ الَّتِي لَا تَقْبِضُ، وَمِثْلَكُمْ مِنْ لَا تَحْتِيبُ الْمَقَاصِدَ فِي شِمَائِلِهِ، وَلَا تَضْحَى الْمَآمِلُ فِي ظِلِّ نَحَائِلِهِ؛ فَقَدْ أَشْتَهَرَ مِنْ عَظِيمِ سِيرَتِكُمْ مَا طَبَّقَ الْآفَاقَ، وَصَحَّبَ الرِّفَاقَ وَأَسْتَلْزَمَ الْإِصْفَاقَ؛ وَهَذِهِ الْبِلَادُ مُبَارَكَةٌ، مَا أَسْلَفَ أَحَدٌ فِيهَا مُشَارَكَةَ، إِلَّا وَجَدَهَا فِي نَفْسِهِ وَمَالِهِ وَدِينِهِ وَعِيَالِهِ، وَاللَّهُ أَكْرَمُ مَنْ وَفَى لِأَمْرِي بِمِثَالِهِ؛ وَاللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ يَجْعَلُ الْقُلُوبَ عَلَى طَاعَتِهِ، وَيَنْفَعُ بِوَسِيلَةِ النَّبِيِّ الَّذِي نَعُوذُ عَلَى شَفَاعَتِهِ؛ وَيُبْقِي تِلْكَ الْأَبْوَابَ مُلْجَأً لِلْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ، وَظِلًّا لِلَّهِ عَلَى الْعَالَمِينَ، وَإِقَامَةً لِشِعَائِرِ الْحَرَمِ الْأَمِينِ؛ وَيَتَوَلَّى إِعَانَةَ إِمَارَتِكُمْ عَلَى وِظَائِفِ الدِّينِ، وَيَجْعَلُكُمْ مِنْ أَنْعَمِ اللَّهِ عَلَيْهِ مِنَ الْمُجَاهِدِينَ؛ وَالسَّلَامُ الْكَرِيمُ يُخَصِّمُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

## الضرب الثاني

( أَنْ تُفْتَحَ الْمَكَاتِبُ بِاسْمِ الْمَكْتُوبِ عَنْهُ ، وَهُوَ عَلَى صِنْفَيْنِ )

### الصنف الأول

( مَا يُكْتَبُ بِهِ إِلَى بَعْضِ الْمُلُوكِ )

وَالرَّسْمُ فِيهِ أَنْ يَقَالَ : مِنْ فُلَانٍ إِلَى فُلَانٍ ، بِأَلْقَابِهِ وَنَعْوَتِهِ وَنُصُوتِ آبَائِهِ عَلَى مَا تَقَدَّمَ ، ثُمَّ يُؤْتَى بِالسَّلَامِ ، وَيُقَالُ أَمَا بَعْدُ حَمْدُ اللَّهِ ، وَيُؤْتَى بِخَطْبَةٍ ثُمَّ يَقَالُ فَإِنَا كَتَبْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابَ اللَّهِ لَكُمْ كَذَا ؛ ثُمَّ يَقَالُ : وَإِنِّي هَذَا فَإِن كَذَا وَكَذَا ، وَيُؤْتَى عَلَى الْمَقْصُودِ إِلَى آخِرِهِ ، وَيُنْتَهَى بِالدُّعَاءِ ثُمَّ بِالسَّلَامِ عَلَى نَحْوِ مَا مَرَّ .

كما كتب ابن الخطيب عن ابن الأحمر إنى بعض ملوك القرب يهتبه بدخول مدينة بجاية في طاعته ماصورته :

من أمير المسلمين عبد الله محمد . ابن مولانا أمير المسلمين أبى الحجاج . ابن مولانا أمير المسلمين أبى الوليد إسماعيل بن فرج بن نصر أيد الله أمره . وأعز نصره . إلى محل أخينا الذى نصل له أسباب الإعظام والإجلال . ونثنى عليه بما له من كريم الشيم وحيد الخلال . وسرله ببلوغ الآمال . وتجاح الأعمال . فى طاعة ذى الجلال . السلطان فلان ابن السلطان فلان . بالألقاب اللائقة بكل منهم . وصل الله له سعدا متصل الغوام دائم الاتصال . وصنعا تتجلى وجوهه من ثنانيا القبول والإقبال . وعزرا تنقيا ظلاله عن التمين والشمال . مسلام كريم . برغميم . يخص سلطانكم الأسمى . ويعتمد مقامكم المخصوص بالزيادة والحسن . ورحمة الله وبركاته .

أما بعد حمد الله الواسع الفاعل . المانع الماسخ . مظهر عنايته بمن خالص إليه قصده . وقصر على مآلديه صدره وورده . أبدى من محبها النهار الواضح . الذى وعد من أفتاه حق ثقافته . على السنة سفرة الوحى وثقافته . فخرج الخواتم والتواتح .

والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله المبتعث لدرء المفاسد ورعى المصالح . وسعادة العادى والزائح . مُقيد الناس يوم الفزع الأكبر وقد طاحت بهم أيدي الطوايح . وهاديهم إلى سواء السبيل بأزمة التصالح . ومُظفرهم من السعادة الدائمة بأريج البضائع وأسنى العنايح .

والرضا عن آله وأصحابه . وعترته وأحزابه . الذين خلفوه امتثالاً لأمر الصحائف وإعمالاً للصنائح . وكانوا لأمنه من بعده فى الإقضاء بسنته والمحافظة على سنته كالنجوم اللوائح .

والدعاء لسلطانكم الأسمى ، بالسعد الذي يعنى بوثاقة سببه ، ووُضوح مذهبه ،  
عن زجر البارج والسايح ، والعزّ البعيد المطارح ، السامى المطارح ، والصلح  
الجيل الباهر العلامح ، ولا زال توفيق الله عائداً على تديركم السعيد بالسسمى الناجح ،  
والشجر الرابع .

فإنا كتبناه إليكم - كتب الله لكم من فضله أوفر الأقسام وأوقاها ، وأوردكم من  
موارد عنايته أعتب الحمام وأضفاها ، كما أسبغ عليكم أثواب المواهب وأضفاها . .  
[ وأبدي لكم وجوه اللطائف الجميلة وأحفاها ] من حمراء غرناطة - حرسها الله -  
وفضل الله هامية ديمه ، وعوائد اللطف يصلها فضله وكرمه ، والإسلام بهذا الثغر  
الجهادى مرعية ذممه ، وجاء النبوة المحمدية بعمل بين إرغام العدو الكافر ، وإهداء  
المسرات والبشائر ، سيئه وقلمه . والسرور بما يبئع من مزيد سعديكم ومبوضه  
خافق علمه ، وودكم ثابت فى مواقف الخلوص قدمه .

وقد اتصل بنا ما كان من دخول حضرة بحاية حرسها الله فى طاعتكم ، وانتظامها  
فى سلك جماعتكم ، وانقطاعها إلى عصمتكم ، وتمسكها بأزمتكم ، وعقدكم منها  
ومن أختها السابقة الذمام ، الخليفة بمزيد الأهتمام ، على عقيلتى الأقطار التى لا يجمع  
بينهما إلا ملك همام ، وخليفة إمام ، ومن وصحت من سمادته أحكام ، وشهرت  
بعناية الله له أدلة واضحة وأعلام ، ومن جمع الله له بين البر المترا كض الخبول ،  
والجيش المتدافع السبول ، والحصب الذى تضى مواجده المستنجزه ظهور الخبول ،  
وبين البحر الشهير ببحدة الأسطول ، وإنجاز وعد النصر الممتول ، ومرسى السفن  
التي تخوض أحشاء البحار ، وتجلب مرافق الأمطار والأقطار ، وتخيف على الشئى  
يطرف الأخبار .



بِحَايَةٍ وَمَا بِحَايَةٍ ! دَارُ الْعُلُكِ الْأَصِيلِ الْعَنِيْقِ . وَكِرْسَى الْعِزِّ الْوَشِيْقِ . وَالْعُدَّةِ ،  
 إِذَا تَوَقَّعَتِ الشَّدَّةُ ، كَمَا شَتَّتْ عَلَى الزَّلْزَلِ . وَصَارَتْ مَوَاقِفَ الزَّلَالِ ، أَمْطَاكِمِ السُّعْدِ  
 صَهْوَتِهَا . وَأَحْلَكِمِ التَّوْفِيْقِ رَايَوَتِهَا . مِنْ غَيْرِ مَطْوِيَّةٍ حِصَارِ ، وَلَا أَسْتِنْفَادِ ذِي  
 وَسْعٍ وَاقْتِنَادِ ، وَلَا تَسْوِيرِ جَدَارِ ، فَأَصْبَحْتَ دَوَائِكِمِ السَّعِيْدَةِ لَتَقِيًّا [ جَنَى الْجَحِيْنِ ،  
 وَتَخَالٍ فِي حَلَّتِيْنِ ، وَتَجَمُّعٍ بِقَتِيْبِ ] السِّيْفِ الْمَسَالِكِيَّةِ بَيْنَ هَاتِيْنِ الْأَخِيْنِ ، أَوْ زَعَمَ  
 اللَّهُ شُكْرَهَا مِنْ نَعْمَةٍ جَنَّتْ مَوَاطِيْبُهَا ، وَوَضَّحَتْ مَذَاهِبُهَا . وَصَنِيعَةٍ بَهَّرَتْ عَجَائِبُهَا .  
 وَإِذَا كَانَتْ عَقَائِلُ الشَّعْمِ تَحْطُبُ أَكْفَانَهُمَا ، وَمَوَارِدُ الْعَيْنِ تَعْرِضُ عَلَى الْوُزَادِ  
 صَفَاهَا ، فَاتَمَّ أَهْلُهَا الَّذِينَ لَمْ تُذْخَرْ . وَبِمَنْ دُونِكُمْ تَسْخَرُ . فَإِنَّكَ تَمِيزْتُمْ بِخِصَالِ  
 الْعَقَافِ وَالنَّبَاتِ . وَالْحَسَبِ وَالْجَلَالِ ، وَأَصْبَحْتُمْ فِي بَيْتِكُمْ صَدْرًا . وَفِي هَالَةِ  
 قَوْمِكُمْ بَدْرًا ، مَوَاقِفُكُمْ شَهِيْرَةٌ . وَسِيْرَتُكُمْ فِي الْفَضْلِ لَا تَقْضُلُهَا سِيْرَةٌ ، وَنَعْنُ نَهْنُكُمْ  
 بِمَا مَنَحَكُمْ اللَّهُ مِنْ انْتِخَاصِ الْإِيْمَانِ . وَتَمَوُّ الْجَلَالِ . وَالنَّهْمِ الْمُتَمَثِّلِ . بِسُلْطَانِ الْوَقْتِ  
 عِيَانُهُ إِلَى مِثْلِكُمْ قَدْ اخْتَارَهُ لِيَقِيْدَهُ ، وَأَرَاهُ دَفْعِيْدَةً فِي آرْتِيَادِهِ ، وَتَكْفُلُ الْحَزْمُ بِحِفْظِ  
 بِلَادِهِ ، وَصَوْنِ ظَارِفِهِ وَبِلَادِهِ . وَكَأَنَّ بِهِ قَدْ أَسْمَعُوْنِي عَلَى آمَادِهِ ، وَتَطَاوَلُ لِإِرْثِ  
 أَجْدَادِهِ . وَنَنَا فِيكُمْ - عَلَيْهِ اللَّهُ - وَدُ [ تَأَسَّسَ بِنَاؤُهُ ، وَكَرِّمَتْ أَبْنَاؤُهُ ] وَحُبٌّ وَجِبْ  
 بِالشَّرْعِ بِفَعْدِهِ إِلَيْكُمْ وَإِبْرَاهِيمَ ، وَغَرَضًا الَّذِي نُؤَوِّرُهُ عَلَى الْأَغْرَاضِ وَالْمَقَاصِدِ ، وَتَقَدَّمُهُ  
 بِعَقْدَتِي الْخُلُوصِ الَّذِي زَكَّتْ مِنْهُ الشُّوَاهِدُ ، أَنْ تَتَّصَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْمَخَاطِبَةُ ،  
 وَتَتَعَاقَبَ الْمَوَاصِلَةُ وَالْمَكَاتِبَةُ ، وَتَلْقَى عَزْرٌ وَجَلٌّ لِنَعِيْنِ عَلَى مَا يَجِبُ لَوَدَّكُمْ مِنْ بَرِّ تَكْفُلِ  
 وَاجِبِهِ . وَتَوْضُحِ مَذَاهِبِهِ ، وَاعْتِمَادِ جَمِيْلِ يَتَسَاوَى شَاهِدَهُ وَعَاشِيَهُ ، وَهُوَ سَبْحَانَهُ يَصِلُ  
 سَمْعَكُمْ ، وَيَحْرُسُ بَعْدَكُمْ . وَالسَّلَامُ الْكَرِيْمُ بِخُصْمِكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

(١) الزيادة من "الربحانة النخبة".

## الصف الثاني

( ما يكتب به إلى الرعايا )

والحكم فيه على نحو ما تقدم في الصف الذي قبله ، إلا أنه يحاط بهم بأوليائنا .  
كما كتب ابن الخطيب عن ابن الأحمر أيضًا إلى بعض رعاياه بمدينة المريّة  
بالأندلس ، بالشارة بموت الطاغية ملك قشتالة بجبل الفتح ، ورحيل قومه به إلى  
بلادهم ماصورته :

من الأمير عبد الله يوسف ، ابن مولانا أمير المسلمين أبي الوليد إسماعيل بن قرق  
ابن نصر أيد الله أمره ، وأعز نصره ، وأسعد عَصْره ؛ إلى أوليائنا في الله تعالى الذين  
نُبادر إليهم بالمبشرات السافرة العُرد ، ونجلو عليهم وجوه الصنائع الإلهية كريمة الخُبر والخبر ،  
ونعلم ما لهم من الوَدِّ الكريم الأثر : القائِد بالمريّة ، والقاضي بها ، والفقهاء ، والأشياخ ،  
والوزراء والأمراء والكافة والدُّقهاء من أهلها ، عرّفهم الله عوارِف الأداء ، وأوزعهم  
شُكر نعمة هذا الفتح الربّاني الذي تفتّحت له أبواب السماء ، وأُنشِرت معجزاته ميّت  
الرجاء في هذه الأرجاء . سلامٌ كريم ، طيبٌ برعميم ، تُنشقُّ منه نَصّات الفرج ، عاطرة  
الأرج ، ورحمة الله وبركاته .

أما بعد حمد الله فاتح أبواب الأمل بعد استغلاقتها ، ومُتدارِك هذه الأمة الحمديّة  
بالصنْع الذي تجلّى لها مِلء أصدافها ، والرحمة التي مدت على النفوس والأموال ،  
والحرُمات والأحوال ، ضائِق رواقها .

والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسول الله الذي دَعُوته هي العروة الوثقى لمن  
تمسك باعتلاقتها ، وأقام على ميثاقها ؛ ذى المعجزات التي بهرت العقول باجتماعها ،

(١) في الرسالة ج ٢ " من رجوه الغنائم الاطية كريم " الخ .

الذى لم ترعه في الله الشدائد على أشندارٍ وثاقها، وقطاعةٍ مذاقها؛ حتى بلغت كلمة الله ما شاءت من انتظامها وأتساقها .

والرضا عن آله وصحبه . وعترته وحزبه ؛ الفائزين في ميدان الدنيا والمدين يتحصل سابقها . فإنا كتبناه إليكم - كتب الله لكم شكراً لنعيمه، ومعرفةً بمواقع كرمه . من حمراء غرناطة - حرسها الله - ولا زائد بفضل الله سبحانه إلا ما آمن الأرجاء ومهداها، وأنشأ معالم الإسلام وجدها . وأسس أركان الدين الحنيف وأقام أودها ؛ وأتم الأولياء، الذين نعلم منهم خلوص الأهلواء، وتحقق ما عندهم من الخلوص والصفاء . وإلى هذا فقد علمتم ما كانت الحال آلت إليه من ضيقة البلاد والعباد بهذا الطاغية الذي جرى في ميدان الأمل جرى الجموح، ودارت عليه نعمة النخوة والخيلاء مع الغبوق والصبوح ؛ حتى طفق بسكر اغتراره، ومحص المسلمون على يديه بالوقائع التي تجاوز منتهى مقداره ؛ وتوجهت إلى استئصال الكلمة مطامع أفكاره، ووثق بأنه [ يطفى ] نور الله بناره، ونازل جبل الفتح فشد محقق حصاره، وأدار أشياعه في البر والبحر دور السوار على أسواره ؛ واتهم الفرصة بانقطاع الأسباب، وأتباع الأوباب، والأمور التي لم تجر للمسلمين بالعدوتين على ما لوف الحساب ؛ وتكالب التلث على التوحيد . وساء الظنون في هذا القطر الوحيد ؛ المتقطع بين الأمم الكافرة، والبحور الزاهرة . والعرام البعيد . وإنا صابرين بالله تيار سيله، وأستصاناً بنور التوكل عليه في جُح هذا الخطب ودجنة ليله ؛ وبلغنا إلى من بيده نواصي الخلاق، وأعتقنا من حبله المتين بأوثق العلائق . وقد سحنا بحال الأمل في ذلك الميدان المتضيق ؛ وأخلصنا لله مقبل العار، ومولى أوبى الأضرار . قلوبنا، ورفعنا إليه أمرنا ، ووقفنا عليه مطلوبنا ؛ ولم نقصرع ذلك في إبرام العزم، واستشعار الحرْم؛ وإمداد

الثُّغُورِ بِأَقْصَى الْإِمْكَانِ ، وَبَثَّ الْجِيُوشَ إِلَى مَا يَلِينَا مِنْ بِلَادِهِ عَلَى الْأَحْيَانِ ،  
 فَرِحَ اللَّهُ أَنْقَطَاعَنَا إِلَى كَرَمِهِ ، حِينَ لَحْنَا إِلَى حَرَمِهِ بِجَلَابِ فَضْلِهِ سَبْعَانَهُ ظِلَامَ اللَّيْلِ ،  
 وَمَدَّ عَلَى الْحَرِيمِ وَالْأَطْفَالِ ظِلَالَ رَحْمَتِهِ الْمُنْتَدَةِ ، وَعَرَّفَنَا عَوَارِفَ الصَّنْعِ الَّذِي قَدَّمَ  
 بِهِ الْعَهْدُ عَلَى طَوْلِ الْمُدَّةِ ، وَرَمَاهُ بِجَيْشٍ مِنْ جِيُوشِ قُدْرَتِهِ أَغْنَى عَنْ إِيحَافِ الرِّكَابِ ،  
 وَأَحْتِشَادِ الْأَحْزَابِ ، وَأَظْهَرَ فِينَا قُدْرَةَ مُلْكِهِ عِنْدَ انْقِطَاعِ الْأَسْبَابِ ، وَاسْتَخْلَصَ  
 الْعِبَادَ وَالْبِلَادَ مِنْ بَيْنِ الظُّفْرِ وَالنَّابِ ، فَقَدْ كَانَ سَدَّ الْمَجَازِ بِأَسَاطِيلِهِ ، وَكَأَنَّ كَلِمَةَ الْحَقِّ  
 بِأَبَاطِيلِهِ ، وَرَمَى الْجَزِيرَةَ الْأَنْدَلُسِيَّةَ بِشُؤْبِ يَوْسُفَ ثَمَرِهِ ، وَصَيَّرَهَا فَرِيْسَةً بَيْنَ غُرَبَانَ بَحْرِهِ  
 وَعِيقَانَ بَرِّهِ ، فَلَمْ يَخْلُصْ إِلَى الْمَسْلَمِينَ مِنْ إِخْوَانِهِمْ مَرْفَقَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَطَرِ الشَّدِيدِ ،  
 وَالْإِفْلَاتِ مِنْ يَدِ الْعُدُوِّ الْعَنِيدِ ، مَعَ تَوْفُرِ الْعِزَامِ - وَاحْتَدَى اللَّهُ - عَلَى الْعَمَلِ الْحَمِيدِ ،  
 وَالسَّعْيِ فِيمَا يَعُودُ عَلَى الدِّينِ بِالْتَّائِيدِ .

وَبِنَا شَفَقْتُنَا عَلَى جَبَلِ الْفَتْحِ نُقِيمَ وَنُقِيدَ ، وَكَتَبَ الْأَعْدَاءُ عَلَيْهِ مِيرِقَ وَرِيْدَ ،  
 وَالْيَأْسَ وَالرَّجَاءَ خَصَمَانِ هَذَا يَقْرَبُ وَهَذَا يُبْعِدُ ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا الْبَشِيرُ بِأَنْفِرَاجِ  
 الْأَزْمَةِ ، وَحَلَّ تِلْكَ الْعَزْمَةَ ، وَمَوْتِ شَاةِ تِلْكَ الرُّقْعَةَ ، وَإِبْقَاءِ اللَّهِ عَلَى تِلْكَ الْبُقْعَةَ ،  
 وَأَنَّهُ سَبَّحَانَهُ أَخَذَ الطَّاعِيَةَ أَكْمَلَ مَا كَانَ آغْتَرَارًا ، وَأَعْظَمَ أَنْصَارًا ، وَزَلَزَلَ أَرْضَ  
 عِزِّهِ وَقَدْ أَصَابَتْ قَرَارًا ، وَأَنْ شِهَابَ سَمَدِهِ أَصْبَحَ آفِلًا ، وَعَلَّمَ كِبَرَهُ آفَاقَ  
 سَائِلًا ، وَأَنْ مِنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَرَفَهُ بِحَتْفِهِ ، وَأَهْلَكَ  
 بَرْغَمَ أَنْفِهِ ، وَأَنْ حَمَلْتَهُ عَاجِلَهَا التُّبَابُ وَالتَّبَارُ ، وَعَاسَتْ فِي مَنَازِلِهِ النَّارُ ، وَتَمَخَّصَ  
 عَنْ سُوءِ عَاقِبَتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ ، وَأَنْ حَمَاتَهَا يُخْرِبُونَ بِيَوْمِهِمْ بِأَيْدِيهِمْ ، وَبُنَادَى بِسُنَاتِ  
 الشَّمَلِ لِسَانُ مُنَادِيهِمْ ، وَتَلَاوَحَى بِنَا الْفُرْسَانُ مِنْ جَبَلِ الْفَتْحِ : الْمَقْعَلِ الَّذِي عَلَيْهِ مِنْ  
 عِنَايَةِ اللَّهِ رِوَاقِ مَضْرُوبِ ، وَالرِّبَاطِ الَّذِي مَنْ حَارَبَهُ فَهُوَ الْمُخْرُوبُ ، فَأَخْبَرَتْ بِأَنْفِرَاجِ  
 الضَّمِيْقِ ، وَارْتِفَاعِ الْعَاقِقِ لَهَا عَنِ الطَّرِيقِ ، وَبُرِّهِ الدَّاءِ الَّذِي أَسْرَقَ بِالرِّيقِ . وَأَنْ

النصارى دمرهم الله جدت في ارتعاضها ، وأسرعته بجمفة طاعتها إلى سوء مآلها ،  
 وسمحت [للسبب] والنهب والنار بأسلحتها وأموالها ، فبهرة هذا الصنع الإلهي الذي مهد  
 الأقطار بعد رجفاتها ، وأنام العيون بعد مهاد أوجفاتها ، وسألنا الله أن يعيننا على شكر  
 هذه النعمة التي إن سلطت علينا قوتى البشر فضاحتها ورجحتنا ، أو قيست بالنعيم  
 فضلتها ، ورأينا سر اللطائف الخفية كيف سرية في الوجود ، وشاهدنا بالبيان  
 أنوار اللطف الإلهي والجلود ، وقلنا إنما هو الفتح الأول شيع بشان ، وقواعد الدين  
 الحنيف أيدت من صنع الله بيان .

اللهم لك الحمد على نعمك الباطنة والظاهرة ، ومينك الوافرة ، أنت ولينا  
 في الدنيا والآخرة ، وأمرنا لمن فقلدت لبات المناير بهذا الخبر . وجلت  
 في جماعات المسلمين وجود هذا الفتح الرائق بالقرآن ، وعجلنا تعريفكم به ساعة  
 استجلالته ، وتحقق أنبائه ، وتسحبوا له أثواب الجذل ضافيه ، وتردوا به موارد الأمل  
 صافيه ، فإنا هو سر الله شيل أنفسكم وحريمكم . وأمانه كفل ظاعتكم ومقيمكم ؛  
 فقرطوا به الأذان [ وبتشروا به الإمامة والأذان ] وتمنوا بالعيش في ظلّه ، وواظبوا  
 حمد الله وفي الخمد وأحمله ، وأذنبوا فوق أعواد المتأخر من خطابه راية ميمونة  
 الطائر ، وأجعلوا هذه الإشارة سجلاً في فرقان البشائر ؛ فشكر الله سبحانه يستدعي  
 المزيد من نعمة ، ويضمن اتصال كرمه ، وعزفوا بذلك من بليكم من الرعية ليأخذ  
 مثل أخذكم ، ويتحفظ هذا الأمر بمنزل خطكم ؛ تحقيق عليكم أن تسيّدوا بهذا  
 الخبر في الحاضر والباد ، وتجمعوا يوم عاشوراء الذي تجلّى فيه هذا الصنع ثالث  
 الأعياد ، والله سبحانه يجعله لسرات عذوانا ، ويطلع علينا وعليكم وجود صنعه غراً  
 حسناً ، والسلام الكريم بخصمكم ورحمة الله وبركاته .

## الأسلوب الثالث

( أن تفتتح المكاتبة بلفظ «أما بعد» )

والرسم فيه أن يقال أما بعد حمد الله ، أو أما بعد فالحمد لله ، ويؤتى بخطبة . ثم يقال : فإننا كتبناه إليكم من موضع كذا كتب الله لكم كذا وكذا ، ثم يتخلص إلى المقصود ويؤتى عليه إلى آخره ، ويختتم بالدعاء ثم بالسلام .

كما كتب ابن الخطيب عن ابن الأحرر من الأندلس .

(١) أما بعد حمد الله بحسن العواقب ، ومحمد المنائب ؛ ومعلمي المراقي في درج عليّة المراقب ، ومسخر النجم الثاقب ، في الفسق الواقب ، والكفيل بالحسنى للتوكل عليه المراقب ، ناسخ التخصيص ، بالعباية والتخصيص ، لتظهر حكمة المشيب والمعاقب . والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله الماسح الحاشير العاقب ، ذى القدر المسامح للزهر المصاقب .

والرضا عن آله الذين كأثوا في سما ، ملته لهداية أمته كالشهب التواقب ؛ فإننا كتبناه إليكم - كتب الله لكم توالي المواهب ، ووضوح المذاهب ؛ ووقوف الدهر لديكم موقوف الثائب من القدرح الثائب ؛ ووالى لديكم مفاخرة الكتب المهتمة بفتوح الكتاب - من حراء غرناطة - حرسها الله - وفضل الله بتعرف صنعه لكم هامي السحاب ، وكفيل بذي الرغائب ؛ والسرور بما سناه الله لكم من استقامة أحوالكم شأن الشاهد والغائب ، والرائح والآتب .

والحمد لله على ما توالى من الألفاظ والعجائب . وقد وصل كتابكم الذي أكد السرور وأصله ، وأجمل مقتضى البشرى وفصله ، ونظم خبر الفتح ووصله ؛ وراش سهم

(١) في الرحمة في "درج عنايته والمراقب" .

السعادة والسداد، والعناية والإمداد، ونصّله، وأحرز حظّ السعادة وحصله، تعرفون ما أفتح لكم اللطيف الخبير، والربُّ النصير، من الصنع الذي آتسق نظامه، والنصير الذي سنّت في أمّ الكتاب أحكامه، والعز الذي خفقت أعلامه، والتوفيق الذي قرطست الغرض سباهه، وأنكم من بعد الكائنة التي راشت لطف الله بها وجبر، وأحسن الخير وأدال الخير، وجعل العاقبة الحسنى لمن صبر، جهزتم الجيوش المختارة، والعساكر الجرّارة، يقودها الخلفاء من الوزراء، ولتقدم رأيتها ميامن الآراء، فكتب الله ثبات أقدامها، وتوثق نصر أعلامها، ولم يكن إلا أن حمى وطيس الزوال، ورجفت الأرض لمول الزوال، وتوطيت كسوف الآجال، في ضحك المجال، ودجا القتام، وتوهم مع فضل الله الأعتنام، وعبس الوجه العباس وصحك النصل البسام، وأورد الخليل موارد الطعام الإقدام، فكان لحزبكم الظهور الذي حكم المهتدة في الرقاب، والسمر الطوال في الثغرم في الأعتاب، وبشرت برؤية هلال الفتح عيون الأرتقاب، وحط عن وجه الصنع الجميل مازان من الثقاب، وأن من بنى عليكم حسب ما فزرتم، وعلى نحو ما أجهتم، وفزرتم، من شيوخ الغرب الخليل، ووجوه الخدم المتعمية إلى حسن العهد المنتب، تحصل في حكم استرقاقكم، ونحت شدّ وثاقكم، وربما أسفر المكروه عن المحبوب، وأجلى المهروب عن المرغوب، والله مقلب القلوب، وشمتكم في آتلاف النافر، والأخذ من فضل العفو بالحظ الوافر، كفيل لكم بالصنيع السافر، والله يحكمكم على ما فيه رضاه، ويخبركم فيما قضاه.

فسيرنا بما أتصل لكم من الصنع وأطرده، ورحبنا بهذا الوارد الكريم الذي ورد، وشكرنا فضلكم في التعريف بخبره المودود، والشرح لمقامه المحمود، وكتبنا نهنكم به هناء مشفوعاً، وبالثناء لكم متبوعاً، والله يطلع من توالي مسرتكم على ما يبسط

الآمال ، وَيُنَجِّجُ الْأَعْمَالَ ، وَيَقْسَعُ فِي السَّعْدِ الْمَجَال . والذي عندنا من وُدِّكُمْ أَعْظَمُ  
 من آسْتِيفَائِهِ بِالْمَقَال ، أَوْ نَهْوِصِ الرِّبَاحِ بوظائفه الثَّمَال ، يَعْلَمُ ذَلِكَ عَالِمُ الْخَفِيَّاتِ ،  
 وَالْمَجَازِي بِالنِّيَّاتِ ، سَبِحَانَهُ . وَاللهُ يَصِلُ سَعْدَكُمْ ، وَيَحْرُسُ مَجْدَكُمْ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ  
 وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتِهِ .

### الطَّرْفُ الثَّانِي عَشَرَ

( فِي الْكُتُبِ الصَّادِرَةِ عَنْ وُزَرَاءِ الْخُلَفَاءِ الْمُتَّفَعِّدِينَ أُمُورَ الْخِلَافَةِ  
 الْأَلَاَحِقِينَ بِسَأْلِ الْمُلُوكِ ، وَفِيهِ جَمَلَتَانِ )

### الْجُمْلَةُ الْأُولَى

( فِي الْكُتُبِ الصَّادِرَةِ عَنْ وُزَرَاءِ خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ بِبَغْدَادِ  
 وَوُزَرَاءِ مَلُوكِهَا يَوْمَئِذٍ )

أَمَّا وُزَرَاءُ إِقْطَاعَاتِهَا ، فَقَدْ ذَكَرَ أَبُو جَعْفَرِ النَّحَّاسُ فِي «صِنَاعَةِ الْكُتَّابِ» أَنَّ الْمَكْتَابَةَ  
 مِنَ الْوُزَرَاءِ إِلَى الْخَلِيفَةِ فِي زَمَانِهِ كَانَتْ : « أَطَالَ اللهُ بَقَاءَهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَعَزَّهُ وَأَيْدَهُ  
 وَأَتَمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْهِ ، وَأَدَامَ كِرَامَتَهُ لَهُ » .

قَالَ ابْنُ حَاجِبِ النِّعْمَانِ فِي «ذَخِيرَةِ الْكُتَّابِ» : وَإِنْ كَانَتْ الْمَكْتَابَةُ مِنَ الْوُزَرَاءِ  
 إِلَى مَنْ دُونَهُ فِدَاعَاؤُهُ لَهُ : « أَطَالَ اللهُ بَقَاءَكَ وَأَدَامَ تَأْيِيدَكَ وَتَمَهَيْدَكَ وَكَرَامَتَكَ » .  
 وَدُونَهُ « أَطَالَ اللهُ بَقَاءَكَ وَأَدَامَ عِزَّكَ وَحِرَاسَتَكَ » . قَالَ : وَعَلَى مَقْدَارِ الْمَكْتَابِ  
 يَكُونُ الدِّعَاءُ . وَأَقْسَامُهُ كَثِيرَةٌ . ثُمَّ ذَكَرَ الْأَدْعِيَةَ الْعَامَّةَ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى التَّرْتِيبِ ، فَقَالَ :  
 إِنْ أَعْلَاهَا يَوْمَئِذٍ « أَطَالَ اللهُ بَقَاءَهُ وَأَدَامَ تَمَكِّيَنَهُ وَرَفَعْتَهُ وَبَسَطْتَهُ وَعُلَّوَهُ وَسَمَّوَهُ ،  
 وَكَبَّتْ أَعْدَاءَهُ وَحَسَدَتَهُ » . وَدُونَهُ « أَطَالَ اللهُ بَقَاءَهُ ، وَأَدَامَ تَمَكِّيَنَهُ وَارْتَفَاقَهُ ، وَرَفَعْتَهُ



وسناه ، وتمهيدته وكبت أعداءه . ودونه « أطل الله بقاءه وأدام تأييده ونعماءه وكبت أعداءه » . ودونه « أطل الله بقاءه وأدام تأييده وحرس حوَّباه<sup>(١)</sup> » . ودونه « أطل الله بقاءه وأدام تأييده ونعماءه » . ودونه « أطل الله بقاءه وأدام عزَّه » . ودونه « أطل الله بقاءه وأدام توفيقه وتسديده » . ودونه « أطل الله بقاءه وأدام سدادته وإرشاده » . ودونه « أطل الله بقاءه وأدام حراسته » . ودونه « أدام الله تأييده وتمهيدته » . ودونه « أدام الله توفيقه وتسديده » . ودونه « أدام الله عزَّه وسناه » . ودونه « أدام الله عزَّه » . ودونه « أدام الله حراسته » . ودونه « أدام الله كرامته » . ودونه « أدام الله سلامته » . ودونه « أدام الله رعايته » . ودونه « أدام الله كفايته » . ودونه « أبقاه الله » . ودونه « حفَّظه الله » ودونه « أعزَّه الله » . ودونه « أيَّده الله » . ودونه « حرسه الله » . ودونه « أكرمه الله » ودونه « وقَّته الله » . ودونه « سلَّمه الله » . ودونه « رعاه الله » . ودونه « عفاه الله » .

ثم المكتوبات الصادرة عنهم على أسلوبيين :

### الأسلوب الأول

( أن تُفتح المكتوبة بلفظ «ككائي» )

والرسم فيه أن يقال ككائي - أطل الله بقاء سيدي ، أو بقاء مولانا - والأمر على ككنا وككا ، ومولانا أمير المؤمنين . أو وإحباب الأشراف ونحو ذلك على حال ككبا ، ثم يتخلص إلى المقصد بعد ذلك بما ينتضيه النقام ويحتم بقوله ورأى حضرة سيدنا أعلى .

(١) في القاموس الغرابة النفس .

كما كتب بعض الكُتَّاب عن الوزير قوام الدين بن صدقة إلى بعض وُزراء ملوك زمانه في معنى أمير مكة المشرفة ، وما كان بينه وبين أمير الحاج في بعض السنين ما صورته :

كاتبى — أطال الله بقاء حضرة سيدنا - وموَاهِبُ اللهُ سبحانه في أمر مولانا أمير المؤمنين جاريةً على الإرادة ، مقابلةً بالشكر المؤذنين لها بالدوام والزيادة ؛ والحمد لله رب العالمين . وقد نتابعت المكتاتبات في أمر النوبة المنكية نتابعا علمه السامى به مُحِيط ، والعُدْرُ في الإضجار بها مع إتمام النظر بسببها مَبْسُوط ، وبعد ما صدر آتفا في المعنى المذكور وصل كتاب زعيم مكة بما نفذ على جهته يُعَلِّمُ منه ومما لاريب أنه أصدره إلى الديوان العالى السلطانى - أعلاه الله - حقائق الأحوال بغير شك : أنه قد أتضح تفریط من قَرَطَ في هذه النوبة وتَجَلَّ ، وتحقق المثل السائر « رَبُّ وائيق تَجَلَّ » وأسبابُ مِمْرة الهوى الذى مازال يَجْحُجُّ براكبه ، ويُرِيه سُوءَ عواقبه ؛ وعلم أنه لم يُحِطْ فيما شرع فيه ، واستمرت على الخطأ أواخره ومبادئه ، إلا بوعد أُخْلِيف ، ومالٍ أُتِلَفَ ؛ وخطيرٍ أَرْتَكِبَ ، وصوابٍ تُسَكَّبَ ؛ وحزمٍ أُضِيعَ ، وهوىٍ أُطِيعَ ؛ حتى كان قُصَّاراه دَفَعَ الالامة عنه ، فإنه أوصل التجميع إلى مقصودهم وأعادهم ، وأحسن التواصُلَ حتى أدركوا من أداء الفريضة مُرَادَهُمْ ؛ وهل أعترض دُونَ هذا الأمر مانع ، أو كان عنه دافع ؟ لولا ما صورته من الأسباب التى أفسد بها الأمور ، وأوغر بمكايها الصدور ؛ وكفل بعد ما قرره من ذلك ومهده ؛ ما عكسه سَفَهُ الرأى عليه ، وأبعده العجز عن الوصول إليه ؛ وأى عذر في هذا المقام يُسْتَمَعُ ؟ أم أى لائمة عنه تُدْفِعُ ؟ وقد جرت الحال على ما علم ، وتحدثت بانحراق حجاب الهيبية كل لسانٍ ناطقٍ وقَمَ ؛ ووقع الاتفاق من كافة الحاج على أن تَمْسُكَ نائب مكة بطلب الرضا ، وتكفيل خصمه باستدراك ما تَلَفَ من التفریط في معاشه ومعنى ؛

ونظرة في العاقبة التي ينظر فيها ذوو الألباب، وعمله بما أصدره الديوان العزيز من  
مكاتبة أمر فيها بالطاعة وخطاب به هو الذي لأم التوبة وشعبها، وسهل عسيرها  
ومستصعبها؛ ولو أفقرت إلى سعي أمير الحاج واجتهاده، وإبراقه بسكره وإرعاده؛  
نكان الحج ممثنا والخطر العظيم متوقعا؛ ولم يحصل الوفاء إلا على التفرير بالنفوس،  
والجود منها بكل مضمون به متفوس؛ ثم عرب الطريق الذي مازال أمير الحاج  
في حقهم خاطبا؛ وإي كرامهم بالقول المتكرر طالبا؛ وجاعلا ماعله يتأخر من رسم  
أحدهم من دواعي الخطر في سلوك [الطريق] المرديه، وموجبات الفساد  
في المناهل والأودية. يتلو من النهب والأجتياح، والأذى العائد على فاعله بالافتراق  
العظيم الوزر والأجتراح؛ بما يؤلم شجاعة القلوب ويحرقها، ويبيك الميون ويؤرقها؛  
ولقد انتهى أن المسكر المنفذ أمامه كان يتنقل في حضاب البرية وغيظانها، وينقب  
عن منازل العرب وأوطانها؛ فيستقرى أحياءهم حيا حيا، ويتخلل الفجاج فجأ فجأ؛  
فاذا شارفوا قبيلة منهم طلب النجاة منهم بالحشاشات رجالها، وأسلمت إليهم نسائها  
وأطفالها وأموالها؛ فينتحكون في ذلك تحك من استحل موقعه في إباحة محارم الله  
ومقتله، وأمن مكره الخائني بالظالمين وانتقامه؛ ويستيدحون حريم كل برى، غافل لم  
يقارف ذنبا، وطائع لا يستحق غارة ولا نهبها؛ فأين كان [من] النظر عند هذا الفعل  
في حفظ عرب الطريق؟ وكيف عزب عنه في هذا الرأي منهج التوفيق؟ وهل  
تصور التهمة بكل قبائل العرب عن إفساد الآبار والمصانع؟ والعيب بكل مستطاع  
في المناهل والمسارح؛ خاصة إذا علموا أن الذي ظلمهم، وأباح حرمهم؛ هو السالك  
للطريق أتقا، والتمسك فيهم من معاودة الأذى الذي أضحي كل به عارفا، وأستدراك  
الغارط في هذا الأمر الميهم متعين، ووجه الرأي فيه واضح متبين؛ والإشارة في كتاب  
زعيم مكة، إلى ما جرى من المعاهدة وأستقرت القاعدة عليه [من] إعادة ارتفاعه المأخوذ

ورسومِهِ عَلَى النِّقَامِ وَالكَفَالِ إِلَيْهِ ، أَدُلُّ الْأَدْلَةَ عَلَى بَعْدِ النُّوبَةِ مِنَ الْإِتْنَامِ ، وَدُخُولِ  
 الْخَطَلِ عَلَيْهَا وَأَحْتِمَالِ النَّظَامِ ؛ وَتَعَدُّرُ الْحَجِّ فِي الْمُسْتَقْبَلِ ، عَلَى أَنْ مَنْ أَنْسَدَهَا ، لَمْ  
 يَتَأَمَّلْ لِنَفْسِهِ طَرِيقَ الصَّدْرِ حِينَ أَوْرَدَهَا ؛ وَالْأَلْمِيعَةُ السَّامِيَةُ الْمُعْرَبِيَّةُ حَرَسَ اللَّهُ عِزَّهَا  
 وَاللَّاحِظَةُ بِيَدَيْهَا الْعَوَاقِبَ ، الْمُسْتَشْفَعَةُ سِرَائِرُهَا بِالرَّأْيِ النَّاقِبِ ؛ أَهْدَى إِلَى تَدْيِيرِهَا بِمَا  
 يَسْتَدْرِكُ الْفَارِطَ ، وَيَنْتَلِفِي عَاطِطُ الْغَالِطِ ؛ وَيَعِيدُ الْأَحْوَالَ إِلَى جَدِّدِ الصَّلَاحِ وَسَدِّهِ ،  
 وَيُجْرِيهَا عَلَى أَجْمَلِ قَانُونٍ مَالُوفٍ وَأَحْسَنِهِ ؛ وَمَا أَوْلَاهُ بِالْتَّقْدِيمِ فِي هَذَا الْمِهْمِ الَّذِي  
 لَا أَحَقُّ مِنْهُ بِالْإِهْتِمَامِ ، وَالْحَدِّ الصَّادِقِ النَّامِ ؛ بِمَا تَطْمِئِنُّ بِهِ النُّفُوسُ إِلَى صِلَاحِهِ  
 وَأَنْتِظَامِهِ ، وَأَرْتَفَاعِ كُلِّ مَخْشَى مِنْ الْخِلَالِ الدَّاخِلِ عَلَيْهِ وَأَنْحِيسَامِهِ ؛ وَالْإِعْلَامِ فِي الْجَوَابِ  
 بِمَا يَقَعُ السُّكُونُ إِلَى مَعْرِفَتِهِ ، وَيَحْصُلُ الْأَنْسُ وَالشُّكْرُ فِي مَقَابِلَتِهِ ؛ وَرَأْيُ حَضْرَةِ  
 سَيِّدِنَا أَعْلَى إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

## الأسلوب الثاني

( أن تفتتح المكاتبة بلفظ الإصدار )

مثل أن يقال : أُصْدِرْتُ هَذِهِ الْمَكَاتِبَةَ ، أَوْ هَذِهِ الْجُمْلَةَ ، وَالْأَمْرُ عَلَى كَذَا وَكَذَا ،  
 بَعْدَ أَنْ يُدْعَى لِلْكَتُوبِ إِلَيْهِ بَعْدَ لَفْظِ الْإِصْدَارِ ؛ ثُمَّ يَتَخَلَّصُ إِلَى الْمَقْصُودِ بِمَا يَلِيقُ  
 بِالْمَقَامِ ، وَيُؤَيِّقُ عَلَى الْقَصْدِ إِلَى آخِرِهِ ، وَيَحْتَمُّ بِقَوْلِهِ : وَرَأْيُ حَضْرَةِ سَيِّدِنَا أَعْلَى .  
 كَمَا كَتَبَ عَنِ الْوَزِيرِ قَوَامِ الدِّينِ بْنِ صَدَقَةَ أَيْضًا إِلَى مَلِكِ سَمَرْقَنْدٍ جَوَابًا عَنْ كِتَابِ  
 وَصَلَ مِنْهُ إِلَيْهِ :

أُصْدِرْتُ هَذِهِ الْجُمْلَةَ - أَطَالَ اللَّهُ بِقَاءِ حَضْرَةِ مَوْلَانَا - وَمَوَاهِبُ اللَّهِ سَيِّحَانَهُ  
 فِي الْجَنَابِ الْأَشْرَفِ - لَازَلْتُ مَطَالِعُ سُعُودِهِ مُسْبِرِهِ ، وَأَعْوَادُ عِلَالَتِهِ مُورِقَةٌ

(١) تارة يعبر بالجملة وتارة بالخدمة .

يُضِيرُهُ - آهْلَةُ الرَّبُوعِ ، عَذْبَةُ الْيَبُوعِ ، قَارَةٌ لَا يَطْعُنُ رُكْبَهَا ، دَائِرَةٌ لَا يَمُرُّ حَلْبُهَا ،  
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

ووصل كتابه أدام الله علوه الصادر على يد الشيخ الأجل العالم أبي الحسن بن عليك  
ووقفت عليه وعرفت حواه . وتضاعف الشكر لله سبحانه بما حواه من أطراد  
الأموار والآفاق . وطلوع شمس النجح في سماء مباحيه وإشراقها . وأحدث آياتها  
بوروده متوقفا . واعتباطا بما أولاه جلّت آلاؤه من صنعه الذي أصبح ذنب الأيام  
معه مختفرا . وعرضت خدمته المقترنة به على مجالس العرض الشريفة قدسها الله  
مشفوعة بذكر ما لبيته الكريم وسلفه الزاكي الأرومة من المنابر التي أضحى بها  
في الفخر علما . وعلى ناصية المجد محتويا محتكما . في ضمن إيضاح المحاسن التي أصبح  
أيد الله سموه بها . وتجرّدا . ولجناد الحماد بحسبها مقلّدا . والمواقف في الطاعة الإمامية  
التي أصبحت غرّة في جبهة الزمان . ولم يسع في مثلها غيره قدّمان . وانتهت في تمكين  
القواعد وتوطيدها . وتأكيده الأحوال وتمهيدها . والتجرّد في تحصيل الأرب .  
وتيسير المطالب . إلى ما يوجبه الودّ المنخسف الأمراس . والمصانفة الخالصة من  
الشوائب والأدناس . فأنست في مقابلة ذلك من الإنصات إلى ما أوردته مما يبيّن عن  
نطف مكاتبه بالموقف الأشرف ويعرب . ويصفو مورد النخار بثله ويعذب .  
وجدد من الشريف والزيادة فيه ما يوفى على الذي تقدمه قدرا . ويحلّ طوقه عن  
أن يرضى عمرا . وسبق ذلك بتنفيذ التثريقات لولده أيد الله علوه والمطبخين  
بحضرته . والملائنين بحوزته . وأبدانهم بالإحسان والإنعام . والشكرمة الموفية على  
المرام . إجابا لشانه . وإبانة عن محله من الآراء الشريفة ومكانه . وإشارة لإعظام  
أمره . وإعلاء قدره . ليعلّم - أيد الله علوه - مكان التجرد في هذه الحال . وصدق

السعي الذي أقرت ثغوره عن تضح الآمال ، وأرجوان بصادف حسن المقام في ذلك عنده موقعه ، وبلقي لديه آعترافاً يوافق مرآه سمعه .

فاما الإشارة إلى المشار إليه في التوزع لتلك الهنات الجارية ، التي مازالت الأيام بتلها جانيه ، والأستبشار بزوال ما عرّض وأصمحلله ، وعود الرأي الأشرف إلى أكمل أحواله ، وقد عرّفها بزید الاعتداد والشكر قائمها ، ولم يكن الذي جرى مما يسّعب فكرا ، أو يتوزع سراً ، فإن الاعتداد الأشرف كان بحمد الله محفوظا ، والأجتهاد في الخدمة بعين الاعتراف والرضا ملحوظا ، لم تحله حال متجدده ، ولا رتعت الحوادث مورده ، وما زالت ثغور الأيام في كل وقت عن الزيادة باسمه ، وتحميه بتجمع اشتطاط الآمال ساحمه ، والمنسوب لتحمل المشال وما يقترن به من التشريف فلان ، وهو من أعيان العلماء ، ومن له في ميدان السبق شأؤ القراء ؛ وله في الدار العزیزة مجدها الله الخدمة الوافيه ، والمكانة الوافره ، وما زالت مذاهبه في خدمه حميده ، ومقاصده على تقلب الحالات مرضية سديده ؛ وجدير بتلك الألمعية الثاقبة أن تتلقى ما يورده بالإصفاء ، وتقابل النعم المسداة إليه بالشكر الماطر الأنواء ؛ وتوقظ ناظر أهتامه للنهوض بأعباء الخدمة الإماميه ، وحيازة المراضى المكترمة النبويه ، وتنهى عزيمتها فيما يكون بالإحماذ الأشرف تحظيا ، ولأمثال هذا العرف المصنوع مستدعيا ؛ ولرأي حضرة سيدنا في ذلك علو رأي إن شاء الله تعالى .

### الجملة الثانية

( في الكتب الصادرة عن وزراء خلفاء الفاطميين بالديار المصرية )

فقد ذكر علي بن خلف من كتاب دولتهم في كتابه "مواد البيان" أنه إذا كانت المكتبة من الوزير إلى من دونه ، تكون بغير تصدير ، إلا أن الخطاب فيها يجب أن يلقى على أقدار مخاطبين في مراتبهم في الدولة ، ولم يرد على ذلك .

والذى وقنت عليه منه أسلوبٌ واحد؛ وهو أن يفتتح الكتاب بلفظ «كاتبنا والأمر على كذا» ويتعرض فيه لذكر حال الخلافة والخليفة؛ ثم يتخلص إلى المقصود بما يقتضيه الحال، ويؤتى عليه إلى آخره، ويختم بالثناء.

كما كتب القاضي الفاضل عن بعض وزراء العاضد: آخر خلفائهم إلى بعض الملوك ماصورته:

كاتبنا - أطال الله بقاء الملك - عن مودة ظاهرة الأسباب، متظاهرة الانساب، ضافية جلاب الشباب، وعوائد عوارف لا يتنكر معروفها، ووفود فوائد لا يتصدع ناليفها. ومساعي مساعد لا ينقص معروفها ولا ينقص مسوفاها، وسعادة بالخلافة التي علق إليه أمرها وأوضح سرها، وملا سرائها وسريها، وأطلع شمسها وقمرها. بولانا وسيدنا أمير المؤمنين توالي ميامنها، وتلا لأحاسنها، وتشرّف درجاتها، وتضاعف سعادتها، والكلمة قائمة على أصولها، وأمر الخلق جارية على ما هوها، ونظام الإسلام بسياستها لا يبي، وسياقة الدوام في سعادتها لا تنهي، والله الموزع شكر هذه المنن، المستور في الإنهاض لما تهضت فيه التبة وقصرت عنه المنن؛ ولم نزل - أدام الله إقبال الملك المعظم - معظمين لأمره. عارفين ببل قدره وجليل نغره، مشيدين بحيل ذكوره وجزيل نصره، مبيدين لما تنهائى الألسن من مستطاب نشره، قارئين من صفحات الأيام ما أمدها به من بشره، غير مستيمين لذكر اسمه الكريم إلا بصيامه وشكره، مؤردين مما هو يبلغه من بارع ضرائبه بالمقامات الشريفة من آثار سلفه وما ترحم. وما أثور مكارمهم ومفاحرهم. وأستناد المكومات إلى أولهم وأرحمهم، ومشهور ذبهم عن الملة، ودفاعهم عن أهل القبلة، وسدادهم في الأمور، وسدادهم الثغور، وسيادتهم الجمهور، وأستقلالهم بالمشقات المتقدمة، وإحسادهم بيران الخطوب المضطرمه، وكفهم سيول السيوف العرمة، ومواليتهم أمور الدولة

العلوية التي اشتهر بها منهم الأكاير ، وورثها كابر عن كابر ، وحافظوا منها على سيرة معروف لا ينسخ ، وعقد صفاء لا يفسخ ؛ وسريرة صدق تستقر في الضائر وترسخ ، وتنويعها غرة في جباه السبق وتسدح ، وتستهدى عند إيراد هذا الذكر العطر ، والثناء المشتهر ، من الدعوات الشريفة العاضدية المعسودة بالنجح ، المتوصحة عن مثل فلق الصبح ، ما يهمل لمساويه باليأمن المستباه . ولمريمه بالإصابة المتصلة ، بينه وبين هذه الدولة العاليه ، والخلافة الحاليه ، بكتاب منه تهجتا فيه طريقها اللاحب ، وأستدعينا به إجابته التي تثنأ بالمراحب ، وأعلمناه أن تهادى الأيام دون المراسلة وتطاولها ، وتثقل الأحوال والدول وتناقلها ، لا يزيد مودته إلا أستحكام معاقده ، وأنتظام عقائده ، ووفاء مواعيد ، وصفاء موارد ، وأنه لاتباعد بين القلوب بغرض المرمي المتباعد ، ولا تفرق المسافات القواصي ما بين النيات القواصد . فلما تأخرت الإجابة ، تقدمت الإسترابه ، وتناجت الظنون المعتلجة ، وتراجعت الآراء المتخالجه ، بأن الرسول عاقبه دون المقصود عوائق ، وتقسمت من الأحداث دون الطريق طرائق ، فلم ترد المكاتبه إلى جنابه ، ولا أسمد السعي بطروق جنابه ، الذي تال السعادة ونجى به ، وإلا فلو أنه أم له ، بلع ما أمله ، ولو وصله ، لأجاب عما أوصله ، لأن مكارم خلافته تبعث على التبرع بالمستوفى فكيف بقضاء المقروض ، وشرائف طرائقه تأبى للحقوق الواجبه أن تقف لديه وقف المطرح المرغوض . بخددها هذه المكاتبه مشتملة على ذلك المراد ، وقاوضناه بما يعيره الإصفاء ، ويحببه الإلغاء ، ويحسن له الإنصات ، ولا يحتاج فيه إلى الوصا . ورثنا أن يكتمه حتى عن لسانه ، وأن يطويه حتى عن جنانه ، وأن يمسك بالأمر النبوي في أستعانه على أمره بكتمانه ، فن حسن الحزم سوء الظن ، وهل لأرباب الأسرار فرج إلا مادامت في السجن ، وقد أستلزمنا المرثين لما أستعظمنا الرهن ، وفوضنا إلى من لا يعترينا فيه الوهم ولا منه الوهن ،



ونحن نَحْبِبُهَا بِمَا يُعَلِّمُ بِهِ حَسَنَ مَوْجِعِ رِسَالَةِ الْأَمْسْتِرَسَالِ ، وَبِمَا يَبَيِّنُ بِهِ عَنْ دَلَالَةِ الْإِدْلَالِ ، وَبِمَا يَرْحَبُ بِمُودَتِهِ بِمَجَالِ الْجَمَالِ ؛ وَاللَّهُ سَيَحْتَنِيهِ يُؤَيِّدُ الْمَلِكَ بِنَصْرِهُ سَتُخَدِّمُ لَهُ الْأَقْدَارَ ، وَسَعَادَةَ لَا تُتَصَرَّفُ فِي تَصْرِيفِهَا أَحْكَامُ الْفَلَكَ الْمُنْدَارِ . وَإِقْبَالُ يُقَابِلُ آرَاءَهُ وَأَدَابَهُ فِي فَاتِحَةِ الْوَرْدِ وَعَاقِبَةِ الْإِصْدَارِ . وَعِزٌّ لَا يَزَالُ مِنْهُ مُتَوَقِّلاً فِي دَرَجَاتِ الْأَقْتِدَارِ .  
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

### الطرف الثالث عشر

(فالمكاتبات الصادرة عن الأتباع ، إلى الملوك ومن في معناهم ؛  
وفيه ثلاث جمل)

#### الجملة الأولى

( في المكاتبات الصادرة عن أتباع ملوك الشرق إليهم  
في الزمن المتقدم ، وهي على أسلوبين )

#### الأسلوب الأول

( أن تفتتح المكاتبه بلفظ : « كذا » )

ويدعى للمكاتب <sup>١</sup> ... كذا وكذا ، ويختص إلى المقصود بما تقتضيه الحال ، ويخاطبُ الساطن في أثناء الكتاب بمولانا أو بمولانا الملك ، ويعبر المكاتب عنه عن نفسه بثناء المتكلم ولفظ الإفراد ، ويحتم بقوله : فإن رأى أن يفعل كذا فعل إن شاء الله تعالى . ويدعى للمكاتب إليه بطول البقاء مع التعرض لذكر الخليفة في أثناء الكتاب .

(١) في الاصل محو دونه و يدعى المكاتب فيه ثم يقان بالأمر على كذا الخ .

وهذه نسخةُ كتاب من هذا الأسلوب، كتب به أبو إسحاق الصابي عن أبي الفضل الشيرازي: أحمد تُوَّاب بن بُوَيْه إلى عَضُد الدولة بن بُوَيْه، في جواب كتاب وصل منه إليه، يخبره بفتح خُرَاسَانَ وطاعةِ صاحبها، وهو:

كاتبِي - أظال الله بقاءَ مولانا - والأمورُ التي أُخِدمُ فيها جاريةً على السَّداد، مستمرةً على الأقطار؛ والنعمُ في ذلك خَلِيقَةٌ بالتَّمام، مُؤَدَّةٌ بالدوام.

والحمدُ لله حقَّ حمده، وهو المسؤولُ إطالةَ بقاءِ مَوالينا الأُمراء، وحراسةَ ما خُوِّظم من العزِّ والعلاء؛ وأن لا يُخْلِيهم من صَلَاحِ الشان<sup>(١)</sup>، وتُمتو السلطان؛ وظهور الولي، وتُبور العدو.

ووصل كتابُ مولانا [الأمير أظال الله بقاءه] الصادرُ من معسكره المنصور<sup>(٢)</sup> بكازرين، بتاريخ كذا، تُخبرنا بِسْمُولِ السَّلامه، مَبَشِراً بِعُمومِ الإِسْتِقامه؛ موجِباً لشكر مامح الله من فضله وأعطى، مقتضياً [تُسْمِر]<sup>(٣)</sup> ما أسبغ من طَوِّله وأضغى؛ مشروحاً فيه الحالُ فيما كان يجرى من الخِلاف بين مولانا الأمير السيد «ركن الدولة» وبين ولاة خُرَاسَانَ، وجهاده إياهم في حِياطةِ الدِّين، وحمايةِ حَرِيمِ المُسلمين؛ والدعاءِ إلى رضا رب العالمين، وطاعةِ مولانا أمير المؤمنين؛ وتَدَمُّمه مع ذلك من دماء كانت بِاتِّصالِ الحروب تُسْفِكُ، وحُرْماتِ بِاستمرارِ الوقائع تنهك؛ وتغور تُهْمَلُ بعد أن كانت ملحوظه، وحقوقُ تُضَاعُ بعد أن كانت مُحْفَوظه؛ وإنه لما جُدِّدت العزيمة على قصدِ جُرْجانَ ومنازعةِ ظهير الدولة أبي منصور بن وشمكير مولى

(١) في المختارات المطبوعة ص ٩٣ من علو الشان.

(٢) الزيادة من نسخة المختارات المطبوعة والمخطوطة.

(٣) في المختارات «بداورين» وكلتاها من بلاد فارس.

أمير المؤمنين | على تلك الأعمال . ودفعه عما ولاه أمير المؤمنين <sup>(١)</sup> [بوسيلة موالينا الأشراف  
أدام الله تمكينهم منها ومنازعتهم ومجادلتهم فيها ، نهض مولانا [الأمير الحليل عضد الدولة <sup>(٢)</sup>  
إلى كُرمان على اتفاق كان بين مولانا الأمير السيد ركن الدولة وبينه في التوجه إلى  
حدود خراسان . حين عرف القوم الحذر في ردهم ، والتجريد في صدقهم ، وأنه  
لا مطمع لهم في جباية إني طاعة أمير المؤمنين آنسائهم ، وبذمام ساداتنا الأشراف  
اعتصامهم ، اتعظوا ، وترعوا ، وعرجوا ، ورجعوا سالكين أفصد مسالكهم ، متبهجين  
أرشد مناهجهم . معتمدين أعود الأمور على المسامين عموماً وعليهم خصوصاً باجتماع  
السلم ، وأنصال الحبل ، وأمن الشرب ، وعدوية الشرب ، وسكون الدهماء ،  
وشمول النعماء ، نخطبوا الصلح والوصله ، وجتجوا إلى طلب السلم والألفة ، وأن  
مولانا [الأمير عضد الدولة <sup>(٢)</sup> | أثر الأحسن وأختار الأجل : فأجاب إلى المرغوب  
فيه إليه ، وتوسط ما بين الأمير السيد ركن الدولة وبين تلك الجبنة فيه ، وتكفل  
بتقريره وتمهيدته . وتحقق بتوطئته وتشبيده ، وأخرج أبا الحسن عابد بن علي  
إلى خراسان حتى أحكم ذلك وأمره ، وأمضاه وتممه ، يجمع من الشيوخ والصلحاء ،  
ومشهود من القضاة والفقهاء . وأن صاحب خراسان عاد على يد مولانا [الأمير عضد  
الدولة <sup>(٢)</sup> | إني طاعة مولانا أمير المؤمنين ومشايعته ، والإمساك بعلائق ولآئنه وعصمته ،  
وصار ولياً بعد العداوة ، وصديقاً بعد الوحشة ، ومصديقاً بعد العناد ، ومخاطباً بعد  
الإفتراد ، وفهمته . وتأمأت - أيد الله مولانا - ما في ذلك من ضرور النعم المتشعبة ،  
وصوف المنح المتفرعة ، العائدة على الملك بالجمال ، وعلى الرعية بصلاح الحال ؛

(١) الزيادة من نسخة المختارات الخطية .

(٢) الزيادة من المختارات .

الداعية إلى الإلتفاف والأفئاق، المزيلة للخلاف والشقاق، فوجدت النفع بها عظيماً، والحظ فيها جسيماً، وحدثت الله حق حمده عليها، وشكرته أن أجراها على يد أولي الناس بها، وأحفظهم بالمكارم أجمعها، وأن قرب الله بيمنه [ ما كان بعيداً مُعَضِلاً وَيَسَّرَ بِرُكْنِهِ<sup>(١)</sup> ] ما كان ممنوعاً مشكلاً . فأصلح ذات البين بعد فسادها، وأحمد نيوان القين بعد تلهمها وآفئادها، ووافق ما بين نيات القلوب، وطابق بين مخاضل الصدور، وتحننت الضلوع بفتح سميه على التألف، وأنصت الجوانح بيمينون رأيه على التعاطف، وحصل له في ذلك من جزيل الأجر، وجميل الذكر، وجيليل الفخر، وأريج النشر، ما لا تزال الرواة تدرسه، والتواريخ تحوسه، والقرون تسوارته، والأزمان تتداوله، والخاصة تتعلل بفضله، والعامّة تأوي إلى ظله .

فالحمد لله كثيراً، والشكر دائماً على هذه الآلاء المتواترة، والعطايا المتناصرة، والمعانر السامية، والمآثر العالیه، وإياه أسأل أن يعترف مولانا الملك الحيرة فيما آرتاه وأمضاه، والبركة فيما أولاه وأجراه، وأن يهبته نعمه عنده، ويظهر مواهبه لديه، ويسهل عليه أسباب الصلاح، ويفتح أمامه أبواب التجاح، ويعكس إلى طاعته الرقاب الآبية، وبذلك لموافقته النفوس النائية، ولا يعذمه ومواليها الأصرار أجمعين المنزلة التي يرى معها ملوك الأرض قاطبة التعلق بحبلهم أمنا، والإمساك بذقائمهم حصناً، والانتفاء إلى مخالطتهم عزراً، والاعتراء إلى مواصلتهم حرزاً، إنه جل وعز على ذلك قديره، وبإجابة هذا الدعاء جدير .

وقد آجتهدت في القيام بحق هذه النعمة التي تلمنى، وتأدية قرضها الذي يجب على من الإشادة بها والإبانه، والإشاعة والإذاعة، حتى آشهرت في أعماله التي

(١) الزيادة من نسخة المختارات المطبوعة وهي مناسبة .

أتافيا ، وأسئوى خاصتها وعافتها في الوقوف عليها ، وأسرحت صدور الأولياء  
 معها ، وكبت الله الأعداء بها . وأعنددت بالنعمة في المطامعة بها والمكاتبة فيها ،  
 وأضفتها إلى ما سبق من أخواتها وأمثالها . وساف من أترابها وأشكالها ، فإن رأى  
 مولانا الأمير إيلخيل عضد الدولة أن يأمر أعلى الله أمره بإجرائى على أكرم عاداته  
 فيها ، وأعتيادى بموارض أمره وتبته ككلمها ، فإن وفور حظى من الإخلاص ، يقتضى  
 لى وفور الحظ من الاستخلاص . فعل . إن شاء الله تعالى .

## الأسلوب الثانى

( أن يفتح الكتاب بالإصدار )

مثل : أصدر الخادم أو العبد ونحوه . ويؤتى بالصدر إلى آخره : ثم يختص إلى  
 المقصود بما يقتضيه المقام ، ويختم بقونه : ولرأى العانى مزيد العلو ونحو ذلك .  
 كما كتبت عن بعض وزراء الراشد أو المسترشد إلى السلطان سنجر السلجوقى ،  
 فى حق قطب الدين أبى منصور أردشير العبادى : وقد ورد إلى أبواب الخلافة  
 ببغداد رسولاً ، وكان أبوه وخاله وسائقه من أهل العلم والزهد ، وهو من الفصحاء  
 البلغاء ما صورته :

أصدر خادم المجلس العانى هذه الخدمة عن ضمير معبور بالولاء ، وإخلاص  
 دواعيه متصلة على الولاء ، وعكوف على ما يرجوه حصول المراضى العلية ، والتحقق  
 لمشايعته الواضحة شواهدنا بخليته . والحمد لله رب العالمين .

وبعد ، فما زال بخناب العالى السنطائى الشاهنشاهى الأعظمى - أعلاه الله لكل  
 خير متبعاً ، وحرمة الآمن للفوائد الجممة مفاناً ومرعباً ، والسعادة والتوفيق مقروين

بِسَامِي آرَائِهِ ، مُطِيفِينَ بِهِ مِنْ أَمَامِهِ وَوَرَائِهِ ؛ فِي كُلِّ رَأْيٍ يَرْتَكِبُهُ ، وَمُقَرَّبٍ بِصُطْفِيهِ ؛ وَأَمْرِي يُصَيِّرُهُ وَيَقْلُدُهُ ، وَأَمْرٌ يَحُلُّهُ وَيَعْقِدُهُ ؛ وَصُنْعٌ جَمِيلٌ يُصِيبُ مِنَ الْأَسْتَحْقَاقِ مَوْضِعَهُ ، وَيَعِيدُ طَيْبَ الْمَذْكَرِ بِجَهْزِهِ وَمُبْتَضِعَهُ ؛ مَنَاقِبُ تَفَوُّتِ الْإِحْصَاءِ عَدَا ، وَتَرَدُّدٍ مِنْ مَفَاحِرِ الْوَصْفِ مَهْمَلًا عَدْيًا وَتَسِيرٍ بِذِكْرِهَا الرِّفَاقُ غَوْرًا وَتَجْدَا ، وَتُجَاوِزُ غَايَاتِ الْمَدْحِ عِلَاءً وَبِحَمْدَا ؛ وَكَفَى عَلَى ذَلِكَ دَلِيلًا قَاطِعًا ، وَبِرَهَانًا سَاطِعًا ؛ مَا اقْتَضَتْهُ الْآرَاءُ الْعَلِيَّةُ مِنَ التَّعْوِيلِ عَلَى فُلَانِ الْعِبَادِيِّ فِي تَحْمُلِ الرِّسَالَةِ الْأَعْظَمِيَّةِ الَّتِي عُدِقتْ مِنْهُ بِالنَّبِيِّ الْجَلِيلِ ، الْبَرِيِّ مِنَ الْعَيْبِ ، الْعَارِيِّ مِنَ دَنَسِ الشُّكِّ وَالرَّيْبِ ؛ فَإِنْ آخْتَارَهُ لِهَذَا الْأَمْرِ طَبَّقَ مَقْصِلَ الصَّوَابِ ، وَلِشَاكَلَةِ رَمَى الرَّأْيِ أَصَابَ ؛ إِذْ هُوَ الْغَدُّ فِي عِلْمِهِ وَقَضَاهُ ، السَّدِيدُ فِي قَوْلِهِ وَفِعْلِهِ ؛ الْبَارِعُ فِي إِيجَازِ الْخُطَابِ وَقَضَلِهِ ، الْمَعْرِقُ فِي الزَّهَادَةِ وَالذِّيَانَةِ الْمَرْيُوتِينَ لِقَرَعِهِ وَأَصْلِهِ .

ولما وصل إلى الأبواب العزيزة الإمامية - ضاعف الله تعالى مجدها - مثل بالخدمة مؤدياً من فرضها ما يلزم أمثاله من ذوى العقائد الصحيحة، والموالية المحضة الصريحة ؛ وصادف من التكرمة والإنعام ما يوجب له محله من العلم الذى لا تتكدر الدلائل بحره ، ولا تُدرك الأرضية بطولها قعره ؛ فهو فيه نسيجٌ وحده ، وناسيجٌ برده ؛ وناشرٌ علمه ، ومستغزِرٌ ديمه . وألقى من ذلك ما يقتضيه اختبار أحواله الشاهدة بأنه من أصحاب في يده قياد الفصاحة الأبيّة ، وملئته زمامها المتنع على من عداه العصى ؛ وجمع له من الفضائل ما أصبح في سواه متفرقاً ، وخير له منها ما جعل جفن حاسده لفرط الكد مؤرقاً ؛ إلى ما زان هذه الخصائص التى تفرد فيها وبرع ، وطال مناكب الأقران وفرح : من الإخلاص الدال على تمسكه بحبل الدين المتين ، واستقراره على جده الواضح المبين ؛ وقصّل عن الأبواب العزيزة فائزاً من شرف الإراء ، ما وفر الحظوظ والأنصاء ؛ حاصلًا من حميد الآراء ، على أنفس العطاء وأجزل الحياء ؛

وقد تمهد له من الوجاهة والمكانة ما يتحضر مكانه . وتنقطع دون بلوغ شأوه أنفاس  
أقرانه . ورسم - أعلى الله المراسم الإمامية وأمضاها - مطالعة المجلس العالى السلطاني  
أعلاه الله بهذا الحال . تقريرا لها عند العسلم الكريم . واستنادا للطول والإنعام .  
باختصاص قطب الدين بالاحترام . الذى هو حقيق بمثله . وخلق أن لا يضحى  
عن وإرف ظله . وما يؤعز به من ذلك يصادف من دواعى الاستحقاق أوقها . ويرد  
من مناهل الذكر الجليل أعذبها وأصفها . ويتلقى من شرف المحامد بالطفها وأحفها .  
وللرأى العالى علوراى . إن شاء الله تعالى .

### الجملة الثانية

( فى المكاتبات الصادرة عن أتباع ملوك الديار المصرية إليهم .  
والمختار منه أسلوبان )

### الأسلوب الأول

( أن تفتتح المكاتبة بالدعاء )

مثل أن يدعى بعر الأتصار . أو إدامة السلطان ، أو تخليده ، أو إدامة بسطة  
السلطان ، أو إدامة الأيام ونحو ذلك . ويخاطب السلطان فيه بمولانا ، ويعبر  
المكتوب عنه عن نفسه بالملوك . ويحتم الدعاء . وهى طريقة الفاضل ومن  
تلاه من كتاب الدولة الأيوبية بالديار المصرية .

قال ابن شيث فى "معالم الكاتبة" : ولا يقال فى مخاطبة السلطان : سيدنا مكان  
مولانا ، وإن كان السيد من الألقاب الساطانية . لأن لفظ سيدنا مما أصطلح عليه  
لأكابر المتعممين من الفقهاء والنهضة والكاتب . فأجتنب فى حق السلطان كى لا تقع  
المشاركة بينه وبين غيره فى الخطاب .

وهذه نسخة كتاب من هذا الأسلوب كُتِبَ به إلى الملك العادل أبي بكر بن أيوب في جواب كتاب ورد منه بالبشارة بفتح خِلاط وهي :

أدام الله سلطانَ مولانا الملك العادل وزاده من فضله ! ، ومدَّ على خَلْقِهِ وارِفَ ظِلِّهِ ، وأظهر به دينَه على الذين كَلَّه ؛ وأوضح إلى مَرْضَاتِهِ ما سئَلَكُم من سُبُلِهِ ، ولا عَدِمَتْ يَدُ الإِسْلامِ والمُسلمينَ التعلُّقَ بوثيقِ حَبْلِهِ ؛ وقَرَّحَ به الخَطَطَ المُطْبِيقَةَ ، وفتح به البلادَ المُستَغْلِبَةَ ؛ وأخضع لطاعته الأَعناقَ ، وعمَّ بفتوحه الآفاقَ ؛ ودَمَّرَ الكُفْرَ بِمقامِهِ ، وطوى أَيامَهُم بما ينشُرُهُ ويُدِيمُهُ من أيامِهِ ، وأنزلَ النصرَ في مواقف التَّرالِّ بما ترفعه رايائِهِ من أعلامِهِ .

وقف المملوكُ على ما أنعم به مولانا : من كتابِ البشارة التي وصلتْ إلى كلِّ قلبٍ وسمِعَ ، وأملَ بها كلُّ مسلمٍ كلَّ خيرٍ ونفعٍ ؛ وعلمَ ما وراءَها من جَمعِ شَمَلٍ كان عزيزَ الجمعِ ، وعلمَ ما يَبْغِيها من عواطفِ مولانا التي عَزَدَها منه أكرمُ طَبِيعٍ ؛ وتَحَقَّقَ أن الله سبحانه قد قلَّدَ الدينَ منه سيفاً خَلَقَهُ للوصولِ وخلقِ السُّيوفِ للقطعِ .

وبالحِمْلةِ إن الله سبحانه نظر إلى هذه العِلَّةَ بنظرِ مولانا لها ، وكَفَّالَتِهِ لأهلِها ، وسياسَتِهِم بِشَرَفِ السَّجِيَّةِ وَعَدْلُها ؛ وإن كلَّ ما آخَتَسَ المَلِكُ النَّاصِرُ رَحِمَهُ اللهُ فإن الله يُنمِّعُ على يَدِهِ ، ويَجْعَلُ به نارةَ بَصْفِصِهِ ونارةَ بَحْدِيهِ ؛ وَيَهَبُ له عُمرًا نُوحِيحًا إلى أن لا يَدْرُ على الأرضِ من الكافرينَ دِيارًا ، وإلى أن يُورِثَ الإِسْلامَ بِسيفِهِ منهم أرضًا ومالًا وديارًا ؛ وهذه حَيائِلُ لا يُخْلِفُ اللهُ بَارِقَتِها ، بل يردُّ إلى جِهَةِ الكُفْرِ صاعِقَتِها ؛ فما يَحْسَبُ المَلوكُ أن جانبًا يتلوَّى على طاعةِ مولانا ولا يَحْرِفُ ، ولا أن كلمةً عليه بعد اليومِ تَحْتَلِفُ ، ولا أن مَمْتَعًا بِالأمسِ يَكُونُ معه اليومَ إلا أن يرضى عنه مولانا وعليه يَنْعَطِفُ .



وعلى هذا فالشام القرشي متأخذ بجناح إلى الأخذ وبقية عمر المؤمن كما قال  
صلى الله عليه وسلم لا آمن لها، والقرص تمر مر السحاب، والمتماذ بالله من حسرات  
القوم بعد الإمكان (وليتضرن الله من ينصره) وما يشخص لخطاب الله تعالى<sup>(١)</sup>  
بالجهاد إلا مولانا: البية خالصة، والبصيرة ثاقبة، والعزيمة ماضية، والشجاعة منحة  
من الله له موهوبه. والساحة خليفة من خلافة الكريمة موجوده، والرجال  
تطأ عقبيه، والملوك تطيع أمره والشجعان تبذل أنفسهم بين يديه، والعدو يعرف  
منه خصما طالما خاطبه بلسان السيف منه إليه. وليس كل من قدر عليه أراده،  
وعكا أقرب من خلاط وأنفع للمسلمين فتحا، وأعظم في الكفار قدحا، فوالله لئن أتلق  
باب الشام في وجه الكفر. لتقطعن آمال أهل البحر والبر، وما دام في الشام بقية  
من الكفر فهو يقبل الزيادة، وينتظر النجدة ويؤمل الاستعادة، وما كرر الملوك  
هذا الحديث جهلا بما يجب في خدمة الملوك من الأدب في أن لا يتكلم في القضية  
إلا من استشير فيها، ولا يجترى على الكلام إلا إذا كان جيبا بما يؤمر بالإجابة  
عنه، ولكن الملوك غاب على الصحبه، وأقطع عن الخدمة، وعلم أنه لو كان حاضرا  
لكان مولانا يبسطه ولا يقبضه، ويستشف ما عنده ويستعرضه، ويشف قلبه  
في لسانه إذا هفا، ويحمله على صفاء ضميره فيما يقوله فلا يقابل بالتكدير من صفاء  
فقد علم الله أن الملوك ينحني للمسلمين أن يرد عليهم حقهم، وترجع إليهم بلادهم، وأن  
تكون هذه الأمانة جارية على يد مولانا مستفادة من عزيمته، ومكتوبة في صحيفته،  
ومعتمنة فيما يئمه الله في حياته، فإن الأمور فيما بعد مدوحه، ولكن أبواب قدرة الله  
مفتوحه، فالله يجعل منها أن يفتح على مولانا فيه بلاد الساحل، وأن يأخذ للإسلام به  
أهبة المقيم والمقيم أهبة الراحل. وما يخلط الملوك هذا المهيم بغيره، طالع به، ولمولانا  
علو الرأي.

(١) لعله وما يختص بخطاب الله.

## الأسلوب الثاني

( أن تُفْتَحِ الْمَكْتَابَةَ بِقَبْلِ الْأَرْضِ مَصْدَرًا بِالْمَمْلُوكِ )

وهي من مصطلحات الدولة الأيوبية أيضا إذا كان المكتوب عنه دُونَ من تقدم .

كما كتب القاضي الفاضل عن نفسه إلى السلطان « صلاح الدين يوسف بن أيوب »

بينته بمولود وُلِدَ له :

المملوك يقبل الأرض بالمقام العالي الناصري نصر الله الإسلام بمقامه ، وأهلك أعداء الحق باستقامه ، ولا أعدم الأمة المحمدية عقد أعتراه بكفالتها ومضاء أعتراه .

يحيى المملوك المولى بنعمة الله عنده وعند الإسلام وأهله بمن زاده في ولده ،

وكثره في عدده ، وهو الأمير « أبو سليمان داود » أنشأه الله إن شاء الصالحين ، ومن الله

بكمال خلقه ، ووسامة وجهه ، وسلامة أعضائه ، وتمثل عمرته ، وأبتمام أسرته ،

ودل على أن هذا البيت الكريم فلك الإسلام لا يطلع فيه إلا البشور ، كما دل على

عناية الله بأبيه ، فإن الله تعالى قال : ( يَبِّبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَّا لَهُ سَمِيعٌ لِمَنْ يَشَاءُ اللَّهُ )

فطريق المولى هذه قد توالى فيها البشائر ، ونصر الله فيها بالظاف أغنت بلطف

الخواطر عن قوة العساكر ، وأشملت عليه ( ) في الغائب من أمره والحاضر

( وَإِنْ تَدْعُوا نِعْمَةً أَلَلَهُ لَا تُحْصَوها ) ويف يخصصها المخصي ويحصرها الحاصر ،

أيحيط ما يفتى بما لا يتقد .

فأخذ الله الذي جعل كتب المولى إلى أوليائه وكتبهم إليه مبيسة عن المسار ،

ناطقة بأطيب الأخبار ، منكشفة أسرارها عما يروح الأمرار ، وهذا الولد المبارك

هو المولى لأختي عشر ولدا ، بل أختي عشر نجا متوقدا ، فقد زاد الله في أنجه عن أنجم

يوسف عليه السلام نجماً ، وراهم المولى بقطة ورأى ذلك الأنجم حُلماً ، وراهم  
ساجدين له ورأينا الخلق له سُجوداً ، وهو سبحانه قادرٌ أن يردَّ جُودَ المولى إلى أن  
يراهم آباءً وجدوداً .

### الجملة الثالثة

( في المكاتبات الصادرة عن أتباع ملوك الغرب إليهم ،  
وإختار منه أربعة أساليب )

### الأسلوب الأول

( أن تفتتح المكاتبة بقلب المكتوب إليه )

مثل : المقام أو الجذاب ، ويُنت ، ثم يقال : مقام فلان ، ثم يؤتى بالسلام  
ثم بالبعدية ، ويؤتى بخطبة ، ويختلص إلى المقصد ، ويؤتى عليه إلى آخره ، ويختم  
بالدعاء ثم بالسلام .

كما كتب ابن البلاء عن ابن خلاص إلى أمير المسلمين الواثق بالله أبي بكر بن هود ،  
في جواب كتاب ورد عليه منه ماصورته :

المقام العلى ، الواثق المعنصم . المبارك السامى السنى ، معدن الفضل ومقره ،  
ومسحب ذيل الفخر ومجزه ، ومناط حل أمانة المسلمين التي لا يمنحها إلا أئمة الشرف  
أغره ، ولا يتقلد فلادتها إلا تقي المنشأ بره ؛ مقام مولانا جمال الملك وهائه ،  
والباعث في معظفه أريجينة النجابه وأزدهائه ، الأمير الأجل المعظم ، المكبر الهام  
المكرم . المبارك الميمون السعيد ، الموفق الرشيد ، المظفر المؤيد ، المرفع المنجد ، ولى  
العهد ، وواسطة عقد النجد ، والملبس سراويل النمن والسعد ، الواثق بالله ، المعنصم به ،

أبي بكر ابن مولانا محمد الإسلام، وجمال الأنام، ومجاهد الدين، سيف أمير المؤمنين، المتوكل على الله تعالى أمير المسلمين. أبقاه الله وارداً من مشاريع التأييد أعدبها، متحوّلاً من صنوع الله الحليل ما يستدأ بعد الأمة وأقربها، بمدد السعادة ما جلّت غيرة الفجر حنيس الظلماء، وعيبتها، عبد بايه الأشرف، ومملوك إحسانه الأتمح الأذرف، مسترقه الآوى إلى ظل سلطانه الأمد الأورف، الحسن بن أحمد بن خلاص.

سلام الله الطيب الكريم، وتحياته، يعتمد الواثق المعتصمى ورحمة الله وبركاته.

أما بعد حمد الله الذى له الأمر من قبل ومن بعد، والصلاة على سيدنا محمد نبيه الذى تربت على آجتنا به الشقاوة ووجب باتباعه السعد، وعلى آله وصحبه الذين ناضلوا عن ديانته حتى وضع السنن وبان القصد - والرضا عن خليفته وأبن عمه الإمام العباسى - أمير المؤمنين - أبى جعفر المنصور المستنصر بالله، وارث شرفه النبوى، ومجده الهاشمى، بمخصائمه التى لا تُنفى أنوارها الأبركار، ولا يطمس آثارها الحجر. وعن مولانا محمد الإسلام، جمال الأنام، مجاهد الدين، سيف أمير المؤمنين، المتوكل على الله تعالى أمير المسلمين، ذى العزّات التى لا تُفنى غناها الذليل التى منبتها الخط، ولا القُضب التى منشؤها الهند. والدعاء لقيام الثقة والاعتصام، ومقر الإحسان والإنعام، بالنصر الذى يؤازره الطّقر، وبظاهرة العصد.

فكتبه عبد المقام الواثق - المعتصمى - كتب الله له تأييداً يحفظ على الدين نظامه، وتحليداً يرث ليالى النّصر وأيامه - من إشيلية حرسها الله تعالى، وللبركات المتوكليات والواقيات بها آنبئال كما تنابع القطر، وسطوع كما آبتّم فى مطالعه الفجر، وتمهد

(١) لعل الصواب "بكر".

(٢) جمع الدابر ككتب وركع أنظر القاموس.

لا تزال تقرُّ به العينُ وينشرح له الصدرُ، والخدمةُ اللازمةُ للناية العلية الوائمية المعتصية  
 - أعلى الله مكانها، وشيئاً بعصده أركانها - فرض لا يسع تأخيرهُ، وحق لا يعلق به  
 تفریط المتقلد له ولا تفصيروه، ولازم من اللوازم التي لا يشتغل بسواها سرُّ الملوك  
 ولا ضميره، والله يُعبد من ذلكم على ما يتسوع به صفو المنِّ ويميره. وإن الخطاب  
 الكريم الواثق شرف الله منازعه، وتور بانوار السعادة مطالعه، ورد على العبد  
 مُشيداً بذكره، مُعلية من قدره، مُسياً لربة نوره، متضمناً من واسع الإناعام  
 وغمره، مانو ووزع على انعامِ شملهم بأسره، وأغرقهم بفيض يسير من بحره،  
 فتاوله الملوك يمين إجلاله وإعظامه، ووفى الواجب من ثمه واستلامه، وألقى به  
 رياً ناعماً لعليل الشوق المبرح إلى آجتلاء غرته الكريمة وأوامه، وجعل يتبع سُطوره،  
 ويستقرى فقره وسُدوره، فلا يقف من ذلكم كلُّه إلا على ما يلا حوباءه جدلاً،  
 ويحوّله الأبتهاج غناً وقلاً، ويؤنه أسنى مراتب التشریف قنناً وقلاً، وهو على  
 ما حكمت به الأفضية من شحطه عن العنابة الوائمية شرفها الله وسُسوعه، وإيواء  
 معاني أنسه لذلكم ورجوعه، لا يجد أنسا إلا ما يتوالى قبلة من متعهد آهتاهما،  
 وتهديه إليه السنة أقلامها، فكلما وقد عليه من صحائفها المكزمة وافد، وورد  
 من حضرتها المعظمة وارد، فقد جدد الزمان عنده بدأ غمراً، وأطلع عليه بدرأ،  
 وأفاده من الإبتهاج ما يعمر انخلد، وينشر نسيم الإسميثار إذا سكن ورتكد،  
 وما ينقك على نأي المكان، وأبعد الأوطان، يحافظ على رشمه من حديمها، ويؤدى  
 وظائف الشكر بحسب منحها وعميم نعيمها، ويجعل على نفسه المملكة رقيباً  
 من أن يخل في سر أو جهر بعهد من عهودها أو ذمة من ذمها، ومهما تجدد صنع  
 يتعين إهداؤه، ويجب قضاء الحق بالدلالة عليه وأدأؤه، لم يصحبه في المطالعة به  
 تون، ولم يعبر في جلالة أوانا إلى آوان. وقد كان قدم مطاعاه قبل إلى الباب الواثق

شرفه الله بأسطًا لتفاصيل الأحوال ، وشارحًا لها على الاستيفاء والكمال ، ولم يتجدد بعد ذلك إلا تمكُّن الرجاء في فتح لبلة يسر الله مرآتها عن دُؤر بحول الله وقرب ، وأطلق لسان الحال بتيسير كل عصى من محاولاتها وصعب . ولو أن مكانا عَضه الدهر من أنياب حواديه الجُور بما به عَضها ، وقَض الحصار أقطالها التي فَضها منه ما فَضها ؛ لكان قد ذهب شمسُه ، وخَفِيَ عن أن يُسَمع حَسيسُه ؛ لكن أبا الشفاء الغالب على أهلها إلا أن يمد عليهم أمد العذاب ، ويرجي لهم طول المهلة المشفية بهم كل يوم على مهاوى الخسار والتباب ، حتى يبلغ الكتاب فيهم أجله ، ويصل إلى الحد الذي شاء الله أن يصله ؛ فيأخذهم أخذ من عمي عن إدراك الحق بصره وبصيرته ، وخبث في معاندته سره وسريره ؛ ويرجي أن الوقت في ذلك داي بإمكان ، والله تعالى يُديم للقائم الوائق ما عوده من توالى السعود وأطرادها ، وإشجاب الآمال وأقيادها ؛ وسلام الله الطيب يراوحها ويغادها ، ومحباته ، ورحمته الموصولة وبركاته .

## الأسلوب الثاني

### (أن تفتح المكتبة بالحضرة)

وتوصف ويُدعى لها ، ثم يقع التخلُّص إلى المقصد ، ويُتم بالدعاء والسلام . كما كتب أبو المطرف بن عميرة إلى المتوكل بن هود القائم بالدعوة العباسية بالأندلس عن بعض أتباعه ، عند ورود كتابه عليه يخبره بفتح ... من الأندلس وقتل الثائر بها ، وهو :

(١) يياض بالأصل ولله " بفتح المراد وهو حصن برطبة من الخ " كما يؤخذ من تضعيف الجواب حيث قال (كيف لا وقد بشرخيه بالمراد في المراد) وفي معجم " باقوت " المراد حصن قريب من برطبة بالأندلس .

الحضرة العلية أبق الله ظل ملكها على العباد، وعرفها من تأييده وإنجائه أفضل المعتاد، وجعلها من الملجأ إليه والتوكلي عليه أكثر الجموع وأكثر الأعداد . ولا زالت أحاديث نصرها سالمة المتون صحيحة الإسناد، وصحائف فتوحها تجمع صلاح العباد، وتطبع صباح البشائر من ليل المراد، عبدها ومملوكها، السالك من الخدمة والضيعة الطريق التي يجب سلوكها، فلان .

وبعد : فكتب العبد - كتب الله للقيام العلي - المجاهد المتوكلي - سعدا يراد الصعاب دُلا، ويشد من المكاره سُبلا، وأمدّه بملائكة رسله جاعل الملائكة رسلا - من فلانة وبركاته مروية نظما، وحركاته مسكنة للدهماء، وآثاره في بومئ سأمه وحره آثار الأشداء على الكفار والرحماء، والأرض بوضوح بحياه، وفتوح أسننه وطبائه، تهرأعظافا، وتعمر مواسط وأطرافا، وتبرز في أنوارها القشيب فيزداد حسنها أضعافا والأيام بالبشائر التي قضت ختامها عفو على قدر، وقضت مسامها صفوا بلا كدر .  
 ها أنف الشايخ تبيها - ووجه الضاحك المتهايل إشادة بحالها وتبويها، ودلالة على رُحبت مجالها وتبنيها . والحمد لله حمد من عرف قدر نعمائه فوق حق أسمائه تقديسا وترينا . وإن الخطاب العلي - الكريم ورد راصفا أجل الدرر، واصفا أجل الفتوح العزير، رافلا في حُلل الأيد والقهر، رافعا منساة الحوادث بإحدى حسنات الدهر . فياله من كتاب ! أودع بدائع الكلم، وجوامع البيان الملتئم المنتظم، لو أسندت سنائه أول الفلقين لم يك كذبا، ولو أُعير بحياه ناني الشفقين كان عن ضوء النهار نائبا . ذكر أيام الله المشهودة بالملائكة والروح، ومد باع الكلام في فتح الفُتوح، وأطال ذبوت القول مفتاحا منه للمصعب الجموح، فكان الغزير الصيب، والكثير الطيب، والمتبع إن مضى بقلوب وأسماع . والمضاعف حسنه إن كُرر إلى غير انقطاع . كيف لا ؟ وقد بشر خبره بالمراد في المراد، وأوقع اليقين بما عرق

العادات من الإسعاف والإسعاد، وكان من آحاد الأخبار لا من أخبار الآحاد؛ وما اقتضه ما جرى من أوائل الحركة السعيدة، وأعرض من المتأعب الشديده، وأن الشتاء كان في ابتدائه، والغيمة ساحب لردائه، ساكب فضل أندائه، والمكاره في طيها التعم الجسام، والنفوس الكبار تتعب في مرادها الأجسام؛ ولذلك هانت على المقام العلى - أيده الله - تلك المشاق، وربى من عمله ونظره ما تجى من نعمة العاق؛ فسار إليه بالتحفيل الأحنف، والعزيمة الزعيمة بقص الموقل، ورص الأعلی والأسفل؛ وقد اعتز بأجل المدائن شانا، وأوقفها بنيانا، وأبعدها صيتنا ومكانا؛ وهى التى أعيت رياضتها كل راض، وتخرت بكل قاعد بقونها راض؛ وجمع إليها من طرد الآفاق، وأعداد الاجتماع والاتفاق؛ أنباع كل ناعق، وأشباع كل ماريد مارق؛ فاستحلوا الدماء، وركبوا مصلة عمياء، وأدرك كل منهم مما شاء للإسلام ماشاء؛ وعدوا الله يقتل لهم فى الذروة والغارب، ويضرب لهم سكان البلد ضرب المرائب؛ حتى أباد خضراءهم، وجعلهم شر خلف فيمن ورائهم؛ غير مبال بما احتقبت من الجرائز، وأقترت من إباحة الجرائز؛ فاجترأ مدة بالجملاء، وازداد إثمها بالإملاء؛ وحينئذ سمت إليه عساكر الإسلام، وناولته بالموت الزوام، ورأى عيانا ما كان يطير إليه قلبه لوراه فى المنام؛ وتداولته المطاولة المستدرجه، والعاجلة المزعجة؛ وفى كل ذاق عذاب الهون، فأحس بقاصمة المتون وقاضية العنون؛ وأقسمت شدته إلى المهلكين: خوف وإعدام، واستكاث تسعة أشهر وكان الفتح عندها لتنام؛ وإنه للولد الذى هنى به الإسلام، وضفت بثله الأيام، وأستبشر بوجوده

(١) الفنة بالضم الجبل الصغير أو الجبل السهل المنبسط على الأرض جمع فنن وفنات وفنون أظن



الأثام ؛ فما أعلیٰ مقامه ! وأبهج يومه وأسعد عامه ! ؛ ولا غرو أن تكون عُمرته  
 أهنئ الفرر، ومفتحه مباركا كالبشر؛ وقد أسفر عن أئمن وجه التُّجج، ونرج  
 من عموم الأيام بمخص هذا الفتح؛ وأنتقم الله فيه من الشقي- الظالم- العظيم الجرة  
 على ارتكاب المظالم؛ فطاح بتويق أعماله، وعجل الله به إلى ما أعد لأمثاله؛ وكان  
 دمه شرذم أريق، وأديمه أخبت أديم لاقى التمزيق .

والحمد لله الذي نصر الراية العباسية وأعلاها، وأظهر آية عنايته وجلّلاها، وأسبع  
 نعمه الجسيمة ووالاها . وحين ورد هذا النبا العظيم [كان] أندى من قطر الندى  
 على الأكباد، وسرى في البلاد سريان الأرواح في الأجساد؛ وكثفت به الأسماع  
 والأسمار، وسمت به وإليه الأمصار والأبصار؛ واستقر من ارتجاع البلد، وارتزاع  
 النفس الذاهبة إلى جرى الأبد؛ حُكِن مدركهما الفعل والإفراق، وعملان تم بهما  
 المراد والاختيار؛ فرفعت الأدعية إلى سامعها، وغصت الأندية بحاضري تجامعها؛  
 وذاع بالبشرى فإحسن ذائعها وشائعها، وأذعت الآمال لإدناء فارجها وشاسمها؛  
 وأخذ العبد من المسرة بحظ أخلص العبد مشهدا ومغنيا، وأجمعهم لمعالى الخلد  
 تطنيا، ولمعاني الثناء والحمد تطيبيا، وجدد من شكر الواهب بلزبل هذه الجبه،  
 والفاخ لأعظم المعامل الأشبه (٢) ما يستغرق المدد، ولا يبلغ الأمد؛ وأنى [المثل] أن  
 يصف البشرى الواصلة، أو يُنصف المقالة المتناول، ولو حلب أنطر الإحسان؛  
 وجلب أجز البيان، وكيف والفكر قد قعد حصرا، والمدى لا يؤاخذ التقدير قسرا؛  
 والقول لا يجيب مطولا ولا مختصرا؟ خسه دعاء هو له رافع، ولأوقات الخلوآت به  
 قاطع، وإلى الله سبحانه في قبوله ضارح؛ والله يجيب في المقام العلى المتوكلى أفضل  
 دعاء انطلق، وبضاعف له مع السابقين ثواب السبق، ويجزيه خير الجزاء عما أزاله

من الباطل وأداله من الحق ؛ وهو تعالى ينصره يومَ الباس ؛ ويعصمه من الناس ،  
ويُبقِي رِفْدَهُ لئلا كُتِبَ ونُورَهُ للاقتباس ، ويعرفهُ في كل ما يستنيطه من أصل  
التوكل صحمة القياس ، بمنه والسلام .

### الاسلوب الثالث

(أن تفتح الكتابةُ بآما بعد، ويتخلص إلى المقصد ويختم بما يناسب المقام)

كما كتب أبو المطرف بن عميرة إلى المتوكل بن هود المقدم ذكره ، عن نفسه ،  
يهنئه بوصول هدية أنظيفة العباسي إليه من بغداد :

أما بعد ، فكتب العبدُ - كتب الله للقام العلي - الناصري - المتوكلُ - مجدداً يحلُّ  
الكواكب ، وجدداً يفلُّ الكائب ، من شاطبة ، وبركات دعوته السعيدة قد  
طبقت البسيطة ، وكأثرت البحار المحيطة ؛ وأنجزت للإسلام أفضل مواعده ،  
وجددت عهدَه لأهل بيت النبوة الرفاعة لقواعده ؛ وفسحت له مجالَ البشري ،  
وأطلعت عليه أنوار العناية الكبري ؛ فعاد إلى الوطن ، ووجد حالَ الشهد طمَّ  
الوسن ؛ وأورق عودَه ، وأنسقت سُعوده ؛ وعاد إلى صحته بالنظر الإمامي الذي  
جاء بعوده . وحين صدور رسولِ دارِ السلام ، ومثابة أهل الإسلام ؛ ومقعد  
الجلالة ، ومضعد إقرار الرسالة ؛ ومعه الكاب الذي هو غريب ، أنس به الدين  
الغريب ، وبِعِدُّ الدار نزلَ به النصرُ القريب ؛ وآيةٌ بأدلتها الصادقة لتبطل الشبه  
الآفك ، وسكينته من ربنا وبقية مما ترك آلُ نبينا تحمله الملائكة - أطمأنت القلوب ،  
وحصل المطلوب ؛ ودرت أخلاف الإيناس ، وارتفع الخلاف بين الناس ؛ وعلموا  
أن السالك قد أضاءت له الصحبة ، والحق لا يعدو من بيده المحبة ؛ وأن من أمرته

الخِلافةُ العباسيةَ فَطَاعَهُ تَجِبُ قَطْعًا، وَمَخَالَفَتُهُ تَحْرِمُ شَرْعًا، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْ يَبِينَ لِلْعِيَانِ تَخْضَعُهُ، وَيَرِدَ عَلَى الْأَذَانِ نَصَّهُ، فَيَكُونُ يَوْمَهُ غُرَّةَ اللَّيَالِي الْمُعْتَرِكَاتِ، وَعَلَّمَ الْأَيَّامَ الْمُنْكَرَاتِ، وَالْيَوْمَ الَّذِي بِهِ تُورَخُ الْأَيَّامُ الْمُسْتَقْبَلَةُ، وَتُرْفَعُ فِيهِ الْأَعْمَالُ الْمُنْتَقِبَلَةُ، وَيَأْقِبَالُ الرِّكَابُ السَّعِيدُ إِلَى هَذِهِ يَنْزِلُ بِهِ مِنْ تَمَاءِ الْعِلْيَاءِ مُحْكَمٌ وَحَكْمَةٌ، وَيَصِلُ بِهِ إِلَى الْأَنَامِ فَضْلٌ مِنْ اللَّهِ وَنِعْمَةٌ، وَيُقْتَضَى دِينٌ عَلَى الْأَيَّامِ، لَا يَبْقَى مَعَهُ عَسْرَةٌ، وَيُوجَدُ جِبْرٌ لِلْإِسْلَامِ، لَا يَكُونُ بَعْدَهُ كَسْرَةٌ، وَشِفَاءٌ لِقُلُوبِ الْأَوْلِيَاءِ هُوَ لِلْأَعْدَاءِ حَسْرَةٌ.

### الأسلوب الرابع

(أَنْ تُفْتَحَ الْمَكَاتِبَةُ بِالْخَطَابِ بِلَفْظِ «سَيْدِي» أَوْ «مَوْلَايَ»

مَعَ حَرْفِ النَّدَاءِ أَوْ دُونِهِ)

كَمَا كَتَبَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ الْخَطِيبِ وَزَيْرُ بْنُ الْأَحْمَرِ صَاحِبِ الْأَنْدَلُسِ عَنْ نَفْسِهِ إِلَى السُّلْطَانِ أَبِي عِيْنَانَ بْنِ السُّلْطَانِ أَبِي الْحَسَنِ الْمَرْيَمِيِّ صَاحِبِ فَاسٍ، عِنْدَ وُرُودِ كِتَابِهِ إِلَى الْأَنْدَلُسِ بِفَتْحِ تَيْمَسَانَ، مَعْرُضًا بِأَنَّ صَدُورَ كِتَابِهِ مِنْ عِنْدِ قَبْرِ وَالِدِهِ السُّلْطَانِ أَبِي الْحَسَنِ بِالْأَنْدَلُسِ، مَا صَوَّرْتَهُ :

مَوْلَايَ! فَانْحِ الْأَقْطَارَ وَالْأَمْصَارَ، فَائِدَةُ الْأَزْمَانِ وَالْأَعْصَارَ، أَمِيرُ هَيْبَاتِ اللَّهِ الْأَمْنَةَ مِنَ الْإِعْتِصَارِ، قُدُوةُ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ. نَاصِرُ الْحَقِّ عِنْدَ قُعُودِ الْأَنْصَارِ،<sup>١١٤</sup> مُسْتَصْرِخُ الْمَلِكِ الْغَرِيبِ مِنْ وَرَاءِ الْبَحَارِ، مُصَدِّقُ دَعَايِ الْأَبِ الْمَوْلَى فِي الْأَصَالِ وَالْأَشْجَارِ. أَبْقَاكَ اللَّهُ! لَا تَقُفْ إِيَّاكُمْ عِنْدَ حَدِّهِ. وَلَا تُحْصِي فِتْوَحَاتُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ، وَلَا يُبْقِي أَعْدَاؤُكُمْ مِنْ كَدِّهِ، مُبَسِّرًا عَلَى مَقَامِكُمْ الْكَرِيمِ مَا عَسَرَ عَلَى كُلِّ أَبِي كَرِيمٍ وَجَدَّهُ.

(١) فِي الْأَصْلِ فَصُورُهُ وَهُوَ نَصِيحٌ وَالنَّصِيحُ مِنْ «رَبْحَانَةِ الْكِتَابِ» ج ٢ ص ٢٢.

عبدكم الذى خلص إربز عبوديته لملك ملىكم المنصور، المترف لأدنى رحمة من رحمتكم بالمعجز عن شكرها والقصور، الداعى إلى الله سبحانه أن يقصر عليكم سعادة القصور، ويتل بمز طاعتكم أنف الأسد المنصور، ويبقى الملك فى عبيكم إلى يوم ينفخ فى الصور . فلان .

من الصريح المقدس : وهو الذى تعددت على المسلمين حقوقه ، وسطح نوره وتلاؤا شروقه ، وبلغ مجده السماء لما بسمت فروعه ورسخت عروقه ، وعظم بنوئكم فخره فما فوق البسيطة فخر يفوقه ، حيث الجلال قد رست هضابه ، والملك قد سرت بإستار الكعبة الشريفة قباؤه ، والبيت العتيق قد ألحقت الملاحد الإمامية أنوابه ، والقرءان العزيز ترتل أحزابه ، والعمل الصالح يرتفع إلى الله نوابه ، والمستجير يخفى باطنه سؤاله فيجهر بتعرة العز جوابه ؛ وقد نفا من أوراق الذكر الحكيم حديثه ، وخيلة أنيقه ، وحط بجودي الخلق نفا فى طوفان الضرغريقه ، والنحف برق الهيبة الذى لا تهدي للنفس فيها إلا بهداية الله طريقه ، وأعتز بعز الله وقد توسط جيش الحرمة المريضة حقيقه ، إذ جعل المولى المقدس المرحوم أبا الحسن مقدمه وأباه وجده سقا المولى الكريم بهذا الجهد سبب رحماه ، وطب عليه من الرضا فسقاطا ، وأعلى به يد العناية المريضة أهتاما وأغشباطا ، وحرر له أحكام الحرمة نصا جليا وأستنباطا ، وضمن له حسن العقبى التراما وأشراطا ؛ وقد عقد البصر بطريق رحمتك المنتظرة المرتقبه ، ومد اليد إلى اللطائف بشفاعتكم التى نتكفل بعشق المسال كما تكفلت بعشق الرقبه ، وشرع فى المراح بيدان بعمكم بعد اقتحام هذه العقبه ؛ لما شفت الآذان البشرى التى لم يبق طائر إلا يجمع بها وصدح ، ولا شهاب دجنة إلا أقبس من نورها وأقتدح ، ولا صدر إلا أنشرح ، ولا غصن عطف إلا مرح ، بشرى الفتح القريب ،

وخبر النصر الصحيح الحسن العريب ، ونبا الصنع العجيب ، وهداية السميع الخجيب :  
 فتح يلمسان الذى قلده المنابر عقود الإتيان ، ووهب الإسلام مبيحة النصر غنية  
 عن الهياج ، وألحف الخلق ظلا مندودا ، وفتح باب الحج وكان مسدودا ، وأقر  
 عيون أولياء الله الذين يذكرون الله قياما وقعودا ، وأضرع بسيف الحق جباها  
 أيسة وخدودا ، وملكمكم حق أبيكم الذى أهان عليه الأموال ، وخاض من دونه  
 الأهوال ، وأخلص فى الصراعة والشؤال ؛ من غير كذب يميز عطف المسره ، ولا جهد  
 يكثر صفو النعم الثرة ؛ ولا حصر ينقض به المتجنى ذواته ، ويظهر بتكرار  
 الركوع إنابته .

فالحمد لله الذى أقال العتار ، ونظم بدعوتكم الآياتشار ؛ وجعل ملككم يحدد  
 الآثار وأخذ النار . والعبء بينى مولاه ، بما أنعم الله به عليه وأولاه ؛ وما أجدته  
 بالشكر وأولاه ! فاذا أجال العبيد قداح السرور فلعبد المثل والرقيب ، وإذا استهموا  
 حظوظ الحدل فى القسم الوافرة والنصيب ؛ وإذا اقتسموا فرضة شكر الله تعالى  
 فى الحظ والنصيب ؛ لفضاعف أسباب العبودية قبلى ، وترادف النعم التى عجز  
 عنها قولى وعملى . وتفاصر فى ابتغاء مكافئتها وجدى وإن تناول أملى ؛ فمقامكم  
 المقام الذى تنس الكربة ، وأنس العربة ، ورعى الوسيلة والقربة ؛ وأنعش  
 الأرماق ، وفك الوثاق ، [وأدر الأرزاق ، وأخذ على الدهر بالاستقالة بالعهد والميثاق]<sup>(١)</sup>  
 وإن لم يباشر العبد اليد العالية بهذا الهناء ، ويتنزل بين يدي الخلافة العظيمة السنة  
 والسنة ، ويمد بسبب اليدار إلى تلك السماء ؛ فقد باشره اليد التى يحن مولاي  
 لتذكر قبيلها ، ويكمل فروض المجد بتوفية حقوقها الأبوية وتكملها ؛ ووقفت بين  
 يدي ملك الملوك الذى أجال عليها القداح ، ووصل فى طلب وصالها المساء بالصباح .

وكان فضه إياها أبا عُدْرَةَ الْإِفْتِاحِ ، وقلْتُ بهنِكَ يا مولاي رُدُّ ضَالَّتِكَ الْمَنشُودَةَ ،  
وَحَبْرُ لَقَطَتِكَ الْمُعْرَفَةُ الْمَشْهُودَةَ ؛ [وذلك المودودة] <sup>(١)</sup> فقد آسَتْحَقَّهَا وَأَرْتِكَ الْأَرْضِي ،  
وَسَيْفِكَ الْأَمْضِي ، وَقَاضِي دَيْنِكَ ، وَقِرَّةُ عَيْنِكَ ؛ مَسْتَقْدُ دَارِكَ مِنْ يَدِ غَاصِبِهَا ،  
وَرَادُّ رَتْبِكَ إِلَى مَنَاصِبِهَا ، وَعَامِرُ الْمَثْوَى الْكَرِيمِ ، وَسِرُّ الْأَهْلِ وَالْحَرِيمِ .

مولاي! هذه نلمسان قد أطاعت ، وأخبار الفتح على وليك الحبيب إليك  
قد شاعت ، والأُمُّ إلى هَنَاهُ قد تَدَاعَتْ ، وَعُدُوكُ وَعُدُوهُ قَدْ شَرَّدَتْهُ الْخَفَافَةُ ،  
وَأَنْصَافَ إِلَى عَرَبِ الصَّحْرَاءِ لِحَفْضَتِهِ الْإِضَافَةُ ؛ وَعَنْ قَرِيبٍ نَحْكُمُ فِيهِ يَدُ أَحْكِمَاةٍ ،  
وَسُلَامُهُ السَّلَامَةُ إِلَى حِمَايَةِ ؛ فَلْتَطِبْ يَا مَوْلَايَ نَفْسُكَ ، وَلِيَسْتَبَشِّرْ رَمْسُكَ ، فَقَدْ تَمَّتْ  
بِرَّتْكَ وَزَكَى عَرْسُكَ . نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُورِدَ عَلَيَّ ضَرِيحَكَ مِنْ أَنْبَاءِ نَصْرِهِ مَا تَفْتَحُ لَهُ  
أَبْوَابَ السَّمَاءِ قَبُولًا ، وَيُرَادِفُ إِلَيْكَ مَدَدًا مَوْصُولًا ، وَعَدَدًا آخِرْتَهُ خَيْرُكَ مِنَ الْأُولَى ،  
وَعَتْرَتِهِ بَرَكَةُ رِضَاكَ ظَمْنَا وَحَلُولًا ، وَيُضْفِي عَلَيْهِ مِنْهُ سِتْرًا مَسْدُولًا .

ولم يقع العبد بخدمة النثر ، حتى أجهد الفريجة التي ركضها الدهر وأنصاها ،  
وأستشفها الحادث الجلل ونفاضاها ؛ فلفق من خدمة المنظوم ما يتعمد حلمكم  
تقصيره ، ويكون إغضاؤكم إذا لقي معزة العتب ولبه ونصيره ؛ وإحالة يا مولاي على  
الله في نفس جبرها ، ووسيلة عرفها مجده فما أنكرها ، وحرمة بصرح مولاي والده  
شكرها ؛ ويطلع العبد منه على كمال أمله ، ونجح عمله ؛ وتسويح مقترحه ، وتتميم  
مطمحه ، إن شاء الله تعالى :

[ يَا أَبْنَ الْخَلَائِفِ يَا سَيِّدِي مُجِيدِ \* يَا مَنْ عَلَاهُ لَيْسَ يَحْضُرُ حَاضِرًا  
أَبْنُ فَا نَتَّ مَجْدُ الْمَلِكِ الَّذِي \* لَوْلَاكَ أَصْبَحَ وَهُوَ رَسْمٌ دَائِرًا ]

مَنْ ذَا يُعَانِدُ مِنْكَ وَإِثْمَهُ الَّذِي = بِسُوءِهِ تَمَلَّكَ الْمَشِيئَةَ دَائِرًا  
 أَلْقَتْ إِلَيْكَ يَدَ الْخِلَافَةِ أَمْرَهَا = إِذْ كُنْتَ أَنْتَ هَا الْوَلِيُّ النَّاصِرُ  
 هَذَا وَبَيْنَكَ لِلصَّرِيحِ وَبَيْنَهَا = حَرْبٌ مُضَرَّةٌ وَبَحْرٌ زَائِحٌ  
 مَنْ كَانَ هَذَا الصُّنْعُ أَوَّلُ أَمْرِهِ = حَسُنَتْ لَهُ الْعُقُوبُ وَعَزَّ الْآخِرُ  
 مَوْلَايَ عِنْدِي فِي غُلَاكَ مَحَبَّةٌ = وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَكُنُّ ضَمَائِرًا  
 قَلْبِي يَحْدِثُنِي بِأَنَّكَ جَائِرٌ = كَتَمَرِي وَحَطَى مِنْكَ حَظًّا وَأَفْرًا  
 بَشْرِي وَجُودِكَ قَدْ حَطَطْتُ قَرِيبِي = وَوَسَيْلِي لِعُلَاكَ نُورٌ بَاهِرًا  
 وَبَذَلْتُ سَعْيِي وَاجْتِهَادِي مِثْلَ مَا = يُؤْتِي لِمُلْكِكَ سَيْفُ أَمْرِكَ عَامِرًا  
 وَهُوَ الْمَوَائِي الَّذِي أَفْتَحَمَ الرُّدَى = وَقَضَى الْعَزِيمَةَ وَهُوَ سَيْفُ بَاهِرًا  
 وَوَيْئُ جَدِّكَ فِي الشَّدَائِدِ عِنْدَ مَا = خَذَلَتْ عُلَاهُ قِبَائِلٌ وَعَشَائِرُ  
 فَاسْتَهَدَّ مِنْهُ التَّجْعُجُ وَأَعْلَمَ أَنَّهُ = فِي كُلِّ مُعْضَلَةٍ طَيْبٌ مَاهِرُ  
 إِنْ كُنْتُ قَدْ تَعَجَّلْتُ بَعْضَ مَدَائِحِي = فَهِيَ الرِّيَاضُ وَالرِّيَاضُ بَوَاكِرُ<sup>(١)</sup>

### الطرف الرابع عشر

(فِيهَا يَخْتَصُّ بِالْأَجُوبَةِ الصَّادِرَةَ عَنِ الْمُلُوكِ وَالْمِهِم)

والرسم فيه أنه إن كان الجواب صادرًا عن ملك، فالتعبير عن الملك بتون الجمع،  
 وخطابُ المكتوب إليه بالكاف . وإن كان عن بعض أتباع الملك إليه ، فالتعبير  
 عن المكتوب عنه بالخدام، أو العبد . أو الملوك ونحو ذلك ، ومخاطبةُ الملك بما  
 تليقُ به مخاطبةُ الملوك . ثم الجوابُ تارةً يكونُ الأبتداءُ [ فيسه ] بنفس وروود

(١) لم يذكر في الأصل ما أشار إليه من الظم وقد عثرنا عليه في "ريحانة المكاتب" فنقدناه منها استيعاباً.

المكاتبة ، وقد تقدم في مثل ذلك في الكتب الصادرة عن الخلفاء أن المكاتبة  
يبدأ فيها بلفظ عريض . أما الأجوبة المتعلقة بالملوك فإنه يقال فيها بدل عرض :  
وصل ، أو ورد ، أو نحو ذلك .

ثم هي على ضربين :

### الضرب الأول

(الأجوبة الصادرة عن الملوك إلى غيرهم، وفيه ثلاث جمل)

### الجملة الأولى

( في الأجوبة الصادرة عن ملوك المشرق، وفيه أسلوبان )

### الأسلوب الأول

( أن تفتح المكاتبة بلفظ: «كاتبنا» و «وصل كتابك» )

ويذكر تاريخ الكتاب ، ويشار إلى ما فيه ، ثم يؤتى بالحواب إلى آخره . وينتم  
بإسماحة الرأي في ذلك الأمر ، كما كتب أبو إسحاق الصابئ عن صمصام الدولة  
إلى حاجب الجباب أبي القاسم سعيد بن محمد ، وهو مقيم بتصيبين على محاربة  
بادي الكردى .

كاتبنا ، ووصل كتابك مؤرخنا بيوم كذا ، تذكر فيه ما جرى عليه أمرك في الخدمة  
التي نيطت بكفائتك وغنائك ، ووكلت إلى تديرك ورأيك : من رد بادي الكردى  
عن الأعمال التي تظنقها ، وحدث نفسه بالتغلب عليها ، وتصرفك في ذلك  
على موجبات الأوقات ، والتردد بين أخينا وعدتنا أبي حرب زياد بن شهرا كويه  
ورينك من المكاتبات ، وحسن بلائك في تحيفه ، ومقاماتك في حص جناحه ، وآثارك



في الإقتضاض على فريقي بعد فريقي من أصحابه ، وأضطرابك إياه بذلك وبضروب الرياضات التي آستعملتها ، والسياسات التي سُنت أمره بها ، إلى أن نزل عن وعورة المعصية إلى سهولة الطاعة ، وأنصرف عن مجاهل العوآية إلى معالم الهداية ، وتراجع عن السؤم إلى الإقتضار وعن السرف إلى الإقتصاد ، وعن الإباء إلى الإقياد ، وعن الإعتياص إلى الإذعان ، وأن الأمر استقر على أن قيلت منه الإنابة ، وبذلك له فيما طلب الإستجابة ، وأسئيد إلى الطاعة ، وأسضيف إلى الجماعه ، وتصرف على أحكام الخدمه ، وجرى مجرى من تضمه الجملة ، وأخذت عليه بذلك العهد المستحكة والأيمان المغلظه ، وجُددت له الولاية على الأعمال التي دخلت في تقليده ، وضرت عليها حدوده ، وفهمناه .

وقد كانت كتبُ أخينا وعُدتنا أبي حرب [ زياد بن شهر الكوفي ] مولى أمير المؤمنين ترد علينا ، وتصل إلينا ، مشتملة على كتبك إليه ، ومطالعناك إياه ، فنعرف من ذلك حسن أثرك وحزم رأيك ، وسداد قولك ، وصواب اعتقادك ، ووقوع مضاربك في مفاصلها ، وإصابة مراميك أغراضها ، وما عدوت في مذهبك كلها ، ومتقلباتك بأسرها ، المطابقة لإيثارنا ، والموافقة لما أمرت به عنا ، ولا خلت كتبُ أخينا وعُدتنا أبي حرب من شكر لسعيك ، وإحماد لأثرك ، وشأن جميل عليك ، وتلويح وإفصاح بالمناصحة الحقيقية بك ، والمؤالة اللازمة لك ، والوفاء الذي لا يُستغرب من مثلك ، ولا يُستكثر من حل في المعرفة محلك ، وإن كنت قصدت في كل نهج استمررت عليه ، ومعدل عدلت إليه ، مكافئة هذا الرجل ومراعاته ، ومصابرة ومنازلته ، والتماس الظهور عليه في جميع ما تراجعناه من قول ، وتنازعناه من حد ،

فقد أجمع لك إلى إحمادنا إياك ، وأرتضائنا ما كان منك ، المنةً عليه إذ سكتت  
جاشه ، وأزلت أسنبحاشه ؛ وأسئلته من دنس [لباس] <sup>(١)</sup> المخالفة ، وكسوته من حُسن  
شعار الطاعة ؛ وأطلت يده بالولاية ، وبسطت لسانه بالجمه ؛ وأوفيت به على مراتب  
نظرائه ، ومنازل قُرَّانته ، حتى هابوه هيبة الولاه ، وأرتفع بينهم عن مطارح العُصاه .  
فالحمد لله على أن جعلك عندنا محمودا وعند أخينا وعدتنا أبي حرب مشكورا ،  
وعلى هذا الرجل مائنا وفي إصلاح ما أصلحت من الأمر مئسابا ماجورا ؛ وإياد  
نسال أن يُجرى علينا عادته الجارية في إظهار رأياتنا ، ونُصرة أولياتنا ؛ والحكم لنا  
على أعدائنا ، وإزلالهم على إرادتنا ؛ طوعا أو كرها ، وسلبا أو حربا ؛ فلا يخلوا أحد  
منهم أن يحيط لنا بعُنقته ريقه أسرا ، أو مئة عفو ؛ إنه جل ثناؤه بذلك جدير ، وعليه  
قدير . ويجب أن تُتقد إلى حضرتنا الوثيقة المكتتبه على يد الكردي إن كنت  
لم تُفدّها إلى أوإن وصول هذا الكتاب ؛ لتكون في خزانتنا محفوظه . وفي دواويننا  
منسوخه ؛ وأن تُصرف في أمر رسله وفي بقية [ إن كانت بقيت من أمره ] <sup>(١)</sup> على  
ما يرئمه لك عنا أخونا وعدتنا أبو حرب ، فرأيت في العمل على ذلك ، وعلى مطالعته  
بأخبارك وأحوالك ؛ وما يحتاج إلى عمله من جهتك موقفا ، إن شاء الله تعالى .

### الاسلوب الثاني

( أن تفتح المكتابة بلفظ : «وصل كتابك» )

والأمر في ترتيبه على نحو ما تقدم في الأسلوب الذي قبله .

كما كتب أبو إسحاق الصابي عن صمصام الدولة أيضا إلى أبي العلاء عبيد الله  
ابن الفضل في جواب كتابه الوارد عليه بالنظر بأهل الاقتباس ما صورته :

(١) الزيادة من "مختارات الصابي" .

وصل كتابك - أدام الله عزك - المؤرخ بوقت الظهر من أمسنا وهو يوم كذا ،  
تذكر ما سببه الله لك ، وأجراه على يدك ، ويؤمن تديرك . وبركة خدمتك : من الإيقاع  
بالهصاة أهل الأقباس ، وإذاقتهم وبال ما كانوا عليه : من خلق الطاعة ، وشن  
الغارة وأسباحة المحارم ، وأرتكاب العظامم ؛ وإشغافك فيهم قتلا وأسرًا ، وتسریدا  
وتشتيتنا ؛ وفهمنا وجهنا الله عليه . وشكرنا ما أوتى فيه . وحسن منا موقع أثرك ،  
وتضاعف فيه جميل معتقدنا فيك ولك ؛ وأرضينا فعل الأولياء في الخوف إليه ،  
والمناجحة فيه ؛ وسبيلك أن تبحث عن أموال هؤلاء القوم وتحررها ، وتستدركها  
وتحصنها ، وتكتب بما يصح منها ؛ وتقدم بقص أثر المارين حتى تلحقهم بالهالكين ،  
وتسبع الرهبة في سائر شقي الفترات ، وتوشى طوائف الأشرار والحرباء ، وتخفي  
السبل والساعين في الفساد بالنتع لهم ووضع اليد عليهم . فإن بحسب التكاية في أهل  
الجهل والدعارة سُكون أهل السلامة والأستقامة ؛ فأريك في العمل بذلك والمطالعة  
بما يوفقك الله له مستأنفا من مثل هذا الفعل الرشيد ، والمقام الحميد ؛ وبسائر  
الأمر التي ترى عنها وتحتاج إلى معرفة مجاريها ، موقفاً إن شاء الله تعالى والسلام .

### الجملة الثانية

( في الأجوبة الصادرة عن ملوك الديار المصرية من وزراء الخلفاء الفاطميين

الفائمين مقام الملوك الآن من بعدهم )

والذي وقتت عليه منه أسلوب واحد ، وهو الأفتتاح بالفظ : « وصل » .

كما كتب بعض كتاب الدولة الفاطمية عن بعض وزراء الخلفاء إلى أمين الدولة

زنكي كشتكين ماصورته :

وصل كتابك أيها الأمير الأجل الدال على مصالحتي ، المُعربُ عن مناصحتي ، الشاهد له  
بمؤثر الحُطوة والأثر ، والموضح من أفعاله وخِلاله ما لم تزل قضيتَه مرْتَسِمَةً في النفوس  
مُحَمَّوْرَةً ، وعرضنا ما أفترقَ به من مطالمة المقام المقدس النبوي الحافظي - ضاعف  
الله أنواره ، وشادَ مناره ، وأعرز أشباعه وأنصاره - وشَقَعناه من النساء على الأمير  
الاسفَهسلار بما لم تزل عادتُنا جاريةً به مع مَنْ نعلم طاعته ، ونحقق مشايعته ؛  
وزرى باطنه بضاهى ظاهره ، وسره يوافقُ علانيته ؛ ووقفنا على ما أنهاه من حال  
الفرنج المشركين الملعونين ، وما كان من نعم الله تعالى من الظفر بهم ، والإدالمة منهم ،  
والخفص من منارهم ، والتقويض لعمارهم ، والإبادة لفارسهم وراجلهم ، وإرشاد  
السيوف والسهام إلى مقالتهم ؛ وتطهير الأرض منهم بدمائهم ، والإحاطة بهم  
عن أيمانهم وشمائلهم ، ومن أمامهم وورائهم ؛ فابتهجنا بذلك الابتهاج الذي يوجه  
التوحيد ، وآتينا بنا السرور إلى الخلد الذي ما عليه مزيد . على أننا كما نود أن يكون  
ذلك بصفاحنا وأسنَدنا ، وأن يُثبِتَه اللهُ لنا في صحيفتنا ؛ وإنا لراجون من نعم الله عندنا ،  
وإحسانه إلينا كما عودنا ، أن يكون من بقي من المذكورين بنا مستأصلاً ، ويكون  
أجر هذه الخاتمة لنا حاصلًا . وقد عزم الله لنا عدد ووقفنا على كتابه ، بما نخرج به أمرنا  
إلى جميع من بأعمال الدولة الحافظية خلد الله ملكها . بعيدها ودانيتها ، وقصبتها ونايتها  
من العساكر المظفرة المؤيدة ، وقبائل العربان المستخاصة ؛ وكافة الطوائف  
على اختلاف أنواعها ، وتباين أجناسها ؛ وتفارقت منازلها ، وتغابرت مراتبها ؛ بأن ينفروا  
خفافاً وثقالاً ، ورُكباناً ورجالاً ؛ بقوتهم وتجدتهم ، ووفور عيدهم وعُدتهم ، وكثرة  
آلاتهم وأسلحتهم ؛ وبالعزائم الماضية ، والضائر الخالصة ؛ والبيات المستيقنة ،  
والعقائد المتفقة ، وفسحنا للتطوعة أن يمتاطوا بالمرتبة ؛ وأمرناهم بمسيرهم متتابعين ،  
وتوجههم مترادين ؛ وأن يكونوا كاتب متناصره ، ومحافل متواتره ؛ وعساكر متواليه ،

لا ترى الأرض منها إلى العدو حاليه . ومن الله نطلب مادة العون والإسعاد . ونسأله توفيقاً لما يقضى بتضاعف أجرنا في العاجلة والمعاد . وقد شكرنا الأمير الأسفهم لاركون ما أنهاه سببا لهذه النعمة المتوقعة من فضل الله وإحسانه ، والنصرة لدينه التي تؤملها من جزيل كرمه وأمنائه . وأضفنا ما اقتضته مطالعته من جَدَانَا وَغِيظُنَا ، إلى المستقر عندنا من محبة لنا ، وإيثاره الذي لا يحتاج فيه إلى زيادة على معرفتنا ؛ فليعلم هذا وليعمل به . إن شاء الله تعالى .



وكما كتب القاضي الفاضل عن السلطان «صلاح الدين يوسف بن أيوب» إلى صاحب مكة المشرفة . جواباً عن كتاب ورد منه عليه في معنى وُصُولِ غَلَالٍ بَعَثَ بِهَا إِلَى مَكَّةَ مَاصُورَتَهُ :

وصل كتابك . أيها الشريف مُعَرِّباً عَنِ الْمَشَايِعِ الشَّائِعَةِ أَنْبَاءُهَا ، وَالْمُخَالَصَةِ الْخَالِصَةِ أَسْرَارِهَا الْوَافِرَةِ أَنْصَابُهَا ، وَحَسَانِ الْخِلَالِ ، الَّتِي أَقْسَمَ طَرِيقَ الْحَمْدِ إِعَادَتُهَا وَإِدَائُهَا ، وَمَكْرَمَاتِ الْإِلَالِ ، الَّتِي تَسَاوَى فِي أَقْنَاءِ الْحَمْدِ أُنْسَاؤُهَا وَأَبَاؤُهَا ، وَفَضَائِلِ الْإِفْضَالِ ، الَّتِي لَانْتِخَفَ عَلَى غَيْرِ أَهْلِ الْعِبَادِ صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَعْبَاؤُهَا . وَنَشَرَ كِتَابُكَ مِنْ حَاسِنِكَ مَا أَنْطَوَى ، وَوَرَدَنَا مِنْ مَهْلَا أَرَوَى وَإِرْدَهُ وَأَرْتَوَى . وَوَقَفْنَا مِنْهُ عَلَى أَرْفُضَلِ أَشْتَمَلِ عَلَى عَيْنِ الْكَرَمِ وَأَحْتَوَى ، وَوَقَفْنَا وَإِيَّاهُ مِنَ الْحَمْدِ مَا لَا تُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا هُوَ مَكَانًا سُوًى ؛ فَاقْتَضَانَا مَزِيدًا فِي رَفْعِ قَدْرِهِ . وَتَخْتَصِصِيهِ مِنَ الْإِنْعَامِ بِكُلِّ غَرِيبِ الْمَوْقِعِ نَذْرَهُ . وَأَصْرْنَا كِتَابَهُ إِلَى مُسْتَقَرِّ كَاتِبِهِ مِنْ قَابِ الْوُدِّ وَصَدْرِهِ ؛ وَكَيْفَ لَا يَكُونُ ذَلِكَ وَقَدْ أَشْمَعَرَتْ لَيْبَتَهُ الْأَنْسَابُ . وَخَرَّتِ الْأَنْصَابُ ، وَتَجَدَّتِ الرِّقَابُ . وَرُدَّتْ لَهُ بَعْدَ مَا تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ، وَتَهَدَّى بِفَضْلِ تَوْقِيهِمْ الْخَرْبُ وَبِفَضْلِ لَيْلِهِمُ الْخَرَابُ .

فأما ما أشار إليه من الشكر على ما سبب من الغلات التي كان الموعد بها علينا نذرا ، وروحنا بإرسالها قلبا وشرحنا بتسييرها صدرا ؛ وأنها حلت ربة أجدب وفككتها .

وَجَلَّتْ هَبْوَةُ النَّحْطِ وَكَفَّتْهَا ؛ وَهَوَّتْ مَصَائِبَ الْمَسَائِبِ ، وَخَلَقَتْ سَوَاحِبَ  
السَّعَائِبِ ، وَأُطْفَأَتْ - وَفِي الْحَمْدِ - بَوَارِ النَّوَائِبِ<sup>(١)</sup> ؛ فَقَدْ سُرِّرْنَا بِحَسَنَاتِنَا جَعَلَهُ اللَّهُ مِنْ  
سُرَّتِهِ الْحَسَنَةِ ، وَقَدْ نَبَّهْنَا مِنْ سَيِّئَاتِنَا لِأَنَّ نَسْتَقْبِلَ بِالْحَمْدِ لَوَلِيَّ السَّنَةِ ؛ وَقَدْ قَوَّيَ النِّيَّةَ  
وَقَوَّمَهَا ، وَأَسْتَرَادَ لِمَنْ بِلِسَانِ الشُّكْرِ الْفَصِيحِ ، وَتَنَاوَلَ لِمَنْ بِبَاعِ التَّلَطُّفِ الْفَسِيحِ ، وَأَلْفَحَ  
لِمَنْ سَحَابَ عَمَلِهِ مِنْهَا مَعْمَلٌ مُنَافِحٌ مِنَ الرَّيْحِ ؛ وَأَقْتَضَى مَا يَعْزِضُهُ أَنْ نَحْرَجَ الْأَمْرَ بِأَنْ  
يَضَاعَفَ الْمَحْمُولُ فِي كُلِّ عَامٍ ، وَلَا يُحْصَى بِهِ خَاصُّ دُونَ عَامٍ ؛ وَأَمَرْنَا أَنْ يُوَفَّرَ جَلْبُ  
الْجَلَابِ ، وَتُوَفَّرَ ظُهُورُ الرُّكَّابِ ، لِيُجْمَعَ لِلْحَرَمِ الشَّرِيفِ بَيْنَ رِبِّ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ، وَبَيْنَ حَمَلِ  
الْبَطْنِ وَالظُّهْرِ ؛ فَتَظَلُّ السَّنَةُ دُودًا وَوَلُودًا ، وَيُسَاهَدُ الْمَحَلُّ الشَّرِيفُ وَقَدْ نَأَى عَنْهُ  
الْمَحَلُّ شَرِيدًا ؛ وَتُحَطُّ الْقُلُوعُ عَمَّا يُحَطُّ عَنْهُ أَمْثَالُهَا مِنَ السَّعَائِبِ ، وَتَسْتَرِيحُ الْأَنْفُسُ  
لِلْوَضَائِبِ ، فَأَمَّا مَا أَلْفَاهُ إِلَى رَسُولِهِ ، فَقَدْ أَسْمَعَ مَا أَسْنَدَهُ إِلَيْهِ ، وَأَعِيدَ بِمَا يُعِيدُهُ عَلَيْهِ ؛  
وَقَدْ تَكَاثَرَتْ بَوْلَاءَ الشَّرِيفِ الْأَشْهَادِ ، فَفَنَى عَنِ الْأَسْتِمْهَادِ ، وَأَعْتَمَّتْهُ الْخُطْوَةُ بِجَمِيلِ  
رَأْيِنَا عَمَّا نَأَى أَخَذَهُ لَشَفْعَةِ الْعَطَاءِ بِلِ شَفَاعَةِ الْأَجْتِهَادِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

### الجملة الثالثة

( في الأجوبة الصادرة عن ملوك الغُرب )

وهي على النحو المتقدم ، وربما صُدِّرَ بلفظ : « قد » ونحوها .

كما كتب أبو المطرف بن عميرة عن بعض ملوكهم في جواب كتاب ورد عليه  
بطاعة بلد .

قد وصل كتابكم - وصل الله معونتكم وكلاءكم - تذكرونا ما تقوِّرون عندهم  
هنالك من أحوال تلك الجهة ، وباشرتموه من أمورها ؛ وأنتم عندنا بمجمل الصدق ،  
ومكان الإيثار للحق . وقد رسمنا لكم أن تُبَيِّنُوا فِي أَهْلِ تِلْكَ الْجِهَاتِ كُلِّهَا حَمِيدَ الرَّأْيِ

فيهم، وحسن التبول لإنايتهم، وقصد الرفق بخاصتهم وعامتهم، وأنا قد تقبلنا أو تسهم،  
 وأغفرتنا زلتهم، وأولئك المتشبتون بسبب الذمام، عرفوهم أنكم رغبتم في شمول الصفح  
 عنهم، والإقالة لما كان منهم، فاستعفنا رغبتم فيهم، وأدخلناهم في العقوم مع غيرهم،  
 وبذلنا لهم الأمان، وأغضينا عن جميع ما كان، فعرفوهم بهذا كله، وأخبروهم عننا  
 بإعطاء التامين لجميعهم وبذله، وإن كان أطيب لنفوسهم أن يصلهم مكتوبٌ بذلك  
 عرفتمونا، ووجهناه إليكم، وأقيموا أنتم هنالك أياما خلال ما يصلكم من مُتَاقِلِ  
 الأحوال ما تطأئون به، وتحاطبون بما تعتمدونه إن شاء الله تعالى، أدام الله كرامتكم،  
 أشرتم في خطابكم إلى أن عندكم من تلك الأحوال ما تذكرونه مشافهة، وربما  
 يكون ذلك أمدا بيني عليه نظرا، أو يتوجه بحسبه عمل، فمن الجيد أن تكتبوا  
 بشرحه، إن شاء الله تعالى والسلام.

### الضرب الثاني

(الأجوبة الواردة على الملوك)

وهي على نحو ما تقدم في الأجوبة الصادرة عن الملوك من الأبداء بلفظ :  
 «وصل» إلا في الخطاب، فإن المكتوب عنه يقع الخطاب منه بـ «الخدم أو الملوك  
 أو العبد» . ويخاطبُ الملك المكتوب إليه بـ «مولانا أو مولانا الملك أو نحو ذلك»  
 وربما كتب بدل وصل : ورد .

كما كتب القاضي الفاضل عن السلطان «صلاح الدين يوسف بن أيوب» في جواب  
 كتاب ورد عليه مخبرا فيه بالحركة للقاء العدو ما صورته :

ورد على الملوك - أدام الله أيام المجلس الثماني الملكي الناصري - ونصره على أعدائه،  
 ومملكه أرضه بعدل حكم سمائه . ولا أخلي من أعمى خيره ونظره قلوب وعيون

أوليائه ، وأعزَّ الإسلامَ ورفع عن أهله البَلْوَى بلوائه . الكُتُبُ القديمة التي تسرَّ الناظرين من شعارها الأصفر ، وتبشِّرُ الأولياء إن كانوا غائبين مع الغيب بأنَّ حفظهم حاضر مع الحُضُر ، وقد كانت الفترة قد طالَّت أيامها ، واستطالت ألامها ، والطُرُقات قد سبق إلى الأنفُس إيهامها .

فالحمد لله الذي أذهب عَنَّا الحَزْنَ ، وأولى من النعمة ما اشتري الحمد بلائنا ؛ ذلك من فضلِ الله علينا وعلى الناس . ووعدُ [الله] سبحانه منتظرٌ ، إذ يقول في كتابه : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾ . وصدق صلى الله عليه وسلم في قوله : «إِنَّ اخْتِيَارَ اللَّهِ لِلزُّمَيْنِ خَيْرٌ مِنْ اخْتِيَارِهِ ، وَإِنْ مَوَاضِعَ الْأَمَلِ لِلْعَبْدِ خَيْرٌ مِنْهَا مَوَاقِعُ أَفْضِيَةِ اللَّهِ وَأَقْدَارِهِ» . فقد كانت حركةٌ تحتاج إليها البلاد التي انفصل عنها ، والبلاد التي قدم عليها . أما المصرية منها فبكونها على عِدَةٍ من تجديده عاجلا ، وأما الشامية فبكونها على ثقة من نصره عاجلا ؛ فقد تأسكت من المسلمين الأرماق ، وقد أقطعت من المشركين الأعناق :

تُهَابُ بكَ الْبِلَادُ تَحُلُّ فِيهَا . وَلَوْلَا اللَّيْتُ مَا هَيَّبَ الْعَرِينَ<sup>(١)</sup> !

وعرض الملوك ما وصل إليه من مكاتبات المولى على العلم العادلي وأدركها تحصيلا ، واحاط بها جملةً وتفصيلا ؛ والمولى - خلد الله ملكه - فكلُّ ما أشار إليه من عزيمة أبدأها ، ونية أمضاها ، فهو الصواب الذي أوضع الله له مسالكه ، والتوفيق الذي قرب الله عليه مداركه ؛ ومن أطاع الله أحاطه كلُّ شيء ، ومن استخاره بين له الرشد من النبي ؛ والله تعالى يجعل له من كلِّ حادثةٍ نَحْوَهُ ، ويكتبُ أجره في كلِّ حركةٍ ونفسٍ وخطوة . إن شاء الله تعالى .

(١) النخوة العظيمة



## القسم الثاني

( المكتوباتُ الصادرةُ عنهم إلى ملوك الكُفْر، وفيه طرفان )

## الطرف الأول

( في الأبتداءات، وفيه ثلاثُ جمل )

## الجملَةُ الأولى

( في المكتوباتِ الصادرةِ إليهم عن ملوك بلاد الشرق من بني بُوَيَّه فمن بعدهم )

وقد كان الرسم فيها أن تُفْتَحَ المكتوبةُ بلفظ " كتابي أو كتابنا إلى فلان " ويخاطب  
المكتوب إليه بملك الروم أو نحو ذلك ، ويختم بقوله : فإن رأى ذلك فعل إن شاء  
الله تعالى .

كما كتب أبو إسحاق الصابي عن القائد أبي الفوارس خنور التركي المعزى ،  
إلى وردس بن قنبر المعروف بعسقاروس .

[ كتابي إلى ] ملك الروم الفاضل . الجليل ، النبيل ، الحظير ، أدام الله كفايته وسلامته ،  
ونعمته وسعادته ، وعافيته وحرامته . من الحضرة الجليلة بمدينة السلام ثمان ليالٍ خالونَ  
من ذى الحجة سنة تسع وسبعين وثلثمائة . وهو اليوم التاسع من أذار ، عن  
شمول السلامة ، وعموم الأستقامة . وصلاح حالي في ظل الدولة المنصورية .  
والحمد لله رب العالمين وحده لا شريك له ، وصلى الله على محمد وآله وسلم تسليماً .

ووصل كتابُ مولانا ملك الروم الفاضل الجليل الصادر عن العسكر بمرج لارضة  
بتاريخ التاسع من حَزْرِيَّان . وفهمته وجلَّ عندي مَوْقِعُهُ ، وعظُم في نفسي خَطَرُهُ ؛

وَحَدِثُ اللهُ عَلِيَّ مَا شِئِدَ بِهِ مِنْ أَنْتِظَامِ أَحْوَالِهِ ، وَأَطْرَادِ أُمُورِهِ ، وَسَائِهِ أَنْ يَسَمَّ النِّعْمَةَ عَلَيْهِ ، وَيَزِيدَ فِيهَا لَدَيْهِ ، وَيُوَاصِلَ إِحْسَانَهُ إِلَيْهِ ، وَيُطِيلَ مَدَّتَهُ ، فِي أُمَّةٍ رُشِدٌ وَهُدَايَةٌ ، وَأَرْفَعُ قَدَمٌ وَمِثْلَةٌ ، وَأَعْلَى خَطِيرٌ وَرِثِيَّةٌ ، بِنِعْنَةِ وَطَوْلِهِ ، وَجُودِهِ وَبِحَمْدِهِ .

فَأَمَّا مَا ذَكَرَهُ سَيِّدُنَا الْمَلِكُ الْجَلِيلُ : مِنْ مَقَامِهِ عَلَى الْعَهْدِ ، وَاقْتِنَارِهِ إِلَى الْمَيْلِ وَالْوُدِّ ، فَذَلِكَ يُوجِبُ فَضْلَهُ الْبَارِعَ ، وَكِرَمَهُ الشَّائِعَ ، وَخِلَالَ الْخَيْرِ الَّتِي أَهْلَهُ اللهُ لَهَا ، وَخَصَّهُ اللهُ بِهَا ، وَبِاللَّهِ أَحْلَفُ إِنِّي مَا خَلَوْتُ مِنْذُ أَفْتَرَقْنَا مِنْ مَطَالَعَةِ أَخْبَارِهِ ، وَتَبَيُّعِ آثَارِهِ ، وَاسْتِعْلَامِ تَجَارِي شُؤْنِهِ ، وَالسَّرُورِ بِكُلِّ مَاتَمَّ لَهُ وَوَصَلَ إِلَيْهِ ، حَتَّى كَأَنِّي حَاضِرٌ لَهُ ، وَضَارِبٌ بِأَوْقُرِ سَهْمٍ فِيهِ ، بَلْ مَخْصُوصٌ بِجَمِيعِهِ ، وَاللَّهُ يُجْرِيهِ عَلَى أَحْسَنِ مَا أَوْلَاهُ وَعَوَّدَهُ ، وَلَا يُجْلِيهِ مِنَ الصَّنْعِ الْجَلِيلِ فِيمَا أَعْطَاهُ وَقَلَّدَهُ ، بِرَحْمَتِهِ .

وَكُنْتُ قَبْلَ ذَلِكَ عِنْدَ وُرُودِ رَسُولِي فِي الدَّفْعَةِ الْأُولَى عَلَى غَايَةِ الْعَمِّ وَشُغْلِ الْقَلْبِ بِسَبَبِ الْغَدْرِ الَّذِي لَحِقَهُ مِنْ عَدُوِّهِ الَّذِي أَظْفَرَهُ اللهُ بِهِ ، وَأُنْهِيتُ ذَلِكَ فِي وَقْتِهِ إِلَى الْمَلِكِ السَّعِيدِ الْمَاضِي ، شَرَفِ الدَّوْلَةِ ، وَزِينِ الْمُلْكِ ، وَرَضِيَ اللهُ عَنْهُ . فَاسْتَفْلَ قَلْبُهُ - رَحِمَهُ اللهُ - بِهِ ، وَعَمِلَ عَلَى إِتْقَانِ الْعَسَاكِرِ لِنُصْرَتِهِ ، ثُمَّ آتَى مِنْ قِضَاءِ اللهِ فِي أَمْرِهِ مَا قَدَّ عَرَفَهُ .

وَلَمَّا أَنْتَصَبَ فِي الْمُلْكَةِ مَوْلَانَا السَّيِّدُ بِهَاءِ الدَّوْلَةِ ، وَضِيَاءُ الْمُلْكِ - أَطَالَ اللهُ بَقَاءَهُ - شَرَحْتُ لَهُ مَا جَرَى قَدِيمًا عَلَى سِيَّاقَتِهِ ، وَمَهَّدْتُ الْحَالَ عِنْدَهُ ، وَوَجَدْتُهُ - أَدَامَ اللهُ - سُلْطَانَهُ - مَعْتَقِدًا لِسَيِّدِنَا مَلِكِ الرُّومِ الْجَلِيلِ - أَدَامَ اللهُ عِزَّهُ - أَفْضَلَ آعْتِقَادٍ ، وَسُرَّ بِمَا أَنْهَتْ إِلَيْهِ أُمُورُهُ ، وَتَجَبَّزَتْ الْكُتُبُ إِلَى مُوَصِّلِهَا الرُّسُولِ حَفِظَهُ اللهُ ، وَتَبَيَّنَتْ مِنْهُ مَا كَانَ تَحْتَهُ عَنْ سَيِّدِنَا مَلِكِ الرُّومِ أَدَامَ اللهُ تَأْيِيدَهُ ، وَأَخْرَجَتْ مَعَهُ صَاحِبِي أَبِي الْقَاسِمِ الْحُسَيْنِ بْنِ الْقَاسِمِ ، وَحَمَلْتُهُمَا جَمِيعًا مَا يُنْبِئَانِي بِهِ فِي سَائِرِ الْأُمُورِ الَّتِي يَرَى عَرَضُهَا وَيَحْتَاجُ إِلَى مَعْرِفَتِهَا .

وأنا أسأل سيدها الملك الجليل - أدام الله بركته - تعجيل رده إلى ، فإنه تقى ،  
ومن أسكنُ إليه في أمورى ، وأن يتفضل ويكلفنى حوائجه ومهماتِه ، وأمره ونهيه  
لأقوم في ذلك بالحق الواجب له ، فإن رأى سيدينا ملك الروم الفاضل الجليل ،  
الخطير النبيل ، أن يعتمد من ذلك بما يتضاعف عليه سُكرى ، وتجلُّ النعمةُ فيه  
عندى ، ويساكل الحالَّ بينه وبينى ، فعل إن شاء الله تعالى .

### الخطبة الثانية

( في المكتوبات الصادرة عن ملوك الديار المصرية إليهم )

والذى وقفتُ عليه من ذلك أسلوب واحد : وهو الأبتداء بـ «أما بعد» والخطابُ  
فيه بالملك ، والأختتامُ بالدعاء .

كما كتب القاضي الفاضل عن السلطان «صلاح الدين يوسف بن أيوب» إلى بردويل  
أحد ملوك القرمانج ، وهو يومئذ مستولٍ على بيت المقدس وما معه : معزيًا له في أبيه  
ومهنئًا له بجلوسه في الملك بعده ، ماصورته :

أما بعد . خصَّ الله الملك المعظم حافظَ بيت المقدس بالحدِّ الصاعد ، والسَّمد  
الساعد ، والحظَّ الزائد ، والتوفيق الوارد ، وهنأه من ملك قومه مأورته ، وأحسن  
من هداه فيما أتى به الدهرُ وأحدثه ، فإن كتابنا صادرٌ إليه عند ورود الخبر بما ساء  
قلوبَ الأصدقاء ، والنعمى الذى وِدَدْنَا أَنْ قائله غيرُ صادق ، بالملك العادل الأعمَرُ  
الذى لتأه الله خيرَ مألوفٍ مثله ، وبلغ الأَرْضَ سعادتَه كما بلغه محله ، معزِّمًا يجب فيه  
العزاء ، ومتأسفٌ لتفدده الذى عظمت به الأرزاء ، إلا أن الله سبحانه قد هون  
الحادث ، بأن جعل ولده الوارث ، وأنسى المصاب ، بأن حفظ به النصاب ، ووهبه

النعيمين : المَلِكَ والشَّبَابَ ، فهينًا له ما حاز ، وسقيًا لقبر والده الذي حَقَّ له الفداء لو جاز ؛ ورسولنا الرئيس العميد مختار الدين أدام الله سلامته قائمٌ عنا بإقامة العزاء من لسانه ، ووَصِفَ ما نالنا من الرَّحْشَةِ لفراق ذلك الصديق وحُلُوِّ مكابِه ؛ وكيف لا يستوحشُ ربُّ الدار لفرقة جيرانه . وقد آستفتحنا الملك بكتابنا وارتبادنا ، وودنا الذي هو ميراثه عن والده من وِدَادنا ؛ فليلقِ النجوة بمنهلها ، وليأتِ الحسنة ليكون من أهلها ؛ وليعلم أناله كما تكا لأبيه : مودَّةُ صانیه ، وعقيدةُ وافيهِ ، ومحبةُ ثبت عقدها في الحياة والوفاء ، وسريرةُ حكمت في الدنيا بالمُوافاه ؛ مع ما في الدين من المخالقات . فليسترسِلْ إلينا أسترسالَ الواثق الذي لا يتجمل ، وليعتمدْ علينا أعتادَ الولد الذي لا يجمل عن والده ما تمحل ؛ والله يُدبمُ تعميره ، ويحرسُ تأميره ؛ ويقضى له بموافقة التوفيق ، ويُلهمه تصديقَ ظنِّ الصديق .

### الجملة الثالثة

( في الأجوبة الصادرة إليهم عن ملوك الغرب )

والرسم فيه أن تفتح المكاتب بلفظ : « كتابنا » والمخاطبة بنون الجمع عن المكتوب عنه وميم الجمع عن المكتوب إليه ، والأختتام بالسلام مع الدعاء بما يليق .  
كما كتب أبو المطرف بن عميرة عن أبي جيميل زيان ، إلى ملك قشتالة من بلاد الأندلس في مُراودة الصلح :

كتابنا إليكم - أسعدكم الله برضاه ، وأدام عزكم وكرامتكم بتقواه - من مُرسية ، ونحن نحمدُ الله الذي لا شيء كمثلُه ، ونلجأ إليه في أمرنا كلكه ، ونسأله أن يورعنا شكر إحسانه وفضلِه - وعندنا لجانباكم المرفوع تكريمه نستوفيهما ، ومبرة نتبى إلى الغاية فيها ، وعلمنا

بِحَلْمِ الشَّهِيرِ ، وَكِتَابِكِ الْخَطِيرِ . يَسْتَدْعِي الزِّيَادَةَ مِنْ ذَلِكُمْ وَيَقْتَضِيهَا ، وَفَدَا كَانَتْ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ الْمُعْتَادِ ، وَجَمِيلِ صُنْعِهِ فِي أَنْتِظَامِ الْكَلِمَةِ فِي هَذِهِ الْبِلَادِ ، مَا أَكْتَفَيْتُهُ الْعِصْمَةَ ، وَكَلَّمْتِ بِهِ النِّعْمَةَ وَالْمِنَّةَ ، وَتَيَسَّرَ بِمَعُونَةِ اللَّهِ فَتَحَّ أَقْرَبُ الْعِيُونَ ، وَرَضِيَهِ الْإِسْلَامُ وَالْمُسْلِمُونَ ، وَكَانَتْ مَطَالَعُكُمْ بِهِ مِمَّا أَثَرْنَا تَقْدِيمَهُ ، وَرَأَيْنَا أَنْ نَحْفَظَ مِنَ الْأَسْبَابِ الْمُرْعِيَّةِ عَلَى التَّفْصِيلِ وَالْإِجْمَاعِ [ حَدِيثُهُ وَقَدِيمُهُ ] وَحِينَ تَرْتَمِحْتَ تَنَاوَبْتِكُمْ مِنْ هَذَا الْمَكَانِ ، وَمَفَاوِضِكُمْ فِي هَذَا الشَّانِ ، رَأَيْنَا مِنْ نِكْمَةِ الْمَبْرُءِ ، وَتَوْفِيَةِ الْعَنَاءِ الْمَبْرُءِ ، أَنْ تُنْفِذَ إِلَيْكُمْ مِنْ بُشَايِكُمْ فِي هَذَا الْمَعْنَى ، وَيَذَكِّرَ مِنْ قَضِينَا مَا نَوْلَعُ بِهِ وَنُعْنَى ، وَهُوَ فُلَانٌ فِي ذِكْرِ السَّلْمِ وَمَحَاوَلَتِهَا ، مَا يَتَأَذَى مِنْ قِبَلِهِ عَلَى الْكِبَالِ بِحَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى . وَإِنْ رَأَيْتُمْ إِذَا أَنْصَرَفَ مِنْ عِنْدِكُمْ ، أَنْ تَوَجَّهُوا زِيَادَةً إِلَى مَا تُنْقُوهُ إِلَيْهِ مِنْ رِجَالِكُمْ وَخَاصَّتِكُمْ ، فِي مَعْنَى هَذَا الْعَهْدِ وَإِحْكَامِهِ ، وَمَحَاوَلَتِهِ وَإِبْرَامِهِ ، فَعَلِمْتُمْ مِنْ ذَلِكَ مَا تَرْقُبُ أَثَرَهُ ، وَنَصْرِفُ إِلَيْهِ مِنَ الشُّكْرِ أَوْفَاهُ وَأَوْفَرَهُ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى : وَهُوَ الْمَوْقُوقُ لِأَرْبٍ سِوَاهُ ، وَالسَّلَامُ الْأَتْمُّ عَلَيْكُمْ كَثِيرًا .

### الطَّرْفُ الْخَامِسُ عَشَرَ

(المكاتبات الصادرة إلى ملوك الكفر في الأجوبة [وهي] إما أن تصدّر بما يصدّر به الأبتداء وقد تقدم ، وإما أن تصدّر بلفظ وصل أو ورد)

كما كتب بعض كتّاب الدولة الأيوبية عن الملك الجوّاد : أحد ملوكهم ، في أيام الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر ، جواب كتاب ورد عليه من فرائك : أحد ملوك القرنج في شعبان سنة ثلاثين وستائة :

وردت المكتابة الكريمة الصادرة عن المجلس العالى، المولى، الملك، الأجل، الأعز  
الكبير، المؤيد، الخطير، العالم العامل، الظهير، العادل، الأوحيد، المجتبي، شمس الملة  
التصراييه، جلال الطائفة الصليبيه، عضد الأمة الفرتنجيه، غير أبناء المعمودية،  
عمدة الممالك ضابط العساكر المسيحيه، قيصر المعظم فلان معز إمام روميه، ثبت  
الله لديه نعمه، وعزز موارد جوده وديمته، وأمضى صوارم عزائمته وأعلى همته،  
ولا برحت أنوار سعده، تتلالا، وأخبار مجده، تبسط وتعالى، وبحائب الألسنة  
الناطقة بمجده تستهل وتوالى، إلى أن يتحلى جيد الضحى بعقود الليل، وتطلع  
الشعري من مطالع سهيل - بجدد الثناء على جلاله، وأكد المدح لإحسانه وإفضاله،  
وأفقس أسباب المودة والخصافه، وشدد أواحي الإخلاص والموافاة فاستبشرت  
النفوس بوروده، وسرت القلوب بوفوده، ووقف منه على الإحسان الذى نعرفه،  
ووجد عقده مشتملا على جواهر الوداد الذى نألفه، فشكر الله على هذه الألفة  
المتظمة، والمحبة الصادقة المكرمه . والمجلس العالى الملك الأجل أعلى الله قدره،  
ونشر بالخير ذكره، أولى من أهدى المسرات، بورود المراسم والحاجات، ووصل  
الأنس بكريم المكتابات، مضمنة السوانح والمهفات .

فأما ما ذكره المقام العالى الساطنى المسمى الكاملى الناصرى - زاده الله شرفا  
وعلوا - من أنه لا فرق بين الملكتين، فهذا هو المعتقد فى صدق عهده، وخالص  
وده، ولا زال ملكه عاليا، وشرفه ناميا، إن شاء الله تعالى .

## الفصل الرابع

من الباب الثاني من المقالة الرابعة

( في المكتبات الصادرة عن ملوك الديار المصرية، على ما استقر عليه الحال

من ابتداء الدولة التركية وإلى زماننا على رأس الثلاثة، مما أكثره

مأخوذاً من ترتيب الدولة الأيوبية التي هي أصل

الدولة التركية، وفيه [ثلاثة] أطراف )

### الطرف الأول

( في المكتبات الصادرة عنهم إلى الخلفاء من بني العباس )

قد تقدم في الكلام على المكتبات الصادرة عن الملوك إلى خلفاء بني العباس أنها على أساليب في ابتداء المكتبات : منها ما يفتتح بآية من القرآن الكريم ثم بالسلام ؛ ومنها ما يفتتح بالسلام ابتداءً . ومنها ما يفتتح بالصلاة على الخليفة على مذهب من يرى جواز إفراد غير الأنبياء بالصلاة ؛ ومنها ما يفتتح بالدعاء لديوان الخلافة .

ولكن الذي ذكره المقتر الشهابي بن فضل الله في كتابه " التعريف بالمصطلح الشريف " مما احتال مستقره أن المكتبة إلى ديوان الخلافة الشريفة : «أدام الله أيام الديوان العزيز، المولوى، السيدى، النبوى، الإمامى، العلافى» ثم الدعاء المعطوف، والصدر بالتعظيم الماثوف، وأنها قد تفتتح بغير هذا الدعاء نحو : «أدام الله سلطان» و«خلد الله سلطان» أو «أيام» أو غير ذلك مما يقتضى العز والدوام . وأن الصدر نحو : «العبد، أو المملوك، أو الخادم، يقبل الأرض أو العتبات أو مواطنه الموافق» أو غير ذلك . وأن ختم الكتاب يكون تارة بالدعاء، وتارة بـ«طالع أو أنهى»

أو غيرها مما فيه معنى الإنهاء . ويخاطب الخليفة في أثناء الكتاب بالديوان العزيز، وبالمه أصف المقدسة أو المشرفة، والأبواب الشريفة، والباب العزيز، والمقام الأشرف، والجانب الأعلى أو الشريف . وبأمر المؤمنين مجزدة عن سيدنا ومولانا، ومرة غير مجزدة، مع مراعاة المناسبة، والتسديد والمقاربه . وأن خطاب المكاتب عنه بحسب من كتبت عنه : فكتب بعض ملوك بني أيوب بالديار الشامية « الخادم » . وبعضهم « المملوك » وبعضهم « العبد » وبعضهم « أقل الممالك » وبعضهم « أقل العبيد » . وأن علاء الدين خوارزم شاه : صاحب بلاد خوارزم وما معها ، وأبنة جلال الدين كانا يكتبان « الخادم المطواع » ، وأن أم جلال الدين كانت تكتب « الأمة الداعية » . قال : في « التثقيف » : وعنوانه « الديوان العزيز » إلى آخر الألقاب ، ثم الدعاء يعنى من نسبة الصدر ، نحو « أدام الله أيامه وخلد الله سلطانه » وما أشبه ذلك . قال : وعادة العلامة إليه « الخادم » أو « المملوك » أو « العبد » . وكتب بعضهم « أقل الممالك » وبعضهم « أقل العبيد » . يريد أن العلامة تكون مطابقة لما يقع في أثناء الكتابة عن المكتوب إليه من الخادم وغيره مما تقدم ذكره ، بحسب ما يؤثر الملك المكتوب عنه الخطاب به عن نفسه .

وهذه عدة صدور مختلفات الأبتداءات منقولة من التعريف وغيره .

أما قطع الورق الذى يكتب فيه إلى الخليفة ، فقد تقدم في الكلام على مقادير قطع الورق في المقالة الثالثة ، نقلنا عن ابن عمر المدائني في « كتاب القلم والنواة » أنه يكتب للخلفاء في قرطاس من ثلثي طومار ، وأن المراد بالطومار القرحة الكاملة ، وأن المراد الورق البغدادي ، وحينئذ فينبغي أن يجرى الأمر على ذلك تعظيماً للخلافة .



صدر : أدام الله أيام الديوان العزيز، ولا زالت سيوف أوليائه في رقاب أعدائه  
مُحَكِّمَةً، وصُوفُ الكفَّارِ، في أيدي عسكره الجُزَّارِ، بالثَّهَابِ مَقْسَمَةً، وصفوفُ أهل  
الشرك مُزَلَّزَةٌ بخوافق أعلامه المطهرة وسنابك جياده المطهَّمة، ولا يرحت ملائكة  
النصر من أمداده، وملوك العصر بيض الوجوه بتعظيم شعار سواده .

الخدم ينتهب ترمى العنبات، الشريفة بالنقيل، وينتهي في فُصاري الطليبات، على  
الوقوف في تلك الربوع، ويكَلِّلُ رُبَى تلك الساحات، هو وكلُّ أرب سبيل بلائ  
الدُّمُوعِ، خضوعاً في ذلك الموقِفِ الذي تُشكر القلوب فيه الصدور، وتلصق منه  
الترابُّ بالثُّجُورِ، ويُظهِرُ سِمًا الجلالة في الوجود، ويُصدِّق على الأولياء، فيمَرُّون  
بِسِيَّاهُم من أثر السجود . ويُنبئ أن ولاءه القديم، وبلاءه العظيم، وأيامه السالفة،  
وأفعاله النالدة والطارفة، وسوابق خدَمه في أمثال الأوامر الشريفة التي لم يزل  
يتسارع إليها، ويُقارع عليها، ويصارع عُلب الأسود على تنفيذ مراسمها، وإقامة  
موااسمها، وإطارة صيتها، ودوام تبيتها، تحمُّلُ الخادم على الأسترسال، وتحمُّلُ له  
السؤال، والذي ينهيه كذا وكذا .



صدر آخر من " التعريف " : أدام الله سلطان الديوان العزيز، ولا زالت  
الخلائق بكرمه مُصَيِّفُهُ [والكُتَّابُ في هَجِيرِ وَطيسه مصيِّفه] <sup>(١)</sup> . والأبصار في نصر  
أنصاره مصيِّفه، والمواضي بأوامره في قبضات عساكره مُصَرِّفُهُ، والنقود إلا ما تُسَرِّفُ  
باسمه مُزَيِّفُهُ، والقلوب في صدور الأعداء بخواطف رُعبه مُسَيِّفُهُ، والموجود إلا بما  
تُخَيِّرُهُ مواهبه مُسَوِّفُهُ، والوعى لأثرى إلا برماحه متقففة، والسما، وإن علت لاتكون

(١) الزيادة من " التعريف " .

إلا لأذيال سُيوفه مسجفة ، وأماها به بسطاه إما للمأفل فاتحة وإما عمّا يطمع أن تتأله الأيدي منها مجحفة ، والأثم على اختلافها تحمت رايته المنصورة مقاتلةً وأخرى له مُحالفه ، والأعلام التي يَأوى إليها الإسلامُ به جوارَ الجوزاء محلقه ، والأبطالُ لقتال الكفر بوارق سُيوفه ، قبلَ مَضايقِ صُوفه ، ومخائقِ رُحوفه مُحوفه .

الخدام يُقبل بولائه إلى ذلك الحنّاب ، ويقبل الأرض وكتابه يُحسن المتأب ، ويقبل عثرته إذ كانت به قد لآذ ، ويقم معاذيره إذ كان به قد عاذ ، ويتسربل بطاعته سراويلَ تقيه إذا خاف من سهام الدهر إلى مؤجته التقاذ ، ويصول بانضمامه إلى تلك العصاة المنصورة لابساً يطع من القولاذ ، ويحل تلك المواقف المقدسة أن يسأل مواطنها بدمعه ، وأن يحل مواطنها بقلبه قبل أن يعاجل كل عدو بقمعه ، ويعُد ماهدى إليه من الاعتصام بسبها سبباً لفوزده ، وموجباً لمملك رقى عنق كل عاص وحوزده ، وينهى كذا وكذا .



صدر آخر : خلد الله سلطان الديوان العزيز ! ولا زالت أيامه شامخة النوائب ، شارخة الصبا [ حتى ] حيثُ يالحقُ الشيبُ الشوائب ، راسخة الفخاري الظهور بالمعائب ، نانخة في قَم اللبل بجر المكائب ، صارخة والرعْد ترتعد فرائضه بين السحاب ، ناسخة دولة كلّ علماء بما تأتي به من الغرائب ، وتبدله من الرغائب ، فاسخة عقد كل خالع يردّه الله إليهم خائب ، باذخة على ماضى كل زمانٍ ذاهب من عصور الخلفاء الشرفاء وآيب ، سائلة جلدة كلِّ أيم ظان أن في آنياب رُمحه النوائب .

الخدام يقبل العتبات الشريفة ساجداً بيمينه ، وشاهداً يستأديه له على يمينه ، وجاحداً كل ولاء سوى ولّائه المعقود بيمينه ، وعاقداً بشرف الألتساب إليه عقد دينه ،

وحامداً الله الذى جعله [من] طاعة أمير المؤمنين عند حسن يقينه؛ وعانداً بأمله إلى كرم نُحْمَر به الآمال، وتُقَمِّر به اللبالي لأنها شعاره الذى تُضْرَب به الأمثال، وتُطْرَبه السُّحْب الجَهَام فتُحْمَى بها آية الإجمال. ويُنْبئى وُرود المِثَال الشريف الذى طَلَعَ نَبْرَه فأَنَار، وسَطَعَ متضادّه فأَلْف بين الليل والنهار؛ وأَقْبَل فما رآه إلا كِتَابَه الذى أُوتِيَه باليمين، وسَجَابَه الذى أُعْطِيَه يندى منه الجبين، ونَصَرَه أكثر من الأُلوْف، وأنصَفَه أعْجَل من السِوْف، وزاحَمَ به الدهرَ فضلاً عن الضُّفُوف، وزارَ به الوغى لايتهاهاً وخطَّيات القنا وقُوف، فتنشَرَف به وطار بغير جناح، وقاتَل بغير سلاح، وقراءه وبات قِرْبَى له فى السَّاح، وتَسَلَّمه كأنما تَسْم به المعاقِل وتَسَلَّم منه المِفْتَاح.



صدر آخر : خَلدَ اللهُ أَيامَ الدِيوان العزِيزِ! ولا زالت سَطَوَانُهُ تُجَدُّ برُعيها الأبطالُ المدبَّجَة ، وتَحْمُدُ بغيضها النيرانُ الموحِجَة ، وتَحْمَلُ بِرُكْرِ نفاذها إلى القلوب الرِّماحُ المَرَّجَة ، وتَحْمَلُ معها بموائد كرمها السُّحْبُ المتَّجِجَة ، وتَحْفُفُ لَدَيْهَا أوقارُ الجبالِ المتَّجِجَة ، وتَحْزُرُ بل تحوُّر خوفاً أن تترقِّ إليها الأصواتُ المَضْجِجَة ، وتَحْصُصُ بالفرق من خاطرٍ فى يحارها المتَّجِجَة ، وتَحْلِفُ بِسلطانها للموتِ أشهى من البقاء إلى طرَائِدِ سِوْفِهَا المَهْجِجَة ، وتَحَلِّدُ النصرَ بِمُحْجِجِهَا القائمةِ على الخِصَاءِ المتَّجِجَة .

الخلادُمُ يَقلِّبُ وجهه فى سماءِ التَفَخُّرِ بتفصيل الأرضِ التى طالَتِ السماءُ ، فأطالَتِ النِّماءُ ، وفضلتِ النجومَ اللّوامِجَ ، وأوتيتُ بمالكها - أعزَّ اللهُ سلطانه - كَلِمَ الفضلِ الجِوامِجِ ، وأحلتُ شوايحِ المجدِ مَنْ حَلَّها ، وأحلتُ فُدْرَ من جَدِّ فأجَلَّها ، وأعطتُ مَفَّ تَبِيعِ الكُنوزِ كُنوزِ الشُّرفِ لمن قَبَلها كما يقبَلُ الخبيجُ الحجَرَ ، أو أمثلها كما يؤمَلُ السارى طُلُوعَ القمرِ، وينهى كذا وكذا .

(١) من من "التعريف" وهو لازمة لوضوح المعنى .

(٢) فى التعريف "وخضار" وكل صحيح .



صدر آخر : قال في "التعريف" : وهو غريب الأسلوب .

أدام الله أيام العدل والإحسان ، والذم الحسان ، والفضل المشكور بكل لسان ؛  
الأيام التي أشرق صباحها السافر ، وعم تتأحها الوافر ، وآمن بيمنها كل مسلم ضرب  
عليه سراق الليل الكافر ؛ وعلت شمسها وقد جتحت العصور الذواهب ، وقُدحت  
أشعتها فأضاعت من لآتي الغياهب ؛ أيام الديوان [ العزيز الملووي ، السيدي ،  
النبوي ، الإمامي ، الحاكبي ] ، لا برحت أيامه مَفننه ، وأحكامه مَفننه ، ومُجبه  
على الظلم مَفننه ، وقُرُبه بهفقد ماحوته مَفننه ، وحقائقه غير مَفننه ، وطرائقه للغير  
مَسَننه ، والخلائق تحت جناح رافته ورُحماه مَكَننه ؛ ولا زال ولاؤه ضمير من  
أعتقد ، ومُحير من أخذ من الدهر ما نقد ، ومُبير الأسود المتضائله لديه كالنقد ، ومُبير  
من تَبه وصحيع من رقد ، ومُعير البرق ندى كرمه وقد وقَد ، ومُعير متعالي الصباح  
من راياته العاليه بما عقد ، ومُحير من لآذ به حتى لا يضره من فقد ، ومُبير عداه برداه  
الذي إن تأخر إلى حين فقد .

الخادمُ يُحَدِّمُ تلك العنبايت الشريفة التي إن تاهت على السماء قسا ، وإن دنت  
للتقبيل فإن الثريا تود أن تكون قسا ؛ وتنب تراب تلك الأرض التي هي مساجد ،  
ويقبَل ذلك البساط الذي لا موضع فيه إلا مكاتب لائم أو ساجد ؛ ويتزهاها  
عن سواكب دمه : لأن ذلك الحرم [الآمن] لا تَطُلُّ فيه الدماء ، ويُجَلِّها عن مواقع  
نمّه لأنها لا تلم السماء ؛ ويرقع صالح الدعاء ، وإنما إلى سماها يرغمه ، وينهى صادق  
الولاء ، وما تم من يدغمه ، ويتنحر من صحیح البودية ما يرجو أنه ينفعه ؛ ويطالع المولود  
الشريفة بكذا وكذا .



صدر آخر : أدام الله الصلوة على الدين والدنيا بياضة الديوان العزيزا وأسبغ نعمه  
فالنعم في ضمنها ، وملا الآمال منها وأفاض من أنوارها التي علم قرن الشمس أنه  
غير قرنها ، وأدال دولته التي نزل الخلق من جنات عدن لها جنات عدننا ، وأمضى  
سيوفها التي تعرب فيعرف ضمير النصر في حلتها ، وأعلى آراءها التي تلقى العداة بدروع  
يقينها ، وتلقى القيوب بسهم ظننها ، ولا زالت البشائر تنبارى إليه بردها ، ويضفوه  
على أعطاف الإسلام بردها ، ولا برحت راياته سويدات قلوب العساكر ، وأجنته  
الدعاء المخلوق إلى أفق السماء من أفق المنابر ، وولأوها السر المهيم الذي هو مما تلى  
به السرائر . الخادم . . . . .



صدر آخر : أعلى الله الموحدين على الملحددين . وثبت كلمة المتقين على اليقين ؛  
بدوام أيام الديوان العزيز وروض بولاته كل ديوان ، ووسم بولاته كل أوان ، وأنطق  
بجده كل لسان ، وألم الخلق أن يعنونا بطاعته صحائف الإيمان ، وأسعدهم  
بما يتناولونه في الدنيا من كتب المن وفي الآخرة من كتب الأمان ، فكلها طائر  
في العنق يكون بالطاعة فلا يدبر في الأطواق ، وبالنعصية جوامع أسير في الأعناق .

وزد على المملوك كتاب إن لم يكن أنزل من السماء ، فهو من الذين أنزل عليهم  
كتاب من السماء ، وإن لم تنزل ألفاظه بالساء ، فهو من الذين أنزلت ألفاظ دعواتهم  
الساء ؛ وإن لم يكن كتاب العمل ؛ لأنه ليس بيوم الكتاب ، فإنه قط مجل له قبل يوم  
الحساب ؛ ولولا أن أم الكتاب أعقمت لكان ابن أم الكتاب . وإن هو إلا طائر  
ألزم في عنقه وما شكر طائره إلا المحراب .



صدر آخر : أتم الله ما أنعم به على الديوان العزيز وعلى الخلق ، وأشرك في هذه النعمة أهل الغرب والشرق ، وميز المظوظ فيها بحسب درجات السبق ، فإنه ( لا يستوي منكم من أتقى من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلاً وعد الله الحسنى ) والله لا يخلف موعده ، والديوان العزيز لا يكثر مؤرده ، ولا رفع عن أيدي الخلق يده ؛ بل يجري عليها ما ضمنه ، ويمكئها بما بسط لها في الأرض ومكئها ؛ ويرسل عليها صحاب رحمة ، وينشيئ منها ناسئة نعمته ؛ ويوجه إلى قلبها وجه كل أمل ، ويبيض طوفانها فلا يكون به للغليل قبل ، ولا يأوى إلى حصاة قلب فيمصمها ولو أنه جبل .

قلت : ولم أقف على مكتبة عن أحد من ملوك الديار المصرية إلى أبواب الخلافة مُد صارت دار الخلافة بالديار المصرية . والظاهر أنه لم تجر مكتبة عن السلطان إلى الخليفة ، لأن الخليفة لا يكاد يفارق السلطان سقراً ولا حصراً مفارقة تُوجب المكتبة إليه ، كما أشار إليه صاحب "التنقيف" . وقد لوح في "التعريف" إلى ذلك فقال : وأول ما نبداً بما يكتب به إلى الأبواب الشريفة الخليفية (كذا) زادها الله شرفاً ، جرياً على قديم العادة ، ووجاء لملاحظة السعادة .

وهذه نسخة مكتبة من هذا النوع مما كتب به القاضي الفاضل عن السلطان «صلاح الدين يوسف بن أيوب» رحمه الله إلى ديوان الخلافة ببغداد في أيام الناصر لدين الله بتعبير ملك الألمان من القرينجة والقتال معه ، في جواب كتاب ورد عليه ، يوضح في هذا الموضع بيان هذا الأسلوب ، ويُعنى عن مراجعة [كثير] من الأمثلة المذكورة في المكتبات إلى الخلفاء على ما تقدم ، وهو :

أدام الله ظلَّ الديوان العزيز النبوي، الإمامي، الشريف الناصري، ومده على الأمة ظليلاً، وجعل الأنوار عليه دليلاً، وحاطه بطفه وتقبل أعماله بقبول حسن وأنتها، وأزعم أعداءه وكتبها، ومسها بعداب من عنده وسمحتها، ولا زالت رايته السوداء بيضاء الخبير، بحرة الخبزي في العداة مسودة الأثر.

ورد على الخادم ما كُتِب به من الديوان العزيز رائداً في استخلاصه، مُبرهاً عن اختصاصه، مُطابقاً في الشكر للسانه، وفي الحرب لِعنانه، ومقتضياً لأمنية كان يتهيأها، وميضاً لمكرمة لو شئت نفسه إليها كان يتهماها، فنه هو! من كتاب كانه سورة وكل آية منه سجده، قابله بالخشوع كأنما قلم الكتاب القضيْب وطرسه البرد، وتلاه على من قبله من الأولياء مسترفهاً به لعزائمهم، مستجيزاً به لغنائمهم، مستبنا به للازمهم، مستدعياً به الخدمة للوازمهم، مُرهفاً به ظباهم في القتال، فاستحاه خطاهم يوم القزال، فأثر فيهم كالأفنداح في الرند، وكالأنجاس من الصلْد، وكالاستلال من الغنْد، فشم من كان قد أسبل، وانتهى من كان قد أجبل، وكأما أعطوا كتاباً من الدهر بالأمان، أو سمعوا منادياً ينادي للإيمان، وقالوا: سمعنا وأطعنا، وعلينا من الخدمة ما استطعنا، هذا مع كوربهم أنضاء رُخوف، وأشلاء حُوف، وضرائب سُوف، وقد وسمت وجوههم علامات الكفاح، وأحالت عرضهم أفلام الرماح، صابرين مصابرين، مكابرين مكابرين، مناضلين مناضلين، قد قاموا عن المسلمين بما قعد عنه سائرهم، ونزلوا بتارعة القراع فلا يسير عنها سائرهم، وسدست كعوب الرماح أعتلهم، وأبثوا في معترك الموت أرجلهم، كل ذلك طاعة لله ولرسوله وتخليقهما، وإذا رموا فأصابوا فالتوا ولكن الله رمى.

ومن خبر الكفار أنهم إلى الآن على عكا يمدهم البحر بمراكب! كثر عده من أواجه، ويخرج مسلمين منهم أمر من أواجه، قد تعاضدت ملوك الكفر

على أن ينهضوا إليهم من كل فرقة منهم طائفة، ويقلدوا لهم من كل قرن يفجز بالكوة  
وإصفه؛ فاذا قتل المسلمون واحداً في البربعث البحر عوضه ألفاً، وإذا ذهب  
بالقتل صنفٌ منهم أحلف بدله صنفاً؛ فالزروع أكثر من الحديد، والثرة أسمى  
من الحديد. وهذا العدو المقاتل - قاتله الله - قد زر عليه من الخنادق أدراعا  
منه، واستجن من الجنويات محضون حصينه؛ مضجراً ومتمناً، وحاسراً ومتدرعاً  
ومواصلاً ومقطعا؛ وكلما أخرج رأساً قد قطعت منه رؤوس، وكلما كشف وجهها  
كشفت من غطاء أجسادها نفوس؛ فكم من يوم أرسلوا أئمة السوابق قدموا عقبي  
إرسالها، وكم من ساعة فضوا فيها أفعال الخنادق فأفضى إليهم البلاء عند قص  
أفقالها؛ إلا أن عددهم الجَم قد كثر القتل، وراقبهم العلب قد قطعت النصل  
ليشدة ما قطعها النصل. ومن قبل الخادم من الأولياء قد آثرت المدة الطويلة،  
والكلف الثقيلة؛ في استطاعتهم لا في طاعتهم، وفي أجوالهم لا في شجاعتهم؛  
فالبرك قد أنصوه، والسلاح قد أحقوه، والدرهم قد أفسوه؛ وكل من يعرفهم  
من أهل المعرفة، ويراهم بالعين فما هم مثل من يراه بالصفه؛ يناشد الله المناشدة  
النبوية؛ في الصبحة البدرية؛ اللهم إن تهلك هذه العصابة، ويخلص الدماء  
ويرجو على يد أمير المؤمنين الإجابة. هذا والساحل قد تماسك، وما تهالك؛  
وتجدد، وما تبد؛ وشجته موائد التجارة الخارجة، وأسنته عن مصارع العدة  
الدارجة؛ فكيف به إذا خرج داعية الألمان، ومثوك الصلبان؛ وجوع ما وراء  
البحر، وحشود أجناس الكفرة؛ وقد حرم باياهم - لعنة الله عليهم وعليه - كل مباح  
وأستخرج منهم كل مذخور، وأغلق دونهم الكائن، وآيس وألبسهم الحديد،  
وحكم عليهم أن لا يرأوا كذلك أو يستخلصوا المقبرة، ويبيدوا القمامة. (وإذا زين  
لهم الشيطان أعمالهم وقال لأغالب لكم اليوم من الناس ولأني جار لكم).



اللهم أخفّر جوارحه، وأصرف جوره، وأخلف وعده، وأكسر صمائه، وأنكصه  
 على عقبه، وتخل في الدنيا والآخرة منهم تبابه . وما بدأنا به من نعمتك فلا تقطعه ،  
 وما وهبنا من نورك فلا تسلبه ، وما سترته من تجزئنا فلا تهتكه . [و] في دُون ما الدُّبُرُ  
 مستقبليهِ ، وعدوه خذله الله يومه ، ما يستفرغ عزام الرجال ، ويستنيد خزائن  
 الأموال ؛ ويوجب لإمام هذه الأمة أن يحفظ عليها قبلتها ، ويُريح في قتل عدوها  
 عاتبا ؛ ولولا أن في التصريح ، ما يعود على عدالته بالتجريح ، لقال ما يسكى العين ويسكى  
 القلوب ، وتشق له المرائر وتشق له الجيوب . وليكن صابراً محتسباً ، منتظراً لنصر  
 الله مُرتقباً . قائمٌ من نفسه بما يجب . ربّ إني لا أملك إلا نفسي وأخي ، وهما هو  
 قد هاجرا إليك هجرةً يرجوها عندك مقبولة . ولدي وقد أبرزت لعدوك صفحات  
 وجوههم ، وهان على محبوبك بمكروهي فيهم ومكروههم . وتقف عند هذا الحد ،  
 والله الأمر من قبل ومن بعد ؛ وإن لم يستك الدين إلى «ناصره» والحق إلى من قام  
 بأمره وإلى اليوم الآخر يقوم بأمره ؛ فإني من يشكى البت ، وعند من يتفرج  
 بالفتن ، ومضعة العوث قبل العطب ، والنجاء قبل أن يصل الحرام الطيبين ،  
 والبلاغ قبل أن يصل السبل الربى .

فيا عَصِيَّةَ محمد صلى الله عليه وسلم أخلفه في أمته بما تظمن به مضاجحه ، ووقف  
 الحق فينا ؛ فإننا وإن المسلمين عندك ودائعنا ، وما مثل الخادم نفسه في هذا القول  
 إلا بحاله من وقف بالباب ضارعا ، وناجيا بالقول صادعا ؛ ولو رفعت عنه العوائق  
 لهاجر ، وشافقه طيبب الإسلام بل مسيحه بالداء الذي خامر ؛ ولو أمن عدوانه أن  
 يقول قراسافر ، وبعد فقيه وإن عَضَّ الزمان بقيه ، وقبلة وإن تدارأت الشهاد  
 دريه ؛ فلا يزال قائما حتى ينصر أو يعذر . فلا يصل إلى حرم ذرية أحمد صلى الله  
 عليه وسلم ومن ذرية أيوب واحد يدكر .

أنجز الله لأمر المؤمنين مَوَاعِدَ نَصْرِهِ ! وتَمَّ مَسَاعِدَةَ دَهْرِهِ ! وأَصْفَى مَوَارِدَ إِحْسَانِهِ !  
وأرْسَى قَوَاعِدَ سُلْطَانِهِ ! وَحَفِظَهُ وَحَفِظَ بِهِ فَهُوَ خَيْرٌ حَافِظًا ، وَنَصْرَهُ وَنَصَرَ عَلَى يَدَيْهِ  
فَهُوَ أَقْوَى نَاصِرًا ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

ثم أعلم أن المقرَّ الشَّهَابِيَّ بنَ فضل الله قد ذكر في "تعريفه" أيضًا أنَّ المَكْتَابَةَ  
إلى أبواب الخلافة من الملوك والسُّوقَة لِأَتَخْتَلِفَ ، بل تَكُونُ عَلَى الْأَتَمُّوذجِ الْمُقَدَّمِ  
ذِكْرَهُ ، وَأَسْتَلْزِمُ ذَلِكَ : بِغَيْرِي عَلَى هَذَا الْمِصْطَلَحِ فِيمَا كَتَبَ بِهِ إِلَى الدِّيوانِ الْعَزِيزِ  
الْحَاكِمِيِّ ، أَحْمَدَ بْنَ أَبِي الرَّبِيعِ سَلِيمَانَ : أَحَدِ الْخُلَفَاءِ الْعَبَّاسِيِّينَ بِالْبَدْيَارِ الْمِصْرِيَّةِ ، عَنْ  
رُومَةِ الْبُنْدُقِيِّ بِالشَّامِ ، جَوَابًا عَمَّا وَرَدَ عَلَيْهِ مِنْ كِتَابِهِمْ ، وَهُوَ مُتَكَلِّمٌ عَلَى رُومَةِ الْبِنْدُقِيِّ  
يَوْمئِذٍ فِي أَمْرِ نَاصِرِ الدِّينِ بْنِ الْحِصْحِيِّ وَهُوَ أَحَدُ الرُّومَةِ .

أدام الله تعالى أيامَ الدِّيوانِ الْعَزِيزِ ، الْمَوْلُويِّ ، السَّيْدِيِّ ، النَّبُويِّ ، الْإِمَامِيِّ ،  
الْحَاكِمِيِّ ؛ وَنَصْرَهُ بِجَمْعِ الْإِيْمَانِ ، وَبُشْرَ بِأَيَّامِهِ الزَّمَانِ ، وَمَتَّعَهُ بِالْمَلِكِ الَّذِي  
لَا يَتَّبِعِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ بِمَا وَرِثَهُ مِنْ سُلَيْمَانَ ، وَلَا زَالَ يَتَّخِصُّ لِمَقَامِهِ كُلِّ جَلِيلٍ ،  
وَيُعَرِّفُ لِأَيَّامِهِ كُلِّ وَجْهٍ جَمِيلٍ ؛ وَيُعْتَرِفُ لِشَرَفِهِ كُلِّ مَعْتَرِفٍ بِالتَّفْضِيلِ ، وَيَشْهَدُ  
بِنَقَازِ أَوَامِرِهِ مِنْ دَوَى نَسَبِهِ الشَّرِيفِ كُلِّ أَيْحٍ وَخَلِيلٍ ؛ وَلَا كَانَ إِلَّا كَرَمَهُ الْمَأْمُولِ ،  
وَدَعَاةَ الْمَقْبُولِ ، وَعَدُوَّهُ الْمَصْرُوعِ وَوَلِيَّهُ الْمَحْمُولِ ؛ وَلَا بَرِحَتْ طَاعَتُهُ يُعَقِّدُ عَلَيْهَا  
كُلَّ جَمْعٍ ، وَمَرَامِيهُ يُنِصِتُ إِلَيْهَا كُلِّ سَمْعٍ ، وَطَوَائِفُ الذِّهْنِ كَذَبُوا عَلَيْهِ لِأَنْتَلَى عَلَيْهِمْ  
آيَاتُهُ إِلَّا تَوَلَّوْا وَأَعْيَنَهُمْ تَفْيِضُ مِنَ الدَّمْعِ .

المالِكُ يَقْبَلُونَ الْأَرْضَ بِالْأَبْوَابِ الْعَالِيَةِ الَّتِي هِيَ خُطَّةُ شَرَفِهِمْ ، وَمَكَانُ تَعْبُدِ  
الْقَدَمَاءَ مِنْهُمْ وَمَنْ سَلَفِهِمْ ؛ وَيَلُودُونَ بِذَلِكَ الْمَقَامِ ، وَيَمُودُونَ بِذَلِكَ الْحَرَمِ الَّذِي

لا يبعد نسبه عن البيت الحرام، ويؤمنون ذلك الكرم الذى مامنهم إلا من ساعد به طائره، وجاءته به فى وجه الصباح أشائره، وفى وجه العشاء بشائره؛ فنالوا به أقصى المرام، وقضوا به من العمر ما إذا قالوا : يا ساعد ! لا يعنون به إلا ذلك الإمام؛ ويتنون إلى ما ورد به المرسوم الشريف الذى ما من المكاليك إلا من مات لديه بتقديم عبوديته ورقه، وسارع إلى طائره الميمون وحمله بسيفه؛ وفتح له عينه وظن أنه حاكم، وآتمنلوا أمره وكيف لا تمتل الرماة أمر الحاكم ؟، ولا سيما ابن عم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الإمام الحاكم . وأجلوه عن رفقه على العين إذ كانت تلك بمنزلة الحاجب . وقدموا إليه خفوق قلوبهم الطائره وما علموا أن كانوا قاموا بالواجب ؛ ووقنوا على أحكام حاكمه فما شكوا أن زمان هذا الفن بحياة ناصره فى بغداد قد تاد، وأن مثاله المتتمل فى سواد الحدق مما حكته أيامه العباسية من شعار السواد ؛ وعلموا ما رسم به فى معنى محمد بن الحصى الذى ما نورت الابللة أكاريجه، ولا بدت فى الإقعاد له تواريجه؛ بل أحدثت دموع ندمه نيرانه المشعله ، وأصبح به لا يحمل القوس فى يده إلا أنه مشغله ؛ وما كان أنساه الديوان العزيز مما لم تذكر الخواطر الشريفة بأنه قبة النفسرى ؛ وأنه صاحب القوس إلا أن مائه سعادة المشتري ؛ وأنه مؤد تويه الجاحد، وتلون مثل قوس قزح وإلا قوس البندق لون واحد؛ وأدلى بفروره، وعرض المحضر الذى حمله على تفريره؛ وذلك فى غيبة الأمير بهاء الدين أرسلان البندقدار الحاكمى ، الذى لو كان حاضرا لكان حجة عليه، ومؤكدا لإبطال رميه وقوسه وبنده فى يديه؛ لما تضمنه الخط الشريف المقيد اللفظ المكتسب على المصطلح ؛ الساحب ذيل نخاره على المقترح ؛ الذى هدى إلى الخير، وبدأ به ما وهب من الملك السليمانى الذى أوفى من كل شىء وعلم منطق الطير؛ فإنه لم يكتب له إلا بأن يرمى على الوجه المرضى واستيفاء شروط البندق .

والخروج من جميع الأشكال عملاً بقواعده ؛ ويُعلم بأنه ما رعى حقَّ قُدَمته ، ولا فعل في البابِ العزيزِ ما يجبُ من التحلِّي بشِعَارِ الصَّدقِ في خِدْمته ؛ وأنه خالف عادةَ الأَدبِ ، وأخطأ في الكَلِّ لَكِنَّه نَدَبٌ ؛ وذلك بعد أن عَمِلَ له جَمِيعُ رُماةِ البندقِ ، ومثَّلَ فأجاب : بأنه سالمٌ من كلِّ إِشْكالٍ يُشْكَلُ ، وأنه بعد أن أُنْعِدَ رَمِيَّ وَحَمَلُ وَحَمَلٌ ؛ فشهد عليه السادةُ الأُمراءُ ولاةُ العهدِ إخوةُ أميرِ المؤمنينِ ومن حضرَ ، وكتبوا خَطوطَهُمْ في المحضَرِ ؛ وما حصلَ الآنَ عندَ عَرَضِ قصةِ الممالِكِ بالمواقفِ المقدَّسهِ ، ووضوحِ قضيتِهِ المدَّانِسهِ : من التعجُّبِ من اعترافِ الممالِكِ ، لِكُونِهِمْ رَمَوْا معه بعد أن رأوا الخطَّ الشريفَ وهو لفظٌ مَقْبِدٌ ، وأمرٌ أَيْدٍ به رأيُ الإمامِ الحاكِمِ بأمرِ اللهِ المسترشدِ باللهِ والمؤيَّدِ ؛ وكُلُّ ما أمرَ به أميرُ المؤمنينِ لأمْعِدِلَ عن طُرُقِهِ ، ولا جدالَ إلا به إذا أُلْزِمَ كُلُّ أَحَدٍ طائِرَهُ في عُنُقِهِ ، وأميرِ المؤمنينِ بمر لا يردُ إلا من عِلْبِهِ ، وهو الحاكِمُ ولا رادَّ لِحُكْمِهِ . وإنما آبن الحِمصِيَّ المذكورَ عَدِمَ السَّدادِ ، وخالفَ جارِيَّ العادَةِ في الحِمصِ فإنه هو الذي سُلِقَ في الاقتراءِ بألْسِنَةِ حِدَادٍ ؛ ولم يُوقِفِ الممالِكِ من الخطِّ الشريفِ إلا على بعضِهِ ، ولا أراهم من بَرَقِهِ المتهلَّلِ غيرَ مَوضِهِ ؛ والذي أوقفَهُم عليه منه أن يَرِيَّ مُحَمَّدِ بنَ الحِمصِ - ويُرمَى معه ، وكلمةُ أميرِ المؤمنينِ مستَمَعَهُ ، ومراسِمِهِ مَتَّبَعَهُ ؛ وإذا تقدَّم كان الناسُ تَبَعَهُ . غيرَ أن المذكورَ بَدَتْ منه أمورٌ قطعَ بها الأميرُ صارمُ الدينِ صاروجا الحاكِمَ البُنْدُقدارِ في حِفْهِ ، وأقعدَهُ عن قُدَمته التي كان يُمُتُّ فيها بَسْبِقَهُ ؛ وآسَقلَ عنه غُلْمَانُهُ ، ونُقِلَ عليه زمانُهُ ؛ وَوُدِيَّ عليه في جَمِيعِ كَبِيرِ يَزِيدَ على تسعينِ قوساً ، وَجُرحَ بِخَطِّ البُنْدُقهِ جرحاً لأَيُوسَى ؛ ثم بعدَ مَدَّةِ سنينِ توَسَّلَ بولدِ الأميرِ المرحومِ سيفِ الدينِ تَنَكَّرَ إلى أبيهِ ، وتوصَّلَ به إلى مَرَامِيهِ ؛ فأمرَ أن يَرِيَّ معه وهَدَّدَ المخالفَ بالضربِ ، ولم يَرِمَ معه أَحَدٌ بِرِضاهِ إلا خَوْفٌ أن تُوقَدَ نارُ الحربِ ؛ فلما مضتْ تلكَ الأيامُ ، وَأَنْقَضَتْ

تلك الأخطام ، جمع مملوك الأبواب العالية الأمير علاء الدين بن الأيوبرى الحاكم فى البندق الآن من رمة البندق جمعا كبيرا ، وأهتَم به اهتماما كثيرا ، وذكر أمر المذكور ، وأحضر محضره المسطور ، ولم يكن عليه تعويل ، ولا فى حكم الحاكم المتقدم تليل ، ولا عند هذا الحاكم الذى ادعى له وأدعى عنده تجوز الأباطيل ، وتحقق أن الحق فىما حكم به عليه فُتبع ، وترجع أن لا يُقام منه من أتعُد ولا يوصل منه ما قطع ، فنقد حكم الحاكم المتقدم ، واستمر بقعوده المنعَم ، ووافق على هذا سائر الرمة بالبلاد الشامية وحكامها ، ومن يرجع إليه فى الرماية وإحكامها ، وبطلت قُدمة المذكور التى ذهب فيها عمره ضائعا ، وزمانه الذى لو اشتريت منه ساعة بالعمُر لم يكن نافعاً .

ولما ورد الآن هذا المرسوم الشريف زاده الله شرفا قبلوا الأرض لديه ، وأوقفوا عليه حاجتهم المسمى فوقف له وعليه ، وجمع له جمعا لم يدع فيه من الرمة معتبرا ، ولا من يلقي القوس وترًا ، ولا من إذا قعد كالعين جرى ماجرى ، ثم قرأ عليهم ماتضمن ، ودعوا لأمر المؤمنين ولم يبق منهم إلا من دعا أو أمن ، وتضاعف سرورهم بحكمه الذى رفع الحلال ، وقطع الجدل ، وقالوا : لا عدنا أيام هذا الحاكم الذى أنصف والإمام الذى عدل ، وبقى ابن الحصى مثله ، ونودى عليه إنه من رمى معه كان مخطئا مثله ، ووقرت هذه المنادة فى كل مسمع ، وقرت استقرار الفضل عليه المجمع ، وذلك بما فهم من أمير المؤمنين ، وبص كتابه المبين ، وبما قضى الله به على لسان خليفته الحاكم والله أحكم الحاكمين ، وطلعوها بها وأنها صورة الحلال ، وجمعوا فى إمضائه الآمال ، لا زالت سعادة أمير المؤمنين مترفة عن الشبه ، أخذت من خير الدارين كل اثنين فى وجه ، حتى تحصل كل رمية من كُتِب ، ولا يرمى فى كل

أمنة إلا كل مصطحب ، ماغب في السماء المرزم ، ووقع العقاب على تينة يقرع  
سنة وينتدم ، وعلا النسر الطائر والواقع على آثاره وسائر طيور النجوم والحوم ؛  
إن شاء الله تعالى .

قلت : وقد أعترض في " التنقيف " كلام المقر الشهابي بن فضل الله  
في " التعريف " فقال : وفيما ذكره في " التعريف " من التسوية في المكاتب بين  
الملوك والسوقة نظره . وما أشار إليه من النظر ظاهر : فإن الذي تجب مكابتهم به  
ما يكاتب به المرءوس رئيسه بحسب ما تقتضيه الحال في ابتداء المكاتبات من يقبل  
الأرض ، كما تكاتب الملوك ، بل هم بذلك أحق وأجدر . ويكون الخطاب لهم  
في أثناء المكاتب بما أشار إليه في " التعريف " بالديوان العزيز ، والمواقف المقدسة  
أو المشرفة ، والأبواب الشريفة ، والباب العزيز ، والمقام الأشرف ، والجانب الأعلى ،  
ومولانا أمير المؤمنين ، ونحو ذلك بحسب ما تقتضيه الحال على ما تقدم ذكره .

## الطرف الثاني

( في المكاتب إلى ولاية العهد بالخلافة )

أما على المصطلح القديم حين كانت المكاتب إلى الخلفاء « فلان من فلان »  
فقال في " صناعة الكتاب " : ويكون التصدير في المكاتب إلى ولي العهد على  
ما تقدم في المكاتب إلى الخلفاء مع تغيير الأسماء ، غير أنه جعل الفرق بين الإمام  
وغيره ممن يكاتب بالتصدير أن يقال للإمام في التصدير مع السلام : وبركاته ،  
في أول الكتاب وآخره . ومن سوى الإمام تحذف وبركاته من التصدير وثبتت  
في آخر الكتاب .

وقد تقدم أن التصدير إلى الخليفة حينئذ كان " لعبد الله أبي فلان فلان أمير المؤمنين ، سلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته . فإني أحدُ إلى أمير المؤمنين الله الذي لا إله إلا هو ، وأسأله أن يصلي على محمد عبده ورسوله . أما بعد ، أطل الله بقاء أمير المؤمنين بنى آخره ، ويحتم بقوله : والسلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته " .

وحينئذ فتكون المكتبة إلى وفى العهد على ما أشار إليه فى "صناعة الكُتاب" من الابتداء بالتصدير مع تغيير الأسماء : " لعبد الله أبي فلان فلان وفى عهد المسلمين ، سلام على وفى عهد المسلمين ، فإني أحدُ إليه الله الذى لا إله إلا هو ، وأسأله أن يصلي على رسوله صلى الله عليه وسلم . أما بعد : أطل الله بقاء وفى العهد ، ويحتمه بقوله : والسلام على وفى عهد المسلمين ورحمة الله وبركاته " أو نحو ذلك .

وأما على المصطلح الذى حدث بعد ذلك ، فقد ذكر المقر الشهابى بن فضل الله فى كتابه "التعريف" أن رسم المكتبة إلى وفى العهد بالخلافة : ضاعف الله تعالى جلال الجانب الشريف ، العوئوى ، السيدى ، النبوى ، القلائى ، ثم الدعاء المعطوف . وأبدل فى "التثقيف" لفظ الجانب بالجانب . والخطاب له بمولانا وسيدنا وفى العهد ونحو ذلك . والتعبير عن المكتوب عنه بـ «الخادم يقبل العنابت الشريفة أو اليد الشريفة» أو نحو ذلك . قال فى "التثقيف" : والعلامة إليه «الخادم» والعتوان «الجانب الشريف» وبقية الألقاب المذكورة إلى آخرها .

قال : وهو أحسن من الجانب : لعدم اشتراك غيره معه فيه بخلاف الجانب . قال : وهذا أيضا على عادة من تقدم من الملوك ، أما فى زماننا وقبله بمدة مديدة ،

فلم يتفق وجودُ ولىّ عهدٍ للخلافة ؛ وبتقدير وجوده فإذا لم يكن الخليفة يُكاتبُ في هذه الأيام فكيف بولىّ عهده .

وهذه صدور مكاتباتٍ إليه أوردتها في "التعريف" .

صدر : ضاعف الله تعالى جلالَ الجانب . وأطلع مع وجود الشمس بَدْرَهُ التَّامَ ، وأحوجَّ مع زاهر البحر منه إلى مَدَدِ التَّمَامِ ، وقدمه إماماً على الناس وأطال بقاء سيدنا أبيه الإمام ؛ ولا عُدَمَ منه مع نظر والده الشريف جميلَ النظر ، ولا برح صدرَ دَسْتِهِ العلىّ إذا غابَ وثانيه إذا حضره ؛ ولا زال الزمانُ مختلفاً من جُودِ وجودها لا عَرَفَ الله الأنامَ قدره إلا بالزَّهرِ والثَّمَرِ ، ولا زاد فيضُ كرمٍ إلا وهو من كَفِّ أبيه فاضٍ أو مِن وَبَلِهِ العميمِ أَنهَمَرُ .

الخدام يخدمُ تلك العتباتِ الباذخةَ الشرفِ ، الناصقةَ بما وجده من الخير في تقبيلها قول من قال : لا خَيْرَ في السَّرَفِ . وينهى ولأء ما عَقِدَ على مثله ضمير ، ولا أتعقدُ شبيهه لولىّ عهدٍ ولا أميرٍ وإخلاصه في آنتباهِ أشرق منه على الجبين ، وأشرف فوآه فرضاً عليه فيما نطق به القراءُ ورُقِمَ في الكتابِ المُبين .



صدر آخر : أعز الله أنصارَ الجانب الشريف ، ولا تحبب منه سرُّ ذلك الجلال ، ولا معنى ذلك البدرِ المشرق منه في صورة الهلال ، ولا فيضُ ذلك السحابِ المُشرع منه هذا الموردُ الزلال ، ولا تلك المآثر التي دلَّ عليها منه كرمُ الخلال ، ولا تلك الشجرة المفترعة ولأما أمنت منها به من الغُصنِ المنتدِ الظلال ، ولا ذلك الإمام الذي هو ولىّ عهده وهو أعظم من الاستقلال .



الخادم يقبل تلك اليد مؤفياً لها بهده [ومُضْفِيًا مِنْهَا لِيُؤَدَّه] <sup>(١)</sup> وَمُضْفِيًا مِنْهَا  
جَلَابِيبَ الشَّرَفِ عَلَى عِظْفِهِ ، وَحَسْبُهُ نَحَارًا أَنْ يُدْعَى فِي ذَلِكَ الْمَقَامِ بَعْدَهُ ، وَيَتْرَأَى  
عَلَى تِلْكَ الْأَبْوَابِ ، وَيَلْتَمُّ ذَلِكَ الرَّئِىَ وَيَرْجُو التَّوَابَ .



صدر آخر : وَلَا زَالَتْ عَهْدُ وَلَا يَشْهَ مَنصُوصَهُ ، وَإِلَائِهِ بَعْمُومِ الْمَصَالِحِ  
مَحْضُوصَهُ ، وَصَفُوفُ جَبُوشِهِ كَالْبَنَانِ مَرْضُوصَهُ ، وَقَوَادِمُ أَعْدَائِهِ بِالْحَوَالِقِ  
مَحْضُوصَهُ ، وَبِدَائِعُ أَنْبَاءِهِ فِيمَا حَقَّقَتْ إِلَيْهِ دَعْوَتَهُ الشَّرِيفَةَ مَقْضُوصَهُ [وَالْوَقُودُ فِي أَبْوَابِهِ  
أَجْنَحَتَهَا بِالنَّدَى مَبْلُوءَةٌ مَقْضُوصَةٌ] <sup>(٢)</sup> .

الخادم يحدد بتلك الأعتاب خدمه ، وَيُرَاحِمُ فِي تِلْكَ الرَّحَابِ خَدَمَهُ ، وَيَقِفُ  
فِي تِلْكَ الصُّفُوفِ لَا تَقْلُ عَنِ الطَّاعَةِ قَدَمَهُ ، وَيَتَمَثَّلُ بَيْنَ تِلْكَ الْوُقُوفِ وَيَتَمَيَّزُ عَلَيْهِمْ  
إِذَا ذُكِرَ فِي السَّوَابِقِ قُدَمَهُ ، وَيُدْبِرُ بِحُجَّجِ سَيُوفِهِ [الَّتِي أَشْهَرَهَا ، وَصَرُوفِهِ الَّتِي لَاقَى  
أَشْهَرَهَا ، وَمَوَاقِفِهِ] <sup>(٣)</sup> الَّتِي مَا أَنْكَرَهَا الدِّيَوَانَ الْعَزِيزُ مُدَّ أَنْبَتَهَا ، وَلَا حَطَّ رِمَاحَهَا  
مُدَّ أَنْبَتَهَا ، وَلَا حَا سَطُورَهَا ، مُدَّ كَتَبَهَا ، لِيَعْبِطَ الْأَعْدَاءُ وَلَا يَشْفَى صُدُورَهَا ، مُدَّ كَتَبَهَا ،  
وَيَنْهَى كَذَا وَكَذَا .



صدر آخر : وَلَا زَالَتْ مَوَاعِيدُ الظَّفَرِ لَهُ مَنصُوصَةٌ ، وَرُءُوسُ مَنْ كَفَرَ بِطَوَارِقِهِ  
مَرْضُوصَةٌ ، وَصَحَائِفُ الْأَيَّامِ عَمَّا يُسْرَبُ الزَّمَانُ فِيهِ مَقْضُوصَةٌ ، وَجُفُونُ عِدَائِهِ وَلَوْ  
أَتَصَلَّتْ بِمَقَلِّ النُّجُومِ مَقْضُوصَةٌ ، وَطَوَارِقُ الْأَعْدَاءِ الَّتِي تَجَنَّبُ مِنْهُ بِسُيُوفِهِ مَعْضُوصَةٌ .  
الخادم يخدم أرضه المقدسة بترأى قلبه ، وَتَقْلِيْبِ وَجْهِهِ إِلَى قِبَلِهِ ، وَيَتَطَوَّقُ  
بِذَلِكَ الْحَرَمِ ، وَيَتَطَوَّقُ مِنْ قَوَاضِلِ ذَلِكَ الْكَرَمِ ، وَيَتَطَوَّقُ بِمَسَلَاتِدِ تِلْكَ الْمَنَنِ ،

(١) الزيادة "من التعريف" .

وفرائد تلك المواهب التي إن لم تُكُنْ له وإلا فَنَ ، فإنه والله يُشْهَدُ له لا يَعتَقِدُ بِمَد  
 ولاء سيدنا ومولانا أمير المؤمنين ، والقيم بأمر الدنيا والدين ، عليه الصلاة والسلام  
 إلا وآءها ، ولا يُؤمَلُ بعد تلك الآلاء إلا آلاءها ، ولا يرجو من غير هذه الشجرة  
 المباركة لأمله إثمارة ، ولا ليلته إقاراء ، ولا لأيامه حافِظًا ، ولا لحال إقدامه في قَدَم  
 صِدْقٍ ولائمه لا فِظًا ، قائمًا في خِدمِ هذه الدولة القاهرة يَجْهَدُ في منافعها [ويَجْتَدُ في كَيْتِ  
 مُدافعها] وَيُدْخِرُ شِفاعتها العُظمى إذا جاءت كُلُّ أمةٍ بِشِافعها ، وينهى كذا وكذا .

### الطرف الثالث

(من المصطلح المستقر عليه الحال ، في المكاتبات الصادرة عن ملوك الديار  
 المصرية إلى أهل المملكة : من مصر والشام والحجاز ، وفيه ثلاثة مقاصد)

#### المقصد الأول

(في المكاتبات المقررة ، وفيه مسلكان)

#### المسلك الأول

(في بيان رتب المكاتبات ورتب أهلها ، وهي على ضربين)

#### الضرب الأول

(المكاتبات إلى الملوك على ما كانت عليه الحال في الزمن المتقدم)

مما لعلّه يعودُ مثله ، وهي الدعاء للقيام ، وفيه مكاتبتان )

الأولى — المكاتبة إلى ولي العهد بالسلطنة [وهي] على ما ذكره في "التنقيف" :

أعزَّ اللهُ تعالى أنصارَ المقامِ العالی ، المَلَكِي ، الفِلاَنِي ، الأَخَوِي ، أو الوَلَدِي ،

إن كان أختًا أو ولدًا . ثم الدعاء اللائقُ به ، ثم يقال : « أصدرناها إلى المقام العالی

ويطالع علمه الشريف « والعلامة «أخوه» سواء كان أخا أو غير أخ، و « والده » إن كان والدا . ولم يذكر تعريفه . والذي يظهر أنه يكتب له «ولى العهد بالسلطنة انشريفه» . ولم يذكر قطع الورق لهذه المكتبة ، والذي يظهر أنه في قطع العادة على قاعدة المكتبات إلى أهل المملكة . قال في «التتقيف» : ولعل هذه المكتبة نظير ما كتب به إلى الملك الصالح علاء الدين على ولد المنصور قلاوون : فإنه كان ولى عهد أبيه المذكور . توفى في حياته . ثم قال : ورأيت أمثلة كثيرة صدرت عنه بتخلص الحقوق ، وعلامته عليها «على بن قلاوون» .

الثانية — المكتبة إلى صاحب حماة من بقايا الملوك الأيوبية قبل مصيرها نيابة ، وآخر من كان منهم في الدولة الناصرية «محمد بن قلاوون» الملك الأفضل ناصر الدين محمد بن الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل ، لما صارت إليه بعد أبيه المذكور .

ورسم المكتبة إليه على ما ذكره في «التتقيف» في قطع العادة : « أعز الله تعالى أنصار المقام الشريف ، العالى . السلطاني ، الملكي ، الأفضلي ، الناصري ، ونحوهما » . ثم الدعاء ، وبعده «أصدرناها إلى المقام الشريف» والعلامة «أخوه» وتعريفه «صاحب حماة» . قال في «التتقيف» : ولم يرل الحال على ذلك إلى أن عُزل عنها الأفضل المشار إليه بعد الأيام الشهدية الملك الصالح عماد الدين إسماعيل ابن السلطان الشهيد الناصر محمد بن قلاوون ، وأستقر بها بعده نائب الأمير طغاي الحموي أمير مجلس كان ، فبقيت نيابة بعده إلى الآن .

## الضرب الثاني

( المكتبات إلى من عدا الملوك من أرباب السيوف والأقلام وغيرهم )

( من جرت العادة بمكاتبته ، وفيه مهيمان )

## المهيم الأول

( في رتب المكتبات ، وهي على عشر درجات )<sup>(١)</sup>

## الدرجة الأولى

( الدعاء للمعز )

وصورته على ما ذكره في " التنقيف " : « أعز الله تعالى أنصار المعز الكريم ،  
 العالي ، المولوي ، الأميري ، الكبير ، العالي ، العادلي ، المؤيدي ، الزعيمي ،  
 العوني ، الغياني ، المناصري ، المرابطي ، المهدي ، المشيخي ، الظهيري ، العايدى ،  
 الناسيكي ، الأتابكي ، الكفيلي ، الفلاني ، معز الإسلام والمسلمين ، سيد أمراء  
 العالمين ، ناصر الغزاة والمجاهدين ، ملجأ الفقراء والمساكين ، زعيم جيوش الموحدين ،  
 أتابك العساكر ، محمد النول ، مشيد الممالك ، عماد الملّة ، عون الأمة ، ظهير الملوك  
 والسلاطين ، عضد أمير المؤمنين » . ثم الدعاء المعطوف والتصدير المناسب : مثل أن  
 يقال : « ولا زال عزّمه مؤيدا ، وعزّه مؤبدا ، وسعده على مخر الجديدين مجتدا ،  
 أصدرناها إلى المعز الكريم تهدي إليه من السلام أتمّه ، ومن الشناء أتمّه » . ثم يقال :  
 « وتبدي لعلمه الكرم كذا وكذا ، ومرسومنا للمعز الكريم أن يتقدم أمره الكرم بكذا  
 وكذا ، فيحيط علمه الكرم بذلك ، والله تعالى يؤيده بمنه وكرمه » .

(١) لم يذكر غير ثمان درجات .

## الدرجة الثانية

( الدعاء للجناب الكريم )

وصورته على ما أورده في "التثقيف" عما استقر عليه الحال «أعز الله تعالى نصرة الجناب الكريم ، العالى ، الأيمى ، الكبرى ، العالمى ، العادى ، المؤيدى ، الزعيمى ، العونى ، الغيائى ، المتأغرى ، المرابطى ، المهدى ، المشيدى ، الظهيرى ، الكافى ، الفلانى ، عز الإسلام والمسلمين ، سيف الأمراء فى العالمين ، نصرة الغزاة والمجاهدين ، زعيم جيوش الموحدين ، سيف أمير المؤمنين» . ثم الدعاء والتصدير المناسب ، مثل أن يقال : «ولا زالت عزائم مؤيده ، وأوامره السعيدة مسدده ، صدرت هذه المكتبة إلى الجناب العالى تهدي إليه سلاماً طيباً ، وثناءً مطّلباً ، وتوسّح لعلمه الكريم كذا . ومرسوماً للجناب الكريم أن يتقدّم أمره الكريم بكذا وكذا ، فيحيط علمه الكريم بذلك ، والله تعالى يؤيده بمنه وكرمه» .

قلت : والذى في "التعريف" : «أعز الله تعالى أنصار الجناب الكريم ، بإبدال نصرة بأنصار ، واختلاف بعض الألقاب المتقدمة» .

## الدرجة الثالثة

( الدعاء للجناب العالى بمضاعفة النعمة )

وصورته على ما في "التثقيف" : «ضاعف الله تعالى نعمة الجناب العالى الأيمى ، الكبرى ، العالمى ، العادى ، المؤيدى ، العونى ، الزعيمى ، المهدى ، المشيدى ، الظهيرى ، الكافى ، الفلانى ، عز الإسلام والمسلمين ، سيف الأمراء فى العالمين ، نصرة الغزاة والمجاهدين ، زعيم جيوش الموحدين ، مقدّم العساكر ، ممدد الدول ، مشيد

الممالك ، عماد الملّة ، عون الأُمّة ، ظهير الملوك والسلاطين ، سيف أمير المؤمنين « .  
ثم الدعاء والتصدير المناسب ، مثل : « ولا زال قدره عالياً ، ومدحه متواليا ، وجيدُ  
الدهر بحاسته حاليا ، وتوضّح لعلمه الكريم كذا ؛ ومرسومنا للجناب العالى أن يتقدّم  
أمره الكريم بكذا ؛ فيحيط علمه بذلك ، والله تعالى يؤيده بمنه وكرمه » .

### الدرجة الرابعة

( الدعاء للجناب العالى بدوام النعمة )

وصورتها على ما أورده في "التثقيف" : « أدام الله تعالى نعمة الجناب العالى ،  
الأميرى ، الكبيرى ، العالى ، العادى ، المؤيدى ، الأوحدي ، النصيرى ، العونى ،  
الهامى ، المقدّمى ، الظهيرى ، الفلافى ، عزّ الإسلام والمسلمين ، سيّد الأُمراء  
في العالمين ، نُصرة الغزاة والمجاهدين ، مقدّم العساكر ، كَهْفِ المِلَّة ، دُنْر الدُّوَله ؛  
عماد المملّكة ، ظهير الملوك والسلاطين ، حُسام أمير المؤمنين « والدعاء والتصدير

المناسب ، مثل أن يقال : « ولا زال قدره رَفيعا ، وعِزُّه مَنيعا ، و

مَريعا . صدرت هذه المكاتبه إلى الجناب العالى تهدي إليه سلاها طيبيا ، وشاء  
صيبا « ثم يقال : « وتوضّح لعلمه المبارك كذا ، فيحيط علمه الكريم بذلك ؛ والله  
تعالى يؤيده بمنه وكرمه » .

## الدرجة الخامسة

( الدعاء للجلس بدوام النعمة )

ورسمها : « أدام الله تعالى نعمة المجلس العالى ، الأميرى . الكبيرى ، العالمى ،  
 المجاهدى ، المؤيدى ، العونى ، الأوحدى ، النصيرى ، الهامى ، المقدمى ،  
 الظهيرى ، الفلاقى ، عز الإسلام والمسلمين ، سيّد الأُمراء فى العالمين ، نُصرة  
 العزاة والمجاهدين ، مقدّم العساكر ، كهف الملّة ، ظهير الملوك والسلاطين ، حسام  
 أمير المؤمنين » ثم الدعاء والتصدير المناسب ، مثل : « ولا زال عالياً قدره ، نافذاً  
 أمره ، جارياً على الأئسنة حمده وشكره . صدرت هذه المكتابة إلى المجلس العالى  
 تُهدى له سَلاماً ، وثناءً بساماً » ثم يقال : « وتوضح لعلمه المبارك كذا . ومرسومنا  
 للمجلس العالى أن يتقدّم أمره المبارك بكذا ، فيحيط علمه بذلك ، والله تعالى يؤيده  
 بمنه وكرمه » .

## الدرجة السادسة

( صدرت والعالى ، ويعبر عنها بالسامى بالياء )

وصورتها على ما فى " التثنيف " : « صدرت هذه المكتابة إلى المجلس العالى ،  
 الأميرى ، الكبيرى ، العَضدى ، الذُخرى ، النصيرى . الأوحدى ، العونى ،  
 الهامى ، المقدمى ، الظهيرى ، الفلاقى ، مجد الإسلام والمسلمين ، شرف الأُمراء  
 المقدمين ، نُصرة العزاة والمجاهدين ، مقدّم العساكر ، دُخْر البوَله ، كهف الملّة ، ظهير  
 الملوك والسلاطين » ثم الدعاء المناسب ، مثل : « أدام الله سعادته ، وأجزل من  
 الخيرية وإفادته ، مَوْصِحَةً لعلمه المبارك كذا ، ومرسومنا للمجلس العالى أن يتقدّم  
 بكذا ، فيحيط علمه بذلك ، والله تعالى يؤيده بمنه وكرمه » .

## الدرجة السابعة

( صدرت والسامى ، ويعبر عنها بالسامى بغير ياء )

وصورتها : « صدرت هذه المكتبة لى المجلس السامى ، الأميرى ، الأجلى ، الكبيرى ، العضدى ، الذخرى ، النصيرى ، الأوحدى ، الفلانى ، مجد الإسلام ، بهاء الأنام ، شرف الأمراء ، زين المجاهدين ، عضد الملوك والسلاطين » ثم الدعاء مثل : « أدام الله سعادتہ ، وأجزل من انخير عادته ، وتضمن إعلامه كذا ، ومرسومنا للمجلس السامى أن يتقدم بكذا ، فليعلم ذلك ويعتمده ، والله الموفق بمنه وكرمه » .

## الدرجة الثامنة

« يعلم مجلس الأمير ، الأجل ، الكبير ، الغازى ، المجاهد ، المؤيد ، فلان الدين ، مجد الإسلام ، بهاء الأنام ، شرف الأمراء ، زين المجاهدين ، تدة الملوك والسلاطين » والدعاء ، مثل : « أدام الله سعده ، وأنجح قصده ، أن الأمر كذا ، ومرسومنا له أن يتقدم بكذا ، فليعلم ذلك ويعتمده ، والله الموفق بمنه وكرمه » .

قلت : وقد تقدم فى أول المكاتبات أنه يتعين أن يكون الدعاء للكتوب إليه مناسباً للحال ، مثل أن يكون موافقاً لاسم المكتوب إليه أو لقبه أو وظيفته ، أو محل نيابته ، أو الأمر المكتوب بسببه : من استطلاع أمر ، واستهداف عزم ، وفتح وظفر وبشارة وغيرها وما يجرى مجرى ذلك ، وتقدم هناك ذكر جملة من الأدعية فى الأمور المختلفة المعانى .

ونحن نذكر هنا نبذة من الأدعية والتصديرات اللائقة المتقدمة ، مما يدعى به للتوابع ومن فى معانهم ؛ ليقرّب تناوله باقتراانه بصور المكاتبات .



## الأدعية والصدور لتواب السلطنة

## أدعية تصلح للنائب الكافل

ولا زالت كَفَاتِهِ تَبْسُطُ المَعَدَلَةَ . وعزائمهُ على الإنصافِ والإسعافِ مُشْتَمِلَةٌ .  
وتقدماهُ تُبَلِّغُ كُلَّ ذِي قَصدٍ أمله . أصدرناها إلى المَقْتَرِ الكَرِيمِ تُهْدِي إليه من السلام  
أكله ، ومن الشناء الحَسَنِ أجزأه . وتُبْدِي .

آخِرُ : ولا زالتِ المَالِكُ كُلُّها في كَفَاتِهِ ، والمسالكُ على اختلافِ طُرُقها آيَةٌ  
إلى إِيالته . والملائكُ محوِّمةٌ على بندوه محمَّةٌ بهائيه . والأركانُ لأئمتي إلا على دَسْتِ  
نُفَّارهِ ولا تُعَدُّ إلا بجلالته . أصدرناها إلى المَقْتَرِ الكَرِيمِ تُخَصِّهُ بأفضلِ السلامِ .  
وأطيبِ الشناء المرقومِ على أعلى الأعلامِ ، وتُبْدِي .

آخِرُ : ولا زالتِ كِفايَةُ كَفَاتِهِ تَزيدُ على الآمالِ . وتَقَرَّبُ إلى الله بِصَلاحِ  
الأعمالِ ، وتكفُلُ ما بين الجنوبِ وأقصى الشمالِ . أصدرناها إلى المَقْتَرِ الكَرِيمِ  
وصدُرُها بِذِكْرِه منشِرح ، ويبرِّزه قَرح ، وبعُلُو قدره في أيامنا الزاهرةِ يُسَمِّرُ ويؤمِّلُ  
منه ما يَزيدُ على أملِ المَقْتَرِحِ ، وتبدي .

## أدعية تصلح لنائب الشام المحروس

و[لا زالت] المَالِكُ [تؤيد] بعزمه ورأيه تأييدان والدول [تسد] بكفالاته تسديدا<sup>(١)</sup>  
و[تسديد] تسديدا<sup>(١)</sup> . أصدرناها إلى المَقْتَرِ الكَرِيمِ تُهْدِي إليه سلاما تضاعفُ أجزاءهُ ،  
وشاءُ يُبهِجُ الخواطرَ سناؤهُ . وتُبْدِي لعالمه .

آخِرُ : ولا زالتِ النفوسُ بِمَنْ كَفَاتِهِ فائمه ، والخواطرُ في محبته متوافقه ،  
والألسُنُ بِشكرِ محاسنه ناطقه ، وقلوبُ الأعداءِ من بأسه ومهابته خافقه . أصدرناها

(١) الزيادة يقتضيا المقام تمام الكلام .

إلى المَقَرِّ الكَرِيمِ تُهْدَى إليه أنواعُ السَّلامِ المُناسِبَةِ وَأَجْناسِهِ المُناسِقَةِ ، وَتُنْتَبِى عَلَى أوصافِهِ الَّتِي أَصْبَحَتْ الأَفْواءُ فِي ذِكْرِها صَادِقَةً ، وَتَبْدَى لِعَلَمِهِ .

آخِرُ : وَلَا زَالَتْ عِزائِمُهُ مُرَهَفَةً الحَدِّ ، وَكَفائَتُهُ كَفِيلَةً بِنُجْحِ القَصْدِ ، وَمَعَانِمُهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تُعَرِّبُ عَنِ الاجْتِهَادِ فِي قَهْرِ الأَعْدَاءِ وَالْحَدِّ . أَصْدَرناها إِلَى المَقَرِّ الكَرِيمِ تُهْدَى إليه سَلامًا يَفوقُ شَدائِهِ العَنَبِ والنَّدَى ، وَشَاءَ بِمَجاوِزِ أبدأ الحَضَرِ وَأَمَدِ العَدَى ؛ وَتَبْدَى لِعَلَمِهِ .

(١١) آخِرُ : وَلَا زَالَتْ قلوبُ أَهلِ الإِيمانِ مِنْ كَفائَتِهِ مُؤْتَلَفَةً ، وَفَرَّقُ أَهلِ مِنْ بَأْسِهِ وَخَوْفِهِ مُخْتَلَفَةً ، وَأَحْوالُ أَهلِ العِبادِ بِجَمِيلِ تَدْبِيرِهِ فِي اسْتِطْلَاعِها وَإِضْحَاقِها مُنْكَسِفَةً . أَصْدَرناها إِلَى المَقَرِّ الكَرِيمِ تُنْتَبِى عَلَى هِمَّتِهِ الَّتِي لَمْ تَزَلْ عَلَى المِصْالِحِ مَعْتَكِفَةً ، وَتُهْدَى إليه نَحْمَةً شَموسُها مَشْرِقةٌ غَيْرُ مَنكَسِفَةٍ ؛ وَتَبْدَى لِعَلَمِهِ .

آخِرُ : وَلَا زَالَتْ سَعادَتُهُ بِحَكْمِ الأَفْدارِ دائِمَةً ، وَالْمَعَدَلَةُ بِجَمِيلِ حِلْمِهِ وَصانِبِ رَأْيِهِ قائِمَةً ، وَالْمِيوثُ بِجَمَلِ كَفائَتِهِ فِي مِهَادِ أَمْنِهِ نائِمَةً . أَصْدَرناها إِلَى المَقَرِّ الكَرِيمِ تُهْدَى إليه نَحْمَةً طَيِّبَةً المَشْرِئِ ، وَشَاءَ حَسَنَ وَصْفًا وَطابَ ذِكْرًا ، وَتَبْدَى لِعَلَمِهِ .

آخِرُ : وَلَا زَالِ النَّصْرُ حُلِيَّةَ أَيامِهِ ، وَشامَةٌ شامِهِ ؛ وَعِمامَةٌ ما يَجْتَنِّى عَلَى بِلَدِهِ الحَضَرَ مِنْ عِمامَةٍ . أَصْدَرناها إِلَى المَقَرِّ الكَرِيمِ بِسَلامٍ لا يَرْضَى حافِرُ جِوَادِهِ الهَلالِ نَعْلًا ، وَلَا يَحْطِئُ بِهِ إِلَّا بِلَدِهِ وَنَحْضُ مِنْهُ الشَّرْفِ الأَعْلَى ؛ وَتَبْدَى لِعَلَمِهِ .

آخِرُ : وَسَقَى عَهْدَهُ العِهادَ ، وَشَفَى بِسَدْلِهِ العِبادَ ، وَزَانَ بِهِ حُسْنَ بِلَدِهِ الَّتِي لَمْ يُحْتَأَقْ مِثْلُها فِي البِلادِ ، وَهِيَ إِرْمُ ذاتِ العِبادِ . أَصْدَرناها إِلَى المَقَرِّ الكَرِيمِ بِسَلامٍ تُسَرِّبُهُ النَفوسَ ، وَيَطوِّقُ بِهِ فَضْلَهُ الجامِعِ وَتَحْمِلُ بِهِ العُرُوسَ ؛ وَتَبْدَى لِعَلَمِهِ .

آخر : ووقى بسور جيوشه افتتعة ضرر الضراء ، وكسر بأسود جنوده ذئاب الأعداء الضراء ، وسبق دهماء الليل وشبهاء النهار [وجراء الشفق<sup>(١)</sup>] وصقراء الأصيل وشقراء البرق بسابقته الخضراء . أصدرناها إلى المقر الكريم بسلام بلا حدق حدائقه ثورا ، وقلب عساكره سرورا .

## أدعية وصدور

( تصليح لكل من النائب الكافل ، ونائب الشام :

ومن في معناها كالآتيك ونحوه )

دعاء من ذلك : ووصل المسار بعلمه الذي لا ينكر . وحلمه الذي يشكر ، وحكمه الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر . أصدرناها إلى المقر الكريم بسلام يسرع إليه ، وثناء يرد منا عليه ، وتبدي لعلمه .

آخر : ولا زالت الدول برأيه مقبلة السعد ، مترقية في الصعود ، مملوءة الرحاب : تارة تبعث البعوث وتارة تعد عليه الوفود . أصدرناها إلى المقر الكريم تهدي إليه من السلام أشرفه نجوما ، ومن الثناء أغدقه غيوما ، وتبدي لعلمه .

آخر : ولا زالت الممالك بأرائه مئيرة ، وبراياته لأعدائها وأعداء الله مبيرة ، وبرؤياه تتضاءل الشمس المشرقة وتنجل الشحب المطيرة . أصدرناها إلى المقر الكريم تهدي إليه من السلام دُرره ، ومن الثناء غرره ، وتبدي لعلمه .

آخر : ولا برحت آرائه كالنجوم بعيدة المدى ، قريبة الهدى ، متهلة كالغمام : للأعداء منها الصواعق وللأولياء منها الندى . أصدرناها إلى المقر الكريم بسلام حسن الانتحار ، وثناء كمال الوشاح ، وتبدي لعلمه الكريم .

(١) الزيادة من "تعريف"

آخر : ولا برحت آراؤه تُبِيرُ غِيَابَ الْخُطُوبِ ، وعزائمهُ تُبِيرُ سَنَابِكَ الْحِيَادِ  
لِلْجِهَادِ فَتُظَلِّقُ مِنَ التَّايِيدِ بِكُلِّ مَطْلُوبٍ ، وصورِئمه تَفْتِيكَ بِالْأَعْدَاءِ فَتَهْتِكُ مِنْهُمْ كُلَّ  
سِتْرٍ مَحْجُوبٍ . أصدرناها إلى المَقْتَرِ الْكَرِيمِ تُهْدِي إِلَيْهِ سَلَامًا أَزْهَى مِنْ الزَّهْرِ ، وَأَبْسَى  
مِنْ رَوْضٍ وَاقٍ فَضَارَتِهِ النَّظْرُ ، وتبدي لعلمه .

آخر : وَلَا بَرِحَ التَّايِيدُ يَصْحَبُ رَايَتَهُ ، والعزمُ يَحْدُمُ عَزَمَتَهُ ، والرَّعْبُ يُؤْمِ  
طَلِيعَتَهُ ، وَالظَّفَرُ يُحْكَمُ فِي الْعَدُوِّ سَيْفَهُ فَلَا يَسْتَطِيعُ عَاصِي الْحِصُونِ عِصْمَتَهُ . أصدرناها  
إلى المَقْتَرِ الْكَرِيمِ تُكَافِي بِمَزِيدِ الشُّكْرِ هَمَّتَهُ ، وَتُوَافِي إِلَيْهِ بِنَاءٍ وَاقٍ بِحُسْدِ الْمَسْكَ  
نَفَحَتَهُ ، وتبهي لعلمه .

آخر : وَلَا بَرِحَتْ سَيُوفُهُ تَسِيلُ يَوْمَ الرُّوعِ جَدَاوِلَهَا ، وعزائمهُ تُنْصَرُ  
كَلَابِهَا وَجَمَافِلُهَا ، وَمَتْرَتُهُ عَلَى مَتْرِ الزَّمَانِ بَيْنَ السَّمَاءِ كَيْنِ مَنَازِلَهَا . أصدرناها إلى المَقْتَرِ  
الْكَرِيمِ تُثْنِي عَلَى مَحَاسِنِهِ الَّتِي بَهَّرَتْ أَوْصَافُهَا ، وَأَخْثَلَتْ فِي مَلَابِسِ الْخَيْدِ أَعْطَافُهَا ،  
وتبدي لعلمه .

### أدعية وصدور

( تصلح لثائب حلب المحروسة )

دعاء من ذلك : وَلَا زَالَ يُعَدُّ لِيَوْمِ تَسْيِيبِ مِنْهُ الْوِلْدَانَ ، وَيُعَدُّ دُونَهُ  
[ كُلُّ مَحَارِبٍ <sup>(١)</sup> ] بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشَّهَاءِ وَالْمَيْدَانِ ، وَيُعْمُ حَلَبٌ مِنْ حِلْيِ أَيَّامِهِ مَا لَا يُفْقَدُ  
مَعَهُ إِلَّا أَسْمُ ابْنِ حَمْدَانَ .

فإن كان لقبه سيف الدين ، قيل « وَيُعْمُ حَلَبٌ مِنْ حِلْيِ أَيَّامِهِ مَا لَا يُفْقَدُ مَعَهُ  
سَيْفُ الدِّينِ إِنْ قُدِّدَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ بِنُ حَمْدَانَ . صدرت هذه المكاتبة إلى الجناح

(١) الزيادة من "التعريف" .

الكريم تُهْدِي إليه سلاماً مامراً على روض إلا أتهب طيبه شهباً وشاءَ تُعَقِّد له أعلامه  
على كنيسته الشهباء وتوضِّح لعلمه .

آخر : وَفَتَحَ بِسُوفِهِ الفَتْحَ الوَجِيزَ . وَأَحْلَى عَفَائِلَ المَعَاوِلِ مِنْهُ فِي الكَنْفِ  
الحَرِيْزِ ، وَأَعَادَ بِهِ رَوْنِقَ بِلَدٍ مَاجَفَّتْ بِهَا زُبْدَةُ حَلِيْبٍ وَهُوَ فِيهَا العَزِيْزُ ، صَدَرَتْ هَذِهِ  
المَكْتَابَةُ إِلَى الجَنَابِ الكَرِيْمِ بِسَلَامٍ ذَهَبُهُ لَا يَذْهَبُ ، وَشَاءَ لَا تُضَلِّحُ لِذِي عَفِيْلَةَ الشَّهْبَاءِ  
فَلَادَةُ عِنْدِهِ الأَشْهَبُ ، وَتَوْضِّحُ لِعَلْمِهِ الكَرِيْمِ .

آخر : وَلَا زَالَتْ هِمْمُهُ مِطْلَقَةً عَلَى النُّجُومِ فِي مَنَازِلِهَا ، مُطَاوِلَةً لِلْبُرُوقِ بِمَنَاصِلِهَا ،  
فَائِمَةً فِي مَصَالِحِ الدُّوَالِ مَقَامَ بِحَافِلِهَا . صَدَرَتْ هَذِهِ المَكْتَابَةُ إِلَى الجَنَابِ الكَرِيْمِ  
تُهْدِي إليه سلاماً كاللُّدْرِ ، وَشَاءَ طَوِيلِ الأَوْضَاحِ وَالقُرْبِ ، وَتَبْدِي لِعَلْمِهِ .

آخر : وَأَمَدُّ بَعُوْنِهِ ، وَجَمَلُهُ بِصُوْنِهِ ، وَلَا زَالِ رَأْيُهُ فِي التَّقْيِيْنِ : لِهَذَا سَبَبٌ  
فَنَائِهِ وَهَذَا عَلَّةُ كَوْنِهِ . صَدَرَتْ هَذِهِ المَكْتَابَةُ إِلَى الجَنَابِ الكَرِيْمِ تُهْدِي إليه سلاماً  
رَطِيْبِيًّا ، وَشُكْرًا يَكُوْنُ عَلَى مَا تُخْفِي الصدورُ رَقِيْبِيًّا ، وَتَوْضِّحُ لِعَلْمِهِ .

آخر : وَأَعْلَى لَهُ مِنَ الأَقْدَارِ قَدْرًا ، وَضَاعِفٌ لَدَيْهِ مِنَ لَدُنْهُ سُورًا  
وَبَشْرًا . وَلَا أَعْدَمَ ائِمَّتِكَ مِنْ عَزَائِمِهِ تَأْيِيْدًا وَنَصْرًا ، صَدَرَتْ هَذِهِ المَكْتَابَةُ إِلَى  
البَابِ الكَرِيْمِ تُهْدِي إليه سلاماً يُفُوقُ الزَّهْرَ ، وَيَسَاقِي فِي سَيْرِهِ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ ،  
وَتَبْدِي لِعَلْمِهِ .

آخر : وَخَصَّهُ بِجَمِيْلِ المَنَاقِبِ ، وَمَنَحَهُ مِنَ المَزِيْدِ عُلُوًّا العَرَاتِبِ . وَضَاعِفٌ لَدَيْهِ  
مِنَ الإِيْثَارِ شَرِيْفَ المَوَاطِبِ . صَدَرَتْ هَذِهِ المَكْتَابَةُ إِلَى الجَنَابِ الكَرِيْمِ تُهْدِي إليه  
سلاماً كَرْمٌ وَفُودُهُ ، وَشَاءَ حَسَنَ وَصْفِهِ وَعَدْبَ وَرُودِهِ ، وَتَوْضِّحُ لِعَلْمِهِ .

آخر : ولا زالت الخواطرُ تشهدُ منه صدقَ المحبة ، والنفوسُ تتحققُ أنه قد جعل  
النصيحةَ لإيماننا الشريفةَ دأبه . صدرت هذه المكتبةُ إلى الجنابِ الكريمِ تُهدى إليه  
سلاماً زاكيةً أقسامه ، وشاءَ كُلُّ عقدهِ وأُسقِ نظامه ؛ وتوضَّحَ لعلمه الكريمِ .

آخر : وزادَ عزَّمةَ المباركةَ تأييداً ، وتمنَّحَ نعمةً على مَمَرِ الأوقاتِ مزِيداً ، وجعل  
حفظه من كُلِّ خيرٍ سعيداً ، وسعدته بتجديدِ الأيامِ جديداً . صدرت هذه المكتبةُ إلى  
الجنابِ الكريمِ تُهدى إليه تحيةً حَسَنًا إهداؤها إليه ، وشاءَ يُبهِجَ الخواطرُ ورُوده  
عليه ؛ وتوضَّحَ لعلمه .

آخر : وجعل السعدَ المؤبدَ من معانمه ، وأقامه لإبقاء الخيرِ في معانديه وإثبات  
العزِّ في معامله . صدرت هذه المكتبةُ إلى البابِ الكريمِ تُهدى إليه تحيةً طابَ نشرُها  
العاطرُ ، وشاءَ أبهجَ ذكْرُه الخاطرُ ؛ وتوضَّحَ لعلمه .

آخر : ولا زالَ بالملائكةِ منصُوراً ، وبِعزِيدِ النعمِ مسروراً ، وبكُلِّ لسانٍ  
موصوفاً مشكوراً . صدرت هذه المكتبةُ إلى البابِ الكريمِ تُهدى إليه سلاماً يَضُوعُ  
نشرُه ، وشاءَ يَفُوحَ عِطرُه ، وتوضَّحَ لعلمه .

### دعاء وصمد

(بصلاح لثائب السلطنة بطرابلس<sup>(١)</sup>)

[وهو من هذه النسبة وما لا يبعد منها .

والدعاء مثل قولنا : وأطاب أيامه التي مارقت على مثلها أسفار ، وعذد في مناقبه  
القول التي تحمار ، وأخذ بنواصي الأعداء بيده لا تنأى بهم البرارى المقفرة  
ولا تحصنهم البحار .

(١) ظهر من غوى المقام أن هنا سقطاً من قول الناصح . وقد تداركناه من "التعريف" ووضعناه بين قوسين

مكافئ [ تحية الكلام فليتبني .

صدرت هذه المكتبة إلى الجناب العالى بسلام وفرت منه أسهمه التى يذرا بها  
العدا فى نحرها، وثناء مطيرب ترفص به الخيل فى أعتها والسفن فى نحرها .

### دعاء آخر وصدر

ولا زالت صفوفه تشد بنان الحرب، وسيوفه تعد للقتل وإن قيل للضرب،  
وسجوفه تجر على بلد ما مثله فى شرق ولا حصل على غير المسعى منه غرب .

صدرت هذه المكتبة إلى الجناب العالى تهدي إليه سلاما يزيد أفته تزيدنا، وثناء  
يأتيه من فائق الدر بما يستهون معه بالمينا .

### دعاء وصدر

( يصلح لنائب السلطنة بحماة )

وأتم بخدمة كل مبره، وبهمه كل مسره، وصان ما وليه أن يكون به غير التهر  
« العاصى » أو ينسب إليه سوى البلد المعروف « معره » .

صدرت هذه المكتبة إلى الجناب العالى تهدي إليه سلاما تمسح أذيتة بالسحاب،  
وثناء يأتي به حماة وقرونها المنشورة بالويته معقودة الدواب .

### دعاء آخر وصدر

وحى حماه، وزان موكبها بأحسن حماه، وحسن كائن سهامه التى لا يصلح لها  
غير بلده حماه .

صدرت هذه المكتبة إلى الجناب العالى تهدي إليه سلاما تحمله إليه الركائب  
السائرة، وثناء تشرق منه الكواكب أضعاف ما تربه أفلاك الدواليب الدائرة،  
وتوضح لعلمه .

(١) ما بين هذين القوسين [ تداركها من تعريف البنظير به الكلام فليأمل .

## دعاء وصدر

(بصلح لنائب صفد)

وَشَكَرِهِمَهُ الَّتِي وَفَّتْ ، وَعِزَّتِمْه الَّتِي كَفَّتْ ، وَأَعْلَىٰ بِهِ بَلَدًا مُدَّ وَرَيْه قِيلَ :  
 صَفْدٌ قَدْ صَفَّتْ . صَدْرَتْ هَذِهِ الْمَكَاتِبَةُ إِلَى الْجَنَابِ الْعَالِي تُهْدَى إِلَيْهِ سَلَامًا  
 لَا تَزَالُ شِعَائِرُهُ تُقَامُ ، وَشَاءَ مُدَّ هَبَّ عَلَىٰ بَلَدِهِ قِيلَ : إِنَّ هَوَاءَهَا يَشْفِي الْأَسْقَامَ ؛  
 وَتَوْضُحَ لَعَلَّمَهُ .

آخِرُ : وَلَا زَالَتْ مَسَاعِيهِ نَسُوْقُ إِلَيْهِ الْحُطُوْطُ [الْبَطِيَّةُ] <sup>(١)</sup> وَتَقَدَّمَ لَهُ الْعَلِيَاءُ مِثْلَ  
 الْمِطْبَةِ ، وَتَهَيَّ بِمَا خُصَّ بِهِ مِنْ صَفْدٍ وَهِيَ الْعَطِيَّةُ ؛ [ صَدْرَتْ هَذِهِ الْمَكَاتِبَةُ  
 إِلَى الْجَنَابِ الْعَالِي تُهْدَى إِلَيْهِ سَلَامًا يَجِيئُهُ فِي مَجَلَّةٍ ، وَشَاءَ يُوَدِّعُ فِي مَعْقَلِهِ الَّذِي لَا تَتَّصِلُ  
 أَعْلَى الشَّوَاخِ إِلَّا إِلَى مَا سَقَلُ مِنْ ظِلِّهِ ] <sup>(١)</sup> وَتَوْضُحَ لَعَلَّمَهُ .

## ادعية وصدور

(تصلح لكل من نواب طرابلس وحملة وصدق ومن في معناهم)

دَعَاءُ وَصَدْرٍ مِنْ ذَلِكَ : وَلَا يَرِحُ مَنْصُورَ الْعَزَمَاتِ ، مُسْتَدًّا فِي الْأَرَاءِ  
 وَالْحَرَكَاتِ ، مُشِيدًا قَوَاعِدَ الْمَالِكِ بِمَالِهِ مِنْ جَمِيلِ التَّقَدِمَاتِ . صَدْرَتْ هَذِهِ الْمَكَاتِبَةُ  
 إِلَى الْبَابِ الْعَالِي تُهْدَى إِلَيْهِ سَلَامًا أَرْجَا ، وَشَاءَ يَهْبِطَا ؛ وَتَوْضُحَ لَعَلَّمَهُ .

آخِرُ : وَلَا زَالُ سَيْفُهُ مَاضِيًا ، وَجَيْدُهُ حَالِيًا ، وَضِدُّهُ خَاسِيًا . صَدْرَتْ هَذِهِ  
 الْمَكَاتِبَةُ إِلَى الْجَنَابِ الْعَالِي تُهْدَى إِلَيْهِ سَلَامًا ، وَتَسَدَّدُ رَأْيِهِ الصَّائِبِ سِهَامًا ،  
 وَتَوْضُحَ لَعَلَّمَهُ .

(١) من التعريف .



آخر : ولا زالت آراؤه سعيدة ، وثائيراته حميدة ، وسُيوفه لرقاب العدا  
مُبيده . صدرت هذه المكتبة إلى الجنب العاني تُهْدَى إليه سلامًا يتأرجح ، وثناءً  
تشره نُشر الثوب المدبج ، وتوضح لعلمه .

آخر : ولا زالت آراؤه عالية ، وأجبادُه حانية ، ونِعْمَ اللهُ عليه متواليه . صدرت  
هذه المكتبة إلى الجنب العاني تُهْدَى إليه السلام التام ، والثناء الواقف الأقسام ،  
وتوضح لعلمه .

### أدعية وصـدور

( تصفح لنايب الكرك ومن في معناه ممن رُتبه المجلس العالی مع الدعاء )

دعاء من ذلك : وأيد عزيمته ، وأيد حزمته ، وفوق إلى بحر العدا سَهْمه .  
صدرت هذه المكتبة إلى المجلس العالی تُهْدَى إليه سلامًا ، وتُسَدَّد لرأيه الصائب  
سَهَامًا ، وتوضح لعلمه .

آخر : ولا زال عاليًا قدره ، ناقذا أمره ، جاريًا على الألسنة حمده وشكره .  
صدرت هذه المكتبة إلى المجلس العالی تُهْدَى إليه سلامًا ، وثناءً بَسَامًا ، وتوضح لعلمه .

## المهجع الثاني

(في بيان مراتب المكتوب إليهم من أهل المملكة ، وما يستحقه  
كلّ منهم من المكاتبات . وهم ثلاثة أنواع )

### النوع الأول

(أرباب السيوف ، وهم على ثلاثة أقسام)

#### القسم الأول

(من هو منهم بالديار المصرية ، وهم ستة أصناف )

#### الصنف الأول

(تُواب السلطنة الشريفة ، وهم أربعة تُواب )

الأول - النائب الكافل : وهو نائب السلطنة الشريفة بالحضرة . وقد تقدم في الكلام على المسالك والممالك في المقالة الثانية أنه أعلى تُواب السلطان رتبة . قال في "التشريف" : "وقلّ أن يُكاتب إلا إذا كان السلطان مسافراً في غزاةٍ أو سرحةٍ للصيد ."

ورسم المكاتبه إليه على ما ذكره في "التعريف" : أعزّ الله تعالى أنصار الجنب الكريم على ما تقدم في الدرجة الثانية من الدرجات العشر . قال في "التعريف" :  
وقد رأيت بعض الكُتاب قد كتب في ألقابه بعد الأُميرى «الأميرى» . قال :  
والكاتب المذكور كاتبٌ صالحٌ في المعرفة وليس بحجة ، وكاتبه الأميرى ليست بشيء ،  
وإنما سماه عليها كثرة الملق . وقد نقل في "التعريف" عن هذا الكاتب أنه كتب

في تعريفه « نائب السلطنة وكافل الممالك الشريفة الإسلامية » . قال : وهو مقبولٌ منه . ثم قال : والذي أراه أن يُجَمَّع ذكر النيابة والكفالة في تقليده . فيقال : « أن يُقَلَّدَ نيابةَ السلطنة المعظَّمة . وكفالةَ الممالك الشريفة الإسلامية » أو ما هذا معناه ، نحو : « وكفالةَ الممالك الشريفة : مصرًا وشامًا وسائر البلاد الإسلامية أو الممالك الإسلامية » ونحو ذلك .

فأما في تعريف الكُتِّب ، فقد جرت عادة نواب الشام أن تقتصر في كتبها إليه على « كافل الممالك الإسلامية المحروسة » . قال : ولعمري في ذلك مَقْنَعٌ وإن في الأقتصار عليها ما هو أكثر نفعًا . وعليه عمل أكثر الكُتِّب بديوان مصر أيضا ، ويؤيده أنهم مقتضرون فيما يكتب بإشارته على هذا التعريف : فأعلم ذلك .

ورسم المكاتبه إليه على ما استقر عليه الحال : على ما ذكره في « التنقيف » : أعزَّ الله تعالى أنصارَ المَقْتَرِ الكَرِيمِ ، كما في الدرجة الأولى من الدرجات العشر . والعلامة إليه « أخوه » . وتعريفه : « كافلُ الممالك الشريفة الإسلامية أعلاها الله تعالى » . قال في « التنقيف » : وإنما كُتِبَ له أعزَّ الله تعالى أنصارَ المَقْتَرِ ، وزيدت ألقابه على ما كانت عليه لَمَّا كُتِبَ بذلك لنائب الشام في ولاية بيدمر الخوارزمي ، وكافل الملكة يومئذ الأمير مَنجَك : فلزم أن يكتب له مثله لئلا يكون نائب الشام ميمِّزًا على كافل السلطنة ، على ما سياتي في الكلام على مكاتبه نائب الشام .

قال في « التعريف » : أما نائبُ النَّيِّبَةِ ، وهو الذي يُتْرَكُ إذا غاب السلطان والنائب الكافل وليس إلا لإيحاء النوازل وحلاص الحقوق ، فحُكِّمَ كحُكِّمِهِ في المكاتبه إليه .

الثاني — نائب نهر الإسكندرية المحروس : وهو من استُحدثت نيابته في الدولة الأشرافية «شعبان بن حسين» عند طُروق العدو المخذول، في سنة سبع وستين وسبعائة من الفَرَّيج المخذولين .

ورسم المكتبة إليه : ضاعف الله تعالى نعمة الجَنَاب العالی، علی ما تقدّم ذكره، إلا أنه لا يقال في ألقابه «الكافلي» والعلامة الشريفة له « والده » وتعريفه « نائب السلطنة الشريفة بنهر الإسكندرية المحروس » .

واعلم أن بالإسكندرية حاجباً يكتبُ عن الأبواب السلطانية . قال في «التتيف» : ورسمُ المكتبة إليه : «هذه المكتبةُ إلى المجلس السامي» إن كان طبلخاناه، و« يعلمُ مجلس الأمير » إن كان عشرةً، والعلامة الشريفة له الاسم بكل حال . وتعريفه «الحاجبُ بنهر الإسكندرية المحروس» .

الثالث — نائب الوجه القبلي : وقد تقدّم أن مقرّ ولايته مدينةُ أسيوطَ ، وأن استُحدثت نيابته كان في الدولة الظاهرية «برقوق» في سنة ثمانين وسبعائة .

ورسم المكتبة إليه : « ضاعف الله تعالى نعمة الجَنَاب العالی » علی ما تقدّم ذكره . ولا يقال فيه « الكافلي » أيضاً ، والعلامة الشريفة « والده » وتعريفه «نائب السلطنة الشريفة بالوجه القبلي» .

الرابع — نائب الوجه البحري : وقد تقدّم أن مقرّ ولايته مدينةُ دمنهور الوَحْش من أعمال البحيرة ، وأن نيابته استُحدثت بعد نيابة نائب الوجه القبلي ، ولذلك لم يتعرض له في «التتيف» .

ورسم المكتبة إليه : « ضاعف الله تعالى نعمة الجَنَاب العالی » كما في نائب الوجه القبلي . والعلامة الشريفة له «أخوه» وتعريفه «نائب السلطنة الشريفة بالوجه البحري» .

## الصنف الثاني

### (الكشاف)

وقد تقدم أنه كان قبل استقرار نيابتي الوجهين : القبلي والبحري - كاشفان  
بالوجهين المذكورين : كاشف بالوجه القبلي . وكاشف بالوجه البحري .  
فلما استقرت النيابةان ، استقرت بالقبوم والبهنساوية كاشف . وبالشرقية وما قاربها  
كاشف ، وكل منهما أمير طبخاناة .

ورسم المكاتبه إلى كل منهما : « صدرت هذه المكاتبه إلى المجلس السامي »  
والعلامه لكل منهما الأيم الشريف ، وتعريف كاشف القبوم « الكاشف بالقبوم  
والبهنساوية » وتعريف الآخر « الكاشف بالوجه البحري » .

## الصنف الثالث

### (الولاية بالوجهين : القبلي والبحري)

وكل من ولاية الوجهين لا يخرج عن طبخاناة أو عشرة وما في معناها كالعشرين  
ونحوها .

فأما الوجه القبلي ، ففيه ستة ولاة . منهم ثلاثة طبخاناة : وهم ولى قوص وإنعيم .  
وولى الأشمونين . وولى البهنسا .

ومنهم ثلاثة عشرات : وهم ولى الحيزية . وكان قبل ذلك طبخاناة . وولى  
إطفيح . وولى منفلوط . وكان قبل ذلك طبخاناة . وهو اليوم إمرة عشرين .

وأما الوجه البحري ، ففيه سبعة ولاة : منهم ثلاثة طبخاناة . وهم ولى الغربية .  
وولى المنوفية . وولى الشرقية . وكان بدمهور ولى طبخاناة قبل استقرارها نيابة .

ومنهم أربعة عشر، وهم : والى قَلْبُوب . ووالى أَشْمُوم : وهى الدقهيلية  
والمرتاحية . ووالى دِمِياط . ووالى قَطِيَا .

ورسم المكاتبية إلى كلِّ من ولاية الطبلخاناه منهم : « هذه المكاتبية إلى المجلس  
السامى » وإلى كلِّ من ولاية العشرات منهم « يعلم مجلس الأمير » والعلامة لكل  
من الطبلخاناه والعشرات الأسمُ الشريف ، وتعريف كل منهم « والى فلانة » .

### الصف الرابع

(من يتوجه من الأبواب السلطانية من الأمراء لبعض الأعمال المتقدمة الذكر:

لكشف الجسور وعمارتها أو لتخصير البلاد أو لقبض الملال )

قال فى "التعريف" : فمن كان منهم طبلخاناه ، فرسم المكاتبية إليه السامى بالياء .  
ومن كان منهم عشرة ، فرسم المكاتبية إليه السامى بغير ياء . والعلامة للجميع الأسم  
الشريف . قال : ولا تذكر الوظيفة التى توجه بسببها ، ولا الإقليم الذى هو به .

### الصف الخامس

( باقى الأمراء بالديار المصرية )

وقد رتبهم فى "التعريف" على أربع مراتب :

المرتبة الأولى — مقدمو الأئوف ، وقد ذكر أن لكارهم أسوة بكار الثواب بالملك  
الشامية ، كالشام وحلب . ولأوسطهم [أسوة أوسطهم] كحماة وطرابلس وصيد .

(١) الزيادة من "التعريف" ، وهى ساقطة من قلم النسخ .

ولأصغرهم أسوة أصغرهم ، كعزة ومحص . ثم قال : فاعلم ذلك وقس عليه . ثم قال بعد ذلك : والذي نقوله أن لكبار المقدمين بالأبواب السلطانية «الجناب الكريم» [ثم الجناب العالى] ثم «الجلس العالى» . وهذا على ما كان في زمانه ، أما على ما استقر عليه الحال آنحرا ، فإنه يكون لكبارهم «المقرّ الكريم» كما يكتب للأتابك الآن ، ثم «الجناب الكريم» ثم «الجناب العالى» ثم «الجلس العالى» .

المرتبة الثانية — الطليعات . قد ذكر أن منهم من يكتب له «الجلس العالى» كما يكون معينا للتقدمة ، وله عدة ثمانين فارسا أو سبعين فارسا أو نحو ذلك ، وكالمقرّين من الحاصية . أو من له عرافة تسب كقبائيا المسلوك ، أو أرباب وظائف جليلة : كحاجب كبير ، أو استدار جليل . أو مدبر دولة لم يصرّح له بالوزارة ، أو وادار متصرف . ثم قال : وهؤلاء وإن كتبت لهم بالجلس العالى . فإنه يكتب لهم بغير افتتاح بالدعاء ، والكتابة لهم بالعالى على سبيل العرض لا الاستحقاق ، وإلا فاجل رسم مكتبة أمراء الطليعات «السامى» بالياء والجمهورهم «السامى» بغير ياء .

المرتبة الثالثة — العشرات . وذكر أن لكل منهم «مجلس الأمير» ، ثم قال : فإن زيد قدر أحد لسبب ما ، كتب له «الجلس السامى» بغير الياء .

المرتبة الرابعة — مقدمو الجند . وقد ذكر أن لهم أسوة أمراء العشرات في المكتبة . ثم قال : وأما الجند ، فالأمير الأجل . وأما جند الأمراء فالطواشى . وكأنه يريد ما إذا كتبت بسببهم مكتبة أو كتبت لأحد منهم توقيع ، وإلا فالجند لا يكتب أحد منهم عن الأبواب السلطانية حتى ولا أبواب القلاع بالشام ، كما سياتى ذكره هناك إن شاء الله تعالى .

## الصفحة السادسة

(العربان بالديار المصرية وبرقة)

وقد تقدم الكلام عليه مستوفى في الكلام على أنساب العرب ، فيما يحتاج إليه الكاتب في المقالة الأولى . وقد ذكر في "التعريف" أن العرب بمصر في الوجهين القبلي والبحري جماعات كثيرة وشعوب وقبائل . ثم قال : ولكنهم على كثرة أموالهم وأنساع نطق جماعاتهم ، ليسوا عند السلطان في الندوة ولا السنام ، إذ كانوا أهل حاضرة وزرع ، ليس منهم من يُعجَد ولا يُتَمِّم ، ولا يُعْرِق ولا يُسْتَم ، ولا يخرجون عن حدود الجُدُران ، وعلى كل حال \* فالمتدلل الرطب في أرجائه حطب \* .

ثم قد قسم منازلهم إلى الوجه القبلي والوجه البحري ، وذكر أن بكل من الوجهين من يكاتب عن الأبواب السلطانية .

فأما عرب الوجه البحري فعلى ضربين :

## الضرب الأول

(عرب البحيرة)

قال في "التعريف" : وأمرأؤهم عرب الديار المصرية . قال : وهم أشبه القوم بالتحلق بخلائق العرب في الحلل والقرحال ، يُغربون إلى القيروان وقابس ، ويفدون على الحضرة السلطانية وفود أمثالهم من أمراء العرب . وذكر أن الإمرة فيهم في زمانه ، كانت في محمد بن أبي سليمان وفائد بن مقدم . وقال : إن رسم المكتبة إلى كل منهما : « هذه المكتبة إلى المجلس السامي ، الأمير » والعلامة السلطانية « أخوه » ولم يتعرض لتعريفهما ، والذي يظهر أن تعريف كل منهما اسمه .

(١) في الأصل : أبدالهم ، وهو تصحيف والتصحيح من "التعريف" .



أما بعده ، فقد تغيّرت تلك الأحوال . وتناقصت رتبةُ عرب البَحيرة ، وزالت الإمرةُ عنهم ، ولم يبقَ فيهم إلا مشاع عربان ذوو أموالٍ بحمة ، كان منهم في الدولة الأشرقية «شعبان بن حسين» رَحَاب ، وموسى بن خِضْر ، وأولاد بَدْران الغريزي ، ومن جرى مجراهم - ثم صار اليوم بها <sup>(١١)</sup> بن رَحَاب ، وخضر بن موسى .

## الضرب الثاني

(عربُ الشَّرقية)

وقد ذكر في «التعريف» : أنه كان في زمانه منهم نجم بن هجل شيخ عائد . وذكر أنه دون محمد بن أبي سليمان وفائد بن مقدم : أميرى عرب البَحيرة ، ثم قال : ورسم المكتبة إليه : «هذه المكتبة إلى المجلس السامى الأمير» .

قلت : ثم تغيّرت الأحوال بعد ذلك وصارت رئاسةُ عرب الشرقية متداولةً في جماعة ، إلى أن كان منهم في الدولة الظاهرية «برقوق» محمد بن عيسى أمير <sup>(١٢)</sup> وأولادهم ، وكانت الإمرة فيهم أولاً في <sup>(١٣)</sup> ثم قُتل بسيف السلطان في الدولة الناصرية «فروج بن برقوق» واستقر مكانه <sup>(١٤)</sup>

(١) بياض بالأصل .

(٢) بياض بالأصل مقدار سطرين .



وأما عرب الوجه القبلي، فقد ذكر في "التعريف" أنه كان منهم في زمانه نقران: أحدهما ناصر الدين عمر بن فضل، وذكر أن رسم المكاتبه إليه «هذه المكاتبه إلى المجلس السامى» أيضا، وثانيهما شجرة بن مالك. قال: وهو ذو عَدَد جَم، وشوكية مُنكية، يَغزُو الحبشة وأمم السودان، ويأتى بالنهاب والسبايا، وله أثر محمود، وفعل مأثور. وقد على السلطان وأكرم مَنَواها، وعقد له لواءً وشرف بالتشريف، وقد ذلك، وكتب إلى ولاة الوجه القبلي عن آخرهم وسائر العربان به بمساعدته ومُعاضدته، والركوب للغزو معه متى أراد. وكتب له منشورٌ بما يفتح من البلاد، وتقليدٌ بإمرة العربان القبلية مما يلى قُوص إلى حيثُ تصل غابته. ثم قال: ورسم المكاتبه إليه "السامى الأمير" كمن تقدم.

قلت: ثم كان بعد ذلك عدد من أمراء العربان، كان آخرهم أبو بكر بن الأحذب. ثم لما أنتقلت هواره إلى الوجه القبلي، صارت الإمارة فيهم في الصعيد الأدنى، في بنى غريب، وأميرهم الآن<sup>(١)</sup> وفي الصعيد الأعلى في بنى عمر، وأميرهم محمد بن عمر، ورسم المكاتبه إلى كل منهما<sup>(٢)</sup>

(١) بياض بالأصل -

(٢) بياض بالأصل مقدار سطرين - والظاهر أنه ببيض لهذا كما ببيض لما قبله أنتظارا لوضع مثال المكاتبه

الحارية في زمانه فأخترته المنيبة قبل أن يثبت مرغوبه ويدرك مطلوبه .

وأما عرب برفة ، فقد ذكر في "التعريف" أنه لم يبق منهم في زمانه من يكتب إلا جعفر بن عمر، وأنه كان لا يزال بين طاعة وعصيان، ومخاشنة وليان، وأن أمراء عرب البحيرة كانت تُؤرى به، وتغير خاطر السلطان عليه. وأن الجيوش كانت تمتد إليه، وقيل أن ضفرت منه بطائل، أو رجعت بغمم إن أصابته نوبة من الدهر. وكان آخر أمره أنه ركب طريق الواج حتى خرج من القيوم، وطرق باب السلطان لاثذا بالعبوة، ولم يسبق به خبر، ولم يعلم السلطان به حتى استأذن المستأذن عليه وهو في حملة الوقوف بالباب، فأشكرهم أتم الكرامة، وشرف بأجل التشاريف، وأقام مدة في قري الإحسان وإحسان القري. وأهلها لا يعلمون بما جرى، ولا يعرفون أين يتم، ولا أية جهة تحا، حتى أتتهم وافدات البشائر، وقال له السلطان: لأى شىء ما أعلنت أهلك بقصدك إلينا؟ قال: خفت أن يقولوا: يفتك بك السلطان، فاتنبط. فاستحسن قوله، وأفاض عليه طوله، ثم أعيد إلى أهله، فانقلب بنعمة من الله وفضل لم يمسسه سوء، ولا زل له صاحب، ولا سميت به عدو.

### النسوع الثاني

(من يكتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية أرباب الأعلام.)

(وهم على ضربين: )

#### الضرب الأول

(أرباب الدواوين من الوزراء ومن في معانهم)

قال في "التعريف" ولم تزل مكاتبه أجلاء الوزراء «النجلس العالى». ثم كتب لآخرهم بالديار المصرية «الجناب العالى». وكُتبت بالشام للصاحب عز الدين

أبي يعلى ، حمزة بن القلاسي<sup>(١)</sup> رحمه الله ، بلالة قدره ، وسابقة خدمه ، وعناية من كتب إليه بها . ثم قال : والذي أستقر عليه الحال للوزير بمصر « الجَنَاب » . أما من يَجْرِي سَجْرَى الوُزراء ولا صريح له بها : مثل ناظر الخصاص ، وكتب السر ، وناظر الجيش ، وناظر الدولة ، وكتب الدست ، « السامي » بالياء ، ومن دون هؤلاء فغير ياء ، ثم « مجلس القاضي أو الصُدر » .

قلت : وكأنه يريد القاب هؤلاء في الجملة ، إما في مكاتبة تكتب بسبب أحد منهم ، وإما في توقيع ونحوه يكتب لأحدهم ، وإلا فن ذكره من الأصغر لا يكتب عن الأبواب السلطانية عادة . والذي صرح في « التثقيف » بذكر المكاتبة إليه من هذا الضرب نهران :

الأول — كاتب السر إذا تحلف عن الرُكَّاب السلطاني لعارض . وذكر أن رسم المكاتبة إليه : « أدام الله تعالى نعمة المجلس العالي » على ما تقدم ذكره ، والعلامة « أخوه » وتعريفه « صاحب دواوين الإنشاء الشريف بالممالك الإسلامية المحروسة » .

الثاني — ناظر الخصاص الشريف . وذكر أن رسم المكاتبة إليه على ما استقر عليه الحال في أيام ابن تقي « أدام الله تعالى نعمة المجلس العالي » على ما تقدم ذكره ، والعلامة « الأسم » وتعريفه « ناظر الخواص الشريفة » .

قلت : ولم يتعرض لمكاتبة الوزير ، إنما ذكر ألقابه في الألقاب العامة مما يكتب في الولايات وغيرها ، ولا يُستغنى عن ذكر المكاتبة إليه ، وقد تقدم في كلام صاحب « التعريف » أن الذي استقر عليه الحال في المكاتبة إليه « الجَنَاب العالي » ولم يعين صورة الدعاء له . والذي ذكره في « التثقيف » في ألقابه أن الدعاء له « ضاعف الله

(١) في « التعريف » القلاسي .

تعالى نعمته « وحينئذ فكون المكتوبة إليه إن كتب إليه « ضاعف الله تعالى نعمة  
الجناب العالى » بالألقاب السابقة .

## الضرب الثانى

( أرباب الوظائف الدينية والعلماء )

قد ذكر فى " التعريف " أن كلاً من قضاة القضاة بمصر يكتب له « المجلس  
العالى » والمحسب بها يكتب له « السامى » بالياء . ومن دونهم من أرباب الوظائف  
الدينية وبقية العلماء وأكابرهم « السامى » بغير ياء . ومن دونهم « مجلس القاضى »  
أو « الشيخ » بحسب ما يليق به . وكأنه يريد مطلق الألقاب كما تقدم فى غيره ، وإلا  
فهؤلاء لا يكتبون عن الأبواب السلطانية ، ولم يذكر فى " التنقيح " مكتوبة لأحد من  
أرباب الوظائف الدينية سوى قاضى القضاة نابع الدين الإخنائى المالكي ، وقد صحَّح  
فى سنة سبع وستين وسبعائة فى الدولة الناصرية « حسن » - جواباً عما ورد منه ،  
وكتب له الدعاء و « المجلس العالى » . والعلامة الأسم . قال : وأما قاضى القضاة  
عز الدين بن جماعة فإنه كان يحج ويحاور كثيراً . ولكنى لم أره كتب له قط ،  
وأنا شاك فى أمره .

قلت : رأيت فى " إيقاظ المتعطل " لابن المتوج . أنه كتب إليه وهو مجاور  
بمكة : « أعز الله تعالى أحكام المجلس العالى » ولم يتعرض للعلامة ، والظاهر أن  
العلامة له « أخوه » ، ويكون التعريف « قاضى القضاة الشافعية أو المالكية  
بالديار المصرية » .

## النوع الثالث

(من يُكاتب عن الأبواب السلطانية ممن بالديار المصرية الخوندات

السلطانية : من زوجات السلطان وأقاربه ممن تدعو الضرورة

إلى مكاتبته لسفّره أو لسفّر السلطان )

وقد ذكر في "التنقيف" منهن جماعة ، نذكرهن ليكن أئمةً لئن يكون في معناهن .

الأولى — ابنة المقام الشريف الشهيد الناصري «محمد بن قلاوون» لما كانت بحلب مع زوجها أبي بكر بن أرغون ، كتب إليها ما صورته : «الذي يحيط به علم الحُرمة الشريفة ، العالمة ، المصونة ، الولدية ، عصمة الدين ، جلال النساء ، شرف الخواتين ، سليلة الملوك والسلاطين ، ضاعف الله تعالى جلالها ، والعلامة «والدها» وتعريفها «الدار السيفية بحلب» والأسطر متقاربة كالملطف .

الثانية — طغاي زوجة المقام الشريف الناصري المشار إليه ، المعروفة بأتم أنوك ، كتب إليها لما توجهت إلى الحجاز الشريف : «ضاعف الله تعالى جلال الجهة الشريفة ، العالمة ، المعظمة ، المحجبة ، المصونة الكبرى خوند خاتون ، جلال النساء في العالمين ، سيده الخواتين ، قرينة الملوك والسلاطين» . ثم الدعاء ، والعلامة الأتم الشريف ، وتعريفها «والدة المفتر الكريم الولدي السيفي أنوك» : والأسطر على ما تقدم في المكاتب السابقة .

الثالثة — أخت المقام الشريف الناصر حسن جهة الامير طاز ، كتب لها لما كانت بالحجاز الشريف : «ضاعف الله تعالى جلال الجهة الشريفة العالمة الكريمة المحجبة المصونة الكبرى الخاتون ، جلال النساء في العالمين ، جميلة المحجبات ، جليلة المصونات ، كريمة الملوك والسلاطين ، والعلامة «أخوها» .

الرابعة - الحاجة الست حدق . كُتِب لها وهي بالمجاز الشريف عن الناصر حسن : « ضاعف الله تعالى جلال الجهة الشريفة العالية الكبرى المحجبة المصونة الحاجية الوالدية، جلال النساء في العالمين . بركة الدولة . والدة الملوك والسلاطين . » ثم الدعاء والعلامة الأسم الشريف : وتعريفها « الحاجة ست حدق » .

الخامسة - والدة السلطان الملك الأشرف « شعبان بن حسين » . كتب إليها عند توجيهها للمجاز الشريف : « ضاعف الله تعالى جلال الجهة الشريفة » . ثم قال : وقد كنت أنكرت ذلك : لأنه كان يعظمها كثيرا ويقبل يديها غالبا : فكان يمكن أن يُكْتَب لها بتقيل اليد .

قلت : وصورة المكتبة على ما رأيته في بعض الدساير : « ضاعف الله تعالى جلال حجاب الجهة الشريفة العالية الكبرى . المعظمة المحجبة العصى الخاتون . جلال النساء في العالمين . سيدة الخواتين . جميلة المحجبات ، جليلة المصونات ، والدة الملوك والسلاطين » ثم الدعاء . وكانت الكتابة لها في ورق دمشقي في قطع القرخرة بالطول كاملة بقلم الثلث الخفيف أو التوقيع .

## القسم الثاني

( مَنْ يَكْتَابُ بِالْمَمَالِكِ الشَّامِيَةِ، وَهُمْ أَرْبَعَةٌ أَنْوَاعٍ )

## النوع الأول

( أَرْبَابُ السُّيُوفِ مِنَ النَّوَابِ الْكُفَّالِ وَأَتْبَاعِهِمْ، وَهِيَ ثَمَانُ نِيَابَاتٍ )

## النِّيَابَةُ الْأُولَى

( نِيَابَةُ دِمَشْقَ، الْمَعْبُورُ عَنْهَا فِي عُرْفِ الزَّمَانِ بِالْمَمْلَكَةِ الشَّامِيَةِ )

وَالْمَكْتُوبُونَ بِهَا عَنِ الْأَبْوَابِ السُّلْطَانِيَةِ ضُرْبَانِ :

## الضرب الأول

( مَنْ بِمَدِينَةِ دِمَشْقَ، وَهُمْ ثَلَاثَةٌ )

الأول — كَافِلُ السُّلْطَنَةِ بِهَا، وَهُوَ مِنْ أَكْبَرِ مَقْدَمِيِّ الْأُلُوفِ . وَكَانَ رَسَمَ الْمَكْتَابَةِ إِلَيْهِ عَلَى مَا أُوْرِدَهُ الْمَقَرَّ الشَّهَابِيُّ بْنُ فَضْلِ اللَّهِ فِي "التَّعْرِيفِ" : «أَعَزَّ اللَّهُ تَعَالَى نُصْرَةَ الْجَنَابِ الْكَرِيمِ» . قَالَ فِي "التَّنْقِيْفِ" : وَلَمْ تَزَلِ الْمَكْتَابَةُ إِلَيْهِ كَذَلِكَ مِنْ بَعْدِ الدَّوْلَةِ الشَّهِيدِيَّةِ النَّاصِرِيَّةِ مُحَمَّدِ بْنِ فُلَاوُونَ إِلَى آخِرِ سَنَةِ نَحْمَسَ وَسَبْعِينَ وَسَبْعِمِائَةَ، وَاسْتَقَرَّ الْأَمِيرُ بِيَدِمْرِ الْخَوَارِزْمِيِّ نَائِبَ السُّلْطَنَةِ بِهَا فِي وِلَايَتِهِ الثَّلَاثَةَ، فِي الدَّوْلَةِ الْأَشْرَفِيَّةِ «شُعْبَانَ بْنِ حَسِينٍ» فَاسْتَقَرَّ رَسَمُ الْمَكْتَابَةِ إِلَيْهِ : «أَعَزَّ اللَّهُ تَعَالَى أَنْصَارَ الْمُقَرَّرِ الْكَرِيمِ» عَلَى الرَّسْمِ الْمُتَقَدِّمِ، وَالْعَلَامَةُ الشَّرِيفَةُ إِلَيْهِ «أَخُوهُ» وَتَعْرِيفُهُ «نَائِبُ السُّلْطَنَةِ الشَّرِيفَةِ بِالشَّامِ الْمَحْرُوسِ» . قَالَ فِي "التَّنْقِيْفِ" : «أَوْ كَافِلُ الْمَمْلَكَةِ الشَّامِيَةِ الْمَحْرُوسَةِ» وَلَا يُقَالُ فِي نُعُوتِهِ : كَافِلُ السُّلْطَنَةِ .



الثاني — نائب قلعة دمشق . ورسمُ المكتبة إليه « صدرت هذه المكتبة إلى المجلس العالى » على ما تقدم رسمه . والعلامة « والده » . قال في « التنقيف » :  
ثم استقرت المكتبة إليه « السامى » بالياء : لأنه طبيب خاناه ، والعلامة الشريفة له  
الأسم . وتعريفه « نائب القلعة المنصورة بدمشق المحروسة » .

الثالث — حاجب الحجاب بها . ورسم المكتبة إليه : « أدام الله تعالى  
نعمة المجلس العالى » على ما تقدم رسمه . والعلامة الشريفة له « والده » وتعريفه  
« أمير حاجب بالشام المحروس » .

## الضرب الثانى

(من أعمال دمشق من نواب المُدن والقلاع، وهم خمسة نواب)

الأول — نائب رخص ، قال في « التنقيف » : كان يكتبُ إليه نظير نائب  
الكرّك ، يعنى « أدام الله تعالى نعمة المجلس العالى » والعلامة الشريفة له « والده »  
لما كان من مقدمى الألوفا بالشام ، ثم استقر من أمراء الطبخاناه ، وأستقرت  
مكتبته « صدرت هذه المكتبة إلى المجلس السامى » فيما أظن ، وقد تقدم رسمها .  
والعلامة الشريفة له الاسم الشريف ، وتعريفه « النائب بمحص المحروسة » .

الثانى — نائب الرّجبة . وقد تقدم فى الكلام على المسالك والممالك أنه كان  
من حقها أن تكون من مضافات حلب . ورسم المكتبة إليه « صدرت هذه  
المكتبة إلى المجلس العالى » على ما تقدم رسمه . والعلامة الشريفة له « والده » وتعريفه  
« النائب بالرّجبة » .

الثالث — نائب بَعْلَبَك . قال في "التثقيف" إن كان من أمراء الطليخاناه فكاتبته «صدرت هذه المكتابة إلى المجلس السامي» والعلامة له الأسم الشريف . وإن كان من العَشْرَات ، فالمكتابةُ إليه « يعلمُ مجلسُ الأمير » والعلامة له الأسم الشريف وتعريفه « النائب بَعْلَبَك المعروسة » .

الرابع — نائب مِصْيَاف . وقد تقدم في الكلام على المَسَالِك والممالك أنها كانت مُضَافَةً إلى طرَابُلُس في جملة فِلَاع الدَّعْوَةِ ، ثم آسْتَفْتَتْ في مُضَافَاتِ الشَّام . ورسم المكتابة إليه « هذه المكتابة إلى المجلس السامي » والعلامة الشريفة له الأسم الشريف .

الخامس — نائب القُدُس الشريف . وهو من آسْتَعْدِثَتْ نِيَابَتُهُ في الدَّوْلَةِ الأَشْرَفِيَّة « شعبان بن حسين » في سنة سبع وسبعين وسبعمائة ، وكانت قبل ذلك ولايةً وهو طليخاناه ، وربما أُضِيفَ إليه نظَرُ الحرمين : حَرَمِ القُدُس ، وَحَرَمِ الخليل عليه السلام . ورسم المكتابة إليه « صدرت هذه المكتابة إلى المجلس العالی » . والعلامة « والده » وتعريفه « النائب بالقُدُس الشريف » .

قال في "التثقيف" : وكان قد آسْتَفْتَرَ بأماكن تُذَكَّرُ من البلاد الشامية نَوَاب ، وآسْتَفْتَتْ مَكْتَابَةً كُلُّ هِنَهُمْ : إن كان مقدما « صدرت » و « العالی » والعلامة « والده » . وإن كان طليخاناه « السامي » بالياء والعلامة الأسم الشريف . وهي تَدْمُرُ ، وَالسُّخْنَةُ ، وَالقَرَيَّتَان ، وَسَهْمِيَّةٌ . قال : ثم بطل ذلك . ثم قال : ومن النَوَاب بالفِلاَحِ الشامية جماعة لم تجر لهم عادةً بمكتابة عن المواقف الشريفة ، ولا تصدُر ولا يَتَهَمُ من الأبواب الشريفة ، بل نائبُ الشَّامِ مستقلٌ بذلك . وهم ، نائب حَجَلُون ، ونائب صَرَخَد ، ونائب الصُّبِّيَّة ، ونائب شَقِيفِ آرْتُون .

قال : وممن كُتِبَ إليه أيضا وليس بنائب ولا والٍ جمال الدين يوسف شاه الأتابك بمصيف في سنة أربع وسبعين وسبعمائة على يد نافع بن بدران . ورسم ما كتب به إليه «أدام الله تعالى نعمة المجلس العالي» وكُتِبَ في ألقابه «الأتابكي» وكتب تعريفه «يوسف شاه الأتابك» . قال : والظاهر أن العلامة «والده» .

### النيابة الثانية

( نيابة حلب )

والمكاتبون بها عن الأبواب السلطانية أيضا على ضربين :

#### الضرب الأول

( من بمدينة حلب ، وهم ثلاثة )

الأول — النائب بها . وهو من أكابر مقدمي الألف . ورسم المكاتبه إليه « أعز الله تعالى نصرة الجنب الكريم » على ما تقدم رسمه . والعلامة الشريفة له «أخوه» وتعريفه «نائب السلطنة الشريفة بحلب المحروسة» .

الثاني — نائب القلعة بها . ورسم المكاتبه إليه « صدرت هذه المكاتبه إلى المجلس السامي » على ما تقدم رسمه . والعلامة له الأسم الشريف . وتعريفه «نائب القلعة المنصورة بحلب المحروسة» .

الثالث — حاجب الحجاب بها . ورسم المكاتبه إليه « صدرت هذه المكاتبه إلى المجلس العالي » . والعلامة «والده» وتعريفه «أمير حاجب بحلب المحروسة» .

## الضرب الثاني

(مَنْ بِأَعْمَالِ حَلَبَ مِنَ التَّوَابِ ، وَهُم أَحَدٌ وَعِشْرُونَ نَائِبًا)

الأول — نائب البيرة . ورسم المكتبة إليه « المجلس العالى » . والعلامة الشريفة « والده » وتعريفه « النائب بالبيرة المحروسة » .

الثانى — نائب قلعة المسلمين المعروفة بقلعة الروم . ورسم المكتبة إليه والعلامة كذلك<sup>(١)</sup> . وتعريفه « النائب بقلعة المسلمين المحروسة » .

الثالث — نائب ملطية<sup>(٢)</sup> . ورسم المكتبة إليه والعلامة الشريفة كذلك ، وتعريفه « النائب بملطية المحروسة » .

الرابع — نائب طرسوس . ورسم المكتبة إليه « صدرت هذه المكتبة إلى المجلس العالى » والعلامة « والده » وتعريفه « النائب بطرسوس » .

الخامس — نائب أذنة . ورسم المكتبة إليه والعلامة له كذلك ، وتعريفه « النائب بأذنة المحروسة » .

السادس — نائب الأبلستين . ورسم المكتبة إليه والعلامة الشريفة له كذلك ، وتعريفه « النائب بالأبلستين المحروسة » .

السابع — نائب بهسنى . ورسم المكتبة إليه « صدرت هذه المكتبة إلى المجلس السامى » والعلامة له « والده » وتعريفه « النائب بهسنى المحروسة » .

قال فى « التنقيف » : ولم يُعلم لأحد من أرباب السيوف قديماً « والده » مع « السامى » بإياه غيره .

(١) أى « المجلس العالى » و « والده » مثل الذى قبله .

(٢) صوابه بهذا الضبط قال فى المعجم « والعامه تقولنه بتشديد الباء وكسر الطاء » . وقال فى الغاموس

« وتشديده عن » .

الثامن - نائب آياس . وهو المعبر عنه بنائب الفتوحات الجاهليّة . قال في "التنقيف" : إن كان مقدّما فالمكتبة إليه بنسبة مكتبة نائب البيرة . فيكون رسم المكتبة إليه «صدرت هذه المكتبة إلى المجلس العالى» والعلامة «والله» . وإن كان طليخاناه فيكون «صدرت هذه المكتبة إلى المجلس السامى» والعلامة الأسم ، وتعريفه بكل حال «النائب بآياس<sup>(١)</sup>» أو «النائب بالفتوحات الجاهليّة المحروسة» .

التاسع - نائب جعبر . ورسم المكتبة إليه على ما ذكره في "التنقيف" «هذه المكتبة إلى المجلس السامى» والعلامة الأسم ، وتعريفه «النائب بقلعة جعبر المحروسة» .

العاشر - نائب عيّناب . ورسم المكتبة إليه على ما في "التنقيف" «يعلّم مجلس الأمير» والعلامة الأسم ، وتعريفه «النائب بعيّناب المحروسة» .

قال في "التنقيف" : ورأيت بخط القاضي ناصر الدين بن النشائي أن مكاتبته الأسم و«السامى» بغير ياء . ثم قال : وما تقدّم هو ما استقر عليه الخال أتعا . قال : وقد يكون ذلك لأنه كان بها أمير طليخاناه . وتعريفه «النائب بعيّناب» .

الحادى عشر - نائب درندة . قال في "التنقيف" : إن كان طليخاناه و«السامى» بغير ياء ، وإن كان عشرة و«مجلس الأمير» والعلامة الأسم بكل حال ، وتعريفه «النائب بدرندة» .

الثانى عشر - نائب القصير . قال في "التنقيف" : ورسم المكتبة إليه «يعلّم مجلس الأمير» والعلامة الأسم . وتعريفه «النائب بالقصير» .

(١) تقدم نون في ص ١٢٣ ج ٤ أنه قال بفتح الهمزة المدد . وقال صاحب نفوس «ككتاب» .

الثالث عشر — نائب الرأونذان . ورسم المكاتبه إليه كمثل نائب القصير ،  
وتعريفه « النائب بالرأونذان » .

الرابع عشر — نائب الرها . قال في «التثقيف» : بحري العادة أن يكون نائبها  
طَبْلَخَانَاه ، فتكون مكاتبته « السامى » بغير ياء ، والعلامة الأسم . ثم قال : وقد  
استنقر في الأيام المنصورية في سنة ثمان وسبعين وسبعائة مقدم ألف ، فقد  
يكتب إليه نظير نائب البيرة وقلعية المسلمين ، يعنى فتكون مكاتبته « صدرت »  
و « العالى » . والعلامة « والد » وتعريفه بكل حال « النائب بالرها » .

الخامس عشر — نائب شيزر . قد ذكر في «التثقيف» أن مكاتبته « هذه المكاتبه  
إلى المجلس السامى » فتكون العلامة الأسم ، وتعريفه « النائب بشيزر » .

السادس عشر — نائب كركر . ورسم المكاتبه إليه على ما ذكره في «التثقيف»  
« يعلم مجلس الأمير » فتكون العلامة الأسم ، وتعريفه « النائب بكركر » .

السابع عشر — نائب الكخنا . ورسم المكاتبه إليه كذلك ، وتعريفه « النائب  
بالكخنا » .

الثامن عشر — نائب بقراس . ورسم المكاتبه إليه كذلك ، وتعريفه « النائب  
ببقراس » .

التاسع عشر — نائب الشقر وبكاس . ورسم المكاتبه إليه كذلك ، وتعريفه  
« النائب بالشقر وبكاس » .

العشرون — نائب الدر بساك . ورسم المكاتبه إليه كذلك ، وتعريفه  
« النائب بالدر بساك » .

الحادى والعشرون - نائب إسفندكار . ذكر في "التنقيف" أن رسم المكاتبه إليه كذلك . ثم قال في "التنقيف" لكتي رأيت بخط القاضي ناصر الدين بن النشائي أن مكاتبته الأسم و «السامى» بغير ياء . يعنى « هذه المكاتبه إبنى المجلس السامى » . قال : وما يبعد أنه كان إذ ذاك طبلخاناه . والمستقر عليه الحال ما تقدم .

قلت : وقد ذكر في "التنقيف" ست قلاع استجدت مكاتبه توابها بعد ذلك . ولم يذكر رسم المكاتبه إليهم : وهم نائب سحر سُفْلان ، ونائب كُومى . ونائب قلعة كُولاك . ونائب قلعة بَارى كُوك ، استجدت مكاتبته فى سنة ستين وسبعائة ، ونائب قلعة كَاوَرَا ، استجدت مكاتبته فى سنة تسع وستين وسبعائة ، ونائب كِرْزَال ، استجدت مكاتبته فى سنة سبع وسبعين وسبعائة . ولم يذكر رسم المكاتبه إليهم . والذي يظهر أن رسم المكاتبه إبنى كل منهم « يعلم مجلس الأمير » والعلامة الأسم . والتعريف «النائب بثلاثة» . وحينئذ فيكون المكاتبون من تواب أعمال حلب سبعة وعشرين نائبا .

### النيابة الثالثة

( نيابة طرابُلُس )

والمكاتبون بها عن الأبواب السلطانية أيضا على ضربين :

#### الضرب الأول

( من بمدينة طرابُلُس ، وهم اثناث )

الأول - نائب السلطنة بها ، ورسم المكاتبه إليه : « ضاعف الله تعالى نعمة الجناب العالى » على الرسم المتقدم . والعلامة « والده » وتعريفه « نائب السلطنة الشريفة بطرابُلُس المحروسة » .

الثانى - الحاجب بطرأبلس . ورسم المكاتبه إليه « صدرت » و « العالى » .  
والعلامة « والده » وتعريفه « امير حاجب بطرأبلس المحروسه » . وليس بطرأبلس  
قلعة فيكتب إلى نائبها .

### الضرب الثانى

( من بأعمال طرأبلس من التواب ، وهم صنفان )

#### الصنف الأول

( تواب قلاع نفس طرأبلس ، وهم سبعة تواب )

الأول - نائب الأذيقية . ورسم المكاتبه إليه « السامى » بغيرياء . والعلامة  
الأسم ، وتعريفه « النائب بالأذيقية » .

الثانى - نائب صهيون . ورسم المكاتبه إليه « يعلم مجلس الأمير » . والعلامة  
الأسم ، وتعريفه « النائب بصهيون » .

الثالث - نائب حصن الأكراد . ورسم المكاتبه إليه كذلك ، وتعريفه  
« النائب بحصن الأكراد » .

الرابع - نائب بلاطنس . ورسم المكاتبه إليه كذلك ، وتعريفه « النائب  
ببلاطنس » .

الخامس - نائب المرقب . ورسم المكاتبه إليه كذلك .

السادس - نائب حصن عكار . ورسم المكاتبه إليه كذلك ، وتعريفه  
« النائب بحصن عكار » .



## الصنف الثاني

(نواب قلاع الدعوة المضافة إلى طرابلس)

وهي : قلاع الإسماعيلية الذين يُسمون أنفسهم بأصحاب الدعوة الهاديّة . وكانت سبع قلاع فأضيفت مضافاً منها إلى دمشق على ما تقدم في الكلام على المسالك والممالك ، وبقى من مضافات طرابلس ست قلاع ، وهي الكهف ، والميمنة ، والمليقة ، والقدموس ، والخواري ، والرصافة . ومكتبة كل منهم « يعلم مجلس الأمير » والعلامة الأسم . وتعريف كل منهم « النائب بفلانة » .

## النيابة الرابعة

(نيابة حماة)

والمكاتبون بها ضرب واحد بمدينة حماة خاصة ، وهما آتان :

الأول — نائب السلطنة بها . وقد تقدم في أوائل هذا الطرف أنها كانت بيد بقايا بني أيوب ، يطأق عليهم فيها لفظ السلطنة ، يتولونها من ملوك مصر إلى أن كان آخرهم الأفضل محمد بن المؤيد عماد الدين إسماعيل في الدولة الناصرية محمد ابن قلاوون ، ثم صارت نيابة بعد ذلك يتداولها النواب نائباً بعد نائب . ورسم المكاتب إلى نائبها « ضاعف الله تعالى نعمة الجنب العالي » والعلامة « والدّه » وتعريفه « نائب السلطنة الشريفة بحماة المحروسة » .

الثاني — الحاجب بها . ورسم المكاتب إليه « صدرت هذه المكاتب إلى المجلس السامي » . والعلامة الأسم ، وتعريفه « الحاجب بحماة المحروسة » .

قال في "التتيف" : ولم يكن بها قلعة فيُكتب إلى نائبها . قلت : وليس بأعمالها تُؤاب فيكتب إليهم إنما بها ولاةٌ يكتبون عن نُوابها .

## النيابة الخامسة

( نيابة صَفَد )

والمكتوبون بها صَرَبٌ واحد أيضا، وهم من المدينة خاصة وهم ثلاثة :

الأول - نائب السلطنة بها . ورسم المكتبة إليه «ضاعف الله تعالى نعمة الجناح العالى» . والعلامة «والله» . وتعريفه «نائب السلطنة الشريفة بصَفَد المحروسة» .

الثانى - الحاجبُ بها . ورسم المكتبة إليه « صدرت هذه المكتبة إلى المجلس السامى» . والعلامة الأسم . وتعريفه «الحاجب بصَفَد المحروسة» .

الثالث - نائبُ القلعة بها . ورسم المكتبة إليه « هذه المكتبة إلى المجلس السامى» . والعلامة الأسم . وتعريفه «نائب القلعة المنصورة بصَفَد المحروسة» .

قلت : ولم يكن بأعمالها تُؤاب فيكتبون عن الأبواب السلطانية، بل بها ولاةٌ يكتبون عن نائبها خاصة كما تقدم في حماة .

## النيابة السادسة

( نيابة عَزَّة )

والمكاتبون بها أيضا ضرب واحد، وهم من بالمدينة خاصة، وهما آثنان :

الأول - النائب بها . وقد تقدم في الكلام على المسالك والممالك أنه إن اجتمع له البلاد الساحلية والجبليّة ، عبّر عنه بنائب السلطنة ؛ وإن قُصِر أمره على البلاد الساحلية فقط ، عبّر عنه بتقدم العسكر وكان تحت أمر نائب دمشق . وبكل حال فإت رسم المكاتبه إليه « أدام الله تعالى نعمة الخناب العاني » والعلامة « والده » . ثم إن أضيف له الجهتان قيل في تعريفه « مقدم العسكر المنصور بغزة » .

الثاني - الحاجب بها ، ورسم المكاتبه إليه « يعلم مجلس الأمير » . والعلامة الاسم ، وتعريفه « الحاجب بغزة المحروسة » .

قلت : وليس بعملها نواب . بل ولأنة يكتبون عن نائبها أو مقدم العسكر بها . إلا أنه قد استحدثت في أواخر الدولة الظاهرية « برفوق » مكاتبه كاشف الرملة ، وأستقرت مكاتبته « صدرت هذه المكاتبه إلى المجلس السامي » . والعلامة الاسم ، وتعريفه « الكاشف بالرملة » .

## النيابة السابعة

( نيابة الكرك )

والمكاتبون بها من بالمدينة خاصة، وهما آثنان :

الأول - نائب السلطنة بها . ورسم المكاتبه إليه « أدام الله تعالى نعمة المجلس العالي » . والعلامة والده ، وتعريفه « نائب السلطنة الشريفة بالكرك » .

الثاني - وإلى القلعة بها . ورسمُ المكتبة إليه « هذه المكتبة إلى المجلس السامي » . والعلامة الأسم ، وتعريفه « وإلى القلعة المنصورة بالكرّك المحروس » . قلت : ولم يكن بها حاجبٌ يكتبُ ولا بأعمالها تُوَاب ، بل ولاةٌ يكتبون عن النائب بها خاصةً .

### النيابة الثامنة

( نيابة بيس )

وقد تقدّم في الكلام على المسالك والممالك أنها مما استجدت فتمعه في الدولة الأشرفية « شعبان بن حسين » . وقد ذكر في « التنقيف » أن مكتبة النائب بها كانت « ضاعف الله تعالى نعمة الجناب العالي » كاتب طرابلس ومن في معناه . ثم قال : وقد صحّ لي بعد هذا أنه استقرت مكتبته نظير غزّة . وهي « أدام الله تعالى نعمة الجناب العالي » . والعلامة حينئذ « والده » ، وتعريفه « مقدّم العسكر المنصور بغزة »<sup>(١)</sup> وما ذكره آخرًا هو المستقر عليه الحال إلى آخر وقت . قال في « التنقيف » : ولم أطلع على مكتبة الحاجب بها . ثم قال : وما يبعد أن يكون « مجلس الأمير » لأنه فيما أظن أمير عشرة . قال : وإن كان طباطبانا ، فالأسم و« السامي » بغير ياء إن كتب إليه . ولم يكن بها نائب قلعة كما ذكره في الكلام على تُوَاب القلاع .

قلت : وهتا أمران أشار إليهما في « التنقيف » يبنى التنبه لهما .

(١) لعلها بيس لأن الكلام فيها .

أحدهما — أن القاعدة فيمن عدا أكار التواب : كتواب القلاع والحجاب ونحوهم أن المكتوب إليه إن كان مقدما ف«والده» و«صدرت» و«العالى» . وإن كان طبلخاناه فالأسم و«السامى» بغير ياء . وإن كان عشرة ، فالأسم و«مجلس الأمير» . وحينئذ فلا يتوقف مع المكتوبات السابقة ، بل يُنظر من هو مستقر في ذلك الوقت ويكتب إليه بما تقتضيه رتبته ، فإنه تارة تكون عادة تلك النيابة طبلخاناه ثم تستقر عشرة وبالعكس ، وتارة تكون طبلخاناه يستقر فيها مقدم ألف وبالعكس . والعبرة في ذلك بحال من هو مستقر حال الكتابة ، خلا ما هو مستقر من قديم الزمان لا يتغير مثل مكانة نائب بهستى ونحوه .

وثانيتها — أن نائب السلطنة بدمشق ، ونائب السلطنة بحلب ، ونائب السلطنة بطرابلس ، ونائب السلطنة بحماة ، ونائب السلطنة بصفد ، ونائب السلطنة أو مقدم العسكر بغزة ، ونائب السلطنة بالكرك ، ونائب السلطنة بالقدس الشريف يكتب إليهم في جليل كل أمر وحفيده من المهمات السلطانية وخلّاص الحقوق وغيرها .

أما من عداهم من تواب القلاع والتواب الصغار الذين بأعمال هذه الممالك والحجّاب ، فإنه لا يكتب إليهم إلا في المهمات والأمور السلطانية : إما في مثال شريف مفرد لأحدهم ، أو في مطلق شريف عام لجميعهم أو لبعضهم ، وكذلك في البشرى بوفاء النيل ، فإنه يكتب إلى كل واحد منهم مثال بمفرده ، خلا الحجّاب فإنه لا يكتب إليهم بذلك .

## النوع الثاني

(مَنْ يَكْتُبُ بِالْمَلِكِ الشَّامِيَّةِ أَرْبَابُ الْأَقْلَامِ، وَهَم صَفَّان)

## الصفنُ الأول

(أربابُ الوظائفِ الديوانيةِ)

والذي يَكْتُبُ منهم بالبلادِ الشاميةِ الوزيرُ بِدِمَشْقَ ، أو ناظرُ النَّظَارِ القائمُ مقامه ، حيث لم يُصْرَحْ له بِالْوِزَارَةِ .

أما الوزيرُ بِدِمَشْقَ ، فقد ذكر في "التعريف" أنه كُتِبَ للصاحبِ عَزَّ الدِّينِ أَبِي يَعْلَى حَمَزَةَ بْنِ الْقَلَاقِسِيِّ<sup>(١)</sup> «الْحَسَابِ» بِحِلَالَةِ قَدْرِهِ ، وَسَابِقَةِ خِدْمَتِهِ ، وَعِنَايَةِ مَنْ كَتَبَ إِلَيْهِ بِذَلِكَ ، وَأَنَّ الَّذِي اسْتَقَرَّ عَلَيْهِ الْحَالُ لِلْوِزِيرِ بِالشَّامِ «المجلسُ العالی» بِالدِّعَاءِ . كَمَا كُتِبَ لِلصَّاحِبِ «أَمِينِ الدِّينِ» أَمِينِ الْمَلِكِ فِي وَزَارَتِهِ فِي الْأَيَّامِ النَّاصِرِيَةِ «مُحَمَّدُ بْنُ قَلَاوُونَ» «ضَاعَفَ اللَّهُ تَعَالَى نِعْمَةَ الْمَجْلِسِ الْعَالِيِّ ، الْقَاضِي ، الْوِزِيرِي ، الْأَجَلِّي ، الْكَبِيرِي ، الْعَالِمِي ، الْعَادِلِي ، الْمُؤَيَّدِي ، الْأَوْحَدِي ، الْقَوَامِي ، النِّظَامِي ، الْمُدَبِّرِي ، الْمَسْجِدِي ، الْأَيْمَرِي ، الْمَشِيرِي ، الْفَلَاحِي ، صَلَاحِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ ، سَيِّدِ الْوُزَرَاءِ فِي الْعَالَمِينَ ، رَئِيسِ الْأُمَرَاءِ ، كَبِيرِ الرُّؤَسَاءِ ، بَقِيَّةِ الْأَصْحَابِ ، مَلَاذِ الْكُتَّابِ ، عِمَادِ الْمُلْكِ ، خَالِصَةِ الدَّوْلَةِ ، مُشِيرِ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ ، وَلِيِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ» . وَالدِّعَاءُ ، ثُمَّ «صَدْرَتُ» . وَالْعَلَامَةُ «أَخُوهُ» . وَتَعْرِيفُهُ «مُدَبِّرِ الْمَمَالِكِ الشَّرِيفَةِ بِالشَّامِ الْمَحْرُوسِ» .

قال : ولم يكتب لأحد بذلك بعده ولا قبله . ثم قال : واستقر في الدولة الناصرية حَسَنِي ، الصَّاحِبُ فخرُ الدِّينِ بنِ قُرُونِيَّةِ وَزِيرًا بِالشَّامِ أَيْضًا عَلَى قَاعِدَةِ جَدِّهِ لِأَمْنِهِ ، أَمِينِ الدِّينِ الْمَذْكُورِ . وَلَمْ أَعْلَمْ مَا كُتِبَ بِهِ : هَلْ كَمَا كُتِبَ بِحَدِّهِ الْمَذْكُورِ أَوْ دُونَهُ؟ .

(١) في "التعريف" القلاقي . (٢) ساقط من "التعريف" ولعله من النسخ .

وأما ناظر النظارة، فقد ذكر في "التنقيف" أن المكتبة إليه «حرس الله تعالى بحمد المجلس العالي، القضائي، الكبير، العالمي، الفاضل، الكامل، الأوحدي، الرئيسي، الأثري، القوامي، النظامي، المنقدي، المتصرفي، العلّامي، مجد الإسلام والمسلمين، سيد الرؤساء في العالمين، أوحيد الفضلاء، جلال الشُّكراء، حجة الكُتّاب، صفوة الملوك والسلاطين، خالصة أمير المؤمنين». والدعاء ثم «صدرت». والعلامة الأسم، وتعريفه «ناظر النظارة بالشام المحروس».

قال في "التنقيف": وهذا هو الذي استقر عليه الحال إلى آخر وقت.

## الصنف الثاني

(القضاة والعلماء)

قد ذكر في "التعريف": أن المكتبة لقاضي القضاة الشافعي بالشام «المجلس العالي» ولم يذكر صورتها. قال في "التنقيف": والذي كُتِب به الشيخ تقي الدين السبكي رحمه الله. وهو قاضي القضاة بالشام: «أعز الله تعالى أحكام المجلس العالي، القاصوي، الكبير، العالمي، العالمي، الأفضلي، الأكمل، الأوحدي، البليغي، الفريدي، المفيد، النجدي، القدوي، الحجّي، المحقق، الإمامي، الأصيل، الموقّي، الحاكمي، الفلاني، جمال الإسلام والمسلمين، شرف العلماء العالمين، أوحيد الفضلاء المفيد، فدوة البلاء، حجة الأمة، عمدة المحذنين، نخر المدرسين، مفتي المسلمين، جلال الحكام، حكم الملوك والسلاطين، ولي أمير المؤمنين». والدعاء ثم «صدرت هذه المكتبة». والعلامة «أخوه». وتعريفه «قاضي القضاة بالشام المحروس».

ثم ذكر فيها بعد أنه كان يُكْتَب في نُعُوتِه : « صَدْرُ الشَّامِ ، مِعْزَالُ السَّنَةِ ، مَوْيِدُ الْمِلَّةِ »  
قال في « التَّنْقِيحِ » وكانت مَكَاتِبُهُ « شَمْسُ الشَّرِيعَةِ ، رَيْسُ الْأَصْحَابِ ، لِسَانُ  
الْمُتَكَلِّمِينَ » ، ولم يَمَيِّنْ مَكَاتِبَهَا . قال : وَكُتِبَ بِذَلِكَ إِلَى وِلْدِهِ قَاضِي الْقَضَاةِ  
تَاجِ الْمَدِينِ السَّبْكِ ، وَهُوَ قَاضِي الْقَضَاةِ بِالشَّامِ غَيْرَ مَرَّةٍ . ثم زيد في أَقْبَابِ أَخِيهِ  
الشَّيْخِ بَهَاءِ الْمَدِينِ عِنْدَ اسْتِقْرَارِهِ فِي الْقَضَاةِ بِالشَّامِ مَكَاتِبُهُ بَعْدَ الْقَاضِي « الشَّيْخِي »  
وَبَعْدَ الْمُحَقِّقِ « الْوَرَعِي ، الْخَاشِعِي ، الْبَنَاسِكِي ، الْإِمَامِي ، الْعَلَامِي ، الْأَصْبَلِي ،  
الْعَرِيقِي » . وَزِيدَ فِي تَعْرِيفِهِ بَعْدَ جَلَّالِ الْحُكَّامِ « بَرَكَةُ الدَّوْلَةِ » .

### النوع الثالث

( ممن يَكْتَبُ بِالْبِلَادِ الشَّامِيَةِ الْعَرَبِيَّانِ )

قد تَقَدَّمَ فِي الْكَلَامِ عَلَى أَنْسَابِ الْعَرَبِ فِي الْمَقَالَةِ الْأُولَى ، فَمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْكَاتِبُ  
أَنْ عَرَبِ الشَّامِ عِدَّةٌ يَطْوُونَ مِنْ عِدَّةِ قِبَائِلٍ . وَقَدْ قَالَ فِي « التَّعْرِيفِ » : إِنَّهُمْ جُلُّ  
الْقَوْمِ وَعَيْنُ النَّاسِ ، لِاعْتِنَايَةِ الْمُلُوكِ لِإِلَهُمِ ، وَلَا مَبَالَاةَ بِغَيْرِهِمْ .  
وَنَحْنُ نَذْكُرُهَا مَا يَتَعَلَّقُ بِالْمَكْتَابَاتِ إِلَى أَمْرَائِهِمْ وَمَشَائِخِهِمْ خَاصَّةً .

### البطن الأول

( آلُ فَضْلٍ مِنْ آلِ رَيْبَعَةَ )

وقد تَقَدَّمَ أَنَّهُمْ مِنْ طَيْبٍ ، مِنْ كَهْلَانَ ، مِنَ الْعَارِبَةِ . قَالَ فِي « التَّعْرِيفِ » :  
وَأَلُّ فَضْلٍ مِنْهُمْ هُمُ الَّذِينَ فِي تَحَرُّ الْعَدُوِّ ، وَهُمْ الْعَدِيدُ الْأَكْثَرُ ، وَالْمَالُ الْأَوْفَرُ . قَالَ :  
« وَقَدْ صَارُوا الْآنَ أَهْلَ بَيْتَيْنِ : بَيْتِ مُهَنَّأِ بْنِ عَيْسَى ، وَبَيْتِ فَضْلِ بْنِ عَيْسَى » .



قال : وهم في جِوَارِ القُرَات . ولذلك يُضَاعَفُ إكْرَاهُهُمْ ، وتُوَفَّرُ لَهُمُ الإِقْطَاعَاتُ وَتُسْنَى . والإمْرَةُ الآنَ منهم في بيت مُهَنَّأ بن عيسى . وهو المعبر عنه بأمر آل فضل . وقد ذكر في "التشيف" أنه كان في زمانه قاراً بن مهنا، ثم كان في الدولة الظاهرية «برقوق» محمد بن حيار بن مهنا بن [عيسى بن مهنا بن مائع بن حديثة ابن عتبة بن فضل بن ربيعة] ، ثم استقر بعده في الدولة الناصرية «فرج» ابنه العجل ، وهو المستقر إلى الآن .

قال في "التعريف" : ورسمُ المكاتبةِ إلى الأميرِ منهم «أدام الله تعالى نعمة المجلس العالى الأميرى» ، بالقبابِ جليلةٍ معظمةٍ منقحةٍ . وذكر في "التشيف" أن رسم المكاتبةِ إليه «أدام الله تعالى نعمة المجلس العالى الأميرى» ، الكبيرى ، العالى ، الجاهدى ، المؤيدى ، الأوحدى ، النصيرى ، العونى ، الحمأى ، المقدمى ، الظهيرى ، الأصلى ، الفلاقى ، عزَّ الإسلام والمسلمين ، شرف أمراء العربان في العالمين ، نصره الغزاة والمجاهدين ، مقدم العساكر ، كهف الملة ، ذخيرة الدولة ، عماد العرب ، ظهير الملوك والسلاطين ، حُسام أمير المؤمنين . ثم الدعاء و«صدرت هذه المكاتبة» . والعلامة «أخوه» . وتعريفه «فلان بن فلان» .

قال في "التعريف" أما من هو نظيره أو مدانيه وعدته الإمرة ، فرسم المكاتبة إليه : «صدرت هذه المكاتبة إلى المجلس العالى» ومن دونه «السامى الأميرى» . قال : ولكل هؤلاء العلامة الشريفة «أخوه» ولعن دون هؤلاء «السامى الأمير» والعلامة الشريفة الأسم الشريف .

وقد ذكر في "التشيف" أسماء جماعة من أكابر بيت مهنا بن عيسى ، وبيت فضل بن عيسى ، وذكر لكل منهم رسم مكاتبة .

(١) يياض بالأمل . وتصحيح مما تقدم لؤف في ج ٤ من هذا المطبع من ٢٠٨ .

فأما بيت مهنا المذكور، فهم خمسة :

الأول منهم — عَسَافُ بْنُ مَهْنَأَ . ورسم المكتبة إليه : « هذه المكتبة إلى المجلس السامى ، الأمير ، الأجل ، الكبير ، الفازى ، المجاهد ، المؤيد ، الأوحى ، الأصيل ، فلان الدين ، مجد الإسلام ، بهاء الأنام ، نقر القبائل ، زين العشائر ، عماد الملوك والسلاطين » والدعاء ثم « صدرت » والعلامة « والده » وتعريفه اسمه .

الثانى — عَنَقَاءُ بْنُ مَهْنَأَ أَخُو عَسَافَ . مثله فى المكتبة على السواء .

الثالث — زَائِلُ بْنُ مُوسَى بْنِ مَهْنَأَ ، « صدرت » و « السامى » . والعلامة « والده » وتعريفه اسمه .

الرابع — محمد بن حيار بن مهنا : وهو نُعَيْرٌ ، مثل عمه : عَسَافُ وَعَنَقَاءُ .

الخامس — عَلِيُّ بْنُ سَلْجَانَ بْنِ مَهْنَأَ . ذكر أنه كان يكتب بـ « السامى » بالياء . والعلامة الاسم . وذكر أن أخاه عَوَادًا لم يُعْلَمَ أنه كُتِبَ عن الأبواب السلطانية .



وأما بيت فضل ، فذكر منهم مُعْقِلُ بْنُ فَضْلٍ ، وقال : إن رسم المكتبة إليه « السامى » بالياء . والعلامة « والده » . ثم قال : ولم يكتب الآت من بنى فضل غيره ، فإن أخويه : سَيْقًا وَأَبَا بَكْرًا كَانَا يُكْتَبَانِ عَنِ الْأَبْوَابِ الشَّرِيفَةِ ، ثُمَّ تَوَقَّيَا إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْ أَكْبَرِ بَنِي فَضْلٍ غَيْرُهُ هُوَ وَأَوْلَادُ أَخُوَيْهِ ، لَكِنَّمْ لَمْ يَكْتُبُوا شَيْءً . فَإِنْ أَنْفَقَ أَنْ يَكْتُبَ أَحَدٌ مِنْ أَوْلَادِ أَخُوَيْهِ الْمَذْكُورَيْنِ أَوْ مِنْ أَوْلَادِ مَهْنَأَ ، مِثْلَ أَوْلَادِ قِيَاضَ ، وَبَقِيَّةِ أَوْلَادِ حِيَارَ وَرُمَيْثَةَ بْنِ عُمَرَ بْنِ مُوسَى وَنَحْوِهِمْ ، فَأَعْلَاهُمْ الْأَسْمُ وَ « السامى » بغير ياء ، وأدناهم الاسم و « مجلس الأمير » .

## البطن الثاني

(آلِ مِرا)

قد تقدم في الكلام على أنساب العرب فيما يحتاج إليه الكتاب، في المقالة الأولى، أن مِراً وفضلاً أخوان . قال في "التعريف" : ومازلهم بلاد حوران . وقد ذكر في "التشيف" أن الإمرة في زمانه كانت مقسومة نصفين بين عتقاء بن شطير ابن عمرو بن نونة ، وعمه فضل بن عمرو بن نونة . ثم قال : ومكاتبه كل منهما «صدرت» و«السامى» . والعلامة «والده» وتعريفه «فلان بن فلان» .

-- --

## البطن الثالث

(آلِ عُلَى)

وقد تقدم في الكلام على الأنساب أنهم من آلِ فضل . قال في "التعريف" : وإنما تزكوا غرطة دمشق حيث صارت الإمرة إلى عيسى بن مهنا ، وبقى عيسى جارا القرات في تلابيب التار . قال في "التعريف" : ورسم المكاتبه إلى أميرهم «صدرت» هذه المكاتبه إلى المجلس السامى الأميرى . والعلامة الشريفة «أخوه» . وقد ذكر في "التشيف" أن أميرهم في زمانه كان عيسى بن رملة بن بجماز . وقال : إن رسم المكاتبه إليه كما ذكر في "التعريف" وهى : «صدرت» و«السامى» لكنه ذكر أن العلامة «والده» . وتعريفه «فلان بن فلان» .

-----

## البطن الرابع

(بنو مهدي)

وقد تقدم في الكلام على الأنساب أن منازلهم البلقاء من مضافات دمشق . قال في "التعريف" : والإمرأة فيهم في أربعة ، رسم المكتبة إلى كل منهم «مجلس الأمير» . وذكر في "التثقيب" أنها كانت في زمانه باسم برو بن ذؤيب بن سعيد ابن محفوظ العقيسي ، وسعيد بن نجري بن حسن العقيسي ، وزامل بن عبيد بن محفوظ العقيسي ، ومحمد بن عباس بن قاسم بن محمد بن راشد العمري . وأن مكتبة كل منهم «مجلس الأمير» كما تقدم في "التعريف" . ثم قال : ومن كان معه نصف الإمرأة منهم ، كانت مكتبته الاسم و«السامي» بغيرياء ، وتعريف كل منهم «فلان بن فلان» .

## البطن الخامس

(بنو عقبة)

وقد تقدم في الكلام على الأنساب أن مرجعهم إلى جذام ، وأن منازلهم الكرك والشوبك . قال في "التعريف" : ورسم المكتبة إلى أميرهم مثل أمير آل مرآ . وكذلك رسم المكتبة إلى أقاربه كرسم المكتبة إلى أقارب أمير آل مرآ أيضاً ، فتكون مكتبة أميرهم «صدرت» و«السامي» . ومكتبة أعيان أقاربه «السامي الأمير» ولعن دوتهم «مجلس الأمير» . وقد ذكر في "التثقيب" أن إمرتهم في زمانه كانت باسم خاطر بن أحمد بن شطلي بن عبيد . وذكر أن رسم المكتبة إليه الاسم و«السامي» بالياء ، وتعريفه «فلان بن فلان» ولم يتعوض لأقربائه .

(١) في ج ٤ ص ٢١٣ من هذا المطبع «ابن ذؤيب بن محفوظ العقيسي» ويظهر أنها هي الصواب .

(٢) الذي تقدم هناك «بحري» بالياء والحاء .

## البطن السادس (جزم)

وقد تقدم في الأنساب أن مرجعهم إلى طي<sup>(١)</sup> ، وأن منازلهم ببلاد غزوة .  
وقد ذكر في "التعريف" أن إمرتهم في زمانه كانت باسم فضل بن حمي . وذكر  
أن رسم المكاتبه إليه « مجلس الأمير » . والذي ذكره في "التنقيف" أن لم مقدما  
لا أميراً ، وأنه كان في زمانه علي بن فضل . وذكر أن رسم المكاتبه إليه الاسم  
و « السامي » بغير ياء . وهذا يجب فإنه إذا كان أميراً ورسم المكاتبه اليه « مجلس  
الأمير » فكيف يكون رسم المكاتبه إليه « السامي » بغير ياء وهو مقدم ، والإمارة  
فوق التقدمة بلا ريب .

قال في "التعريف" : وأما بقية عرب الشام ، نحو زبيد المريح ، وزبيد حوران ،  
وخالد جحص ، والمشاركة ، وغزوية إذا أطاعوا ، وزبيد الأحلاف ، فأجل كبرائهم  
وأسيحهم من يكتب له « مجلس الأمير » . وذكر في "التنقيف" نحوه ، ثم قال :  
هذا إن انفرد أحد منهم بالمكاتبه . وإلا فالعادة أن يكتب لكل طائفة من هؤلاء  
مطلق شريف . ثم قال : علي أنه لم تجر العادة بمكاتبه أحد من هؤلاء القبائل ،  
لا على الأفراد ولا على الاجتماع . وهذا كلام متناقض ، حيث يقول : إن العادة  
أن يكتب لكل طائفة منهم مطلق شريف ، ثم يقول : إن العادة لم تجر بمكاتبه  
أحد منهم لا على الأفراد ولا على الاجتماع .

قلت : وقد تقدم الكلام على أنساب جميع هذه البطون وأما كتبها مستوفى  
في الكلام على الأنساب في المقالة الأولى . ووقع بسط الكلام على ذلك وغيره  
في كتابنا المسمى "نهاية الأرب في معرفة قبائل العرب" .

(١) الذي في التعريف "حمي" ولكنها وردت في نسختنا في مواضع كثيرة "حمي" كما هنا . انظر ج ٤  
ص ٢١١ . وكذلك وردت في النسخة مؤلف أنظر ص ٢٢١ . (٢) تقدم في ج ٤ من هذا المطبع .

## النوع الثالث

( من يكتبُ بالملك الشامية، التُّركان )

قد تقدم ذكرُ نَسَبِ التُّركانِ في الكلامِ على أنساب الأُممِ في المقالة الأولى .  
وقد ذكر في "التتيف" أن التُّركانِ بهذه المملكة طوائفٌ كثيرةٌ ، وجماعة كبيرة .  
ثم قال : وغالبهم لا يكتبُ إليه إلا إذا ضمَّهم مطلقاً شريف . فإن كتب إلى أحد من  
أعيانهم ، كتب إليه الأسم و« السامى » بغير ياء إن كان طبلخاناه ، وإن كان عشرةً  
أو عشرين ، كتب إليه الأسمُ و« مجلس الأمير » لا غير ، ثم أخلوا بياضاً متسعاً  
ولم يصرح باسم أحد منهم . ثم ذكر في الكلام على تُّركانِ البلاد الشرقية عدَّة  
طوائف ، عد منهم الأوسرية ، وقال : هم تُّركانِ حَلَبَ ، والورسقى . وقال : وهم  
تُّركانِ طرسوس ، ولم يتعرَّض لمواضع غيرهم . وسياق كلامه مستوفى عند الكلام  
على تُّركانِ البلاد الشرقية إن شاء الله تعالى .

## النوع الرابع

( من يكتبُ بالملك الشامية الأكراد )

وقد تقدم ذكرُ نَسَبِهِم في الكلامِ على أنساب الأُممِ في المقالة الأولى . وقد ذكر  
في "التتيف" أن بهذه المملكة منهم طوائفٌ كثيرةٌ كالتُّركانِ ، وأنَّ غالبهم لا يكتبُ  
إليه إلا إذا ضمَّهم مطلقاً شريف ، وأنه إن كُتِبَ لأحد من أعيانهم ، كُتِبَ له الأسم  
و« السامى » بغير ياء ، إن كان طبلخاناه . وإن كان أميرَ عشرةٍ أو عشرين ، كتب  
إليه الأسم و« مجلس الأمير » كما تقدم في التُّركانِ من غير فرق .

### القسم الثالث

(من يكتب بالبلاد الحجازية ، والمعتبر في المكاتبين منهم ثلاثة)

الأول - أمير مكة المعظمة .

وقد تقدم في الكلام على المسائل والممالك ذكر أمرائها من ابتداء الإمرة وهلمَّ  
جرأ إلى زماننا ، والقائم بها الآن [حسن بن أحمد] بن تجلان .<sup>(١)</sup>

ورسم المكتبة إليه على ما ذكره في "التعريف" : « أدام الله تعالى نعمة المجلس  
العالى ، الأميري ، الكبيرى ، العالى ، العادى ، المؤيدى ، العضىدى ، التصيرى ،  
الذخرى ، العوى ، المفيدى ، الأوحدي ، الظهيرى ، الزعيمى ، الكافى ،  
الشريفى ، الحسى ، النسيبى ، الأصيلى ، الفلافى ، عز الإسلام والمسلمين ،  
سيد الأمراء فى العالمين - جلال العترة الطاهرة ، كوكب الأسمرة الزاهرة ، فرع  
الشجرة الزكية ، طراز العصابة العلوية ، ظهير الملوك والسلاطين ، نسيب أمير  
المؤمنين » ثم الدعاء المعطوف . وبعده « صدرت هذه المكتبة إلى المجلس العالى  
بالسلام والثناء وتوضع لعلمه الكريم كذا وكذا » .

ورسم المكتبة إليه على ما ذكره فى "التنقيف" : « أدام الله تعالى نعمة المجلس  
العالى ، الأميرى ، الكبيرى ، الشريفى ، الحسى ، النسيبى ، العالى ، المجاهدى ،  
المفيدى ، الأوحدي ، التصيرى ، العوى ، الهامى ، المقدمى ، الظهيرى ، الأصيلى ،  
العريقى ، الفلافى ، عز الإسلام والمسلمين ، شرف الأمراء الأشراف فى العالمين ،  
نصرة الفرزة والمجاهدين ، كهف الله ، عون الأمة ، فخر السلالة الزاهرة ، زين العترة

(١) يياض بالأصل والتصحيح مما تقدم لؤلف (نقحرج ٤ ص ٢٧٥) عند ذكر أمراء مكة المكرمة .

الطاهرة، بهاء العصابة الملوية، جمال الطائفة الهاشمية، ظهير الملوك والسلاطين،  
نسيب أمير المؤمنين» ثم الدعاء و«صدرت» .

وهذا دعاء وصدر يليق به ذكره في "التعريف" : « ولا زال حرمه آمينا،  
ومكانه مكينا، وشرفه بيض له بجاورة الحجر الأسود عند الله وجها ويضيء جبيننا .  
صدرت هذه المكتبة إلى المجلس العالي تحمّل إليه سلاماً تميل به الركائب، وثناء  
تُنثي على مسكها الحفائب، وشوقاً أوسق قلبه لمن نُسكها مع الحفائب، وتوضّع  
لعلمه الكريم» .



صدر آخر : ومثعه بجوار بيته الكريم، وزاد بجميل مساعيه شرق نسه  
الصميم، وآتسه بقرب الحجر الأسود والرُكن والحطيم . صدرت هذه المكتبة إلى  
المجلس العالي تُهدى إليه سلاماً، وثناء تطيب به الصبا قبل أن تحمّل شيعاً أو نخزماً،  
وتوضّع لعلمه الكريم .



صدر آخر : وأراه مناسكها، وأنس بالثقوى مسالكها، وأشهد على عمله  
الصالح بطعامه وما ينزله [من] الملائكة . صدرت هذه المكتبة بحجياتها المباركة،  
وأثنيها التي لا تزال إليه بها أفئدة من الناس سالكها، وتوضّع لعلمه الكريم .

الثاني - أمير المدينة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام .

وقد تقدم في الكلام على أمراءها في المسالك والممالك من المقالة الثالثة أن  
إمارتها مستقرة في بني الحسين، وأنها الآن في بني جهم بن شيعة، وأن جدّهم كان



فقيهاً بالعراق، فقدم على السلطان «صلاح الدين يوسف بن أيوب» رحمه الله، فولاه المدينة فاستقرت فيها قدمه ثم قدمُ بنيه، وأنَّ القائم بها الآن [ثابت بن جهمز ابن هبة بن جهمز بن منصور بن جهمز بن شيعة بن نعيم] .

ورسمُ المكتبة إليه كرمِ المكتبة إلى أمير مكة على الاختلاف السابق في النقل عن "التعريف، والتنظيف" . فقد ذكر كلُّ منهما رسمَ المكتبة إلى أمير مكة . ثم قال : ورسمُ المكتبة إلى أمير المدينة كذلك .

وهذا صدرُ مكتبة يلقى به ، وهو : ولا زال في جوار الله ورسوله ، ومهيَّط الوحي ونُزوله ، ومكانٌ يُردد فيه من أبويه الطاهرين بين حيدرِهِ وبُتُولِهِ . صدرت هذه المكتبة إلى المجلس العالى بإسلامٍ يحدو ركابها، وشاء يزيرُ في قُبَا قباها، وشوق إلى رؤيته في الروضة التي طالما آستسقى فيها برسول الله صلى الله عليه وسلم تتحابها، وتوضح لعلمه الكريم كذا وكذا .



صدر آخر : وزاده من الله ورسوله قُرباً، وأكَّده بحماية حرمه حُباً، وأبهجه كلُّما رأى جدَّه رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وقد جاور آلآ وجالس صحباً . صدرت هذه المكتبة إلى المجلس العالى مطربةً بالسلام ، مُطبِّبةً في ثناءه المفضَّل النظام، وتوضح لعلمه الكريم .

الثالث - النائب باليبس .

(١) بياض بالأصل، والتصحيح مما تقدم في ص (١ - ٣ - ٤) عند الكلام عن أمراء المدينة المنورة .

وقد هُدم في الكلام على المسالك والممالك أنها في بني حَسَن<sup>(١)</sup> أيضا . قال في "التتيف" : ورسم المكاتبه إليه « هذه المكاتبه إلى المجلس السامى الأمير » . والعلامة الأسم ، وتعريفه « التائب باليدع » .

أما سائر العربان بالحجاز فقد ذكر في "التتيف" أن لبني حسن القوام بمكة « مجالس الأمراء » . والعلامة الأسم . ومن عدا بنى حسن فقد ذكر في "التتيف" أنهم على ضربين :

الضرب الأول — أهل الدرّيين : المِصرى والشامى . قال : وليس فيهم من هو فى غير ولا نعيم ، ولا يجلُّ فى ذروة ولا غارب ، وأجلُّ من فيهم إذا كُتب له « مجلس الأمير » كان كمن سُور وطُوق ، لابل طيلس وتُوج .

الضرب الثانى — شيوخ لام ، وخالد ، والمنيفق ، وعائد الحجاز . قال : وهؤلاء من كان منهم المشار إليه كُتب إليه « صدرت هذه المكاتبه إلى المجلس السامى الأميرى » والعلامة « أخوه » . ثم من يليهم بالسامى بغير ياء . ثم الأعيان من بقيتهم « مجلس الأمير » .

## المسلك الثانى

( فى معرفة ترتيب المكاتبات المقدمه الذكر ، وكيفية أوضاعها . وفيه مأخذان )

المأخذ الأول — فى ترتيب متون المكاتبات ، ولا يكون إلا ابتداء . أما الجواب فإنه لا يتأتى فيها .

(١) أى كإمرة مكة .

ثم هي على ضربين :

الضرب الأول — ما يكتب في خلاص الحقوق .

وهو ما يكتب فيه لثواب الإسكندرية ، وثانجي الوجهين ، القبلي والبحري من الديار المصرية ، وولايتهما ، وثواب الشام ، وحلب ، وطرابلس ، وحمّة ، وصفد ، والكرك ، ومقدم العسكر بغزة ، من الممالك الشامية على ما تقدم ذكره في الكلام على مكتبة أهل المملكة .

والرسم في ذلك إذا كانت المكتبة إلى نائب الشام مثلاً ، بسبب قضية تتعلق بالأمير الدوادار أن يكتب : « أعز الله تعالى المقر الكريم » إلى آخر الألقاب والصدر ، ثم يكتب : « وتبدي لعله الكريم أن الجنب العالي » ويذكر ألقابه إلى آخرها « ضاعف الله تعالى نعمته عرفنا كذا وكذا » . ويذكر ما في قصته برمه . ثم يكتب : « ومرسومنا للمقر الكريم أن يتقدم أمره العالي بكذا كذا » ويأتي بما رسم له به إلى آخره ، ثم يقول : « فيحيط علمه بذلك » ويكمل على ما تقدم . وإن كان المكتوب بسببه أمير عشرة مثلاً ، كتب بدل « عرفنا » : « ذكر » . وإن كان من اتحاد الناس كتب بدل ذلك : « إن فلانا أنهى » ويكمل على ما تقدم . وهذه نسخة مكتبة إلى نائب الشام بسبب خلاص حق :

أعز الله تعالى أنصار المقر الكريم ، العالي ، الأمير ، الكبير ، العالى ، العادى ، المؤيدى ، العونى ، المتأخرى ، المرابطى ، المنهدى ، المشيدى ، الزعيمى ، الظهيرى ، العابدى ، الناسكى ، الأنايكى ، الكفيلى ، الفلانى ، معز الإسلام ، والمسامين ، سيد أمراء العالمين ، ناصر الفزاة والمجاهدين ، ملجأ الفقراء والمساكين ، أنايك العساكر ، زعيم الموحدين ، مهد الدول ، مشيد الممالك ، عون الأمة ، كهف

اللَّهِ ، عماد الدولة ، ظهير الملوك والسلاطين ؛ عَضُد أمير المؤمنين ، ولا زال عالياً قَدْرُهُ ، نافذا أمرُهُ ، جارياً على الألسنة حمدُهُ وشُكْرُهُ .

أصدرناها إلى المقتز العالی تُهْدِي إليه من السلام أتممه ، ومن الثناء أتممه ؛ وَتُبْدِي لعلمه الكريم أَنَّ الجَنَابَ العالی ، الأُميرِيَّ ، الكَبيرِيَّ ، العَالِيَّ ، العَادِيَّ ، المُؤَيَّدِيَّ ، القَوِيَّ ، العِيَانِيَّ ، المَرَابِطِيَّ ، المَهْدِيَّ ، المَشِيدِيَّ ، الظَّهِيرِيَّ ، الرِّعْمِيَّ ، المَقْدَمِيَّ ، الفَلَانِيَّ ؛ ظهير الملوك والسلاطين ، سيف أمير المؤمنين ؛ فلان رأس نوبة الظاهريّ ضاعف الله تعالى نعمته عرفنا أن له دعوى شرعية على أقوام بدمشق المحروسة ، وهم فلان وفلان . ومرسومنا للمقتز الكريم أن يتقدم أمره العالی بمجملهم صُحْبَةً فلان فاصد المشار إليه ، إلى الأبواب الشريفة ، محتفظاً بهم ، قولاً واحداً ، وأمرًا جازماً ، ليصل كلُّ ذی حقٍّ إلى حقه ، فيحيط علمه بذلك ، والله تعالى يؤيده بمنه وكرمه .



آخسر : وتبدي لعلمه الكريم أن المجلس السامی ، الأُميرِيَّ ، الكَبيرِيَّ ، العَضُدِيَّ ، الذُّنُورِيَّ ، الأَوْحَدِيَّ ، الفَلَانِيَّ ؛ عمدة الملوك والسلاطين : فلان أدام الله سعادته ، ذكر لنا أن الصدقات الشريفة شعلته بخلاص حقه من فلان . وقد وَكَّلَ في ذلك المجلس السامی القضاة الأجلّ فلان المدين . ومرسومنا للمقتز الكريم أن يتقدم أمره العالی بطلب الغريم المذكور ، وخلاص الحق منه بتأامه ووكالة . وإن امتنع عن ذلك يُحْمَلُ للأبواب الشريفة مع الوصية بوكيله في ذلك ، فيحيط علمه بذلك .



آخر : وتبدي لعلمه الكريم أن الأمير، الأجل، الكبير، فلان الدين،  
فلان الفلاني، أنهى أن بيده إقطاعاً باللقبة الشامية، وأن الوزير بالشام المحروس  
في كل وقت يتعرض إلى إقطاعه، ويأخذ الموجب المقر له بغير طريق، ومرسومنا  
للقر الكريم أن يتقدم أمره العالى يطلب المباشرين، والأرتجاع عليهم بما التمسوه  
من إقطاعه، على ما يشهد به الديوان المعمور، بتخامه وكالة، ويستقر هذا المثال  
الشريف بيده بعد العمل به، فيحيط علمه الكريم بذلك، والله تعالى يؤيده  
بمنه وكرمه.



آخر : وتبدي لعلمه الكريم أن فلانا الفلاني أنهى أن شخصاً يسمى فلانا تزوج  
بأخته، وهو مقيم بالشام المحروس، وتوفيت أخته إلى رحمة الله تعالى، ووضع الزوج  
المذكور يده على جميع ماله. ومرسومنا للقر الكريم أن يتقدم أمره العالى بخلاص  
الحق على حكم الشرع الشريف مع الوصية به، فيحيط علمه بذلك.



آخر : وتبدي لعلمه الكريم أن قصة رفعت إلى أبوانا الشريفة باسم تجار  
القرج، أنهم فيها أنهم يبيعون ويتأعون البضائع، ويقومون بما عليهم من الموجب  
السلطاني. ومرسومنا للقر الكريم أن يتقدم أمره بخلاص حقوقهم من تعيين  
في جهته على حكم الحق، وكف أسباب الضرر عنهم، ومنع من يتعرض إليهم بغير  
حق ولا مستند شرعي، والوصية بهم ورعايتهم وملاحظتهم، فيحيط علمه بذلك.

## الضرب الثاني

(ما يكتب من متعلقات البريد في الأمور السلطانية، وهي صنفان)

## الصنف الأول

( ما يُكْتَبُ به ابتداءً )

ويختلف الحال فيه باختلاف مقتضيه : فإن كان مقتضيه بُرُوزَ أمر السلطان بفعل شيء أو تركه أو الحركة في شيء، كتب : « إن المراسيم الشريفة أقتضت كذا وكذا » . أو « إن مراسيمنا الشريفة أقتضت كذا » . أو « إن المرسوم الشريف أقتضى كذا » . أو « إن مرسومنا الشريف أقتضى كذا » : فإن كان ذلك الأمر مما يحتاج إلى إدارة الرأي فيه ، كُتِبَ : « إن الرأي الشريف أقتضى كذا » . أو « إن آراءنا الشريفة أقتضت كذا » ، وما يجري هذا الجري . وإن كان مقتضيه بلوغ خبر من حركة عدو أو اطلاع على أمر خفي ، كتب : « إنه اتصل بالمسابع الشريفة كذا وكذا » . أو « إنه اتصل بسماعنا الشريفة كذا وكذا » . وإن كان بسبب طلب مالٍ أو جباية تجارٍ ونحو ذلك ، كتب : « إن لديوان خاصنا الشريف في الجهة الفلانية كذا » . أو « إن لنا في الجهة الفلانية كذا » . ونحو ذلك مما يخرط في هذا السلك ، ثم يكتب : « ومرسومنا للقر الكريم ، أو للجناب الكريم ، أو للجناب العالي » على حسب المكتوبة « أن يتقدم أمره بكذا وكذا » على ما تبرز به المراسيم السلطانية .

وهذه مكاتبات من ذلك إلى نائب الشام، يُنسخ على منوالها .

مكاتبة — باستقرار نائب في نيابة بعض القلاع : وتبدي لعلمه الكريم أن المراسيم الشريفة أقتضت استقرار الأمير فلان الدين فلان في النيابة الشريفة

وجهزنا مرسومه الشريفين على يد المتوجه بهذا المسال الشريف الأمير الأجل فلان الدين فلان ، أعزّه الله تعالى ، فيتقدم المقرّ الكريم تجهيزه إلى جهة قصده بما على يده من ذلك ، وإذا عاد ، يعيده إلى الأبواب الشريفة مكرّماً مرعياً على عوائد همته العلية ، فيحيط علمه بذلك .



مكاتبة — بنقل نائب سلطنة من نيابة إلى نيابة : وتبدي لعلمه الكريم أن مرسومنا الشريف أقتضى نقل الجنباب الكريم ، العال ، الأميري ، الكبيرى ، العالمى ، العادلى ، المؤيدى ، العوثى ، الغياى ، المقدى ، الكافى ، الفلانى ، ظهير الملوك والسلاطين ، سيف أمير المؤمنين ، فلان الظاهرى ، أعزّه الله نصرته — من نيابة السلطنة الشريفة بطرابلس ، إلى نيابة السلطنة الشريفة بحلب المحروسة . والجنباب العالى الأميري الكبيرى الفلانى ، ظهير الملوك والسلاطين فلان الظاهرى من نيابة السلطنة بصفد المحروسة ، إلى نيابة السلطنة الشريفة بطرابلس المحروسة ، والجنباب العالى الفلانى الظاهرى من تقدمة العسكر المنصور بغزة المحروسة ، إلى نيابة السلطنة الشريفة بصفد المحروسة . وكتبنا لهم تقاليد شريفة بذلك ، وجهزنا إليهم نسايقهم وهى واصلة عقبيها على يد متسقيهم ، وجهزنا الأمير الأجل الأعز فلان الدين ، مؤتمن الملوك والسلاطين ، فلان الخاصكى الظاهرى أعزّه الله تعالى للبشارة لنسار إليهم بذلك : ليأخذوا حظهم من هذه البشرى ، وتضاعف أديعتهم بدوام أيماننا الشريفة ، وآثرنا إعلام المقرّ الكريم بذلك : ليكون على خاطره ، والله تعالى يؤيده بعمه وكرمه .

(١) يابض بالأصل ولعله "وجهزنا مرسومه ونشر به الشريفين" الخ .



مكاتبة — يحمل شخص للأبواب السلطانية : وتبدي لعلمه الكريم أن مرسومنا الشريف آقتضى 'تقدّم المقتر الكريم حال وقوفه عليها، وقبل وضعها من يده بطلب فلان الفلاني وفلان الفلاني، وتجهيزهما إلى الأبواب الشريفة في أسرع وقت وأقربيه، من غير فترة ولا توائن . ونحن نؤكد عليه غاية التأكيد في سرعة تجهيزهما إلى الأبواب الشريفة صحبة الأمير الأجل، فلان الدين فلان، إلى الأبواب الشريفة محتفظًا بهما، محترزا عليهما، ومرسومنا للقر الكريم أن يتقدم أمره العالی بأعداد ما آقتضاه مرسومنا الشريف، والاهتمام بذلك، والاحتفال به، فيحيط علمه بذلك، والله تعالى يؤيده بجنه وكرمه .



مكاتبة — باستقرار بعض الأمراء بالقدس الشريف بطالا : وتبدي لعلمه الكريم أن مرسومنا الشريف آقتضى 'استقرار الأمير فلان أحسن الله تعالى عاقبته بالقدس الشريف مقيمًا بها، وتبليته الصدقات الشريفة أن <sup>(١)</sup> فلانة وفلانة باسمه، بمقتضى مرسوم شريف بجهز صحبة منسفره الأمير الأجل الكبير الأوحده، فلان الدين فلان، البريدي بالأبواب الشريفة، أعزه الله تعالى، المتوجه بهذا المثال الشريف . ومرسومنا للمقر الكريم أن يتقدم أمره العالی بإثبات المرسوم الشريف المذكور بديوان الجيوش المنصورة بالشام المحروس على العادة، وتجهيز البريدي المذكور إلى حدود الديار المصرية، مكرما مرعيًا على العادة، فيحيط علمه الكريم بذلك .

(١) يياض بالأصل ولله "أن تقطع جهة فلانة" الخ .





مكاتبة -- بيع غلّة لددوان السلطاني : وتبدى لعلمه الكريم أنّ آراءنا الشريفة  
 آفقتت تجهيز كذا وكذا إردباً من القمح من ديواننا المقرّد حجة فلان . ومرسومنا  
 للمقرّر الكريم أنّ يتقدّم أمره العاني بطلب فلان الحاجب بالشام المحروس : ليتوفى  
 بيع ذلك بسعر الله تعالى بما فيه النبطة والمصلحة ، وتجهيز الثمن إلى الأبواب  
 الشريفة برسالة دائمة على ذلك في أسرع وقت وأقر به ، مع مضاعفة الوصية بذلك  
 والاحتفال به ، فيحيط علمه بذلك .



مكاتبة -- وتبدى لعلمه الكريم أنّ آراءنا الشريفة آفقتت توجه الأمير الأجل  
 الكبير، الأوحده، فلان الدين فلان ، إستاندار الأمير المرحوم فلان كان ، بسبب استخراج  
 الأموال وبيع الغلال والأصناف الديوانية المتحصلة من القرى المستأجرة، المرتجعة  
 للمورثة عن المشار إليه بمقتضى التذكرة المسطرة على يده ، ومرسومنا للمقرّر الكريم أنّ  
 يتقدّم أمره بمساعدة المذكور وتقوية يده على ما تضمنته فصول التذكرة ومراعاة  
 أحواله، وإزالة ضروراته ، وخلاص الخلق منه ممن يتعين في جهته ، ويشمله بنظره  
 الكريم فيما تعلق بفصول التذكرة . فإنّ تعلقات المورثة المذكورين تحت نظرنا  
 الشريف . فيبادر المقرّر الشريف إلى ذلك وسرعة عوده بعد قضاء شغلّه ، وتجهيز  
 المتحدّث والمباشرين للأبواب الشريفة ، ومحبّتهم حسابهم عند نهاية فصول التذكرة  
 المذكورة . ويقوم عنهم من يعوضهم إلى حين عودهم من الأبواب الشريفة على  
 ما هو المعهود من همّة الكريمة واحتفاله ، فيحيط علمه الكريم بذلك .



مكاتبة - بسبب طلب عيسى الجواكين والكراييج والأكر : وتبدي لعله  
 الكريم أن المرسوم الشريف آقضى تجهيز عيسى الجواكين والكراييج والأكر إلى  
 السلاح خاناه من الشام المحروس ، على العادة في كل سنة سريعا ، وآثرنا علمه الكريم  
 بذلك . ومرسومنا للقر الكريم أن يتقدم أمره العالي بإعتاد ما آقتضاه مرسومنا  
 الشريف من ذلك كله على جاري العادة في كل سنة ، والأهتمام بذلك ، والاحتفال  
 به ، بحيث لا يتأخر ذلك غير مسافة الطريق ، فإن الانتظار واقعٌ لذلك ، وفي همته  
 الكريمة ما يعنى عن بسط القول في ذلك ، فيحيط علمه الكريم بذلك .



مكاتبة - بسبب استقرار قاض يدمشق عوض من كان بها : وتبدي لعله  
 الكريم أن الصدقات الشريفة شملت المجلس العالي ، القضائي ، الكبيرى ، العالمى ،  
 العلمى ، الإمامى ، الفلانى ، الفريدى ، المقيدى ، المجيدى ، الأصلى ، العريقى ،  
 الأتيل ، الأثيرى ، الأوحدى ، الخطيبى ، الشبخى ، الحاسكى ، الفلانى ، جلال  
 الإسلام والمسلمين ، شرف العلماء العاملين ، إمام البغاء ، خطيب الخطباء ، شيخ  
 مشايخ العارفين ، ملاذ المردين ، مفتي الفرق ، موضح الطرق ، لسان المتكلمين ،  
 مفيد الطالبين ، حكم الملوك والسلاطين ، ولي أمير المؤمنين ، فلان الفلانى الشافعى .  
 أعز الله تعالى أحكامه - بتفويض قضاء قضاة الشافعية بالشام المحروس إليه ، عوضا  
 ممن به ، بحكم عزله مضافا إلى خطابة الجامع الأموى ، ومشيخة الشيوخ بالشام  
 المحروس . وكتبنا توقيعا شريفا له بذلك ، وجهزناه إليه قرين تشریف شريف على  
 يد فلان المتوجه بهذا المثال الشريف . وآثرنا علمه الكريم بذلك ، ليكون ذلك  
 على خاطره الكريم . ومرسومنا للمقر الكريم أن يتقدم أمره الكريم بتقرير القاضى

فلان الدين فلان الفلاني فيما شملته به الصدقاتُ الشريفةُ من ذلك كله ، وتهيؤة  
 يده في مباشرة ذلك والشُّدْم منه ، وتأيد أحكامه الشرعية ، وتنفيذ كلمته ، ورعاية  
 جانبه ، وإكرامه واحترامه ، على عادة هممه الكريمة ، وتقدّماته السعيدة ، فيُحيط  
 علمه بذلك .



مكاتبة — بسبب حيل التلجج إلى الأبواب السلطانية : وتبدي لعلمه الكريم  
 أن المرسوم الشريف أقتضى تجهيز ثقلات التلجج إلى الشراب خاناه الشريفة على  
 العادة . ومرسومنا للقر الكريم أن يتقدم أمره العالی بسرعة تجهيز الثقله الأولى ،  
 بحيث لا تتأخر أكثر من مسافة الطريق على ما هو المهود من همته العالیه ، وتقدّماته  
 السعيدة . وقد جهّزنا هذا المثال الشريف على يد الأمير الأجل فلان الدين فلان  
 الفلاني ، أعزه الله تعالى ، فيُحيط علمه الكريم بذلك .



مكاتبة — بتكليف شخص من الحضور للأبواب السلطانية . وتبدي لعلمه الكريم  
 أن فلانا كان قصد الاجتماع بأهله وأقاربه بالقاهرة المحروسة . ومرسومنا للقر الكريم  
 أن يتقدم أمره العالی بتكليفه من الحضور إلى القاهرة المحروسة على خيله : ليجتمع  
 بأهله وأقاربه . وقد جهّزنا بهذا المثال الشريف فلانا البريدي بالأبواب الشريفة ،  
 فيُحيط علمه الكريم بذلك .



مكاتبة — منع العُربان من الدخول إلى البلاد قبل قَرَاع الزرع . وتبدي لعلمه  
 الكريم أن المراسم الشريفة أقتضت أنه لا يدخل أحدٌ من العُربان إلى البلاد الشامية

المحروسة : كبيرهم وصغيرهم ، جليلهم وحقيرهم ، إلى أن يُشال الزرع على العادة .  
ومنى - والعباد بالله - حصل منهم مخالفةً لذلك ، حلّ بهم من الانتقام الشريف  
مالاً مزيداً عليه . ومرسومنا للقر الكريم أن يتقدم أمره العالى باعتماد ما اقتضته  
المراسيم الشريفة من ذلك ، مع الأهتمام به ، والأحتفال والأجتهد فيه ، قولاً واحداً ،  
وأمرأ جازماً ، على عادة همته العالية ، وتقدماته المرضية ، فيحيط علمه بذلك .



مكاتبة - بحفظ السواحل : وتبدي لعلمه الكريم أن مرسومنا الشريف اقتضى  
الأجتهد في حفظ السواحل والموانى ، والأهتمام بأمرها ، وإقامة الأيزاك والأبدال  
في أوقاتها على العادة ، وإلزام أربابها بمواظبتها ، وكذلك المنورون بالديبانات  
والمناظر والمناور ، في الأماكن المعروفة ، وتعهده أحوالها : بحيث تقوم أحوالها على  
أحسن العوائد وأكلها ، ولا يقع على أحد دركٌ بسببها . ومرسومنا للقر الكريم أن  
يتقدم أمره العالى باعتماد ما اقتضاه مرسومنا الشريف من ذلك ، مع مضاعفة  
الأحتفال بذلك والمبادرة إليه ، حسب ما اقتضته المراسيم الشريفة . وقد جهزنا بهذا  
المثال الشريف مجلس الأمير الأجل : فلان الدين فلان البريدى ، المقدم بالأبواب  
الشريفة ، فينتدم أمر المقتز العالى بتجهيزه إلى جهة قصده بما على يده ، وإعادته عند  
عوده إلى الأبواب الشريفة ، على ما هو المعهود من همته ، فيحيط علمه الكريم بذلك .



مكاتبة - باستعمال القماش . وتبدي لعلمه الكريم أن آراءنا الشريفة اقتضت  
استعمال القماش الجارى به العادة برسم الركابجاناه ، والإصطلاب الشريفة ، على  
ما استنقر عليه الحال إلى آخر السنة الخالية والتي قبلها . وقد كتبت تذكرة شريفة

من ديوان استيفاء الصحبة الشريفة مفضلة بذلك ، وجهزناها قرين هذه المفاوضة  
 لتقرأ على مسامحة الكريمة . ومرسومنا للمقر الكريم أن يتقدم أمره العالى بتأملها ،  
 وبروز أمره بطلب وزير المملكة الشريفة ، وناظر المهمات الشريفة ، واستعمال  
 القماش الذى تضمنته التذكرة الشريفة ، وانهاهتام بذلك ، والاحتفال بسرعه .  
 وقد اكتفينا بهمة المقر الكريم عن تجهيز أمير الخورية وأوجاقية من إصطبلاتنا  
 الشريفة لاستعمال ذلك ، لأن المهمات الشريفة تحت نظره الكريم ، فيصرف همته  
 العالية إلى الإسراع فى ذلك ، والاحتفال به وانهاهتام . وفى آهتامة وتنفيذه لمراسمنا  
 الشريفة مايفنى عن التاكيد فى ذلك ، فيحيط علمه بذلك .



مكاتبة — بجواز . وتبدي لعلمه الكريم أن مرسومنا الشريف أقتضى تجهيز  
 فلان البريدى بالأبواب الشريفة ، أعزّه الله تعالى ، إلى جهة فلان بما على يده  
 وما صحبته . ومرسومنا للمقر الكريم أن يتقدم أمره العالى بإزاحة أعذاره ، وتجهيزه  
 إلى المشار إليه فى أسرع وقت وأقربه . وإذا عاد يتقدم بتجهيزه إلى خدمة الأبواب  
 الشريفة على العادة فى ذلك ، على عادة همته العلية ، وشيمه المرصيه ، فيحيط علمه بذلك .



مكاتبة — وتبدي لعلمه الشريف أن مرسومنا لشريف أقتضى أن لا يمكن  
 أحد من نقل سلاح ولا عنة حرب إلى جهة البلاد الرومية . ومرسومنا للمقر الكريم  
 أن يتقدم أمره العالى بأن لا يمكن أحد من نقل سلاح ولا عنة إلى جهة البلاد  
 المذكورة ، والاحتراز على ذلك كل الاحتراز ، فيحيط علمه بذلك .



مكتوبة — وتُبدى لعلمه الكريم أنه أتصل بالمسّامع الشريفة أن غالب البلاد بالصنفة الفلانية محيية متجاهبة على الكُثاف والرعايا، ويؤوون المفسدين، وأن يد الكُثاف لا تصل إلى هذه البلاد، ولا إلى النصفة ممن بها من المفسدين. وحصل بذلك الضرر للبلاد والعباد. وأقتضى الرأي الشريف الكُثاف عن هذه البلاد وسائر الأعمال، والمناداة في البلاد بإبطال الحياية والرعاية، والمساواة بين العباد في سائر البلاد بالعدل والإنصاف، وكفّ أكفّ الظلم والعدوان. ومرسومنا للقر الكريم أن يتقدم أمره الكريم بالناداة في سائر البلاد بإبطال الحياية والرعاية، والمساواة بين الخاص والعام، وتطهير الأرض من المفسدين؛ وأن لا ينجى أحدٌ ببلد من البلاد. ومن تظاهر بحماية أو إيواء مفسد ببلد من البلاد، حلّ ماله وروحه. والتأكيد على أهل البلاد في ذلك، والتشديد والفحص عن يجاهر بذلك وردعه ونشر العدل والإنصاف بتلك الأقطار، والأهتمام في ذلك كله، على عادة هممه الكريمة، وتقدماته السعيدة، فيحيط علمه الكريم بذلك، والله تعالى يؤيده بالملائك.



مكتوبة — وتُبدى لعلمه الكريم أنه أتصل بسماعنا الشريفة أن فلانا تعرّض للجهة الفلانية الجسارية في ديوان خاصنا الشريف، وأخذ منها مبلغ كذا وكذا. ومرسومنا للقر الكريم أن يتقدم أمره العالى بطلب الغريم المذكور، وتجهيزه إلى الأبواب الشريفة، وإلزامه بما استأداه من ذلك، محترّزا عليه مع مضاعفة الوصية بما شئنا من الجهة المذكورة والإحسان إليهم، فيحيط علمه بذلك.

## الصفحة الثاني

( ما يكتب في الجواب عما يرد من الثواب وغيرهم )

والرسم فيه أن يكتب بعد التصدير : « إن مكاتبته الكريمة » أو « مكاتبته » على قدر رتبته من ذلك « وردت على يد فلان فوقفتنا عليها وعلمنا ما تضمنته على الصورة التي شرحها » ثم يذكر ما يناسب الجواب في ذلك من شكر الأهتمام أو غيره . ثم إن أشتمت على مقصد واحد ، أجاب عنه .

وهذه مكتبة يُسج على منواتها ، وهي : وتبدي لعلمه الكريم أن مكاتبته الكريمة وردت على يد فلان فوقفتنا عليها ، وعلمنا ما أصدرته من تجهيزه إلى خدمة أبوابنا الشريفة بما على يده من كتاب مخدومه ، وقد وصل ، وأحاطت علومنا الشريفة بما تضمنه ، وأعدناه الآن بجوابه وبهذا الجواب الشريف ، فيحيط علمه الكريم بذلك .

وإن أشتمت المكتبة المحباب عنها على عدة فصول ، أتى على فصولها فصلا فصلا ، وربما قال : « فإماما أشار إليه من كذا » إذا كان على الرتبة ، كاتب الشام ونحوه ، « فقد علمناه » وصار على خاطرنا الشريف أو « فقد رسمنا به » أو « فلم نرسم به » . ونحو ذلك على ما يقع به الجواب السلطاني في الملخص المكتوب عن مكتبة المكتوب إليه بالجواب .

وهذه مكتبة من هذا النمط يُسج على منواتها ، وهي : وتبدي لعلمه الكريم ، أن مكاتبته الكريمة وردت على يد مملوكه الأمير الأجل فلان الدين فلان ، أعزّه الله تعالى ، فوقفتنا عليها ، وعلمنا ما تضمنته على الصورة التي شرحها ، وشكرنا همته العالية ، وتقدماته السعيدة ، ورأيه السعيد ، وأعتاده الحميد .

فأما ما أشار إليه من وصوله ومن صحبته ، ونائب السلطنة الشريفة بطرأبلس  
وصفد المحروستين ، إلى مَلَطِيَّة المحروسة في التاريخ الفلاني ، وتلقَّى نائبي السلطنة  
الشريفة بحلب وحماة المحروستين ، المَقَرَّ الكَرِيمَ ، ومن معه على ظاهر المدينة  
المذكورة ، واستمرار إقامتهم جميعاً بالقرية المذكورة إلى تسطير مكاتبته المشار إليها  
في انتظار من رُسِمَ له بالحضور إليهم من عساكر الفلاح المنصورة وغيرهم ، من أمراء  
الثُرَيَّان والأكراد ومن معهم من أتباعهم والزامهم ، حسب ما اقتضته المراسيم  
الشريفة في المهمم الشريف وما كُتِبَ به إلى نائب طرأبلس ، وإلى قرايوسف النائب  
بالرها المحروسة : من الحضور إلى المهمم الشريف ، وإجابتهما إلى ذلك ؛ وكذلك  
ما كُتِبَ به إلى الحاكم بسبواس ، وإلى أحمد بن طرغلي ، وما أجابا به من الحضور  
إلى المهمم الشريف ، والملتقى في المكان الذي عينه حاكم سبواس ، إلى غير ذلك مما  
بَسَطَ القول فيه [ فقد علمناه ] <sup>(١)</sup> على الصورة التي شرحها ، ونضاعف شكرنا لعمته  
العلية وتقدماته السعيدة .

وأما ما أشار إليه من أعماده ما برزت به المراسيم الشريفة في الجواز الشريف  
الوارد إليه على يد مجلس الأمير الأجل فلان الدين فلان ، والمطلق الشريف المجهز  
على يده ، وأمثال ما تحمله من المشافهة الشريفة ، وتقدمه بجميع نواب السلطنة الشريفة  
المكتوب إليهم ، وعقد المشورة معهم على اعتماد ما اقتضته المراسيم الشريفة ، وتعيين  
جاليش العساكر المنصورة ونائب السلطنة الشريفة بطرأبلس المحروسة ومن معه  
من الأمراء المتقدمين وأتباعهم من دمشق وحلب المحروستين ، ونائب السلطنة  
الشريفة بحمات المحروسة ، ومن معه من العساكر المنصورة ، وسيرهم في التاريخ  
الفلاني ، وسيره في أثرهم بمن بقي معه من العساكر المنصورة الشامية الحلبية ،

(١) الزيادة يقتضها تصحيح الكلام ولعلها ساقطة من قلم النسخ .



وأن سيرهم على جهة بلد كذا على الصورة التي شرحها لما قصده من ذلك من المصلحة ، فقد علمنا ذلك على الصورة التي شرحها ، وشكرنا همته العالية ، وحسن فكرته الصحيحة .

وأما ما أشار إليه من أن نائب ملطية جهز الكتاب الوارد عليه من ابن تمرناك ، على يد قاصد من جهة تلمسان باللسان الأعجمي<sup>(١)</sup> ، وأنه عرّبه وفهم مضمونه وجهزه ليحيط العلوم الشريفة بمضمونه ، وهي على الخواطر الشريفة ، فيكون ذلك على الخاطر الكريم ، وشكرنا همته العلية .

وأما ما أشار إليه من ورود كتاب تلمسان عليه ، وهديته على يد قاصده ، وأنه لم يقبل هديته وأعاد جوابه ، فإنه إن كان مناصحاً في الخدمة الشريفة وهو صادق في كلامه ، فيحضر إلى المهتم الشريف ، وما شرح في هذا المعنى فقد علمناه على الصورة التي شرحها ، وشكرنا جميل أعماده وسعيد رأيه . وكذلك أحاطت العلوم الشريفة بما ذكره من أمر حاكم عمر بركبر<sup>(٢)</sup> وما شرحه في ذلك ، فقد علمناه على الصورة التي شرحها .

وأما ما أشار إليه من أمر ملطية المحروسة ، وأنها تحتاج إلى الفكر الشريف ، والنظر في أحوالها وترتيب مصالحها ، وإقامة عسكر لرجال يمجونها من طوارق الأعداء المخدولين : إلى غير ذلك مما شرحه في هذا المعنى ، فقد علمناه على الصورة التي شرحها ، وبقى ذلك على خواطرها الشريفة . وعقبها إن شاء الله تعالى تبرز المراسيم الشريفة بما فيه المصلحة للبلد المذكور على أكل ما يكون .

وقد استصوبوا رأي المقر الكريم في هذا الفكر الحسن ، فإنه أمر ضروري . وقد شكرنا للمقر الكريم جميل أعماده ، وحسن رأيه ، وبذل همته وأجتهاده في هذا

(١) كذا في الأصل غير واضح .

المهم الشريف . والقصد منه الاستمرارُ على ما هو فيه من بذل الاجتهاد في المهمات الشريفة بقلبه وقالبه ، والعمل على بياض وجهه عند الله تعالى ، من الذب عن عباده وبلاده ، وبذل المال والروح في رضا الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم في ذلك ، وأستقرارِ خواطينا الشريفة بذلك . فإن المقرَّ الكريم يعلم ما نحن مُتأبرون عليه ، ومُنقادون إليه ، من محبة رضا الله تعالى في النصيحة بصالح العباد ، وعمارة البلاد ، وتسطير ذلك في صحائف حسنات الدهر بين يدي الله تعالى . والمقرَّ الكريم يعلم أن جُلَّ أعتادنا عليه في أكبر دولتنا الشريفة . ونحن واثقون برأيه السديد في حركاته وسكاته في المهمات الشريفة والأشغال السلطانية . ولأجل ذلك قزبناه ، ورضينا به لنا وعلينا ، وكَلِّمنا بلغنا عنه أعتادُ حسنُ تتضاعفُ منزلته عندنا . والآن فإنَّ ثواب السلطنة الشريفة وأمرآء دولتنا كبيرهم وصغيرهم تحت أمره ومشورته ، وما بقي مثل هذه الأيام المباركة والأوقات السعيدة ، ولم يبق سوى آتهاز الفرص ، وأغتنام أوقات السعادة ، وهو الحاضرُ والثائبُ عنا في كل ما يحصل من المصالح العائد نفعها على البلاد والعباد . والمبادرة إلى عملها من غير معاودة الآراء الشريفة في كل قضية تُتفق له ، فإن المسافة بيننا وبينه بعيدة ، وتَضِعُ المصلحة في وصول الخطاب وعود الجواب . وقد فوّضنا إليه الرأي في ذلك ، والعمل بما تقتضيه المصلحة الحاضرة ، في جليل الأمور ودقيقها ، فيكون ذلك على خاطرهِ الكريم ، ويعمل بمقتضاه . وقد أعدنا مملوكه بهذا الجواب ، فيحيط علمه بذلك .



وهذه نسخة مكتوبة في معنى الرضا عن ابن دلفادر التُّركي وغير ذلك :

وتبدي لعلمه الكريم أن مكاتبته الكريمة وردت على يد فلان الدين فلان مملوكه ،

فوفقنا عليها وعلمنا ماتضمنته .

فأما ما ذكره في معنى 'أبن دلغادر، وتكرار كُتبه بالتصريح والتراخي عليه في سؤال الصدقات الشريفة في الرضا والعتو عنه ، فقد علمنا ذلك ، والذي نعرف به المقر الكريم أنا كما رسمنا بأن لا يكتب له جواب ورد كتابه وقاصده ؛ ولما تكرر استشفاعه بالمقر الكريم ، ودخل دُخُولَ الحريم ، وعرفنا أنه ضاقت عليه الأرض برحبها وأخلص في الندم ، عطفت عليه الصدقات الشريفة بالحنو والعتو كرامةً للمقر الكريم ، وإعلاءً لشانه ، ورفقاً لمكانته ومكانه . ورسمنا للمقر الكريم أن يكتب المذكور بهذا المعنى ، ويلتم على نفسه العفو الشريف ، والصّفح المنيّف ، وإيصال أنواع الخير وفوق مافي خاطره من الأمان على نفسه وماله ، وغير ذلك . والذي نعرفه أنه كان جرى على اللسان الشريف الخلف أنه لا بد من حضوره إلى الأبواب الشريفة ودّوس البساط الشريف ، ولا بد من تحقيق ذلك لحصول البرّ والحلاص من الخلف الشريف ، وفيام التأموس عند القريب والبعيد : ليعلموا أنّ سلطاننا غالب على من تمرد ، ومرآحتنا شاملة لمن يلتهج إلى حرم عفونا الشريف ، وأنه قريب منه .

وأما ما ذكره في معنى 'كشّف الصّفقة الفلانية ، ووقوع الاختيار على فلان الدين فلان ، وما عرّضه على الآراء الشريفة من تقريره في ذلك ، وبروز المراسم الشريفة بكتابة مرسومه وتقرير غيره ، فقد علمنا ذلك ورسمنا بتقريره ، وكتبنا مرسومه الشريف ، وجهزناه على يد فلان العائد بهذا الجواب الشريف .

وأما ما ذكره من جهة الزاوية المستجدة بسقّحَب وتجهيز قائمة متضمنة بما تدعو الضرورة إليه من تقرير السماط وأرباب الوظائف ، وما عرّضه على الآراء الشريفة من كتابة مرسومٍ شريفٍ مربعٍ على حُكْمِها ، أو بما تقتضيه الآراء الشريفة من زيادة أو نقص ، فقد علمنا ذلك ورسمنا به حسب ما اقتضته الآراء الشريفة : من استقرار

(١) لعله وتقريره (٢) يظهر أن في الكلام سقطاً ونقله «وما عرّضه على الآراء الشريفة من الخ» .

فلان الدين فلان في الولاية في الثغر المذكور ، فقد علمنا ذلك ورسمنا به ، وكتبنا مرسومه الشريف ، وجهزناه على يد العائد بهذا الجواب الشريف . فالقر الكريم يوصيه بحسن السيرة وترك ما كان عليه .

وأما ما ذكره من جهة خُفارة الجهة الفلانية ، وما عرضه على الآراء الشريفة : من إضاء القائمة المجهزة بأسماء من قزره في الخقر المذكور ، فقد علمنا ذلك ورسمنا بإمضائه حسب ما قصد المقر الكريم .

وأما ما ذكره من جهة فلان المعتقل بقلعة دمشق ، ووقوف أولاده وعياله وشكواهم حاتم بعد كشف ما نُقل عنه وعدم صحته وما عرضه على الآراء الشريفة من الإفراج عنه ، فقد علمنا ذلك ورسمنا به فيتقدم أمر المقر الكريم بالإفراج عنه .  
وأما ما ذكره في معنى ما ورد به كتاب النائب بالرجبة المحروسة : من الأخبار والمنجذات ، فقد علمناه وصار على خواطينا الشريفة .

وأما ما ذكره من وصول قاصدي حاكم الدر بند وحاكم القبطرة بما على أيديهما وتجهيز ما ورد معهما من الكتب وأستئذان الآراء الشريفة على مانعته في أمرهما وفيمن يحضر بعدهما ، فقد علمنا ذلك ، وكتبنا الجواب عن ذلك ، وجهزناه قرين هذا الجواب الشريف ، فيتقدم بإعادتهما إلى مرسلهما . وكذلك يفعل في كل من حضر من تلك النواحي إلا في مهم شريف على عوائدهم . وقد أعدنا مملوكه إليه بهذا الجواب الشريف ، فيحيط علم المقر الكريم بذلك .



مكاتبة أخرى — من هذ النمط في معنى أمور مختلفة . وتبدي لعلمه الكريم أن مكاتبتة الكريمة وردت على يد المجلس السامي الأميري فلان . فوقتنا عليها وعلمنا ما تضمنته على الصورة التي شرحها .

فأما ما أشار إليه : من وصوله إلى دمشق المحروسة عائداً من الأغوار السعيدة ، وأنه وجدها وسائر أعمالها وضواحيها والسواحل والموانئ في حِرز الأَمْن والسلامة ، فقد علمنا ذلك وحمدنا الله تعالى وشكرناه على ذلك .

وأما ما أشار إليه : من أنه جهَّز من متحصِّل دار الضرب السعيدة بدمشق المحروسة كذا وكذا مثقالاً بمقتضى رسالة وما قصَّد من إعادة رَجْعَةِ شريفة بذلك ، فقد علمناه ووصل المبلغ المذكور ، وكُتِبَ به رَجْعَةُ شريفة على العادة في مثل ذلك ، وجُهِّزَت على يد فلان المشار إليه ، فيكون ذلك على خاطره الكريم .

وأما ما ذكره : من أمر النَّحاس وقَلته من عدم وصول شيء منه ، وأنه لم يوجد منه بعد الجهد سوى مبلغ عشرين قنطاراً عند القَرْنَج ، وأمر الفُلُوس العتق وبقائها ، وكثرة الفلوس الجُدِّد ، وقلة وجود الدرهم والدينار ، وتوقف المعامِش بسبب ذلك ، وما عرضه على الآراء الشريفة إن اقتضت الآراء الشريفة إبطال دار الضرب نحو شهرين إلى أن يحضُر نحاس يستعمل ، وتخيَّف الفلُوس ويستصرف مافي أيدي الناس ، فقد علمنا ذلك وأجبنا سؤاله فيه . ومرسومنا أن يعمل فيه بما تكون [ به ] المصلحة عامة للرعية ، وتبطل دار الضرب مدة يراها المقرُّ الكريم .

وأما ما أشار إليه : من أمر الأمير فلان وما قصده من حُسن النظر الشريف في حاله ، وما شرحه من ذلك ، فقد علمناه على الصورة التي شرحها ، وصار ذلك على الخواطر الشريفة .

وأما ما أشار إليه : من أمر فلان ، وما اتفق من الكشف عليه حسب ما اقتضته المراسيم الشريفة ، وما ادَّعى عليه من كذا وكذا ، وما كُتِبَ عليه من المحاضر وتجهيزها إلى الأبواب الشريفة ، وتجهيز المشار إليه إلى الأبواب الشريفة صحبة البريدي المجهَّز

في طلبه في أثناء ذلك ، فقد علمنا ذلك على الصورة التي شرحها ، وأحاطت العلوم الشريفة به جملة وتفصيلا ، وبما أشتملت عليه المحاضر المذكورة ، وبقي ذلك على الخواطر الشريفة ، وأقتضت الآراء الشريفة إعادته ومن معه لتفلاص من شكاته عند المقتر الكريم ، وقد أعدناهم صحيفة من يحضرونهم إلى المقتر الكريم ليكتشف عليه وتنظم المحاضر وتجهز .

وأما ما أشار إليه من تجهيز <sup>(١)</sup> وتعريف الحسبة بالأسعار عن البرّ العلافى على العادة في ذلك إلى الأبواب الشريفة ، فقد علمنا ذلك ووصل ماجهزه من ذلك ، وأحاطت العلوم الشريفة بما أشتمل عليه ، وشكرنا همة المقتر الكريم وسعيد تقدّماته ، وجميل آهتاداته . وقد أعدنا الأمير فلانا بالجواب الشريف ، فيحيط علمه بذلك .

قلت : وعلى ذلك يقاس ما يكتب به إلى سائر التواب بالشام والديار المصرية فمن دونهم ممن جرت العادة بمكاتبتهم من الأبواب السلطانية في الإبتداء والجواب .

## المأخذ الثاني

( في معرفة أوضاع هذه المكاتبات )

أول ما يجب من ذلك معرفة قطع الورق الذي يكتب فيه . وقد سبق في المقالة الثالثة في الكلام على قطع الورق بيان مقادير قطعه ، وأن من جملتها قطع العادة : وهو القطع الصغير . وفي هذا القطع تكتب عامة المكاتبات المتقدمة ، مما يكتب به لأرباب السيوف والأقلام بمصر والشام على اختلاف مقاديرهم ، وتباين مراتبهم

(١) ياض في الاصل .

في الرَّقعة والمُضَعَّة؛ خلا ما تقدم ذكره : من أنه كُتِبَ إلى والدة السلطان الأشرف  
« شعبان بن حسين » في قطع الشامي الكامل . وقد تقدم هناك أن الكتابة في قطع  
العادة جملة تكون بقلم الرِّقَاع . فتكون كتابه جميع هذه المكاتبات به .

ثم أول ما يكتُوبُ الكاتب في المكاتبه التعريفُ بالمكتوب إليه : وهو أن يكتُب  
في رأس الدَّرَج ، من وجه الوصل ، من أوله ، من الجانب الأيمن « إلى فلان » .  
ويكتب على سُمته في الجانب الأيسر « بسبب كذا وكذا » . ويكتب في وسطهما  
على سُمتهما التعريف بالعلامة التي تكتُب . فإن كانت العلامة الأسم ، كتب « الأسم  
الشريف » . وإن كانت بالأخوة ، كُتِبَ « أخوه » . وإن كانت بالوالدية ، كتب  
« والده » . ثم يقبل الدَّرَج فيكتب على ظاهره عنوان المكاتبه في أسفل ما كتب  
عليه في رأس الورق باطنا من أول عرض الدَّرَج إلى آخر ألقاب المكتوب إليه .  
ويقلب الدعاء المبتدأ به في المكاتبه ، فيدعوه به في آخر الألقاب . ثم يخلى بياضاً  
ويكتب تعريف المكتوب إليه : من نياية سلطنة أو ولاية أو أسم أو غير ذلك .  
وتكون الأسطر متقاربة متلاصقة .

فإن كان المكتوب إليه النائب الكافل مثلاً ، كتب في العنوان : « المقتر ، الكريم ،  
العاني ، الأميرى ، الكبيرى » إلى آخر ألقابه . فإذا انتهى إلى آخر الألقاب ، كتب  
« أعز الله تعالى أنصاره » . ثم يترك بياضاً ويكتب : « كافل الممالك الشريفة  
الإسلامية أعلاها الله تعالى » بحيث ينتهي آخر كتابة ذلك إلى آخر السطر .

وإن كان المكتوب إليه كافل السلطنة بالشام ، كتب : « المقتر الكريم » إلى آخر  
الألقاب « أعز الله تعالى أنصاره » ثم يترك البياض المذكور ، ثم يكتب : « كافل  
السلطنة الشريفة بالشام المحروس » .

وإن كان المكتوب إليه نائب السلطنة بحلب، كتب: «الجناب الكريم» إلى آخر القابه «أعز الله تعالى نصرته»، ثم يترك بيضا ويكتب: «نائب السلطنة الشريفة بحلب المحروسة».

وإن كان المكتوب إليه نائب الإسكندرية، أو نائب طرابلس، أو نائب حماة، أو نائب صقند، كتب: «الجناب العالى» إلى آخر القابهم «ضاعف الله تعالى نعمته»، ثم يترك بيضا ويكتب: «نائب السلطنة الشريفة بشعر الإسكندرية المحروس» ، أو «نائب السلطنة الشريفة بطرابلس المحروسة» ، أو «نائب السلطنة الشريفة بحماة المحروسة» ، أو «نائب السلطنة الشريفة بصقند المحروسة» . وكذا في البواقي بحسب تعريف كل من المكتوب إليهم على ما مر ذكره في مواضعه .

ثم إذا كتب العنوان : فإن كان المكتوب إليه ممن يكتب له «المقر الكريم» ، أو «الجناب العالى» ، أو «المجلس العالى» مع الدعاء ، ترك من أعلى الدرج ثلاثة أوصال بيضا بالوصل المكتوب في ظاهره العنوان ، ثم تكتب البسملة في رأس الوصل الرابع بهامش من الجانب الأيمن .

وإن كان المكتوب إليه ممن يكتب له «المجلس العالى» مع «صدرت» فما دون ذلك، ترك في أعلى الدرج وصلين بيضا فقط . وتكتب البسملة في رأس الوصل الثالث ، ثم يكتب سطران من أول المكاتب تحت البسملة على سمتها ملاصقا لها ، ثم يخلل بيت العلامة بيضا ويكتب السطر الثاني على رأس إصبع أو نحوه من أسفل ذلك الوصل ، ثم يكتب السطر الثالث في الوصل الذى يليه على بعد ثلاثة أصابع معترضات من السطر الثاني ، ويؤتى على ذلك إلى آخر المكاتب .



وقد كانت أوصال الورق في الزمن المتقدم طويلة : فكان يكتب في كل وصل ثلاثة أسطر ، وبين كل سطرين أكثر من عرض ثلاثة أصابع . أما الآن ، فقُصرت الأوصال ، وصار كل وصل لا يتسع في الغالب أكثر من سطرين . فإذا انتهى إلى آخر المكتبة ، أُخلى بياضاً يسيراً ، ثم كتب في وسط الوصل : « إن شاء الله تعالى » ثم يكتب : « كتب في كذا من شهر كذا » في سطر ، وتحت سنة كذا وكذا في سطر تحته ، بينهما قدر إصبعين ، ثم يكتب المستند بعد تقدير إصبعين . فإن كان بتلق كاتب السر كتب « حسب المرسوم الشريف » . وعلى ذلك يجري الحكم في جميع ما يكتب في البريد ، وهو المختص بالأمور السلطانية .

وإن كان من دار العدل بتلق كاتب السر أو أحد من كتاب الدست ، كتب : « حسب المرسوم الشريف » في سطر ، وتحت « من دار العدل الشريف » في سطر آخر . وإن كان بقصة مشمولة بخط السلطان ، كتب : « حسب الخط الشريف » بقتضى أعلى ذلك . وإن كان بخط النائب الكافل ، كتب : « بالإشارة العالية الأميرية العالمية الفلانية » في سطر ، وتحت في سطر آخر « كافل الممالك الشريفة الإسلامية أعلاها الله تعالى » . وإن كان بأمر الوزير ، كتب « بالإشارة العالية الأميرية الوزيرية الفلانية » في سطر ، وتحت في سطر آخر « مدير الممالك الشريفة الإسلامية أعلاها الله تعالى » . وإن كان الوزير صاحب قلم ، كتب « بالإشارة العالية الوزيرية الصحفية الفلانية » مدير الممالك الشريفة الإسلامية ، أعلاها الله تعالى « سطرين على نحو ما تقدم . وإن كان برسالة الوادار : فإن كان مقدم ألف ، كتب « برسالة الجناب العالي الأميري الكبير الفلاني » في سطر ، وفي سطر آخر تحت « الداودار الناصري أو الظاهري » ونحو ذلك « ضاعف الله تعالى نعمته » . وإن كان طبيباً ، كتب بدل الجناب « المجلس » ويدعوله « أدام الله تعالى

نعمته . وإن كان بأمر الإستاذار ، كتب « بالإشارة العالية الأميرية الفلانية إستاذار الفلانية أعلاها الله تعالى » . وإن كان من ديوان الجيوش المنصورة ، كتب « حَسَبَ المرسوم الشريف » في سطره ، وتحته « من ديوان الجيوش المنصورة » في سطر آخر . وإن كان من ديوان الخوَّاص الشريف ، كتب « حَسَبَ المرسوم الشريف من ديوان الخوَّاص الشريف » على ماتقدم . وإن كان من الدولة الشريفة : بأن يكون بخط ناظر الدواوين وهو قليل ، كتب « حَسَبَ المرسوم الشريف من الدولة الشريفة » على نحو ماتقدم . وقد تقدم الكلام على المستندات في الجملة ، في مقدِّمة الكتاب عند الكلام على ديوان الإنشاء .

## المَقْصِدُ الثَّانِي

( في المكتَّبات العاتمة إلى أهل هذه المملكة : وهي المُطَلَّقات )

قال في "التعريف" : وأقسامها لا تخرُج عن ثمانية أقسام : إلى الوجه القبلي ، وإلى الوجه البحري ، وإلى عاتمة الديار المصرية ، وإلى بعض البلاد الشامية ، وإلى البلاد المصرية والشامية ، وإلى الممالك الإسلامية وما جاورها ، وإلى بعض أولياء الدولة ، كالأمراء بدمشق أو حلب ، وإلى قبائل العرب ، أو التُّركمان ، أو الأكراد أو بعضهم .

قلت : والقاعدة في المُطَلَّقات أنه إذا أُجتمِع في المُطَلَّق كجاء وصغار ، يفتَب حكم الأكبر منهم على الأصغر : تعظيماً لأمر الأكبر . فإن كان في المُطَلَّق من الألقاب ماتمخَّص به الأكبر دون غيرهم ، استوفى للكبير ما يختصُّ به من الألقاب وأُتِيَ بالقدر المشترك فيه بعد ذلك .

ثم المطلقات منها ما يُحْتَم . قال في "التعريف" : وهو ما كان لبعض أولياء الدولة إذا كان في سريكتهم ولا يُراد إظهاره إلا عند اتقوف عليه ، فيُحْتَم على عادة الكُتُب . وهذا يكون عنوانه بظاهره كما في غيره من المكاتبات المفردة .

ومنها ما لا يُحْتَم ، وهو سائر المطلقات . قال في "التعريف" : وعنوانها (مخالف لعنوان<sup>(١)</sup>) الكُتُب المفردة للاتحاد : فإن تلك في ظاهر الورق ، وهذه في باطن الورق ، فوق وصلين أو ثلاثة . فوق البسملة . ويقال فيها : مثلاً شريف مطلق إني الولاية والثواب ، أو غير ذلك من نحو ما في الصدر ، فيصمّن العنوان ملخص ما فيه ، ثم يقال : على ما شرح فيه ، أو حسب ما شرح فيه . ومن قاعدتها أن يصرّح بذكر المكتوب إليهم في المطلق . بخلاف غيرها من المكاتبات المفردة . قال في "التعريف" : ثم بعد التعريف في المطلقات الدعاء ، ثم الإفضاء إلى الكلام ، وفي آخرها يتعين أن يقال : «فليعلموا ذلك ويعتمدوه» .

وحاصل مرجوعها إلى ثلاثة أضرب :

## الضرب الأول

### ( المطلقات المكبرة )

قال في "التعريف" : وهي ما يكتب إني سائر الثواب بالمالك الشريفة ، خلا سبب فإنها مستحقة : غير أنه إن رسم باضافته إليهم ، فيحتاج إني تحرير الحال في أمره : هل يُكْتَب له بعد نائب طرابلس أو بعد نائب صفد ؟ ولا يمكن أن يكون بعد مقدم المسكينة بقرّة ، ولا نائب الكرك ، لأن رتبته في المكاتبه أعلى منهما . فإنها نظير مكاتبه نائب طرابلس وحماة وصفد .

(١) في الأصل "وعنوانها كعنوان" الخ وهو خطأ وتصحيح من تعريف (ص ٨٢)

قلت : هذا على ما كان الامر أستقر عليه من كونها نياحة في أول الامر ، أما بعد  
استقرارها تقدمة عسكراً ، فإنه يكون بعد مقدم العسكر بغزة : لأن كلاً منهما مقدم  
عسكراً ، ومقدم العسكر بغزة أقدم من مقدم العسكر بسيس . وأيضاً فإن غزوة  
مضافة إلى دمشق وسيس مضافة إلى حلب ، ودمشق أكبر من حلب .

قال في "التتيف" : وصورة هذا المطلق أن يكتب في الطرة : «مئال شريف  
مطلق إلى الجناب الكريمين ، العالين ، الأميرين ، الكافلين ، الفلانيين ، نائبي  
السلطنة الشريفة بالشام وحلب المحروستين ، أعز الله تعالى نصرتهما ، وإلى الجنابات  
العالية الأميرية الفلانية أو الفلاني والفلاني» على الترتيب . ثم يقال : «تؤاب السلطنة  
الشريفة بطرابلس وصفد وحمّة المحروسات . وإلى الجناب العالي والمجلس العالي  
الأميري الأميرين الفلانيين أو الفلاني والفلاني ، مقدم العسكر المنصور بغزة  
المحروسة ، ونائب السلطنة الشريفة بالكرك المحروس ، أدام الله تعالى نعمتهما ، بأمرهم  
لحم به أن يتقدم أمرهم الكريم بكذا وكذا ويشرح ما رسم به إلى آخره . ثم يحلي  
بباصاً يسيراً . ثم يكتب «على ما شرح فيه» ويترك ثلاثة أوصال بياضاً بالوصل الذي  
تكتب فيه الطرة . ثم تكتب البسمة في أعلى الوصل الرابع . ثم يكتب قبل آخره  
بباصعين ماصورته : «أعز الله تعالى نصره الجنابين الكريمين ! وضاعف وأدام نعمة  
الجناب العالي ، والمجلس العالي ، الأميرية ، الكبيرة ، العالمة ، العادلة ، المؤيدية ،  
الزعيمية ، القومية ، العيانية ، المتأخرية ، المرابطية ، المشيدية ، الظهيرية ، الكافية ،  
الفلانية أو الفلاني والفلاني» إلى آخرهم : « أعزاء الإسلام والمسلمين ، سادات  
الأمراء في العالمين ، أنصار الغزاة والمجاهدين ، زعماء الجيوش ، مقدمي العساكر ،  
مهدي الدول ، مشيدي الممالك ، عمادات الملة ، أعوان الأمة ، ظهيري الملوك  
والسلاطين ، سيوف أمير المؤمنين ، تؤاب السلطنة الشريفة بالشام وحلب

وطرأئلس وحماسة وصَفد المحروسات ، ومقدّم العسكر المنصور بقرّة المحروسة ،  
 ونائب السلطنة الشريفة بالكرك المحروس» ثم الدعاء لهم بصيغة الجمع . ثم يقال :  
 « صدرت هذه المكاتبُ إلى الجنابين الكريمين والجنابات العاليتين ، والمجلس العالى ،  
 تُهدى إليهم من السلام كذا ، وتُوصح لعلمهم الكريم كذا وكذا ، فيحيط عليهم الكريمُ  
 بذلك ، والله تعالى يؤيدهم بمنه وكرمه » . وتكلم بالمشيئة وما بعدها . والعلامة  
 «أخوهم» . قال : في «التثقيف» : وإن أضيف إليهم نائب سيسى .....<sup>(١)</sup>  
 في الطرة والصدر حسب ما تقدم ذكره .

قال في «التثقيف» : ومما ينبئ عليه أنه قد يُكْتَب نارة إلى بعض هؤلاء النواب  
 ويختصر البعض ، بحسب ما تدعو الحاجة إليه ، فيُكْتَب كذلك ويختصر منه من  
 رُسم باختصاره ، ويُذكر كل واحد منهم في محله ومرتبته على الصورة المتقدمة من  
 غير تقديم ولا تأخير ، ولا زيادة ولا نقص . ثم قال : وهذا هو الذى لم يزل الحال  
 مستقرًا عليه حين كانت مكاتبُ نائب الشام «الجناب الكريم» نظيرَ نائب حلب ،  
 أما الآن حيث استقرت مكاتبته «المقرّر الكريم» . فإنه لا يلبق أن يكتب لغيره بالقابه  
 الخاصة به . وإن اختصرت الألقاب الخاصة به كان فيه نقص لرتبته ، فيلزم من  
 ذلك أن يكتب إليه على أنفراد ، ويُكْتَب المطلق لمن رُسم به ممن عداه من  
 النواب المذكورين .

قلت : وقد رأيت في بعض الدساتير كتابة المطلق الشامل لكافل الشام وغيره من  
 النواب بعد استقرار مكاتبه نائب الشام بالمقرّر الكريم على صورتين :

(١) يباض بالأصل ولعله بضاف ، أو أضيف في الطرة الخ .

الصورة الأولى — أن تُستوفى ألقابُ المقترِّ الكَرِيمِ بدعائه، ويؤثى بألقابه الخِصَّةَ به، ثم يُعطَفَ عليه الجُنابُ الكَرِيمُ، والجُناباتُ العالِيَةُ، والمجالسُ العالِيَةُ، بالألقابِ المُشترَكَةِ؛ ويميِّزُ ما يمكن تمييزه منها، ويكَمَّلُ على نحو ما تقدَّم: وذلك بأن يكتب في الطرَّةِ «مثالٌ شريفٌ مطلقٌ إلى كافلِ السلطنة الشريفة بالشام المحروس، أعزَّ اللهُ تعالى أنصاره؛ وتُوابِ السلطنة الشريفة بحلبَ، وطرابُلسَ، وحمَّاءَ، وصَفَدَ، وضاعف اللهُ تعالى نعمتهم؛ ومقدِّمِ العسكرِ المنصورِ بغزَّةَ وسيسَ المحروستين، أدام اللهُ تعالى نعمتهما بما رسم لهم به» إلى آخره. ثم يُجَلِّي ثلاثة أوصالَ، على ما تقدَّم؛ ويُكْتَبُ تلوَ البسملةِ في أوَّلِ الوصلِ الرابعِ: «أعزَّ اللهُ تعالى أنصارَ المقترِّ الكَرِيمِ العالِي، المُوَكَّوِّبِ، الأَمِيرِيِّ، الكَبِيرِيِّ، العائِدِيِّ، النَّاسِكِيِّ، الأَثَابِيكِيِّ؛ ونُصْرَةَ الجُنابِ الكَرِيمِ، وضاعفِ وأدامَ نعمةَ الجُناباتِ، والمجالسِ العالِيَةِ، الأَمِيرِيَّةِ، الكَبِيرِيَّةِ، العالِمِيَّةِ، العادِلِيَّةِ، المُتَاغِيرِيَّةِ، المُرابِطِيَّةِ، العَوْنِيَّةِ، الذُّخْرِيَّةِ، الغِيَاثِيَّةِ، المُهَمِّدِيَّةِ، المُشِيدِيَّةِ، المُقَدِّمِيَّةِ، الظَّهْرِيَّةِ، الكافِلِيَّةِ، الفِلاَنِيَّ والفِلاَنِيَّ» إلى آخرهم: «مِعزَّ وعِزَّ الإسلامِ والمُسلمينَ، سيِّدِي الأُمراءِ في العالمينَ، ناصرَ ونُصْرَةَ العِزَّةِ والمُجاهدينَ، زُعماءِ إبلجوشِ أتابِكِ ومُتَسَدِّمِي العساكِرِ، مُهَمِّدِي الدُولِ، مُشِيدِي الممالكِ، أعوانِ الأُمَّةِ، كُهوُفِ المِلَّةِ، ظُهراءِ الملوِكِ والسلاطينِ، عَضُدِ وسيوفِ أميرِ المُؤمنينَ، كافلِ السلطنة الشريفة بالشام المحروس، وتُوابِ السلطنة الشريفة بحلبَ، وطرابُلسَ، وحمَّاءَ؛ ومقدِّمِ العسكرِ بغزَّةَ وسيسَ؛ ونائبِ السلطنة الشريفة بالكركِ المحروس» ولا زال إلى آخره. «أصدرناها إلى المقترِّ والجُنابِ الكَرِيمِ والجُناباتِ والمجالسِ العالِيَةِ، مُهَمِّدِي اليهم من السلامِ كذا، ومن التَّناءِ كذا، وتُيِّدِي لعلهم الكَرِيمِ كذا وكذا. ومرسومنا للقرِّ والجُنابِ الكَرِيمِ والجُناباتِ والمجالسِ العالِيَةِ أن يتقدَّموا بكذا وكذا، فيُحيطُ علَّهم بذلك».

الصورة الثانية — أن تُكْتَبَ الطرّة على ماتقدم ، ثم تكتبُ ألقابُ المقر إلى آخرها . ثم يقال : « وتبدي لعلمه الكريم وعلم الجناب الكريم والجنابات العالية والمجلس العالی الأميرية الكبيرة » إلى آخر الألقاب « أن الأمر كذا وكذا . ومرسومنا للمقر والجناب الكريمين والجنابات العالية والمجلس العالی أن يتقدموا بكذا وكذا ، فيحيط علمهم بذلك » والعلامة في هذا المطلق « أخوهم » اعتبارا بالعلامة إلى كافل الشام ونائب السلطنة بحلب .

### الضرب الثاني

#### ( المطلقات المصرفة )

وقد ذكر لها في "التعريف" قواعد كلية ، وأشار إلى اختلاف مقاصدها في ضمن الكلام الجملّي ، فقال : وفي كلّها يكتبُ : « مثلنا هذا إلى كلّ واقف عليه من المجالس السامية ، الأمراء ، الأجلّاء ، الأكابر ، المجاهدين ، المؤيدين ، الأنصار ، القزاة ، الأنجاد ، الأمجاد ، أمجاد الإسلام ، أشراف الأمراء ، أعوان الدولة ، عدد الملوك والسلاطين : الولاة ، والنواب ، والشايدن ، والمتصرفين ، بالوجه القلاني ، أو بالديار المصرية ، أو بالبلاد الشامية ، [أو بالبلاد القلانية ، أو بالديار المصرية والبلاد الشامية<sup>(١)</sup>] وسائر الممالك الاسلامية » . قال : وقد يزداد في هذا مقتضيه : « والشعور والحضون والأطراف المحروسة » . قال : فإذا كان إلى الممالك الاسلامية ، قيل « بالديار المصرية ، والبلاد الشامية ، وسائر الممالك المحروسة ، وما جاورها من البلاد الشرقية ، والممالك القلانية » . وقد تكون إلى جهة الرّوم ، فيقال : « وما جاورها من البلاد الرومية وما يليها » . ثم عقب ذلك بأن قال : فأما إذا كان إلى بعض أولياء

(١) ساقط من علم النسخ والتصحيح من التعريف .

الدولة نظر : فإن كان إلى عامة أمراء دمشق ، قيل : « صدرت هذه المكتوبة إلى المجالس العالية الأمراء » . وبقية الألقاب من نسبة ما يكتب للمجالس العالي . فإذا انتهى إلى أعضاء الملوك والسلاطين ، [ أو عضد الملوك والسلاطين ويموز إطلاق هذا الافراد على الجمع <sup>(١)</sup> ] قال : جماعة الأمراء مقدمي الأئوف ، وأمراء الطبليخاناه ، وسائر [ مجالس الأمراء <sup>(١)</sup> ] أمراء العشرات ، ومقدمي الحلقة المنصورة . وإن كان يكتب إلى حلب أو غيرها من الممالك فيالسامية . وإن كان لأمراء العربان أو التركان أو الأكراد ، كتب على عادة المطلقات بالسامية ، وكتب بعد عدد الملوك والسلاطين « الجماعة الفلانية » أو غير ذلك مما يقتضى التعريف بمن كتب إليه .

أما في "التعريف" فقد رتب المطلقات المصغرة على ستة أصناف :

الصف الأول — المطلقات إلى جميع نواب القلاع بالمملكة الشامية ، أو بالمملكة الحليية .

وصورة ما يكتب إليهم في الطرة : « مشأل شريف مطلق إلى المجالس العالية والسامية الأميرية ، ومجالس الأمراء النواب بالقلاع الفلانية المحروسة ، أدام الله تعالى نعمتهم بما رسم لهم به من كذا وكذا » إلى آخره . ثم يقال : على ما شرح فيه ، ثم يُحلى وصلان بيضا بوصل الطرة ، ثم تكتب البسملة في أعلى الوصل الثالث ، ثم يكتب بعد البسملة : « صدرت هذه المكتوبة إلى المجالس العالية والسامية الأميرية » وبقية ألقابهم . « ومجالس الأمراء الأجلاء ، الأكابر ، المجاهدين ، المؤمنين ، الأنصار ، أجداد الإسلام والمسلمين ، شرف الأمراء في العالمين ، أنصار العزة والمجاهدين ، مقدمي العساكر ، كهوف الملة ، أعوان الأمة ، ظهرى الملوك

(١) الزيادة من التعريف .



والسلاطين، التواب بالقلاع المنصورة بالملكة الفلانية المحروسة». والدعاء إلى آخره «موضحاً لعلمهم كذا وكذا. ومرسوماً للجالس العالية والسامية، ومجالس الأمراء أن يتقدموا بكذا وكذا، فيحيطُ علمهم بذلك. والله تعالى يؤيدهم بمنه وكرمه» والعلامة «والدهم».

الصف الثاني — المطلقات إلى أصغر نواب القلاع، ممن يكتب إليه بالسامى بالياء، أو بالسامى بغير ياء، أو بمجلس الأمير.

وصورة ما يكتب إليهم في الطرة: «مثال شريف مطلق إلى المجالس السامية، ومجالس الأمراء التواب بالقلاع الفلانية، أو بولاية فلانة وفلانة، أدام الله تعالى علوهم» بما رُسم لهم به نظير ما تقدم. وبعد البسملة: «مثالنا هذا إلى كل واقف عليه من المجالس السامية، ومجالس الأمراء، الأجلاء، الأكابر، الغزاة، المجاهدين، المؤيدين، الأنصار، أمجاد الإسلام، أشرف الأمراء، زُيُون المجاهدين، محمد الملوك والسلاطين، أو عُدَد الملوك والسلاطين، التواب بالقلاع الفلانية المحروسة» حسب ما كتب في الطرة، والدعاء «يتضمن إعلامهم أن الأمر كذا وكذا ومرسوماً للجالس السامية ومجالس الأمراء أن يتقدموا بكذا وكذا، فأعملوا ذلك ويعتمدوه ويعملوا بحسبه، والله الموفق بمنه وكرمه» والعلامة الأسم الشريف.

الصف الثالث — المطلقات إلى عُربان الطاعة بالمالك الشامية.

والأمر فيه كما في الصف الذي قبله. قال في «التتيف»: «فإن كان المطلق إلى طائفة من العُربان ممن له عادة بمكانة جليلة: بأن تكون العلامة «والده» أو نحو ذلك: كآل مهنا، وآل فضل، وآل علي، وآل مراء، ونحوهم، فإنه تكون صورة ما يكتب في الطرة: «مثال شريف مطلق إلى جماعة العُربان، آل فلان»

إلى آخره . وفي الصدر بعد البسملة : « مثلاً هذا إلى كلِّ واقف عليه من المجالس السامية ومجالس الأمراء » وبقية الألقاب « الكُشَاف<sup>(١)</sup> والوَلَاة والتَّوَاب بالوجهين القبلي والبحري » . ثم الدعاء . ثم يقال : « يتضمَّن إعلامهم كذا وكذا » . ثم البقية من نسبة ما تقدَّم .

قال في "التثقيف" : وغالباً يُفرد الوجه القبلي بمطلق شريف ، والوجه البحري بمطلق شريف . قال : وقد تضاف إلى الوجه البحري الثُّغُور . فيقال : « الكُشَاف والوَلَاة والتَّوَاب بالوجه البحري والثُّغُور المحروسة » . قال : وإضافة الثُّغُور لاتقع إلا نادراً ، لاسيما وقد صار ثغر الإسكندرية نياحةً لا ولايةً . ثم قال : وفي هذا الوقت قد يتعدَّر إضافة نائب الوجه القبلي مع الوَلَاة في المطلق لأرتفاع مكانته عنهم بدرجات ، فيُفرد بمثل شريف ، ويُكتَب المطلق إلى بقية الكُشَاف والوَلَاة . ثم قال : هذا الذي يظهر .

قلت : ويمكن أن يجمع معهم ، بأن يكتب : « أدام الله تعالى نعمة الجنب العالی » إلى آخره . ثم يقال : « صدرت هذه المكتبة إلى الجنب العالی » إلى آخره « وتوضَّح لعلمه الكريم وعلم المجالس السامية ومجالس الأمراء » إلى آخر ألقابهم « الوَلَاة بالوجه القبلي » أن الأمر كذا وكذا : ويكمل على ما تقدَّم .

قال في "التثقيف" : ومما جرت العادة به أن يُكتَب مطلق شريف إلى الأمراء بالملكة الطرابلسية ، أو الحموية ، أو الصَّفدية وغيرها ، عند ولاية نائب السلطنة

(١) من هنا إلى قوله بعد قال في التثقيف ومما جرت العادة به انخ لا يتعلق بالكلام على مطلقات عربان الطاعة بانك تلك الشامية الذي هو موضوع الصنف الثالث كما لا يخفى ، ولعله مقدم مما يأتي بعد في الكلام على المطلقات بالديار المصرية فتنبه .

بتلك المملكة بإعلامهم بذلك ، فيكتب على هذا الحكم، ولكنه بعنوانٍ بغير طُرة .  
 قال : وصورته في الصدر بعد البسملة : « مثألتنا هذا إلى كل واقف عليه من المجالس  
 السامية ، ومجالس الأمراء الأجلاء الأكارب » إلى آخر الألقاب ، والدعاء « يتضمن  
 إعلامهم كذا وكذا » إلى آخره كما تقدم ، ولكنه لا يصرح بذكر الولاية والنواب كما يصرح  
 بذكر من يكتب إليه المطلق في غير هذه الحالة . والعنوان : « المجالس السامية  
 ومجالس الأمراء الأجلاء الأكارب » إلى آخر الألقاب والتعوت جميعها ، والدعاء ،  
 والتعريف « أمراء الطبّخانات والعشرات بطرابلس المحروسة ، أو بحماة ، أو بصفد ،  
 أو بغزة . قال : أما مملكتنا الشام وحلب ، فإنه لم تجر العادة بكتابة مطلق بولاية  
 نائبهما ، بل يكتب إلى أمير حاجب بتلك المملكة بإعلامه بذلك . وأما الكرك :  
 فإنه يكتب إلى وإلى القلعة به يشمل ذلك . وكذلك يكتب إلى الحاجب  
 بالإسكندرية مثل ذلك .

وهذان شيان يجب التنبيه لهما .

(١١)

أحدهما كل ما كان من ألقاب المطلقات بصيغة الجمع وهو  
 كأعضاء ، فإنه يجوز فيه الإفراد فيقال : فيه عَضُدٌ ، وهذا مما نبّه عليه في "التعريف"  
 في الكلام على المطلقات .

الثاني . قال في "التثقيف" : فإن قلت : لأى شيء يُذكر أسماء الولاية والنواب  
 والعربان وغيرهم في الصّخر بعد تمام التعوت وقبل الدعاء ، ولا تُكتب في صدر  
 المطلقات إلى الأمراء بالملك المتقدمة الذكر عند ولاية النائب بها أو غيره ؟

(١) يياض بالأصغر . ولعله هو في الأصل مصدر كأعضاء الخ كما تقدم مثله لزلف في الألقاب

فالجواب أن ذلك في صدر المثال الشريف هو التعريف الذي من عادته أن يكون في العُنوان ولا يُستغنى عنه فهو قائم مقامه ، حيث لأعنوان لذلك المطلق ، إنما هو بطرّة لا غير ، ولها عُنوانات ، والتعريف مذكورٌ فيها فلا حاجة إلى ذكره في الصدر . ثم قال : ومن الجماعة من يُنازع في ذلك ، ويدعى أن ذلك في الطرّة كافيٌ ومعينٌ عن ذكره في الصدر ، وقائمٌ مقام التعريف في العُنوان . ثم قال : وهو خطأ ، وليس بشيء . والأصح ما قلناه .

(١١) [الصنف] الرابع — قال في "التثقيف" : إذا كان المطلق في أمر يتعلق بالديار المصرية والبلاد الشامية ، تكون صورته « إلى الكُتّاف والوُلاة والنواب والشادّين والمتصرفين بالطُرقات المصرية والبلاد الشامية . وإن كان يتعلق بالبلاد الشامية خاصة ، أخصّص منه ذكر الطرقات المصرية » .

(١٢) [الصنف] الخامس — ذكر في "التعريف" أنه يقال في أعر المطلقات بعدد فليعلموا ذلك ويعتدّوه : « بعد انلحط الشريف » . قال في "التثقيف" ولعل هذا كان في الزمن الذي كان هو مباشرا فيه ، أما الآن فإنه لم تجر بذلك عادةً ، ولم يكتب ذلك في مطلق شريف مكبر ولا غيره أصلا .

(١٣) [الصنف] السادس — ذكر في "التثقيف" أنه رأى بخط القاضي ناصر الدين ابن النشائي أنه كتب مطلقا إلى المجاهدين بمصياف ؛ يعني السداوية صورته : « يعلم كل واقف على مثالنا هذا من المقدمين الأجلاء الغزاة المجاهدين المؤيدين الأتصار ، الأتابك فلان والأتابك فلان جماعة المجاهدين » ثم الدعاء .

(١) زدنا هذا لفظ توضيحا للقام وربما تقسم الكلام .

## الضرب الثاني

(من المطلقات، البرّالغ)

١١) بالياء الموحدة والراء المهملة والألف واللام والفاء المعجمة جمع برّالغ، وهي لفظة تركية معناها المرسوم، وعليها جرى عُرف كُتاب بلاد الشرق، وقيل أن تُكْتَب بالديار المصرية، ولذلك لم يتعرّض لها في "التعريف" ولا في "التتقيف": وهذه صورة برّالغ شريف رأيتها في تذكرة المَقْتَر الشهابي بن فضل الله في الجزء السادس والأربعين منها، بخط أخيه المَقْتَر العلافي بن فضل الله رحهما الله تعالى، كتب في الدولة الناصرية «محمد بن قلاوون». في عاشر شهر رجب القُود سنة تسع وعشرين وسبعائة لخمريفاً، الرسول الواصل إلى الديار المصرية، عن القان أبي سعيد صاحب مملكة إيران بالإكرام والمساحة بما يلزمه. وصورته في أول الدرج.

مشال شريف مطلق إلى كافة من يصل إليه، ويقف عليه، للجلس السامى الأميرى السيفى ترميقا الرسول، بالطرخانية، وتمكين أصحابه من التردد إلى المهالك الشريفة الإسلامية، وإكرام حاشيتهم وتسهيل مطالبهم، وسامعتهم في البيع والشراء بما طُلب من الحقوق على اختلافها، وتحذير من سيمع هذه المراسيم المطاعة ثم أقدم على خلافها. وبعد البسملة:

الحمد لله الذى بسط أيدينا الشريفة بالحدود، ونصّب أبوابنا الشريفة كعبة تهوى إليها أفئدة الوُؤود، وأطاب مَنَاهِلها لكافة الأمم لتنتابها في الصدور والورود.

نحمده على نعمه التى كَمْ بلغت راجياً ما يرجوه، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تبيض بها الوجوه، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذى تدب

(١) كتب بهامش الأصل ما نصه «لو لم يقبده بالياء الموحدة لكان أولى على ما لا يخفى» ومراده أنه بالبناء التحتية كما تقدم.

إلى مكارم الاخلاق بقوله : «إذا أناكم تَكرِيمُ قَوْمٍ فَأَكْرَمُوهُ» ؛ صلى الله عليه صلاةً  
تريد من يَقْرُنُ الثناء بها تَكرِماً ، ثم على آله وصحبه وسلّم تسليماً .

وبعد : فإنه لما حضر المجلس السامى الأميرى ، الأسفَهَسَلارى ، السَّيفى ،  
مجد الإسلام والمسلمين ، شرفُ الأمراء المقدمين ؛ ناصحُ الدولتين ، ثقةُ الملكتين ؛  
نفرُ الخواصِّ المقرَّبين ، عضدُ الملوك والسلاطين ؛ تحمُّلُ الرسول - أنجح اللهُ تعالى  
مساعيه ، وأوجبُ الرعاية لمن يُراعيه - إلى أبوابنا الشريفة ونورُ ولايته يَسْمَعُ بين يديه ،  
وإخلاصُ نيته يَظْهَرُ عليه ؛ بَلَّغَ إلينا ما أُرسل فيه عن الحضرة الشريفة العالمة ،  
السلطانية ، العالمة ، العادلة ، الشاهنشاهية ، الفانية ، الأوحديّة ، الولديّة ، العزيزيّة ،  
المعظميّة ، المَلِكِيّة ، العالنيّة ؛ أبى سعيد بهادر خان - زِيدَتْ عَظْمَتُهُ - وظهر  
لنا من كمالِ صِفاتِهِ ما رمى البدرُ التمامَ بِتَقْصِهِ ، ومن حسنِ تَأْتِيهِ فِي خِدْمَةِ مَنْ  
أرسله ما يُعْرَفُ به أنه أُرسل حكماً ولم يُوصَّه ؛ وَعَرَضَ على نظرنا الشريف البرغ  
الشريف المكتتب له عن الحضرة الشريفة ، السلطان الأعظم ، الولد العزيز المعظم ؛  
الملك بوسعيد ، أَعَزَّ اللهُ تعالى شأنه بالطَّرْحَانِيَّة ، وما نبهَ عليه من مكانته العلية ،  
ورَفَّه مطالبه من تأكيد الوصية ؛ ثم رَغِبَ إلينا في الكتابة على حُكْمِهِ إلى كافة الممالك ،  
وأن يُسَطَّرَ له منها صحائفُ حَسَنَاتِ تَقْضِي بِهَا الملوكُ وتَرْضَى بِهَا المَلَأِكُ ؛ فأَجْرَتْهُ  
مراحمنا الشريفة على كرمها المُعْتَاد ؛ وأجارتُه بِتَمَنُّنا الجزيلة وجاورته حيث سار  
من الأرض أو أقام من البلاد ؛ وأجابت صدقاتنا الشريفة بتحقيق المأمول ، وأكرمت  
كتابه بما يستحق أن يكرم به كتابُ الرُّسُول . ومرسومنا إلى كلِّ واقف عليه من  
النواب والولاة والشايدن والمتصرفين والمباشرين والمتحدثين وبقية الحكام أجمعين  
إلى كافة الممالك الشريفة الإسلامية شرقاً وغرباً ، وبُعداً وقرباً ؛ أيدهم الله بالتوفيق ،  
ويَسِّرْ لهم الطريق ، وجعل حُسنَ تلقِّيهم الوفودَ يأتي بهم من كلِّ مَجِّ عَمِيْق ؛ أن يُخبرنى

الأمير الكبير المقرب تمريرنا الرسول على مآلفه في أبوابنا الشريفة من كرم إكرامه ، وفارقنا عليه من توفير جانبه وتوفير احترامه ؛ ويُفَسِّحَ لِكُلِّ من يصل من جهته في التردد إلى هذه المسالك الشريفة ، والتردى بلباس النعم المُطِيفِ ؛ وأن تُضَاعَفَ له الإعانة والعناية ، والمراعاة والرعاية ؛ ولا يُطَلَبَ أحد منهم في البيع والشراء ، والأخذ والعطاء ، بشيء من المقررات الدبوانية ، والموجبات السلطانية ؛ ولا يُؤخَذُ منهم عليها شيء سواه كان قليلاً أو كثيراً ، جليلاً أو حقيراً ، ولا يتأوَّلُ عليهم أحدٌ في هذا المرسوم الشريف ، ولا يتعدى حكمه في تصرف ولا تصرف ؛ بل يقف كلُّ واقف عليه عنده ، ويعملُ به في اليوم وما بعده ، ويلحظُ منه على مَنْ خالفه سيقاً مسلولاً وعلى مَنْ تجاوز حدّه ؛ فنحن نحذّر ونشذّر من سطواتنا الشريفة من سمعه ثم زاع قلبه عنه ، أو مَنْ بلغه من لا يفهم مضمونه ثم لا يسأل عمّا هو فُرْبٌ حامل كلام إلى مَنْ هو أوعى منه ، فلتكن عيونهم له مُراعِيَةً ، ومسامعهم منصتة إلى سماعه بأذنٍ واعية ، والاعتقاد على الخطّ الشريف أعلاه الله تعالى وشرقه .

### المقصد الثالث

(من المكاتبات ، في أوراق الجواز وبطاق الحمام ، وفيه جملتان)

#### الجملة الأولى

(في أوراق الجواز)

وهي المعبر عنه في زماننا بأوراق الطريق . قال في "التشيف" : تكون ورقة الطريق في ثلاثة أوصال في قطع العادة ، يُكْتَبُ في أعلاها سطرٌ واحدٌ ، صورته : « ورقة طريق على يد فلان بن فلان القلاني » لاغير . ثم يُحْتَلَى بِتِ العلامه تقدير شهر ، ويكْتَبُ في بقية ذلك الوصل قبل الوصل الثاني بأربعة أصابع مطبوقه بغير

بسملة : « رُسم بالامر الشريف العالى المولوى السلطانى الملكى الفلانى - أعلاه  
الله تعالى وشرفه ، وأنفذه وصرفه - أن يمكن فلان الفلانى » . وتذكر ألقابه إن  
كان أميراً ، أو متعمداً كبيراً ، أو ممن له قدر ، أو له ألقاب معهودة أو غير ذلك بحسب  
ما يقتضيه الحال « من التوجه إلى جهة قصده والعود . ويحمل على فارس واحد  
أو أكثر من خيل البريد المنصور من مركز إلى مركز على العادة متوجهاً وعائداً »  
فإن كان متبذراً المقدار كُتب : « ويعامل بالأكرام والاحترام ، والرعاية الوافرة  
الأقسام ؛ فليتمتع ذلك ويعمل بحسبه ، من غير عُدول عنه بعد الخط الشريف  
أعلاه الله تعالى أعلاه » . قال : وما تقدم من كتابة أنه يمكن من التوجه والعود ،  
هو فيما إذا كان عائداً ورُسم بتكليفه من العود ، وإلا فيكتب « أن يمكن من  
التوجه إلى جهة قصده » . فإن كان قد حضر إلى الأبواب وهو عائداً ، فالأحسن  
أن يكتب فيه « أن يمكن من العود إلى جهة قصده » . وكذا « ويعامل بالإكرام  
والاحترام » لا يكتب إلا لأمر ، أو ذى قدر كبير . فإن كان غيره ، كتب [بد] له « مع  
الوصية به ورعايته » ونحو ذلك . وإن رسم له بنفقة ، كتب بعد ذكر خيل البريد :  
« ويصرف له من النفقة فى كل يوم كذا وكذا درهما » خلا الأماكن المرسوم  
باطمالها . وذلك أن بالطرفات أماكن لا يُصرف فيها شيء الآن ، فيحتاج إلى أن  
تُسنتنى ، وكانت قبل ذلك تُعين ، وهى : بلبس ، وطفيس ، وأربد وغيرها .  
ثم كثرت عن التعداد ، فصار يكتب كذلك . ثم قال : ومما ينبئ عليه أن صاحب  
ورقة الطريق إن كان من ممالك التواب أو رُسل أحد من أكابر البلاد ، ذكر  
فيه بعد ذكر ما يليق به من الألقاب : « فلان مملوك فلان أو رسول فلان » . وتذكر  
ألقاب مخدمومه التى كوتب بها اختصاراً . <sup>(١)</sup> والا تذكر نعوته على يد من رسم بنيه ،

(١) كذا فى الاصل ولعله ولا تذكر نعوته وعلى يد من ، وإن رسم بنيه كتب الخ تأمل .



كتب : « أن يَمَكِّنَ الأَمِيرُ فلانَ الدينَ فلانَ من التوجُّهِ صُحْبَةَ فلانَ البريديِّ بالأبوابِ الشريفةِ ، أو أحدِ النقباءِ ببابِ الشريفِ ليوصلَهُ إلى المَكَانِ الفلانيِّ ، ويحملُ على كذا وكذا فرساً من خيلِ البريدِ المنصورِ » إن كان قد رُسمَ له بشيءٍ من خيلِ البريدِ « ويحملُ البريديُّ على كذا من خيلِ البريدِ المنصورِ » أو « ويحملُ النقيبُ على فرسٍ واحدٍ من خيلِ الكِرَاءِ من ولايةِ إلى ولايةٍ على العادةِ في ذلك ، ويمكِّنُ البريديُّ إن كان بريدياً أو النقيبُ إن كان نقيباً من العودِ إلى البابِ الشريفِ » . ثم يكملُ بنسبةِ ما تقدم . وإذا فرغَ من صورتهِ ، كتبَ بعد ذلك « إن شاء اللهُ تعالى » ، ثم التاريخَ والمستندَ على العادةِ .

قال : في « التثقيفِ » : والمستندُ في أوراقِ الطريقِ أحدُ ثلاثةِ أمورٍ : إما خَطُّ كاتبِ السرِّ ، وهو الغالبُ . أو رسالةُ الدُّوَادَارِ ، وهو كثيرٌ أيضاً . أو إشارةُ نائبِ السلطانِ إن كانَ ثمَّ نائبٌ ، وهو نادرٌ . فإن كانَ بخطِّ كاتبِ السرِّ ، كُتِبَ على الهامشِ من الجانبِ الأيمنِ سَطْرٌ واحدٌ يكونُ آخرُهُ يقابلُ السَطْرَ الأوَّلَ الذي هو رُسمُ بالأمرِ الشريفِ ، وهو « حَسَبَ المرسومِ الشريفِ » . وكذا إن كانَ بإشارةِ النائبِ ، كُتِبَ سطرانِ على الهامشِ المذكورِ آخرهما أيضاً يقابلُ أوَّلَ السَطْرِ الأوَّلِ « بالإشارةِ العليةِ » كما تقدَّم في الكلامِ على المستنداتِ في المقالةِ الثانيةِ . قال : وفي هاتينِ لأيمكتينِ في ذيلهما بعد التاريخِ سيوئُ الحَسْبِلَةَ لاغيرَ . وإن كانَ برسالةِ الدُّوَادَارِ ، كتبَ على الهامشِ « حَسَبَ المرسومِ الشريفِ » فقط ، وكُتِبَ تحتَ التاريخِ سطرانِ هما « رسالةُ المجلسِ العالیِ الأُميرِيِّ الفلانيِّ فلانِ الدُّوَادَارِ المنصوريِّ أدام اللهُ تعالى نعمتهِ » ، ثم الحَسْبِلَةَ .

(١) موابه الثالثة . والذي تقدم في ج ٦ ص ٢٦٤ « فيكتب » — بالاشارة العلية الأُميرية الكبيرة الكافية ، كقول المصنف تشريفه الإسلامية أعلاها اللهُ تعالى — سطرانِ ويكونُ آخرُ السَطْرِ الأوَّلِ الكافية الفلانية .

## الجملة الثانية

( في نُسَخ البطائق ، وهي على ضربين )

## الضرب الأول

( أن تكون الإشارة بعلامة شريفة )

قال في "التشفيف" : وتكون نحو ثلثي وصل من ورق البطائق . قال : وصورتها أن يكتب في رأس الورق المذكور في الوسط سواء « الأسم الشريف » وتحتّه مُلصّقا به من غير بياض سطرٌ واحدٌ كامل من يمين الورق بغير هامش بما يأتي ذكره . ثم يُجلى بيتُ العلامة تقديرَ أربعة أصابع مطبوعة ، ثم تُكتبُ نعمةُ الكلام أسطرا متلاصقة بنسبة الأول ، بغير هامش أصلا إلى آخره . والذي يكتب من يمين الورق . « الله الهادي . سرح الطائر الميمون ورفيقه ، هداها الله تعالى في الساعة الفلانية من اليوم الفلاني من الشهر الفلاني من سنة كذا وكذا ، إلى المجلس الكريم ، أو السامي ، الأمير فلان وإلى فلانة ، أو نحو ذلك ، يُعلمه أن الأمر كذا وكذا . ومرسومنا له أن يتقدم بكذا وكذا ، فليعلم ذلك ويعتمده ، والله الموفق بمنه وكرمه إن شاء الله تعالى ، حسبنا الله ونعم الوكيل » . والمستند لها « حسب المرسوم الشريف » .

## الضرب الثاني

( أن تكون بغير علامة )

وصورتها أن يكتب في رأس الورقة في الوسط موضع الأسم : « الله الهادي بكرمه » ، والأسطر متلاصقة بغير هامش ، ولا يُجلى فيها بيتُ علامة . وصورة

ما يكتب فيها : «المرسوم بالأمر الشريف ، العالى ، المولوى ، السلطانى ، العلى ،  
 الفلانى ، الفلانى ، أعلاه الله تعالى وصرّفه - أن يصرّح هذا الطائر الميمون ورفيقه ،  
 هداهما الله تعالى في وقت كذا وكذا» . ويكفل على حسب ما تقدم «والله الموفق ،  
 حسب المرسوم الشريف ، إن شاء الله تعالى» . قال في «التقيف» : وقد يقتضى  
 الحال نقلها من مكان إلى مكان آخر ، مثل أن تنقل من بليس إلى قطيا ، فيكتب بعد  
 ذكر المرسوم به : «ويتقدم بنقل هذه البطاقة إلى فلان الفلانى ليعتمد مضمونها  
 ويعمل بحسبها» . فإن كانت منقولة إلى مكان ثالث ، كتب بعد ذلك : «ثم ينقلها  
 إلى فلان ليعتمد مضمونها أيضا ويعمل بمتنضائها فيعلم ذلك ويعتمده» . والتتمة  
 حسب ما تقدم .

### الطرف الثالث

(في المكاتبات إلى عظماء ملوك الإسلام ، ومن أنطوت عليه ممالكهم من دونهم  
 من الملوك والحكام المنفردين ببعض البلدان ، والأمراء والوزراء وسائر  
 من صمته نطاق كل مملكة من تلك الممالك ، ممن جرت العادة بمكاتبتهم  
 عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية ، ممن هو مستمر المكاتبه  
 أو زالت مكاتبته بزواله : يُقاس عليه من لعله يظهر مظهره)

وأعلم أن كتّاب الديار المصرية يرأعون في المكاتبه إلى كل مملكة صورة المكاتبه  
 الواردة عن تلك المملكة في غالب حالها : في الإبتداء والخطاب والاختتام وغير ذلك .

وفيه أربعة مقاصد :

## المقصود الأول

( في المكاتبات إلى عطاء ملوك الشرق، ومن أنطوت عليه كل مملكة من ممالكهم، ممن جرت العادة بمكاتبته، وفيه أربعة مهاييع )

## المهييع الأول

( في المكتبة إلى الملوك والحكام، ومن جرى تجراهم بمملكة إيران، وهي مملكة الأكاسرة الصائرة إلى بيت هولانكو من بني جنكرخان )

وقد تقدم في المقالة الثالثة في الكلام على المسالك والممالك ذكر حدود هذه المملكة وقواعدها ومدنها، وإلى من تنسب، ومن ملكها جاهلية وإسلاما إلى زماننا. والمقصود هنا ذكر المكاتبات فقط؛ ويشتمل المقصود منها على ثلاث مجمل.

## الجملة الأولى

( في رسم المكتبة إلى قائمها الأعظم الجامع لحدودها، على ما كان الأمر عليه من مبدأ ملك بيت هولانكو وإلى آخر دولة أبي سعيد، وله حالتان )

الجملة الأولى — ما كان الأمر عليه في رسم المكتبة في أوائل الدولة التركية، والعداوة بمدقائمة بين ملوك الديار المصرية وبين ملوكها. وفيه أسلوبان

الأسلوب الأول — أن يكتب تحت البسملة من الجانب الأيمن «بقوة الله تعالى» ويكون «بقوة الله» سطرًا و«تعالى» سطرًا، ثم يكتب من الجانب الأيسر: «بإقبال دولة السلطان الملك الفلاني». ويكون «بإقبال دولة» سطرًا، و«بإقبال» سطرًا. ثم يكتب تحت ذلك «كلام فلان» سطرًا ثانيًا «إلى السلطان فلان سطرًا ثالثًا». ثم يؤتى بتعددية وخطبة، ويؤتى بالمقصود.

وطريقهم فيه على التكلّم عن لسان صاحب مصر بنون الجمع ، والخطاب لسلطان إيران بجم الجمع الغائب ، مضاهاة لمكانتهم الواردة عنهم في جميع ذلك .

وهذه نسخة كتاب ، كُتِبَ به عن السلطان الملك المنصور قلاوون ، صاحب الديار المصرية ، في جواب كتاب ورد عن السلطان أحمد القان بيران في زمانه . يذكر فيه أنه أسلم ، إذ كان أول من أسلم من ملوكهم ، ويذكر فيه أن أخاه الكبير كان قد عزم على دخول ممالك الديار المصرية قبل موته ، وأنه منع ذلك ، وأنه لا يجب المسارعة إلى القتال ، وأن المشير بذلك الشيخ عبد الرحمن : أحد صلحاء بلادهم ، وأنه حرم على عساكره الغارات على البلاد ، وتعرض فيه إلى أمر الجواسيس ، وأشار إلى أن الاتفاق فيه صلاح العالم ، وأشار إلى أشياء حملها رأسه يدكرونها مشافهة ، ووقع الجواب عن جميع ذلك على ما سيأتي ذكره في الكتب الواردة على الديار المصرية . وكُتِبَ بخط ناصر الدين شافع بن علي بن عباس : أحد كتّاب الإنشاء ، في رمضان سنة إحدى وثمانين وستمائة . والتكلّم بنون الجمع ، والخطاب بالجمع الغائب كما تقدم في الأسلوب الأول ، وهي :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

باقبال دولة  
السلطان الملك المنصور

بقوة الله  
تعالى

كلام قلاوون

إلى السلطان أحمد

أما بعد حمد الله الذي أوصح بنا ولنا الحق منهاجا ، وجاء بقاء نصر الله والفتح ودخل الناس في دين الله أفواجا ، والصلاة على سيدنا ونبينا محمد الذي فضله الله

على كلِّ نبيٍّ نبيٍّ به أمته وعلى كلِّ نبيٍّ ناجيا، صلاةٌ تُبَدَّلُ مادَّبًا ، فقد وصل الكتابُ الكريمُ ، المتلقَّى بالتكريم ، المشتملُ على النَّبِيِّ العَظِيمِ ، من دُخُولِهِ فِي الدِّينِ ، وَخُرُوجِهِ عَمَّنْ سَلَفَ مِنَ العَشِيرَةِ الأَقْرَبِينَ ، ولَمَّا نُفِّحْ هَذَا الكِتَابَ بِهَذَا الخَبَرِ العَظِيمِ المُعْرِ ، والحديثِ الذي صَحَّحَ عِنْدَ أَهْلِ الإِسْلَامِ إِسْلَامَهُ وَأَصَحَّ الحَدِيثَ مَارُويَ عَنِ مُسْلِمٍ ، تَوَجَّهَتْ الوُجُوهُ بالدعاءِ إِلَى اللهِ سُبْحَانَهُ فِي أَنْ يُثَبِّتَهُ عَلَى ذَلِكَ بالقولِ الثَّابِتِ ، وَأَنْ يُنَيِّتَ حَبَّ حُبِّ هَذَا الدِّينِ فِي قَلْبِهِ كَمَا أَنْبَتَ أَحْسَنَ الثَّبَتِ مِنْ أَحْسَنِ المَنَابِتِ ، وَحَصَلَ التَّأَمُّلُ لِلْفَصْلِ المَبْتَدِئِ بِذِكْرِهِ مِنْ حَدِيثِ إِخْلَاصِهِ فِي أَوَّلِ عُنُقُونِ الصَّبَا إِلَى الإِفْرَارِ بِالوَحْدَانِيَةِ ، وَدُخُولِهِ فِي المِلَّةِ المَحْمُودِيَةِ ، بالقولِ والعملِ والنَّيِّبِ ، فَالْحَدَّثَهُ عَلَى أَنْ شَرَحَ صَدْرَهُ للإِسْلَامِ ، وَأَلْهَمَهُ شَرِيفَ هَذَا الإِلْهَامِ ، فَحَمِدْنَا اللهُ عَلَى أَنْ جَعَلْنَا مِنَ السَّابِقِينَ إِلَى هَذَا المَقَالِ والمَقَامِ ، وَثَبَّتَ أَقْدَامَنَا فِي كُلِّ مَوْقِفٍ أَحْتِجَادٍ وَجِهَادٍ تَتَرَلُّزُ دُونَهُ الأَقْدَامُ .

وَأَمَّا إِفْضَاءُ التَّوْبَةِ فِي المُلْكِ وَمِيرَاثُهُ بَعْدَ وَالدِّهِ وَأَخِيهِ الكَبِيرِ إِلَيْهِ ، وَإِفْضَاءُ جَلَابِيبِ هَذِهِ المَعْمَةِ العَظِيمَةِ عَلَيْهِ ، وَتَوَقُّفُهُ لِنَاسِرَةِ التِّي طَهَّرَهَا اللهُ بِإِيْمَانِهِ ، وَأَظْهَرَهَا بِسُلْطَانِهِ ، فَفَقَدَ أَوْرَثَهَا اللهُ مَنْ أَصْطَفَاهُ مِنْ عِبَادِهِ ، وَصَدَّقَ المَبْشُرَاتِ مِنْ كَرَامَةِ أَوْلِيَاءِ اللهِ وَعِبَادِهِ .

وَأَمَّا حِكَايَةُ الإِخْوَانِ والأَمْرَاءِ الكِبَارِ وَمَقْدِمِي العَسَاكِرِ وَرُؤَسَاءِ البِلَادِ فِي مَجْمَعِ فُورِيَلِيَسَايِ الَّذِي يَنْقَدِحُ فِيهِ زَنْدُ الأَرَاءِ ، وَأَنْ كَلِمَتُهُمْ آتَفَقَتْ عَلَى مَا سَبَقَتْ بِهِ كَلِمَةُ أَخِيهِ الكَبِيرِ فِي إِنفَاذِ العَسَاكِرِ إِلَى هَذَا الجَانِبِ ، وَأَنَّهُ قَدْ فَكَّرَ فِيمَا أَجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ آرَائُهُمْ ، وَأَتَمَّتْ إِلَيْهِ أَهْوَاؤُهُمْ ، فَوَجَدَهُ مُخَالَفًا لِمَا فِي ضَمِيرِهِ : إِذْ قَصَدَهُ الصَّلَاحُ ، وَرَأْيُهُ الإِصْلَاحُ ، وَأَنَّهُ أَطْفَأَ تِلْكَ النَّارَ ، وَسَكَّنَ تِلْكَ النَّارَ ، فَهَذَا فِعْلُ المَلِكِ المُنْتَقِي ، المُشْفِقِ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى مَنْ بَقِيَ ، المَفْكَرِ فِي العَوَاقِبِ ، بِالرَّأْيِ النَّاقِبِ ، وَإِلَّا فَلَوْ تَرَكُوا

وآراءهم حتى تحملهم العترة ، لكأن تكون هذه هي الكربة ؛ لكن هو كمن خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى ، فلم يوافق قول من ضل ولا فعل من عوى .

وأما القول منه إنه لا يجب المسارعة ، إلى المقارعة ؛ إلا بعد إيضاح الحجج ، وتركيب الحجج ، فبانتظامه في سلك الإيمان صارت حججنا وحججه مترتبة ، على من غدت طواعيته عن سلوك هذه الحجج متنبه ؛ فإن الله سبحانه وتعالى والناس كافة قد علموا أن قيامنا إنما هو لشصرة هذه الملة ، وجهادنا واجتهادنا إنما هو لله ، وحيث قد دخل معنا في الدين هذا الدخول ، فقد ذهب الاحتقار وزالت الدخول ؛ وبارتفاع المنافرة ، تحصل المظافرة ؛ فالإيمان كالبنيان يسد بعضه ببعض ، ومن أقام مناره فله أهل بأهل في كل مكان وجيران يجيران بكل أرض .

وأما ترتيب هذه الفوائد الجملة على إذكار شيخ الإسلام قدوة العارفين كمال الدين عبد الرحمن ، أعاد الله تعالى من بركاته ، فلم يرأوى قبله كرامة كهذه الكرامة ، والرجاء ببركته وبركة الصالحين أن تصبح كل دار إسلام دار إقامة ؛ حتى تتم شرائط الإيمان ، ويعود تمثل الإسلام مجتمعاً كأحسن ما كان ؛ ولا ينكر لمن بكرامته ابتداء هذا التمكن في الوجود ، أن كل حق يبركه إلى نصابه يعود .

وأما إنفاذ أقصى القضاة قطب الملة والدين ، والأنايب بهاء الدين ، الموثوق بنقلهما في إبلاغ رسائل هذه البلاغة ، فقد حضراً وأعادا كل قول حسن من أحوال أحواله ، وخطرات خاطره ، ومسطرات ناظره ؛ ومن كل ما يسكر ويحسد ، ويعتق حديثهما فيه عن مسند أحمد .

وأما الإشارة إلى أن النفوس إن كانت تتطلع في إقامة دليل ، تستحکم [به] دواعي الود الجميل ، فيلنظر إلى مآظهر من مآثره ، في موارد الأمر ومصادره : من العدل

والإحسان، بالقلب واللسان، والتقدم بإصلاح الأوقات ، فهذه صفات من يريد  
 لملكه الدوام ، فلما ملك عدل، ولم يلتفت إلى أوم من عدا ولا لوم من عدل . على  
 أنها وإن كانت من الأفعال الحسنه ، والمثوبات التي تستتقى بالدعاء الأئسنه ؛  
 فهي واجبات تؤدى ، وهو أكبر من أنه يؤخر غيره أو عليه يقتصر ، أوله ينجر ؛  
 إنما يفتخر الملك العظيم بأن يعطى ممالك وأقاليم وحُصون ، أو يبذل في تشييد  
 ملكه أمر مصون .

وأما تحريمه على العساكر والقراغولات والشعاني بالأطراف التعرض إلى أحد  
 بالأذى ، و [تحميم] إصفاء موارد الواردين والصادرين من القذى ؛ فمن حين بلغنا تقدمه  
 بذلك تقدمنا أيضا بمثله إلى سائر التواب ، بالرغبة وحلب وعيتاب ؛ وتقدمنا إلى  
 مقدم العساكر بأطراف تلك الممالك ، يمثل ذلك ؛ وإذا آتجد الإيمان ، وأعقدت  
 الإيمان ؛ تحتم إحكام هذه الأحكام ، وترتب عليه جميع الأحكام .

وأما الجاسوس الفقير الذى أمسك وأطلق وأن بسبب من تزيًا من الجواسيس  
 بزى الفقراء قُتل جماعة من الفقراء الصلحاء رجحا بالظن ، فهذا باب من ذلك  
 الجانب ستره ، وإلى الأطلاع على الأمور صوروه ؛ فظفر التواب منهم بجماعة فرفع  
 عنهم السيف ، ولم يكشف ما عطفه خرقة الفقر ولا كيف .

وأما الإشارة إلى أن فى اتفاق الكلمة يكون صلاح العالم ، وينتظم شمل بنى آدم ؛  
 فلا راد لمن طرقت باب الأتجاد ، ومن جبح للسلم فما جار ولا حاد ؛ ومن نعى عتانه  
 عن المكافهه ، كمن يريد المصالحه للصلح ؛ والصلح وإن كان سيد الأحكام فلا بد  
 من أمور نئينا عليها قواعد ، وتعلم من مدلوها فوائده ؛ فإن الأمور المسطورة فى كتابه  
 عن كليات لازمة ينعم بها كل معنى معلوم إن تبا صلح أولم ، وتم أمور لا بد أن تحكم ،  
 وفى سلكها عقود العهود تنظم ؛ قد تحلها لسان المشافهة التى إذا أوردت أقبلت



من معنى دخوله في الدين ، وانتظام عقده بسلك المؤمنين ؛ وما بسطه من عدل وإحسان ، وسيرة مشهورة بكل لسان ، فالمنة لله في ذلك فلا يشيها منه بأمتان ؛ وقد أنزل الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم في حق من آمن بإسلامه :  
 ﴿ قُلْ لَا تَمْتَنُوا عَلَىٰ إِسْلَامِكُمْ بِاللَّهِ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ ﴾ .

ومن المشافهة أنه قد أعطاه الله من العطاء ما أغناه به عن امتداد الطرف إلى ما في يده غيره من أرض ومال ، فإن حصلت الرغبة في الاتفاق على ذلك فالأمن حاصل ؛ فالجواب أن ثم أموراً متى حصلت عليها الموافقة ، تمت المصاحبة والمصادقة ؛ ورأى الله تعالى والناس كيف يكون إذلال معادينا ، وإعزاز مصادينا ؛ فكم من صاحب وجد حيث لا يوجد الأب والأخ والقرابه . وما تم أمر الدين المحمدي وأستحكم في صدر الإسلام إلا بمظاهرة الصحابه ؛ فإن كانت له رغبة مصروفة إلى الاتحاد ، وحسن الوداد ، وجميل الاعتضاد ، وكبت الأعداء والأضداد ، والاستناد إلى من يستند به الأزر عند الاستناد ، فقد فهم المراد .

ومن المشافهة إذا كانت رغبتنا غير ممتدة إلى ما في يده من أرض ومال ، فلا حاجة إلى إنقاذ المغيرين الذين يؤذون المسلمين بغير فائدة تعود ؛ فالجواب أنه لو كُفَّ كُفَّ العنوان من هناك ، وحُطِّلَ لملوك المسلمين ما لهم من ممالك ؛ سَكِنَتِ الدِّهْمَاءُ ، وَحُقِنَتِ الدِّمَاءُ ؛ وما أحقّه بأن لا ينهى عن خلق ويأتى مثله ، ولا يأمر بشيء وينسى فعله ؛ وقنصر طاب بالرؤم الآن ، وبين بلاد في أيديكم خراجها يُنْحَىٰ إِلَيْكُمْ ، فقد سَفَكَ فِيهَا وَقْتَكُمْ ، وَسَبَىٰ وَهَتَكَ ؛ وباع الأحرار . وأبى إلا التماسي على ذلك والإصرار .

ومن المشافهة أنه إن حصل التصميم على أن لا تبطل هذه الإغارات ، ولا يقتصر عن هذه الإنارات ؛ فتعين مكانا يكون فيه اللقاء ، ويُعطى الله النصر لمن يشاء ؛

فالجواب عن ذلك أن الأماكن التي اتَّفَقَ فيها ملتقى الجمعين مرّةً ومرّةً ومرّةً قد عافَ مواردُها من سلف من أولئك القوم ، وخاف أن يعاودها فيعاوده مُصرِّعُ ذلك اليوم ؛ ووقَّتُ اللقاءَ علمه عند الله لا يُقدَّرُ ، وما النصر إلا من عند الله لمن أقدرَ لا لمن قدر ؛ وما نحن ممن ينتظرُ قلته ، ولا نؤمن له إلى غير ذلك لفتنه ، وما أمرُ ساعةِ النصر إلا كالساعة التي لا تأتي إلا بفتنه ؛ والله تعالى الموفِّق لما فيه صلاحُ هذه الأمة ، والقادر على إتمام كلِّ خير ونعمه ؛ إن شاء الله تعالى . مُسْتَهْلٌ شهر رمضان المعظم قدره ، سنة إحدى وثمانين وستمائة . الحمد لله وحده ، وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه . حسبنا الله ونعم الوكيل .

### الأسلوب الثاني

( أن يُكْتَبَ نَحْتِ البِسْمِلةِ على حِيَالِ وَسَطِهَا « بِقُوَّةِ الله تعالى  
وَمِيَامِينِ المِلةِ المِحمديةِ » )

ويكون « بقوة الله تعالى » سطرا . و « ميامين الملة المحمدية » سطرا ثانيا . ثم يؤتى بعديةً وخطبةً مختصرةً ؛ ثم يُكْتَبُ سطران بياض من الجالنين ، فيهما : « بإقبال دولة السلطان الملك الفلاني ، كلام فلان بن فلان » . ويكون السطر الأول « بإقبال دولة السلطان الملك » وبقاى الكلام فى السطر الثانى . ثم يقال : « فليقلّم السلطان فلان » . ويؤتى على المقصود إلى آخره .

وهذه نسخة كتاب من إنشاء القاضي علاء الدين على بن فتح الدين محمد بن محيي الدين بن عبد الظاهر ، صاحب ديوان الإنشاء بالديار المصرية فى جواب كتاب ورد عن السلطان محمود غازان ، القان بملكة إيران ، يذكر فيه أن جماعة من عساكر البلاد الشامية أغاروا على ماريدين ، وأن الحمية اقتضت الركب فى مقابلة

ذلك . وذكر أنه قدّم الرُّسُلَ بالإِنْذار . ويذكر فيه أنهم صَبَرُوا علىِ عَمادِهِمْ في غَيْبِهِمْ ؛  
ويذكر فيه نُصْرَتَهُ علىِ العساكرِ الإسلاميّةِ في المرّةِ السَّابِقَةِ . ويذكر فيه أنه أقام  
بِاطْرافِ البلادِ ، ولم يَدْخُلْهَا خَوْفَ التَّخْريبِ والفسادِ ، ويذكر فيه جمعَ العساكرِ  
وتَهْيِئَةَ المَجَانِقِ وغيرِ ذلك من آلةِ القتالِ . ويذكر أنه إذا لم تَجْرِ مَوْجِبَاتُ الصِّلَحِ  
كانتْ دماءُ المُسلمينِ مَطْلُولَةً ؛ ويذكر إرسالَ رُسُلِهِ بكتابِهِ ، ويَلتمسُ التَّحَفَ والفَدَايَا ،  
مما كُتِبَ بهِ عن السلطانِ الملكِ الناصرِ محمدِ بنِ قلاوونَ ، في المحرمِ سنةِ إحدى  
وسمائةٍ وهي :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِقُوَّةِ اللَّهِ تَعَالَى

وَمِيَامِنِ الْمَلَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ

أما بعد حمد الله الذي جعلنا من السابقين الأولين ، الهادين المهتدين ، التابعين  
لِسُنَّةِ سيد المرسلين ، بإحسانٍ إلى يوم الدين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد  
وعلى آله وصحبه الذين فَضَّلَ اللهُ مَنْ سَبَقَ مِنْهُمْ إلى الإيمانِ في كتابهِ المَكْتُوبِ . فقال  
سبحانه وتعالى : ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴾ .

بِاقْبَالِ دَوْلَةِ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ

الناصرِ كَلَامِ مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ .

فَلْيَعْلَمِ السُّلْطَانُ الْمُعَظَّمُ مُحَمَّدُ غَازَانُ أَنَّ كِتَابَهُ وَرَدَ ، فَقَابَلَنَا بِمَا يَلِيْقُ بِثَنَانِ لِمَثَلِهِ  
من الإكرامِ ، وَرَعَيْنَا لَهُ حَقَّ الْقَصْدِ فَتَقَبَّلْنَاهُ بِمَا بِسَلَامٍ ؛ وَتَأَمَّلْنَا بِتَأَمُّلِ الْمُتَنَبِّهِينَ  
لِدَقَائِقِهِ ، الْمُسْتَكْشَفِ عَنْ حَقَائِقِهِ ؛ فَالْفِينَاهُ قَدْ تَضَمَّنَ مُؤَاخَذَاتِ بِأُمُورِهِمُ بِالْمُؤَاخَذَةِ

عليها أخرى، معتذرا في التعدي بما جعله ذنوبا لبعض طالب بها الكل، والله تعالى يقول: **(وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ)** .

أما حديث من أشار على ماردين من رجاله بلادنا المتطرفة وما نسبوه إليهم من الأمور البديعة، والآثام الشنيعة؛ وقولهم: إنهم أنفوا من تهجمهم، وغاروا من تهجمهم؛ وأقتضت الحمية ركونهم في مقابلة ذلك، فقد تلمحنا هذه الصورة التي أقاموها عذرا في المدون، وجعلوها سببا إلى ما ارتكبه من طغيان؛ والجواب عن ذلك أن الغارات من الطرفين [و]لم يحصل من المهادنة والمواذعة ما يكف يدنا المنتهدة، ولا يقتر همهما المستعده؛ وقد كان أبائكم وأجدادكم على ما علمتم من الكفر والشقاق، وعدم المصافاة للإسلام والوفاق؛ ولم يزل ملك ماردين ورعيته متفدين ما يصدر من الأذى للبلاد والعباد عنهم، متولين كبر تكبرهم؛ والله تعالى يقول: **(وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ)** . وحيث جعلتم هذا ذنبا للحمية الجاهلية، وحاملا على الانتصار الذي زعمتم أن همتكم به عليه؛ فقد كان هذا القصد الذي ادعيتموه يتم بالانتقام من أهل تلك الأطراف التي أوجب ذلك فعلها، والاقتصار على أخذ النار من نار، أتباعا لقوله تعالى: **(وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا)** لأن تقصيدوا الإسلام بالجموع الملققة على اختلاف الأديان، وتطشوا اليقاع الطاهرة بعبدة الصلبيان؛ وتنهكوا حرمة البيت المقدس الذي هو ثاني بيت الله الحرام، وشقيق مسجد رسول الله عليه الصلاة والسلام؛ وإن احتججتم بأن زمام تلك الغارة بيدنا، وسبب تعديهم من سُنننا؛ فقد أوضحنا الجواب عن ذلك؛ وأن عدم الصلح والمواذعة أوجب سلوك هذه المسالك .

وأما ما ادعوه من سلوك سنن المرسلين، واقتفاء آثار المتقدمين، في إنفاذ الرسل أولا، فقد تلمحنا هذه الصورة، وفهمنا ما أوردوه من الآيات المسطورة؛ والجواب

عن ذلك أن هؤلاء الرُّسُلَ ما وصلوا إلينا إلا وقد دنت الحيام من الحيام، وناضلت السهام السهام، وشارف القوم القوم، ولم يبق للقاء إلا يوم أو بعض يوم، وأُشِرعت الأيسنة من الجائنين، ورأى كل خصمه رأى العين، وما نحن من لاحت له رغبة راعب فنشغل عنها، ولا من يسالم فيقابل ذلك يحقوة النفار، والله تعالى يقول : ﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ مَآءً ﴾ . كيف والكتاب بعنوانه ! وأمر المؤمنين على بن أبي طالب رضى الله عنه يقول : « ما أضمر إنسان شيئاً إلا ظهر في صفحات وجهه وفتات إسنائه » . ولو كان حضور هؤلاء الرُّسُلَ والسيوف وأدعة في أعمادها، والأيسنة مستكنة في أعوادها، والسهام غير موقوفة، والأعنة غير مطلقه، لسمعنا خطابهم، وأعدنا جوابهم .

وأما ما أطلقوا به لسان قلمهم، وأبدوه من غليظ كتابهم، في قولهم : فصبرنا على تمادركم في غيبكم، وإخلاقكم إلى بغيكم؛ فأنى صبر من أرسل عيناه إلى المكلفه، قبل إرسال رُسل المصالحه، وجاس خلال الديار، قبل ما زعمه من الإعدار والإندار؟ وإذا فكروا في هذه الأسباب، ونظروا ما صدر عنهم من خطاب، علموا العذر في تأخير الجواب، وما يتدكر إلا أولوا الألباب .

وأما ما تجحوا به مما اعتقدوه من نصره، وظنوه من أن الله جعل لهم على حربه الغالب في كل كرة الكره؛ فلو تأملوا ما صنوه ربنا لوجدوه هو الخسران المبين، ولو أنهم النظر في ذلك لما كانوا به مفتخرين، ولتحققوا أن الذى أتنق لهم كان عُمرًا لا غناء، وتدبروا معنى قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا تُحْمِلُ لَهُمْ زِينَتَهُمْ أَنَا ﴾ . ولم يخف عنهم ما نالته السيوف الإسلامية منهم، وقد رأوا عزم من حضر من عساكرنا التي لو كانت مجتمعة عند اللقاء، مظهر خبر عنهم؛ لانا كفاً في مفتتح ملكنا، ومبتداً أمرنا؛ حالنا بالشام للنظر في أمور البلاد والعباد، فلما تحققنا خبركم، وفققونا أمركم؛

بأذننا فقد أديم الأرض سيرا، وأسرعنا لندفع عن المسلمين ضررا وضيرا، وتؤدي من الجهاد السنة والقرض، ونعمل بقوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾. فانفق اللقاء بين حضر من عاكرنا المنصوره، وتوقا بقوله تعالى: ﴿لَكُمْ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٌ غَلَبَتْ فِتْنَةٌ كَثِيرَةٌ﴾. وإلا فأكبركم يعلمون وقائع الجيوش الإسلامية التي كم وطئت موطننا يغيظ الكفار فكتب لها عمل صالح، وسارت في سبيل الله ففتح عليها أبواب المناجح، وتعددت أيام نصرتها التي لو دققتم الفكر فيها لازالت ماحصل عندكم من لبس، ولما قدرتم أن تشكروها وفي تمب من ينكر ضوء الشمس، وما زال الله يتم المولى ونعم النصير، وإذا راجعتموهم قصوا عليكم نبال الاستظهار ولا يثبتك مثل خير، وما زالت تنفق الوقائع بين الملوك والحروب، وتجرى المواقف التي هي بتقدير الله فلا فخر فيها للغالب ولا عار على المغلوب، وكم من ملك استظهر عليه ثم نصر، وعاوده التأييد فحبر بعد ما كبر، خصوصا ملوك هذا الدين، فإن الله تعالى تكفل لهم بحسن العقبى فقال تعالى: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقِينَ﴾.

وأما إقامتهم الحجة علينا، ونسبتهم التفریط إلينا، في كوننا لم نسير إليهم رسولا عند ما حلوا بدمشق، فتحن عند ما وصلنا إلى الديار المصرية لم يزد على أن آعدتنا وجمعنا جيوشنا من كل مكان، وهدلنا في الاستعداد غاية الجهد والإمكان، وأنفقنا جزيل الأموال في العساكر والمخافل، ووقفنا بحسن الخلف لقوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ﴾. ولما خرجنا من الديار المصرية، بلغنا خروج الملك من البلاد، لأمر حال بينه وبين المراد، فتوقفنا عن المسير توقف من أغنى رعبه عن حث الركاب، وتنبأنا ثبتت الراسيات ﴿وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب﴾. وبعنا طائفة من العساكر

لمقاتلة من أقام بالبلاد فما لاح لنا منهم بارق ولا ظهر ، وتقدمت فنخطفت من حملة على التائر الغرر ، ووصلت إلى الفرات فما وقفت للقوم على أثر .

وأما قولهم : إننا ألقينا في قلوب العساكر والعوام أنهم فيما بعد يتلقونا على حلب أو الفرات ، وأنهم جمعوا العساكر ورحلوا إلى الفرات وإلى حلب مرتقين ، فالجواب عن ذلك أنهم من حين بلغنا حركتهم بحزمنا ، وعلى لغاتهم عزمنا ، وخرجنا ونخرج أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله ابن عم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الواجب الطاعة على كل مسلم ، المفترض المبايعة والمناجعة على كل منازع ومسلم ، طائعين لله ولرسوله في أداء مقرر الجهاد ، باذلين في القيام بما أمرنا الله تعالى غاية الاجتهاد ، عالين بأنه لا يتم أمر دين ولا دنيا إلا بمشايسته ، ومن والاه فقد حفظه الله تعالى وتولاه ، ومن عانده أو عاند من أقامه فقد أذله الله ، فحين وصلنا إلى البلاد الشامية تقدمت عساكرنا تملأ السهل والجبل . وتبلغ بقوة الله تعالى في النصر الرجاء والأمل ، ووصلت أوائلها إلى أطراف حماة وتلك النواحي فلم يقدم أحد منهم عليها ، ولا جسر أن يمدح حتى ولا الطرף إليها فلم نزل مقيمين حتى بلغنا رجوع الملك إلى البلاد ، وإخلافه موعد اللقاء والله لا يخلف الميعاد ، فعدنا لاستعداد جيوشنا التي لم تزل تتدفع في طاعتنا أندفاع السيل ، عالين بقوله تعالى لا وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل .

وأما ما جعلوه عذرا في الإقامة بأطراف البلاد وعدم الإقدام عليها ، وأنهم لو فعلوا ذلك ودخلوا جيوشهم ربما أحرب البلاد مرورها ، وبإقامتهم فسدت أمورها ، فقد فهم هذا المقصود . متى ألقت العباد والبلاد منهم هذا الإشفاق ؟ ومتى اتصفت جيوشهم بهذه الأخلاق ؟ وها أنارهم موجودة على ملك آل سلجوق وما تعرضوا

لدارٍ ولا جارٍ ، ولا عَفْوًا أَثْرًا مِنَ الْآثَارِ ؛ وَلَا حَصَلَ لِمُسْلِمٍ مِنْهُمْ ضَرَرٌ ، وَلَا أَوْذَى فِي وِرْدٍ وَلَا صَدْرٍ ، وَكَانَ أَحَدُهُمْ يَشْتَرِي قُوَّتَهُ بِدِرْهَمِهِ وَدِينَارِهِ ، وَبِأَبِي أَنْ تَمْتَدَّ إِلَى أَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يُدْأِرُ ضَرَارَهُ ؛ هَذِهِ سُنَّةُ أَهْلِ الْإِسْلَامِ ، وَفَعُلُ مَنْ يُرِيدُ الْمَلِكَةَ الدَّوَامَ .

وأما ما أُرْعِدُوا بِهِ وَأَبْرَقُوا ، وَأَرْسَلُوا بِهِ عَنَانَ قَلْبِهِمْ وَأَطْلَقُوا ؛ وَمَا أَبَدُوا مِنَ الْأَهْتَامِ بِمَجْمَعِ عَسَاكِرِهِمْ وَتَهَيُّةِ الْمُجَانِيقِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا ذَكَرَهُ مِنَ التَّهْوِيلِ ، فَاللهُ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ .

وأما قولهم : وَإِلَّا فِدْمَاءُ الْمُسْلِمِينَ مَطْلُوبَةٌ ، فَمَا كَانَ أَغْنَاهُمْ عَنْ هَذَا الْخِطَابِ ، وَأَوْلَاهُمْ بَأَنْ لَا يَبْصُرَ إِلَيْهِمْ عَنْ ذَلِكَ جَوَابٌ ؛ وَمَنْ قَصَدَ الصَّلْحَ وَالْإِصْلَاحَ ، كَيْفَ يَقُولُ هَذَا الْقَوْلَ الَّذِي عَلَيْهِ فِيهِ مِنْ جِهَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَمِنْ جِهَةِ رَسُولِهِ أَيْ جُنَاحٌ ؟ وَكَيْفَ يُضْمِرُ هَذِهِ التَّيْبَةَ ، وَيَتَبَجَّحُ بِهَذِهِ الطَّوْيَةَ ؟ وَلَمْ يَخْفَ مَوَاقِعَ زَلَّلِ هَذَا الْقَوْلَ وَخَلَّاهُ ، وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : ” نَيْسَةُ الْمَرْءِ أَلْفٌ مِنْ عَمَلِهِ ” وَبِأَيِّ طَرِيقٍ تُهْدِرُ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ الَّتِي مِنْ تَعَرُّضٍ إِلَيْهَا يَكُونُ اللَّهُ لَهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مَطَالِبًا وَغَيْرِهَا ، وَمَوْأَخِدًا بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءُ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا وَعَصَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعْنَةُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ ؟ وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ فَالْبُشْرَى لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ بِمَا نَحْنُ عَلَيْهِ مِنَ الْهِمَمِ الْمَبْصُورَةِ إِلَى الْأَسْتِعْدَادِ ، وَبِجَمْعِ الْعَسَاكِرِ الَّتِي تَكُونُ لَهَا الْمَلَاتِكَةُ الْكِرَامُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْأَنْجَادِ ، وَالْاِمْتِكَارِ مِنَ الْجِيُوشِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْمُتَوَقِّعَةِ الْعَدَدِ ، الْمُتَكَاتِرَةِ الْمَدَدِ ، الْمُوَعُودَةِ بِالنَّصْرِ الَّذِي يُعْطَاهَا فِي الظَّنِّ وَالْإِقَامَةِ ، الْوَاتِقَةِ [بِهِ] مِنْ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ” لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ <sup>(١)</sup> ”

(١) أي بالنصر وزدنا الجار والمجرور لانتفاء الكلام إياه .



على عدوهم إلى يوم القيامة . المبلغة في نصردين الله آمالا . المستعدة لإجابة داعي الله إذا قال : ﴿ أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا ﴾ .

وأما رُسُلهم فلان وفلان فقد وصلوا إلينا ، ووفدوا علينا ، وأكرمنا وقادتهم ، وغررنا لأجل مرسُلهم من الإقبال مادتهم ، وسمعتنا خطابهم ، وأعدنا عليهم جواهرهم ، وهذا مع كوننا لم يخف علينا انحطاط قدرهم ، ولا ضعف أمرهم ، وأنهم ماذفَعوا لأفواه الخطوب ، إلا لما آرتكبوه من ذنوب ، وما كان ينبغي أن يرسل مثل هؤلاء لئلا من مثله . ولا يتدب لمثل هذا الأمر المهم إلا من يجمع على فصل خطابه وفضله .

وأما ما آلتسوه من الهدايا والتحف ، فلو قدموا من هداياهم حسنة لعوضناهم بأحسن منها ، ولو أنحفقونا تحفة ، لقابلناها بأجل عوض عنها . وقد كان عمهم الملك أحمد راسل والدنا الشهيد ، وناجى بالهدايا والتحف من مكان بعيد ، وتقرب إلى قلبه بحسن الخطاب . فأحسن له الجواب ، وأتى البيوت من أبوابها بحسن الأدب ، وتمسك من الملاطفة بأقوى سبب .

والآن حيث آتته الأجوبة إلى حدها ، وأدركت الأتفة من مقابلة ذلك الخطاب غاية قصدتها ، فنقول : إذا جنح الملك للسلم جتحننا لها ، وإذا دخل في اليملة الحمودية منتلا ما أمر الله تعالى به مجتنباً ما عنه نهى ، وآتظم في سلك الإيمان ، وتمسك بموجباته تمسك المنصرف بدخوله فيه لا العنان ، وتجنب التشبه بمن قال الله تعالى في حقهم : ﴿ قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بِلِ اللَّهِ يُمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ ﴾ . وطابق فعله قوله ، ورفض الكفار الذين لا يحل له أن يتختم حوله ، وأرسل إلينا رسولاً من جهته يرتل آيات الصلح ترتيلاً ، ويروق خطاباً وجواباً حتى يتلو كل أحد عند عوده : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّخَذُ اللَّهُ الرُّسُولَ سَيِّدًا ﴾ .

صارت حجتنا ومحجته مركبة على من خالف ذلك ، وكلتنا وكلمته قامة أهل الشرك في سائر الممالك ، ومظافرتنا له تكسب الكافرين هوانا ، والشاهد لمصافاتنا مقاد قوله تعالى : ﴿ وَأذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِبِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾ . وينتظم إن شاء الله تعالى شمل المصالح أحسن أنظام ، ويحصل التمسك من المؤادعة والمظافرة بعروة لا انفصال لها ولا انفصام ، وتستقر قواعد الصلح على ما يرضى الله تعالى ورسوله عليه أفضل الصلاة والسلام .

### الحالة الثانية

( ما كان عليه رسم المكتبة في الدولة الناصرية "محمد بن قلاوون" إلى أبي سعيد بهادرخان بن خدايندا : آخر ملوك بني هولانكو ، ملك إيران )

قال في "التعريف" : وهو كتاب يكتب في قطع البغدادى الكامل ، يبدأ فيه بعد البسملة وسطر من الخطبة الغراء المكتبة بالذهب المزك ، بألقاب سلطاننا على عادة الطغراوات ، ثم تكمل الخطبة وتفتح ببغدية إلى أن تساق الألقاب ، وهى : « الحضرة الشريفة ، العلية ، السلطانية ، الأعظمية ، الشاهنشاهية ، الأوحدية ، الأخوية ، القانية ، الفلانية » من غير أن يخلط فيها « الملكة » لهوانها عليهم وأحطاطها لديهم ثم يدعى له بالأدعية المعظمة المفخمة الملوكية : من إعزاز السلطان ونصر الأعوان ، وحلود الأيام ، ونشر الأعلام ، وتأييد الجنود ، وتكثير الوفود . وغير ذلك مما يجرى هذا التجرى . ثم يقال ما فيه التلويح والتصريح بدوام الوداد ، وصفاء الاعتقاد ، ووصف الأشواق ، وكثرة الأتواق ، وما هو من هذه

(١) في تعريف ص ٤٤ "بالغراء" وهو تصحيف .

النسبة . ثم يؤتى على المقاصد ، ويحتم بدعاء جليل ، وتستعرض المراسيم والحلّم ،<sup>(١)</sup>  
ويوصف التطلع إليها ، ويظهر التهاقُ عليها .

وهذا الكتاب تكتب جميع خطبته وطفراه [وعنوانه] بالذهب المزّمك ، ولذلك  
كلّ ما وقع في أثنائه من آسيم جليل ، وكلّ ذى شأن نبيل : من آسم الله تعالى ،  
أو لنبيّنا صلّى الله عليه وسلم ، أو لأحد من الأنبياء ، أو الملائكة عليهم السلام ،  
أو ذكر دين الإسلام ، أو ذكر سلطاننا ، أو السلطان المكتوب إليه ، أو ما هو متعلّق  
بهما . مثاله « عندنا وعندكم » و « لنا ولكم » و « كتبنا وكتبكم » . كلّ هذا يكتب  
بالذهب ، وما سواه يُكتب بالسّواد .

فأما العنوان ، فهو هذه الألقاب إلى أن ينتهى إلى اللقب الخاص ، ثم يدعى له  
بدعوة أو اثنين ، نحو : « أعزّ الله سلطانها ، وأعلى شأنها » أو نحو ذلك . ثم يسمّى  
آسم السلطان المكتوب إليه ، ثم يقال « خان » كما تكلمنا نكتب ، فنقول : « بو سعيد  
بهادرخان » فقط . ويطمغ بالذهب بطمغات عليها القاب سلطاننا ، تكون على  
الأوصال ، يبدأ بالطمغة على اليمين في أول وصل ، ثم على اليسار في ثاني وصل ، ثم  
على هذا النمط إلى أن ينتهى في الآخر إلى اليمين . ولا يطمغ على الطرة البيضاء .  
والكتاب يحلى لمواضع الطمغة مواضع الكتابة ، تارة يمنة ، وتارة يسرة .

وأوضح ذلك في « التتيف » وبيّنه ، فقال : والمكتابة إليه في عرض البعداوى  
الكامل ، والطرة ثلاثة أوصال ، والبسملة ذهب مزّمك بالفات طوأل بالمسطرة  
بحطّ الذهب ، ثم الخطبة ، وأولها « الحمد لله » والسطر الذي يلي البسملة الشريفة

(١) في التريف ص ٥٥ ؛ « المراجع » .

(٢) الزيادة من التعريف .

وثانيه من أوائل الورق زائدان عن بقية السطور التي من أول السطر الثالث إلى آخر الكتاب . وبين هذين السطرين المذكورين ، (وهو موضع بيت العلامة الشريفة) طرقة ذهب بالألقاب الشريفة ، ثم بعد هذين السطرين الملاصقين للطرة المذكورة بقية السطور بهامش جيد في بين الورق على العادة . وجميع السطور مكملة إلى آخر الورق ، لا يخل فيهما للطرفة مكان . وبعد الخطبة ما يناسب الإبتداء إن كان ، أو الجواب إلى أن يتصل الكلام بالألقاب ، وهي : «الحضرة، الشريفة، العالمة، السلطانية، الأعظمية، العالمية، العادلة، الأكلية، القانية، الشاهنشاهية، الولدية، العزيزية، الملكية، الفلانية» . ثم الدعاء . وفي أثناء خطابه «الحضرة الشريفة» تارة، وتارة «الحضرة العالمة» والدعاء في أوساطه نحو «زيدت عظمته، ودامت معدنته، وأعلى الله مقامه، وأعز الله شأنه» . والخطبة جميعها بالذهب المزمك . وبعدها بالأسود خلا ذكر الله تعالى أو رسوله صلى الله عليه وسلم ، أو ما أضيف إليهما ، أو ما يعظم ذكره : كالحق والعدل وأمثالهما ، أو كل لقب أو نعمت ، أو كلمة مضافة إلى المكتوب عنه أو المكتوب إليه ، أو ضمير فيهما ، فإنه بالذهب . والعنوان بألقابه كاملة ، وفي آخرها الدعاء له من غير توقّف .

قال : وكان قد استقر من أمر العلامة الشريفة أن يكتب على جانب يمين السطرين : الثاني والثالث ، وهو مما يلي بيت العلامة «المُشْتَأق محمد» . ثم قال : ورأيت بخط القاضي المرحوم ناصر الدين بن النشأني أن ذلك نظير الكتاب الوارد منه في رجب سنة تسع وعشرين وسبعمائة . ثم قال : وقد ذكر في «التعريف» ثلاثة أمور زائدة <sup>(١)</sup> التنبيه عليها .

(١) بياض بالأصل ولعله لا يد من التنبيه .

أحدها — أنه يذكر تعريفه في العُنوان . فيكتب بعد ذكر الأسم « خان » .  
فيقال : « أبو سعيد بهادرخان » .

ثانيها — أنه تستعمل الطَّمَعات على الأوصال .

ثالثها — أنه لا يكتب في ألقابه « الملكية » . وذكر أنه لم يكتب لأحد بهذه  
المكتابة بعد السلطان أبي سعيد ، خلا ما ذكر القاضي ناصر الدين بن النشائي أنه كتب  
نظير ذلك بعد أبي سعيد لطفای تمرخان . قال : ولو كتب بالمُعنية كتب في القطع  
المذكور . أما الملطفات ، ففي قَطْع الثلث .

وهذه نسخة مكتابة كتب بها المفتر الشهابي بن فضل الله عن السلطان الملك الناصر  
« محمد بن قلاوون » إلى السلطان أبي سعيد بهادرخان المقدم ذكره ، وهي :

الحمد لله الذي جعلنا بنعمته إخواناً ، وجمعنا على طاعته أصولاً لا تنفرك أغصاناً ،  
تحمده على ما أولانا ، ونشكركه على ما أولانا ، وزغبُ إليه في مزيد أطفاه التي شملت  
أقصانا وأذنانا ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة كالشمس لا تدع  
في الأرض مكاناً ، ونشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله الذي شيد بنا لشريعته  
أركاناً ، وشهد بعضنا ببعض لتكون كما شئنا به بنا أو بنا بنا ، صلى الله عليه وعلى  
آله صلاة لا تتواني ، ورضى الله عن أصحابه والتابعين لهم بإحسان وزادهم إحساناً ،  
وسلم تسليمًا كثيرًا .

وبعد : فإن من أعظم المنهجات لدينا ، المنهجات لطريق السرور إلى المنهجات  
بوصف أكرم وارد علينا ، هو المكاتب الشريف ، بل السحاب المطيف ، بل البحر  
الذي يقذف دُرراً ، ويقص عن السحاب أثراً ، ويرفع سرراً ، ويطلع قرأ ، ويطول  
أوضاحاً وغرراً ، ويحدث عن العجائب خبراً ، بل ينشر الروض خبراً ، ويهب الرياح

صحرا، ويبرق ذهبه الموه أصالاً وبكراً، الصادرُ عن الحضرة الشريفة العالية السلطانية،  
 الأعظمية، العالمية، العادية، الشاهنشاهية، الأخوية، القانية، زادها الله شرفاً،  
 وأدام بها تحفاً، وصاغ بها لكلِّ سمع شتفاً، وأيدها بزائد مزيده حتى تقول : حسي  
 وكفى، فإنه وصلَّ صحبة المجلس السامى الأمير، الكبير، المقرب، المحبى، المرتضى،  
 المختار، شريف الدين، مجد الإسلام، زين الأنام، جمال المقربين، مرتضى الملوك  
 والسلاطين، الحاج أحمد الأشقر، والشوق إليه شديد، والتطلع إليه كمثل العبد،  
 فقربناه إلينا نجياً، وتلقينا منه مهدياً، وكان السبأ ألفت منه حلياً، أو أقلت كوكبا  
 درياً، أو مدت من الحجر درجا، وعطفت من مهندات البروق خلجاً، وقدت  
 من سواد القلوب شطر كل سطر فيها، وأغارت مقله كل ريم قام بسواد ناظره  
 يفتديها، وسرحنا منه الحدق في حدائق، ونفحنا به للفتاب حقائق، وأستطلعنا به  
 شمس الاقتاد، وأطلعنا منه على نفوس نفائس الوداد، وصادف منا قلباً صادقاً  
 إلى ما يروق من أخباره، وشوقاً إلى ما يهب من نسيم دياره، وتطلعنا إلى من يرد  
 من رسله الكرام، ويقص علينا مالا يستقصى من مواقع النعام، وعلمنا منه ومما  
 ذكره المقرب الحاج شرف الدين أحمد ما للحضرة الشريفة عليه من نعمة يلتحف  
 بملابسها، ويقتطف من مغارسها، ومجرى في السيف رونقا، وتزين بالكواكب  
 أفقا، وتجر على الكشبان من الشمس رداً مخلقا . وأحضرنا الحاج شرف الدين  
 أحمد بين أيدينا الشريفة، وشملناه بحسن ملاحظتنا التي زادت تشریفه، وكانت  
 حضوره وركابنا الشريف يهيجان الصيد المحمود، ونحن نلهج بذكره عند انتهاز كل  
 فرصة في الصيود، وما حصلنا فيه على لذة فطر إلا وتمنينا أن يكون له فيها مشاركة  
 شهود، أو أن يكون جاضراً يرى كيف يسهل الله لنا بلوغ كل مقصود، ونحج معنا  
 إلى المصايد، ونفرج على الصائد، ورأى ما حَفَّ بموكبنا المنصور من ذوات الوبر

والجنّاح، وما تُخَرِّ لنا من جِباد الخيول من الرياح، فشاهدنا أوتينا من المُلْك السَّليمانى  
 في سُرعة السير، واختلاف ما جَمع لنا من الإنسان والوحش والطير، وأسفرت أوقانتنا  
 الشريفة في السؤال عن مِرْاجه الكريم، وما هو عليه من السُّرور المستديم، والتأييد  
 الذى أنقلب به أولياؤه بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوءٌ وأتبعوا رضوان الله  
 والله ذو فضلٍ عظيم، وتجددت المَسرات بهذه البشائر المِسرات، وأضمتنا هذه النعمة  
 إلى ما حمد الله عليه مما أبدناه من النصر والظفر والتأييد، والنعم التى توالى إلينا ونحن  
 نرجو المزيد، ونضاعف الحمد والشكر لله على هذه المواهب التى أطافت بنا بطاقتها  
 الثمينة، وأنارت في آفاقنا أنوارها الميضية، وشملت ملوك الإسلام نعمها من كل جانب،  
 وأشرقت شمسها حتى ملأت بأنوارها المشارق والمغارب .

وأما ما أتحفت به من البلكات الشريفة فقد وصلت، وتقبَّلت وقبَّلت،  
 وأكثرت لأن مهديها كريم، وأعظمت لأنها تحفة من عظيم، وأثينا عليه بما  
 طاب، وشكر بحرنا الزاخر جود أخيه السحاب .

وأما الإشارة العالية إلى تقاضى تجهيزه من الملائكين والسوقات فقد رسمنا بالآتباء  
 إليه، لأنه لا فرق بيننا وبين أخينا فيما يخصُّ مرآتنا جميعاً عليه، وقد جهَّز من  
 الملائكين والطين المحتوم ما أمكن الآن، ومنه ما نُكِّمنا باستعماله من البلكات بأسمه  
 الشريف وتأخر، فلما فرغ جهَّز معه، وبعد هذا جهَّز من يتوجَّه إلى حضرته  
 العالية ليجد عهداً، ويؤدَّى إليه وداً، وما يتأخر إلا ريثماً تتجلى السُّحب المتواليه،  
 ويمكن التوصل سالماً إلى حضرته العالیه .

(١) حقيقته السارات وإنما أتى به هذه الصيغة على توهم أمره بمعنى أفرجه كما حكاه ابن سيده في تفسير

الثل « كل مجر بالخللا. مسر » انظر اللسان (ج ٦ ص ٢٦) .

وأما غير هذا : فهو أن الحاج أحمد أحضر إلينا ورقة كريمة ، بل دُرَّة يَتِمُّه به  
 بخط يد الحضرة الشريفة فَأَعْجَبْنَا بها ، ووجدناها في غاية الحُسْن التي لا يَعدُّ زَهْر  
 الرياض لها مُشَبِّها ، وما رأينا مثل ما كُتِبَ فيها ، كأن السماء قد نَظَّمَت في سَطورها  
 النجوم الزَّهْر من دَرَارِها ، فأكرِمَ بيدي كتبت سطورا آصرت بها الرِّيحُ للقلم ! وأسَمَدَ  
 السَّحابُ من طُروسها الكَرَم ! وجرت بجامدِ ذهبٍ وسائلِ دم ، وتنافست على إنبائها  
 صحائفه وأقلامه ودُويِّه والجوُّ والبُرُوقُ والدميم ، وطلعت منها تباشيرُ النَّجاح ، وتحاسدَ  
 عليها مسكُ الليل وكافُورُ الصَّباح ، وأنفقت على معنى واحد وقد تتوَّعت قسما ،  
 وأشرقت فتمنت السماء أن تكون لها صحيفةٌ والبرقُ قلمًا ، فأرخصت قدرَ ياقوت  
 في الثَّقيب ، وحسنت بحاسنها هجرانَ حبيب ، لقد أوتيت من الخَطِّ غايةَ الكمال ،  
 وبسطت يدَ ابنِ هلال فيه عن قمِ ابنِ هلال ، فأما الوليُّ فإنه من أوليائها ، وأنوَّده  
 مما فاض من إنائها ، طالما حدَّقَ إليه أبو عليٍّ فأختطف برقه أباه مقله ، وقطن  
 ابنُ أسد أنه لو أدركه أبوه لَنَبَى سبيله ، فسبحان من صَرَفَ في يمينه القلم بل الأقاليم ،  
 ووجهه من أفضل كلِّ شيء ، (ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ)  
 وقد أعيدَ المقَرَّبُ شرفُ الدين أحمد ، وحمل من المشافهات الشريفة ما تَقَضَّى على  
 أختينا عقودَه ، وتفاض برودَه ، والحضرةُ الشريفةُ لا تقطع أخبارها عنا التي تُسرُّ  
 بأنبائها ، وتسيرُ بِجُومِ سمانه ، لازالت مناقبه مسموعة ، والقلوبُ على ما يجمع كلمة  
 الإيمانِ مجموعَه . إن شاء الله تعالى .

تبيه — أما اللطافات التي كانت تُكْتَبُ إلى هذا القان ، فقد ذكر في "التعريف"  
 أنها في قطع الثلث ، وكذا ما يَكْتَبُ به بالمُعْطَى ، فإنه يكون في القَطْع المذكور أيضا .



## الجملة الثانية

(في المكاتبات إلى من ملك توريز وبعداد بعد موت أبي سعيد)

قد تقدم أنه ملك توريز وبعداد بعد السلطان أبي سعيد (موسى خان) ثم محمد بن عبدجى، ثم الشيخ حسن الكبير، ثم ابنه الشيخ أويس، ثم ابنه حسن، ثم أخوه أحمد. ومنه أتت عنهما تمولنك. وذكر في "التنقيف" أنه ملك بعد أبي سعيد أرفاخان، ثم موسى خان، ثم طغاي تمرخان، بعد أن ذكر أنه لم يكتب إلى أحمد بعد أبي سعيد بالمكاتبة المتقدمة. ثم قال: ورأيت بخط القاضي ناصر الدين بن النشائي أن مكاتبة طغاي تمرخان كانت نظير مكاتبة أبي سعيد. ثم قال: وهذا يدل على أنه لم يكتب بذلك بعد أبي سعيد غير طغاي تمرخان المذكور.

قلت: وقد وقفت على مكاتبة عن الملك الناصر «محمد بن قلاوون» إلى موسى خان المقدم ذكره من إنشاء المقر الشهابي بن فضل الله، فيها ذكره صاحب " الدرر الملتقط " جواباً عن كتاب ورد منه يذكر فيه النصرة على عدوله؛ والقائم بتديروته يومئذ على باشا. بدأ فيها بعد الافتتاح بآية من القرآن الكريم في معنى النصر بقوله:

«إلى الحضرة الشريفة» إلى آخر الألقاب المناسبة «من أخيه ومحبه»؛ ثم خطبة بعد ذلك مفتوحة بـ «الحمد لله». ثم «وبعد» فقد ورد الكتاب الشريف. والخطاب بـ «الحضرة الشريفة». والأختام بالدعاء. ولاخفاء في أن هذه نحو المكاتبة إلى أبي سعيد؛ لكني لم أقف على مقدار قطع الورق فيها، ولاصورة الكتاب. وهذه نسختها:

(١) كما في الأصل هنا وتقدم في ج ٤ ص ٤٢٤ (نبرجى).

(وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ) . (وَيَوْمَ يُنْفَخُ  
الْمُؤْمِنُونَ بِبَصَرٍ اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ) .

إلى الحضرة الشريفة العالية، السلطانية، الأعظمية، العالمية، العادلية،  
الأوحدية، الشاهنشاهية، القانية، الأخوية، الأخ العزير، الكبير، المعظم،  
موسى خان، أعز الله سلطانه، وثبت بسعادة مملكه أوطانه . من أخيه وعجبه،  
المخلص في حبه، الصادق المودة له في بئمه وقربه .

الحمد لله الذي أيد الإسلام بنصره، وضيق على أعدائه مجال حصره، وجدد  
بتأييده في زمانه ما تتعلل به أعطاف عصره . نحمده عن الدين الحنيف على نصرة  
أضائه لها الوجود بأسره، وأوقعت كل خارج على الدين والمملك في قبضة أسره،  
ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة يخلص قائلها غاية أجهاده،  
ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي جاهد في الله حق جهاده، صلى الله عليه وعلى  
آله وصحبه صلاة تستقل ببشارتها أعباء عباده، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد، فقد ورد الكتاب الشريف من الحضرة الشريفة العالية، السلطانية،  
القانية، أختنا وولدتنا العزيز، المؤيد بالنصر على الأعداء والفتح الوجيز، لا زالت  
دوكته الشريفة دائمة الإقبال، متزيدة تزيد الهلال، على يد المحلسين الساميين،  
الأميرين، الكبيرين، عضدى الملوك والسلاطين: "مدلنجي، وكراي" أدام الله تعالى  
عزتهما - بالبشار بنصرة الإسلام، وتأييد أختنا على عدوه الخارج على الدين والمملك .  
ومحمدنا الله تعالى على هذه النصرة، وتضاعفت بها المسرة، ونحن كفا خارجين بجميع  
الساكر والجيوش المنصورة الإسلامية، لتساعد كلنا على نصرة الإسلام . وما تأخرنا

إلماً جاءت إلينا ماري (٥) الأخبار وما كنا نَحَقِّقُهَا ثم تحققتنا بحمد الله تعالى هذه الأخبار ؛  
 وضربتنا لها البشائر في سائر الأقطار ، وعرفنا بها عناية الله تعالى بأخذ المسلمين بتواصي  
 الكُفَّار ، وقيام الجناب الكريم العاني الأمير الكبير التوَّين العادل المعظم على باشا ،  
 أعزَّ الله تعالى نصرته في إعادة الحق إلى أهله ، وصبره على ما سبق به كلِّ أحدٍ  
 إلى جميل فعله ، وأجتهاده في هذا الأمر الأجهاد الذي ما كان يُطلب إلا من مثله ؛  
 وكذلك الجنابات العالمة الأمراء التوينات الأكارم ، زِيدَتْ سَعَادَتُهُمْ ! فإتَّهم سارِعُوا  
 إلا ما كان يجب ويتعين عليهم في خدمة سلطانه ، ومن هو أحقُّ بهم وأولى من عظيم  
 عظم قانهم ؛ وما من الأمير التوَّين العادل على باشا وبقية الأمراء الأكارم إلا مَنْ قام  
 بما كان عليه من العهود ، وبذل آجتهاده حتى حصل بحمد الله المقصود ؛ وما  
 قَصَّروا في قيامهم حتى تسلم المستحقُّ حَقَّهُ وميراثه وما هو أحقُّ به وأولى . وهم -  
 جزاهم الله الخَيْر - قد عملوا ما يجب عليهم ، وبقي ما يجب على الحضرة الشريفة من  
 الإحسان إليهم .

وأما قول الحضرة الشريفة : إنه منل ولدنا فهو هكذا مثل الولد وأعزُّ من الولد ،  
 وكلُّ أحدٍ منَّا لأخيه في الأتفاق على المصالح الإسلامية عَضُدٌ وَيَدٌ ، وذُرٌّ وَسَدٌّ ؛  
 وقد سبق من تألَّف القلوب ما أَسْتَدَّتْ به الآن أُوَآخِيه ، وأضحى له منَّا شفقةُ  
 الوالد على الولد وتوقيرُ الأُخ لأخيه ؛ وقد أعدنا رسله الكرام وحملناهم مشافهةً ووصيةً  
 للحضرة الشريفة في أمور تقتضيا مصلحتَه ، فإنه عندنا أعزُّ من الولد . وما القصد  
 إلا الاتِّفَاقُ على مصالح الإسلام ، وما فيه نظام كلمة الوفاق [ والوِثَام ] ، فيُدِيمُ المواصلَةَ  
 بكتِّبه وأخباره السائده ، والله تعالى يديم مسأزه ويضاعف مَبَارَه ؛ إن شاء الله تعالى .

ولم أقف لهذه المكتبة على قِطْعِ ورق ، والظاهر أنها في قِطْعِ النصف لما سيأتي  
 أنه الذي عليه الخال في مكتبة صاحب بغداد وتوريز ، فيما بعد إن شاء الله تعالى .

وأعلم أن صاحب "التتيف" قد ذكر أن المكاتبه إلى الشيخ أويس : صاحب بغداد وتوريز، وأبته حسن بعده في ورق قطع النصف . ورسمها : « أعز الله تعالى أنصار المقام الشريف العالی ، الكبيرى ، السلطانى ، العالمى ، العادلى ، المجاهدى ، المؤيدى ، المراهبى ، المنصورى ، الملكى ، الفلانى » بقلب السلطنة « الفلانى » بقلبه الخاص . والدعاء بما يناسبه « أصدرناها إلى المقام الشريف شهيدى وتبندى » و « القصد من المقام الشريف » . ويحتم بدعاء يناسب ، مثل : « أعز الله أنصاره » ونحو ذلك . ومحاطبته بـ « المقام الشريف » . والعنوان « المقام الشريف » إلى آخر الألقاب المذكورة . والدعاء « أعز الله تعالى أنصاره » . وتعريفه « فلان بهادرخان » مثل أم يقال : « الشيخ حسن بهادرخان » . والعلامة إليه « أخوه » . قال في "التتيف" : وكان الشيخ أويس المذكور عند استقراره بتوريز وبغداد يكتب له « المقام العالی » ، ثم كتب له بعد ذلك « المقام الشريف » .

وهذه نسخة مكاتبه كتب بها إلى الشيخ أويس المقدم ذكره ، جواباً عن كتاب ورد منه ، من إنشاء القاضي تقي الدين ابن ناظر الجيش ، حين كان يكتب إليه « المقام العالی » لأبتداء أمره ، على ما تقدم ، وهى :

أعز الله تعالى أنصار المقام العالی ، إلى آخر ألقابه ، ولا زال الملك زاهراً زاهياً بشرف سلطانه ، والملك يجرى بإعزاز قدره ، وإحراز نصره ، مدى زمانه ، والفنك منه بالأعداء يسر الأولياء من أهل موته وإخوانه ، وسلك جواهر عقد ولاته منظمين الإخلاص بجمانه ، ولا يرح مؤيداً بأنصار الإسلام وأعوانه ، مجدداً سعده الذى يبلفه جميل أوطاره فى جميع أوطانه .

أصدرناها إلى المقام العالی تصف مالدنيا من المحبة التى ظهر دليلها بواضح برهانه ، وتبث لنا أنباء مكنون المودة التى تنفى عن صريح القول وتبينه ، وتبندى لعله

الكريم أن كتابه الكريم ورد على يد فلان رسوله فأقبلنا عليه، وصرقنا وجه الكرامة إليه،  
وعلمنا ما نضمته من محبته وموالاته، ومخالصته ومصافاته؛ وما أشتمل عليه ضميره من  
صحيح الوداد، وصريح الاتحاد، وجميل الاعتقاد، وجزيل الخالصه التي يتم بها الأمل  
والمُراد . وأن المقام العالى جهز رسوله المشار إليه ليوضح إلينا ماهو عليه من ذلك،  
ويُهيئ إلينا أسباب الائتلاف التي عمّرت أرجاء الجهتين هنا وهناك؛ ويبيد  
ما تحمله عنه من المشافهات، وتهمه من الرسائل والإشارات؛ وقد أحطنا علماً بذلك  
ووصل رسوله المذكور، وتمثل بما أوقف سلطاننا المنصور؛ وسَمَّله إقبالنا الشريف،  
وإنعائنا المُطيف؛ وسمعنا جميع كلامه، وما تحمله من المشافهة الكريمة من على  
مقامه؛ وشكرونا بحبه المقام العالى ووده الجميل، وأشينا على موالاته التي لا تميدُ عنها  
ولا تميل، وآبتهجنا بسلامة مقامه الجليل . وقد أعدنا فلانا رسوله المذكور بهذا  
الجواب الشريف، إلى المقام العالى أعزَّ الله أنصاره، فُتجحف بمكاتبته ومهماته،  
والله تعالى يمدّه بالتأييد في حركاته وسكاته، ويُعزُّ نصره ويُزِيد في حياته .



أما المنفرد بتأوير خاصة، فقد ذكر في "التتيف" أن المكتبة إلى الأشرف  
(أبن علاء الدين تمرناش) الذي كان قد وثب على تبريز خاصة فلكها، في قطع الثلث  
بقلم التوقيعات «ضاعف الله تعالى نعمة الجناح العالى الأميرى الكبيرى» وبقية  
الألقاب وأتعمت، ومنها التوثيقى . ثم الدعاء . «صدرت هذه المكتبة إلى الجناح  
العالى وتوضَّح» والعلامة «أخوه» . وتعريفه «الأشرف بن تمرناش» .

ثم ذكر أن أنحى جق الذى وثب عليه وقتله وأستولى على تبريز بعده أستقرت مكاتبته  
كذلك؛ وأنه كان يُكْتَب في تعريفه «أنحى» لا غير . ثم قال: وقد ماتنا وبطل ذلك .

(أبو بكر بن خَواجَا على شاه) وزير صاحب تَبْرِيزَ «الأسْمُ» و «السامى» وتعريفه أبو بكر ابن الخواجَا المرحوم على شاه . قال في «التنقيف» : ولم أعلم وَزَرَ في زَمَنٍ مَنْ مِنَ التَّوَلَّيْنَ

(عَمْرَبِك) أحد أمراء الأشراف بن تمرناش صاحب تَبْرِيزَ في قَطْعِ التُّلُثِ ، الدُّعَاءِ (١) و «العالي» والعلامة «أخوه» وتعريفه «عمر بك» . قال في «التنقيف» : وهذا ممن بطل حكمه بزوال مَعْدُومِهِ .

### الجملة الثالثة

(في رسم المكتبة إلى مَنْ أَنْطَلَقَتْ عَلَيْهِ مَمْلَكَةُ إِيرَانَ، مِمَّنْ جَرَتْ عَادَتُهُ بِالْمَكْتَابَةِ عَنِ الْأَبْوَابِ السُّلْطَانِيَّةِ، فِي أَيَّامِ السُّلْطَانِ أَبِي سَعِيدٍ قَبْلَ بَعْدِهِ، وَهِيَ ثَمَانِيَةٌ أَصْنَافٌ)

#### الصف الأول

(كُفَّالِ الْمَمْلَكَةِ بِمَحْضَرَةِ الْفَانِ ، وَهِيَ عَلَى ضَرْبَيْنِ )

#### الضرب الأول

(كُفَّالِ الْمَمْلَكَةِ بِالْحَضْرَةِ فِي زَمَنِ الْفَانَاتِ الْعِظَامِ كَابِي سَعِيدٍ وَمَنْ قَبْلَهُ مِنْ مَلُوكِهِمْ حِينَ كَانَتِ الْمَمْلَكَةُ عَلَى أَيْمِ الْأَبْهَةِ وَأَعْلَى التَّرْتِيبِ)

قد تقدم في الكلام على المسالك والممالك في المقالة الثالثة أن القائم بتسيير العسكر لهذه الدولة حين كانت قائمة على نمط الفانية المتقدم إلى آتخرزمن أبي سعيد أربعة أمراء، يعبر عنهم بأمراء الأئوس، ويعبر عن أكبرهم بيكلاري بك بمعنى أمير الأمراء . وربما أطلق عليه أمير الأئوس أيضا . والقائم بتسيير الأمور العسائية هو الوزير .

(١) يظهر قياسا على ما قبله أنه سقط هنا من قلم النسخ شيء نحو المكتبة صانع الله الخ . ثم الدعاء والعال الخ .

فأما الأمراء المذكورون ، فقد كان كلُّ من الأمراء الأربعة والوزير يكاتب عن الأبواب الشريفة السلطانية. وقد ذكر في "التعريف" أن المكتبة إلى بكلارى بك في قطع النصف : « أعزَّ الله تعالى نصرَ المقرِّ الكريم » . وإلى الثلاثة الذين دونه في قطع الثلث : « أدام الله تعالى نصرَ الجناب الكريم » . وأنه يقال لكلِّ من الأربعة « التُوَيْحِي » . ثم قال : ومثُل هذا مكتبة أرتنا بالرُّوم ، وأمير التومان بديار بكر : من سُوناى وبنيه وكذلك سائرُ الإصراء التُوَيْنات : وهم أمراء التُوامين .

والذى ذكره في "التنقيف" أن المكتبة إلى الشيخ حسن الكبير أمير الأئوس كانت على ما استقرَّ عليه الحال إلى حين وفاته ببغداد في قطع الثلث بقلم التوقيعات : « أعزَّ الله تعالى أنصارَ الجناب الكريم ، العالى ، الأميرى ، الكبيرى ، العالمى ، العادلى ، المؤيدى ، الرعيمى ، العونى ، العيائى ، المتأخرى ، المرابطى ، المهمدى ، المشيدى ، الظهيرى ، التُوَيْحِي ، الفلانى : عون الإسلام والمسلمين ، سيِّد الأمراء فى العالمين ، ناصر العزاة والمجاهدين ، زعيم جيوش الموحدين ، مهَّد الدول ، عماد الملل ، عون الأمة ، كافي الدولة القانيه ، كافي الملكة الشريفة ، أمير التُوامين ، أمير الأئوس ، ظهير الملوك والسلاطين ، عضد أمير المؤمنين » . والدعاء أربع فرائض أو أكثر : « أصدرناها إلى الجناب الكريم » و « تبدي » و « القصد من الجناب الكريم » . والعلامة « أخوه » . وتعريفه « الشيخ حسن أئوس بك » .

قال في "التنقيف" : ولما توفى الشيخ حسن المذكور إلى رحمة الله تعالى لم يبق غيره مكانه فيما أظن ، ولا كُتِبَ أحدٌ بعده بهذه المكتبة . قال : والتُوَيْحِي فى ألقاب هؤلاء بدل « الكافى » فى ألقاب التُوَاب : يعنى بالملكة المصرية والشامية . ثم قال : وهو نعتٌ يُستعمل دائماً لأهل تلك البلاد : ولا يُستعمل الكافى أصلاً .

وهذا عجيب منه ! فقد أثبت هو « الكافلي » في الألقاب التي أوردتها في المكاتبه إلى الشيخ حسن الكبير .

وأما الوزير بهذه المملكة فقد ذكر في « التعريف » أن رسم المكاتبه إليه في قطع الثلث « ضاعف الله تعالى نعمة المجلس العالي الأميرى الوزيرى » على عادة المكاتبات إلى الوزراء بألقاب الوزارة . قال : فإن لم تكن له إمرة ، فيقال له « الوزيرى » ولا يقال له « الصاحبى » لقوانها لديهم . ولم يتعرض في « التنقيف » إلى المكاتبه إلى وزير هذه المملكة ، ولا إلى الأمراء الثلاثة الباقين من أمراء الأتوس ، بل عدل عن ذلك إلى المكاتبه إلى الوزير ببلاد أذربك . وسأى ذكرها في موضعها إن شاء الله تعالى .

قلت : وقد نُحِيت رسوم تلك المملكة ، وعُفَّت آثارها بزوال ترتيب المملكة بموت السلطان أبى سعيد : آخر ملوك بنى جنكركخان بهذه المملكة . وإنما ذكرنا ذلك حفظاً لما كان الأمر عليه : لاحتمال طروره مثل ذلك فيما بعد ، فيُنسج ما يأتى على منوال ماضى ، ويُجرى في المستقبل على منهاج الماضى ؛ فالأمور ترتفع ثم تنخفض ، وربما انخفضت ثم ارتفعت . والله تعالى يقول : ﴿ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾ .

### الضرب الثانى

( كُفَّأَلُ الْمَلِكَةِ بِالْحَضْرَةِ بَعْدَ مَوْتِ أَبِي سَعِيدٍ )

قد ذكر في « التنقيف » منهم جماعة : منهم محمد الكازرونى وزكريا وزيراً الشيخ أويس . وقد ذكر أن رسم المكاتبه إلى كل منهما في قطع المادة « صدرت هذه المكاتبه إلى المجلس السامى ، الأجلى ، الكبيرى ، الأوحدي ، المقدمى ، المنتخبي ، القلانى ، مجد الإسلام ، بهاء الأنام ، شرف الرؤساء ، أوحداً الأعيان ، صفوة الملوك



والسلاطين» . ثم الدعاء ، والعلامة « الأسمُ الشريف » وتعريفُه «فلان وزير  
الشيخ أويس بهادرخان» .

ومنهم - الطوائفِ مَرَّجان ، نائبُ القان أويس بيغداد ، ولقبه أمينُ الدينِ بالس .  
ورسم المكتوبة إليه «والده» و«الساحي» ، بالياء . وتعريفه «خواجه مَرَّجان» .

ومنهم - محمدقلتان : نائب الشيخ أويس أيضا . وذكر أن رسم المكتوبة إليه مثل  
المكتوبة إلى مَرَّجان . والعلامة « الأسمُ الشريف » . وتعريفه : «قلتان نائب  
الشيخ أويس» .

قلت : فإن اتفق أن أُقيم لصاحب بغداد : كأحمد بن أويس ومن في معناه مثل  
هؤلاء ، كانت المكتوبة إلى كلِّ منهم نظير مثله من المذكورين بحسب ما يقتضيه  
الحال .

### الصنف الثاني

(من جرت العادة بمكاتبته بمملكة إيران عن الأبواب السلطانية ، صغارُ الملوك  
المفردين ببعض البلدان ، والحكامُ بها من هو بمملكة إيران)

قد تقدم في الكلام على المسالك والممالك أن مملكة إيران تستعمل على عدة من  
الأقاليم داخلية في حدودها ، منتظمة في سلكها . وقد ذكر في «التعريف» جملة من  
المكتوبات عن الأبواب السلطانية إلى بعض هؤلاء الملوك . وخالفه في «التتقيف»  
في بعض المواضع وزاد عليه عدة مكاتبات . وها أنا أذكر ما ذكره من ذلك ،  
وأزيد ما اتفق زيادته مميزاً لكل إقليم من أقاليم هذه المملكة بمن فيه من الملوك  
والحكام ومن جرى مجراهم .

فمن جرت العادة بمكاتبته من الملوك والحكام بالجزيرة القرائية، مما بين دجلة  
والفرات من ديار بكر وربيعة ومُضَرَّ وغيرها على ما تقدم ذكره في المسالك والممالك  
في المقالة الثالثة

صاحب ماردين - وقد تقدم في المسالك والممالك أنها مدينة ذات قلعة حصينة  
بديار بكر من هذه الجزيرة، وأنها بيد بقايا بني أرئق المستقلين بمملكتها من قديم  
الزمان وإلى الآن.

ورسم المكاتبه إليه فيما ذكره في "التعريف": «اعز الله تعالى نُصْرَةَ الْمُقَرَّرِ الْكَرِيمِ  
العائى، الكبيرى - الملكى - الفلانى - الفلانى» يعنى باللَّقب الملوكن، واللَّقب المضاف إلى  
الدين، مثل «الصَّالِحِ الشَّمْسِيِّ» وما أشبه ذلك. ثم الدعاء. قال في "التنقيف":  
ثم يقال: «أصدرناها إلى المقَرَّرِ الْكَرِيمِ»، «وتبدي لعلمه الكريم». «فبتقدم أمره  
الكريم». ويُحْتَمَّ بما صورته «فُحِيطَ عَلَيْهِ الْكَرِيمُ بِذَلِكَ». والدعاء. والعلامة  
«أخوه». وتعريفه «صاحب ماردين». وورقه قطع العادة. ثم قال: ويتعين أن  
تكون ألقابه إلى آخر اللقب الملوكن سَطْرَيْنِ سواء، وأن يكون لقبه العادى  
كالفخرى مثلا أول السطر الثالث.

وقد ذكر في "التعريف" ثلاثة صُدُورٍ لمكاتبته تتعلق بصاحبها في زمانه، وهو  
«الصالح شمس الدين صالح».

أحدها - ولا زال ملكا تاجه المدائح، ومنهاجه المناجح، وطريقته إذا وصفت  
قيل: هذه طريقة الملة الصالح. أصدرناها إليه وشكرها تسوقه إليه حداة الركائب،  
وتسوق منه إلى لقاء الحباب، وتثنى على مكارمه التي كلها أقلعت منها سحاب  
أعقبت بسحاب، وتوضح للعلم الكريم.

(١) هويذة الضبط كافى ص ٨٦ ج ١ من تاريخ ابن خلكان.

الثاني — ولا زالت شمسُه في قُبَّة فَتَكْهَأ ، وسمَاءُ مَمَالِكِهِ مَمْلُوءَةٌ حَرَسًا شَدِيدًا  
وَسُهْبًا بَلِيكًا ، وَنِعْمَهُ نَعْمَ الْبِحَارِ إِذَا وَقَفْتَ فِي طَرِيقِهَا ، وَالغُرُثُ إِذَا جَازَتْ  
فِي مَسَلِكِهَا . أَصْدَرْنَاهَا إِلَيْهِ وَالسَّلَامُ مَنَوَّعٌ عَلَى كَرَمِهِ ، مَنَوَّعٌ بِأَطْيَبِ مِنْ أَنْفَاسِ  
الْمِسْكِ فِي نِعْمِهِ ، مَتَسَرَّعٌ إِلَيْهِ تَسَرَّعَ مَوَاهِبِهِ إِلَى وَقُودِ حَرَمِهِ . وَتَوَضَّعَ لِلْعِلْمِ الْكَرِيمِ .  
الثالث — وَلَا زَالَتِ الْعَفَاةُ تَلْتَحِفُ بِعَمَانِهِ ، وَتَتَجَعَّعُ مَسَاقِطُ أَنْوَانِهِ ، وَنَسْتَضِيءُ مِنْهُ  
بِأَشْرَقِ شَمْسٍ طَلَعَتْ مِنَ الْمَلِكِ فِي سَمَائِهِ ، أَصْدَرْنَاهَا وَسَأَوْهَا يَسَابِقَ تَجَلَّلا ، وَمَدَانِحَهَا  
تُحِيدُ مَرَوِيًا وَمُرْتَجَلًا ، وَشُكْرَهَا لَوْرُصَعٍ مَعَ الْجَوَاهِرِ لِأَقَامِ عُدْرَ الْيَاقُوتِ إِذَا آكْتَسَى  
حَدَّهُ الْجَمْرَةَ تَجَلَّلا ، وَتَوَضَّعَ لِلْعِلْمِ الْكَرِيمِ .

قلت : وعلى نمط هذه الصدور يجري الكتابُ فيما يَكْتَبُهُ إِلَى صَاحِبِهَا مَنَاسِبًا  
لِحَالِهِ وَلِقَبِهِ بِحَسَبِ مَا يَتَقَضِيهِ الْحَالُ مِنَ الْمُنَاسِبَاتِ .

وهذه نسخة كتاب ، كُتِبَ بِهِ إِلَى الْمَلِكِ "الصالح شرف الدين محمود بن الصالح"<sup>(١)</sup>  
صالح ، جواباً عما ورد به كتابه : من وفاة والده المنصور أحمد . نقلتها من مجموع  
بخط القاضي تقي الدين آبن ناظر الجليش وهو :

أَعَزَّ اللَّهُ تَعَالَى نُصْرَةَ الْمُقْتَرِ الْكَرِيمِ ، إِلَى تَحْرُاقِهَا . وَلَا زَالَ الْمَلِكُ بَاقِيًا فِي بَيْتِهِ  
الْكَرِيمِ ، وَالْفَلَكُ جَارِيًا بِإِظْهَارِ شَرَفِهِ الْعَمِيمِ ، وَأَعْظَمَ لَهُ الْأَجْرُ فِي أَكْرَمِ مَلِكٍ أَنْتَقَلَ  
إِلَى جَنَاتِ النِّعَمِ ، وَهَنَاهُ بِمَا أَوْرَثَهُ مِنْ ذَلِكَ الْحَمْلِ الْأَسْنَى الَّذِي هُوَ الْأَوَّلَى فِيهِ بِالْتَقْدِيمِ ،  
وَضَاعَفَ لِسُلْطَانِهِ الصَّالِحِ عَلُوَّ جَدِّهِ ، بِمَا مَنَحَهُ مِنْ مُلْكِهِ الْمَوْثُوتِ عَنِ الْمَنْصُورِ أَبِيهِ  
وَالصَّالِحِ جَدِّهِ ، وَبِمَا خَصَّهُ مِنْ إِقْبَالِنَا الشَّرِيفِ وَإِحْسَانِنَا الْمُسْتَدِيمِ ، أَصْدَرْنَاهَا مُعْرَبَةً  
عَنِ الْوَدِّ الثَّابِتِ الصَّمِيمِ ، مَهْنَةً لَهُ بِقِيَامِهِ بِأُمُورِ مَمْلَكَتِهِ الَّتِي تَجَلَّتْ بِمَحْمُودِ صِفَاتِهِ

(١) هو على ما يؤخذ من نسخة الجواب بعد : محمود بن أحمد بن صالح فسهب إلى جده .

وَمَنْ سَلَفَ مِنْ أَسْلَافِهِ فِي الْحَدِيثِ وَالْقَدِيمِ ، مُبْدِيَةً لِعِلْمِهِ الْكَرِيمِ ، أَنْ مَكَاتِبَهُ الْكَرِيمَةَ ،  
وَمُخَاطَبَتَهُ الَّتِي فَضَّحَتْ مِنَ الذُّرِّ نَظِيمَهُ ؛ وَرَدَّتْ عَلَى أَبْوَابِ الشَّرِيفَةِ عَلَى يَدِ فُلَانٍ  
فَأَقْبَلْنَا عَلَيْهَا ، وَأَلْفَتْنَا وَجَهَ الْكِرَامَةَ إِلَيْهَا ؛ وَعَلِمْنَا مَا نَضَمْتَهُ مِنْ أَسْتِمْسَاكِ الْمَقَرِّ الْكَرِيمِ  
بِأَسْبَابِ الْوِدَادِ ، وَأَقْتَفَانَهُ فِي ذَلِكَ سَبِيلَ الْآبَاءِ وَالْأَجْدَادِ ؛ وَمَا شَرَحَهُ فِي مَعْنَى مَا قَدَّرَهُ  
اللَّهُ تَعَالَى مِنْ وَفَاةِ وَالِدِهِ طَابَ تَرَاهُ ، مَسْتَمِرًّا عَلَى الْإِخْلَاصِ فِي الطَّاعَةِ الَّتِي لَمْ يَكُنْ  
شَانَهُ شَيْنٌ وَلَا أَعْتَرَاهُ ؛ وَأَنْهُ مَضَى - إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى - إِلَى الْجَنَّةِ وَقَدْ حَلَّفَ مِنْ  
حَلْفِهِ ، وَأَرْتَضَى بِمَا نَالَ مِنَ الرِّضَا عَمَّا قَدَّمَهُ مِنَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ وَأَسْلَفَهُ ؛ وَمَا أَبْدَاهُ :  
مِنْ أَنَّهُ إِنْ أَقْتَضَتْ مَرَامُنَا الشَّرِيفَةَ وَأَرَاؤُنَا الْعَالِيَةَ أَنْ يَقُومَ مَقَامَهُ ، وَيَرْعَى فِي حَقُوقِهِ  
وَمَصَالِحِ تِلْكَ الْمَمْلَكَةِ دِيَامَهُ ؛ فَتَرْتَمُّ بِأَجْرَائِهِ عَلَى السَّنَةِ الْمُعْتَادَةِ ، مِنْ إِحْسَانٍ بَيْنَنَا  
الشَّرِيفِ الَّذِي بَدَأَ بِهِ وَأَعَادَهُ ؛ وَإِلَّا فَتَبَرَّرَ الْأَوَامِرَ الشَّرِيفَةَ بِمَنْ يُسَدُّ اخْتِلَافَهَا ،  
وَيُسَدِّدُ أَحْوَالَهَا ، وَيُسَيِّدُ مَبَانِيهَا وَيُصَلِّحُ أَعْمَالَهَا ؛ لِيَقْصِدَ الْمَقَامَ الشَّرِيفَ بِأَبْوَابِنَا  
الشَّرِيفَةَ سَالِكًا سَبِيلَ الطَّاعَةِ الْمُبِينِ ، مُنْتَظِمًا فِي سِلْكِ أَوْلِيَانَا الْمُقَرَّرِينَ ؛ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ  
مِمَّا حَمَلَهُ لِأَسْتَادِ دَارِهِ مِنْ مَشَافَهَتِهِ ، وَجَمِيلِ مَقَاصِدِهِ وَوَافِرِ مَحَبَّتِهِ وَطَاعَتِهِ ؛ وَقَدْ  
أَحْطَيْنَا عَلَمًا بِذَلِكَ وَبِمَعْنَى الْمَشَافَهَةِ الْمَذْكُورَةِ ، وَشَكَرْنَا مَحَبَّتَهُ الْمَأْثُورَةَ ؛ وَإِخْلَاصَهُ  
فِي الْخِدْمَةِ الشَّرِيفَةِ ، وَجَمِيلِ الْمَوْلَاةِ الَّتِي تَمْتَعُهُ تَكْرِيمَهُ وَتَشْرِيفَهُ ؛ وَأَسْتِمْسَاكِهِ  
بِسُنَّةِ آبَائِهِ الْكِرَامِ ، وَأَجْتِهَادِهِ فِي الْمُنَاصَحَةِ وَالطَّاعَةِ الَّتِي لِلْأَسْمَى مِنْ مِثْلِهِ وَلَا تُسَامُ ؛  
وَنَحْنُ نُعَزِّفُ الْمَقَرَّ الْكَرِيمَ أَنْ مَحَلَّهُ وَمَحَلُّ بَيْتِهِ الْكَرِيمِ لَمْ يَزَلْ لِدِينِنَا رَفِيعًا مِقْدَارُهُ ، عَلِيًّا  
مَنَارُهُ ؛ وَأَنْ مَكَاتِبَهُ مِنْ خَوَاطِرِنَا الشَّرِيفَةِ مَمْتَكَّنَةٍ ، وَمُتَوَلِّتَةٍ قَدْ صَحَّتْ أَحَادِيثُهَا  
الْمُعْتَمَنَةُ ؛ وَهُوَ الْأَحَقُّ بِمَجْلَلِ مُلْكِهِ ، وَالْأَوْلَى بِأَنْ يَكُونَ مِنْ نِظَامِ عُقُودِ مُلُوكِهِ وَاسْطِقَةِ  
سِلْكِهِ ؛ وَقَدْ أَقْتَضَتْ آرَاؤُنَا الْعَالِيَةَ أَنْ يَقُومَ مَقَامَ وَالِدِهِ الْمَرْحُومِ ، وَيَحُلَّ مَحَلَّ هَذِهِ  
السُّلْطَنَةِ لِيَعْلُو قَدْرُهُ بِأَقْبَالِنَا الشَّرِيفِ عَلَى زُهْرِ النُّجُومِ ؛ وَلِيَجْلِسَ بِمَكَانِهِ ، وَلِيَبْسُطَ

المعدلة لتكون حلية زمانه ، وليستنصر على أعدائنا وأعدائه بأنصار الملوك وأعدائه ؛  
وليستقر على ما هو عليه من المحافظة على الوداد ، وليستمسك بعرى الإخلاص المبرأ  
من شوائب الاستقاد ؛ وليقتف في ذلك سبيل سلفه الكريم . وليواصل بمكاتبته  
وأخباره على سننهم القويم ؛ وقد أعدنا إستاناداره بهذا الجواب الشريف إليه .

وأعلم أنه قد ذكر في " التنقيف " أن من يكتب إليه عن الأبواب السلطانية  
من أتباع صاحب ماردین نأثبه ، وذكر أنه كان اسمه في زمنه « بهادر » . وأن رسم  
المكاتبه إليه الأسم والسامى بغير ياء ؛ وكذلك نأثب الصالحية من عمل ماردین ؛  
وأن رسم المكاتبه إليه الأسم و « مجلس الأمير » . فليجبر الكاتب على سنن ذلك إن  
أحتجج إلى مكاتبتهما .

صاحب حصن كيقا — وهى مدينة من ديار بكر من بلاد الجزيرة ، بين دجلة  
والفرات . وقد تقدم في الكلام على المسالك والممالك نقلا عن " التعريف " أن  
صاحبها من بقايا الملوك الأيوبية ، ومن تنظر إليه ملوك مصر بعين الإجلال ؛ لمكان  
ولأهمهم القديم لهم ، واستمرار الوداد الآن بينهم .

ورسم المكاتبه إليه فيما ذكره في " التعريف " : « أدام الله نعمة المجلس العالى ،  
الملكى ، الفلانى » باللقب الملوكى « العالمى ، العادلى ، المجاهدى ، المؤيدى ،  
المرابطى ، المناغرى ، الأوحدى ، الأصلى ، الفلانى » باللقب المتعارف « عز  
الإسلام والمسلمين ، بقية الملوك والسلاطين . نصرة الغزاة والمجاهدين ، زعيم جيوش  
الموحدين ، شرف الدول ، ذخر الممالك ، خليل أمير المؤمنين » . ورُبما قيل :  
« عضد أمير المؤمنين » إذا صغر .

وذكر في " التنقيف " ما يخالف في بعض ذلك ، فقال : إن مكاتبته : « أدام  
الله تعالى نعمة المجلس العالى ، الكبيرى ، العالمى ، المجاهدى ، المؤيدى ، المرابطى ،

المتأخرى، الأوجدي، الفلاني، باللقب الملوك واللقب المتعارف . «عز الإسلام  
والمسلمين، زعيم جيوش الموحدين . دُخِرَ الملة، سليل الملوك والسلاطين، عضد  
أمير المؤمنين» . ثم الدعاء . «صدرت هذه المكتبة إلى المجلس العالى . والعلامة»  
أخوه» وتعريفه «صاحب حصن كيفا» . قال : والكاتب إليه في قطع العادة .  
وقد ذكر في «التعريف» صدور المكتباته .

صدر : وأستعاد به من الشهر من عهود سلفه ماتسلف ، وحازله من مواريث  
الملك أكثر مما حثي له أوله وماخلف ، وحط للرحال في حصن كيفا به على ملك :  
أما المستجير به فيتحصن وأما فضله فلا يكيف ، وأعانت السحاب الذي كل عن  
مجارته ويحجى هو ولا يتكلف . أصدرت هذه المكتبة إليه وتوعها بصوب ،  
ولأؤها تشق به الظلماء الجيوب ، وشاؤها على حسن بلانه في طاعة ربه يقول له :  
صبرا صبرا كما تعودتم يا آل أيوب .

صدر آخر : وشذ به بقية البيت ، وحيأ طلله البالي وأخبار شمه البيت ؛  
وذكر به من زمان سلفه القديم مالا يعرف فيه هيت ، وأبى منه ملكا من بني أيوب  
لا يتي وعده اللي ولا يقال فيه لبت ؛ ونور الملك بعزته لا بما قرع السمع عن  
السمع وورد المصابيح من الزيت ، وحفظ منه جوادا لو عينه أخوه السحاب على  
السبق ، لقال له : هيات كم خلقت منك خلقي وخطيت . أصدرت هذه المكتبة  
إليه ، أمر الله جانبه والتجيات موشحة بنطقها ، مصبحة لسجاياها الكريمة بخلقها ،  
ساحبة إليه ذيل خيلاتها : لأنها إذا آختالت به تختال ، وبسببه على السرور تختال .  
ملوك كيلان — قال في «التعريف» : وهم جماعة كل منهم مستقل  
بنفسه ، منفرد بملكه ، على ضيق بلادهم وقرب مجاورة بعضهم من بعض . وقد

(١) كذا بالأصل ، وفي التعريف «عنه» والاولى عابه أنظر كتاب اللغة .

تقدم الكلام على بلادهم في المسالك والممالك . قال في "التعريف" : ورسلهم قليلة ، وكتبهم أقل من القليل .

ورسم المكاتب إلى كل منهم على ما ذكره في "التعريف" نحو ما يكتب إلى صاحب حصن كيفا . يعنى يكتب لكل منهم : « أدام الله تعالى نعمة المجلس العالى الملكى الفلانى » إلى آخر ما تقدم هناك . قال في "التعريف" : إلا صاحب يؤمن فإنه يكتب له بـ «الجناب» . وهو مثلهم في بقية الألقاب . قال في "التعريف" : ولم أر لهم مكتبة ، ولا كتب لهم في مدة مباشرتى بديوان الإنشاء الشريف شىء ، غير أنى رأيت بخط المولى القاضى المرحوم زين الدين خضر ، أنه كتب أمثلة شريفة إلى جماعة ، منهم «حرم الدين» . يؤمن ، ثم قال : وهذا هو الذى ذكره القاضى شهاب الدين أن مكاتبته أعلى مكاتبهم ، وأنه يكتب إليه «الجناب» . قال : وما يتعد أن الجماعة الذين كتب إليهم على ما ذكر القاضى زين الدين المشار إليه هم من جملة ملوك كیلان . ثم عدد من كتب إليه منهم فقال : وهم نوباد شاه ، وسالوك ولده : في قطع العادة .

ورسم المكاتب إليهما : «خلد الله تعالى سعادة الجنابين الكريمين ، العالين ، الكبيرين ، العاديين ، المجاهدين ، المرابطين ، الملكيين : المشرق والسنى» . والدعاء . والعلامة «أخوهما» . والعنوان سطران . وتعريفهما : نوباد شاه وسالوك ولده صاحباً كوحسفا (٤) .

ناصر الدين بهلوان ، وشرف الدين شرف الدولة صاحباً لاهجان مثل ذلك سواء .

فلك الدين صاحب دشت كذلك .

حُسام الدين صاحب بومين كذلك . ثم قال نقلا عن ابن الزبيخي خضر أيضا :  
وقيل إن حُسام الدين ههنا كان صاحب بومين ، وصاحبها الآن أخوه علي ما ذكره  
محمود بن إبراهيم بن اسفندار الكيلاني حين كتب إليهم .

قلت : وهؤلاء هم ملوك كِلان ، وهذه مدتهم على ما تقدم في المسالك والممالك .  
والعجب كيف وقع الشك في ذلك من صاحب "التشيف" حتى قال : وما يبعد .  
وأما التسوية في الآخرين صاحب بومين وغيره ، فيجوز أن قدره انحط بعد زمن  
صاحب "التعريف" أو جهل الكاتب الثاني مقداره .

صاحب هرآة - وهي مدينة من خراسان . قال في "التعريف" : ولا يتجري على  
الألسن الآن إلا صاحب هرئ . قال : وكان ملكها الملك غياث الدين . ولم أسمع  
أعجمياً يقول إلا قياس الدين . وكان ملكا جليلا نبيلاً مفعلاً معظماً له مكانة عند  
الملوك المولود كوهيه ، ومترلة رقيقة عليه . وكان بينه وبين التوئين جوبان مودة أكيدة  
وصداقة عظيمة ، فلما دارت به دوائر الزمان وانقضت به الحال إلى الحرب ، لحا  
إلى صاحب هرئ هذا ، على أنه يسر له الوصول إلى صاحب الهند ، أو إلى ملك  
ماوراء النهر ، فأجابه وأنزله ، وبسط أمله ، وأسر له الخداع حتى أطمأن إليه ،  
فأصغده إلى قلعه ليضيفه ، فصعد معه ابنه جلوقان ، وهو ابنه من خوند بنت  
السلطان خدابندا ، وجلوقان هذا هو الذي أجيب إلى ترويعه بنت السلطان الملك  
الناصر ، وعلى هذا تمت قواعد الصلح . وبني جوبان أمره على أنه بعد الترويع  
ياخذ له ملك بيت هولوكو يشبهه أنه ابن بنت خدابندا ، وأنه لم يبق بعد أبي سعيد  
من يرث الملك سواه . ثم يستضيف له ملك مصر والشام يشبهه أن بنت صاحب  
مصر هي التي ترث الملك من أبيها ، فحالت المنابا دون الأمانى .



وحال صعور جوبان وأبنة جلوقان القلعة أمسكهما غياث الدين وخنقهما ليأخذ  
وجهاً بذلك عند أبي سعيد ، وبعث بذلك إلى أبي سعيد ، فشكر له إمساكهما ، وانكر  
عليه التعجيل في قتلها ، فاعتذر بأننى لو لم أقتلها لم آمن استعداداً من معهما لمحاصرك ؛  
فقبل عذره ، وطلب منه إيهام جوبان ليُعرف أنه قد قتله ، وكان فيه زيادة سلعة  
ظاهرة يُعرف بها بإخذه إليه فأكرم رسله وبعث إليه بالخلع ، وأمر بإصبع جوبان  
فطيف بها في المالك ، ثم سألت بغداداً حاتون بنت جوبان : امرأة أبي سعيد ، وكان  
شديد الكلف بها ، في نقل أجسادهما فنقلت ، فمعدت لها الماتم ، ثم أمرت بحملها  
إلى مكة المعظمة ، ثم إلى المدينة المشرفة ليُدفنا في التربة الجوبانية التي كان جوبان  
أعدّها لدفنه في حال حياته ، فمكنت من ذلك إلا من الدفن فإنيها دُفنا بالبيع .  
ثم حضر غياث الدين حضرة أبي سعيد ، فأكرم وأعطى العطايا السنية ، ثم لم يلبث  
أن مات وولى أبنته . قال : ولم يكن صاحب هذه المملكة ممن يكتب عن السلطان  
حتى كانت واقعة جوبان فكتب إليه .

ورسم المكتوبة إليه على ما ذكره في " التعريف " : « أعز الله تعالى نصر المقتدر  
الكريم ، العالى ، العالمى ، العادى ، المجاهدى ، المؤيدى ، المرابطى ، المتأغرى ،  
الأوحدى - الملك الفلاقى ، شرف الملوك والسلاطين ، خليل أمير المؤمنين » . قال  
في " التنقيف " : ولم أطلع على ما يكتب إليه سوى ما ذكره القاضى شهاب الدين  
بعد واقعة جوبان . قال : والذي يظهر لى أنه لم يكتب بعد ذلك هو ولا من قام  
مقامه : لأنه لم تكن له مكتوبة مشهورة متداولة بين الموالى الجماعة ، ولا كتب إليه  
في مدة مباشرتى شىء . على أن القاضى شهاب الدين لم يذكر تعريفه

(١) أى أصبه الاجام .

## الحكام بهذه المملكة

(من جريت العادة بمكاتبته من الحكام بالجزيرة القراتية من هذه المملكة)

الحاكم بِشِمَشَاطٍ — وقد تقدم في الكلام على المسالك والممالك أنها بلدة من ديار مَضْرِبِينَ آمِدٍ وَنَحْرَتِ رِبْتِ . قال في "التثقيف" : ورسمُ المكتبة إليه «السامى» بالياء . والعلامة الأسم . وتعريفه «الحاكم بِشِمَشَاطٍ» .

الحاكم بِمَيَّافَارِقِينَ — وقد تقدم في المسالك والممالك أنها قاعدة ديار بَكْرٍ . قال : في "التثقيف" : ورسمُ المكتبة إليه «السامى» بغير ياء . والعلامة الأسم . وتعريفه «الحاكم بِمَيَّافَارِقِينَ» .

الحاكم بِحَيْرَانَ — وقد تقدم في المسالك والممالك أنها مدينة من ديار بَكْرٍ . قال في "التثقيف" : ورسمُ المكتبة إليه «السامى» بالياء . والعلامة الأسم . وتعريفه «الحاكم بِحَيْرَانَ» وهو معدود في "التثقيف" في جملة الأكراد .

الحاكم بِجَزِيرَةِ ابْنِ عُمَرَ — وقد تقدم في المسالك والممالك أنها مدينة صغيرة على دجلة من غربيها . قال في "التثقيف" : ورسمُ المكتبة إليه «السامى» بالياء . والعلامة له الأسم . وتعريفه «الحاكم بِجَزِيرَةِ ابْنِ عُمَرَ» . وذكره في "التثقيف" في جملة الأكراد، وقال : كان بها عز الدين أحمد اليخشى . وذكر أن رسم المكتبة إليه الأسم و«السامى» بغير ياء . وتعريفه «أحمد بن سيف الدين اليخشى الحاكم» . وأستقر بعد وفاته ولده عيسى ، وورد كتابه في صفر سنة أربع وستين وسبعائة ، أخبر فيه بوفاته والده وأستقراره مكانه . على أنه قد ذكر معبراً عنه بصاحب الجزيرة ، وسماه بكلمش . وذكر أن المكتبة إليه الأسم و«السامى» بغير ياء .

الحاكم بِسِنْجَارٍ — وقد تقدم في المسالك والممالك أنها مدينة من ديار ربيعة . قال في "التثقيف" : وكان قد كتب لشيخو الحاكم بها مرسوم شريف بأن يكون

نائباً بها حسب سؤاله في سنة ثلاث وستين وسبعمائة . قال : وكانت المكتبة إليه أولاً الأسم و « مجلس الأمير » وكتب له حينئذ « السامى » بغير ياء .

الحاكم بتلّ أعقر — وقد تقدم في المسالك والممالك أنها قلعة بين سنجار والموصل . قال في « التنقيف » : ورسم المكتبة إليه « السامى » بالياء . والعلامة له الأسم وتعريفه « الحاكم بتلّ أعقر » .

الحاكم بالموصل — وقد تقدم في المسالك والممالك أنها قاعدة بلاد الجزيرة كلها في القديم حيث كانت بيد الجرامقة . قال في « التنقيف » : والمكتبة إليه في قطع العادة الأسم ، و « صدرت » و « السامى » . وتعريفه « الحاكم بالموصل » . ورأيت في بعض الدسائير أن العلامة استقرت له « والده » عند استقراره نائب السلطنة بها .

الحاكم بالحديثة — وقد تقدم في المسالك والممالك أنها بلدة على الفرات . قال في « التنقيف » : ورسم المكتبة إليه الأسم و « السامى » بالياء . وتعريفه « الحاكم بالحديثة » . وهى غير حديثة الموصل . وهى بلدة شرق دجلة تعد في بلاد العراق .

الحاكم بعانة — وقد تقدم في المسالك والممالك أنها بلدة صغيرة على جزيرة في وسط الفرات . قال في « التنقيف » : ورسم المكتبة إليه الأسم و « السامى » بالياء . وتعريفه « الحاكم بعانة » . ورأيت في بعض الدسائير أن المكتبة إليه « السامى » بغير ياء .

الحاكم بتكرت — وفي « التنقيف » صاحب تكريت . وقد تقدم في المسالك والممالك أنها مدينة من أمر مدن الجزيرة بين دجلة والفرات . قال في « التنقيف » : ورسم المكتبة إليه مثل الحاكم بالموصل ، فتكون في قطع العادة . والعلامة الأسم . وتعريفه « الحاكم بتكرت » .

(١) في معجم بانوت بفتح الباء والعلامة يكسرونها .

الحاكم بقلعة كُشَاف - وقد تقدم في المسالك والممالك أنها في الجنوب عن الموصل بين الرّاب والشط، وأنه عدها في "تقويم البلدان" من بلاد الجزيرة مرة، ومن عراق العجم أخرى. وأنه أوردتها في "التنقيف" بإنبات الألف واللام. قال في "التنقيف": ورسم المكتبة إليه مثل حاكمي عانة والحديثة، فتكون المكتبة إليه «السامي» بالياء. ورأيت في بعض النساخ أن المكتبة إليه «السامي» بغير ياء. وتعريفه «الحاكم بقلعة كُشَاف».

الحاكم بإسعد - وهي سِعْرُوت. قد تقدم في المسالك والممالك أنها مدينة من ديار ربيعة. قال في "التنقيف": ورسم المكتبة إليه «مجلس الأمير». وحينئذ فتكون في قطع العادة. والعلامة الأسم. وتعريفه «الحاكم بإسعد».

صاحب حاني - ويقال لها حَنّا. وهي مدينة من ديار بكر. وقد ذكر في "التنقيف" أن صاحبها تاج الدين. ورسم المكتبة إليه الأسم «والسامي» بغير ياء.

### من جرت العادة بالمكتبة إليه

بالخانب المختص بنبي جنكرخان من بلاد الروم من مارية وما معها

أرتنا، الذي كان قائما بهذه البلاد عن نبي هولانكو من التتر. ورسم المكتبة إليه في قطع الثلث: «ضاعف الله تعالى نعمة الخانب العالي، الأميري، الكبيري، العاليي، العادلي، المؤيدي، القونى، الرعيي، المهدي، المشيدي، الظهيري، التويي، الفلاني، عز الإسلام والمسلمين، سيد الأمراء في العالمين، نصر الغزاة والمجاهدين، زعيم الجيوش، مقدم العساكر، كهف الملة، دُخر الدولة، ظهير الملوك والسلطين، سيف أمير المؤمنين». والدعاء والسلام. والعلامة «أخوه».

وذَكَرَ في "التنقيف" أنه كَتَبَ إلى ولده محمد بعده كذلك في قَطْعِ الورق  
والمكتّبة والسلامة . وأنه كتب إلى علي بك بن محمد المذكور بعده كذلك ،  
إلا في العلامَة فإنها استقرت له «والده» وكتب تعريفه : «علي بك ابن أرتنا» .

### من جرت العادة بمكتبته من الحُكَّام ببلاد العراق

الحاكم هَيْت — وعبر عنه في "التعريف" بصاحب هَيْت . وقد تقدّم في المسالك  
والممالك أنها شمالي الفرات من أعمال بغداد . قال في "التنقيف" : ورسم المكتبة  
إليه الأسمُ و «السامي» بالياء ؛ وتعريفه «الحاكم هَيْت» .

الحاكم بالقنيطرة — وقد تقدّم في المسالك والممالك أنها بلدة بالقرب من مرسى  
الحلّة . قال في "التنقيف" : والمكتبة إليه «السامي» بالياء . والعلامة الأسمُ .  
وتعريفه «الحاكم بالقنيطرة» . ثم قال : وأحرما استقرت مكتبته عليه «السامي»  
بغير ياء . وعبر عنه في موضع آخر «ابراهيم صاحب القنيطرة» . وذكر أن المكتبة  
إليه الأسمُ و «السامي» . وأن تعريفه اسمه خاصة .

### من جرت العادة بمكتبته من الحُكَّام ببلاد الجبل

«وهي عراق العجم»

الحاكم يَارِزِيل — وعبر عنه في "التنقيف" بصاحب يَارِزِيل . قال في "التنقيف" :  
كان بها الشريف علاء الدين علي الدلقندي ؛ ثم استقر بها الشريف يحيى ؛ ثم استقر  
بها عليّ ولده . قال : والمستقر بها الآن عليّ ماتحزّر في سنة ثلاث وسبعين وسبعائة  
أسد الدين أسد . ورسم المكتبة إليه الأسمُ و «السامي» بغير ياء . وتعريفه «الحاكم  
يَارِزِيل» .

صاحب قاشان - وسمّاها في "التتقيف" قيشان. ورسم المكتبة إليه «السامي»  
بغير ياء .

صاحب باب الحديد - المعروفة عند الترك بِمَرَّ قَابُو . وهي باب الأبواب .  
قال في "التتقيف": كان بها كأوروس، وكتب إليه جواباً في ثاني عشر ربيع الأول  
سنة ثمانين وستين وسبعائة أويس في قطع الثلث<sup>(١)</sup>، والدعاء والعالى . وتعرضه  
أسمه لا غير .

### من جرت العادة بمكاتبته من الحُكَّام ، ببلاد فارس

الحاكم بشيراز - وقد تقدّم في المسالك والممالك أنها قاعدة بلاد فارس . قال  
في "التتقيف": والمستقر بها على ما تحرّر في سنة ثلاث وسبعين وسبعائة، شاه كنجاع،  
أخو شاه ولي . وذكر أنه لم يُكتب إليه في مدة مباشرته من ديوان الإنشاء،  
ولا وقف على مكتبة إليه . ثم قال : غير أنه يمكن أن تكون المكتبة إليه نظير  
المكتبة إلى الأشرف تمرتاش المستولى على تبريز، فإنه قال : إن شيراز قدر تبريز  
ونظيرها. فعلى هذا يكون رسم المكتبة إليه في قطع الثلث: «ضاعف الله تعالى نعمة  
الجناب العالى الأميرى، الكبيرى» وبقية الألقاب والتعوت. ويكون فيها «الثونينى»  
كما في مكتبة المستولى على تبريز .

### من جرت العادة بمكاتبته ببلاد كَرْمَانَ

صاحب هُرْمُز - قد تقدّم في المسالك والممالك أن قاعدة كَرْمَانَ القديمة السَّرِجَان  
وأن هُرْمُز فُرْضة كَرْمَانَ ، وأنها حربها الترعند تُروجهم على تلك البلاد بكثرة  
الغارات ، وانتقل معظم أهلها إلى جزيرة بيجيرة ببحر فارس على القرب منها تسمى  
وَزُرُون<sup>(٢)</sup>. وقد كُتِبَ إلى صاحبها عن سلطان العصر "الملك الناصر فرج" ابن الظاهر

(١) كذا في الأصل ولعله زائد من قول النسخ (٢) هي بهذا الضبط في الأصل ولم تذكر في المعجم ولا في النجوم

(١)

برقوق في سنة ثلاث عشرة وثمانمائة مفاخرة في قطع

من جرت العادة بمكاتبتة من بلاد أرمينية وأران وأذربيجان

النائب بخلاط من أرمينية — قد تقدم في المسالك والممالك أنها كانت قاعدة بلاد الكرج . قال في "التثقيف" : ويقال إن حاكمها من الأكراد ، وأسمه أبو بكر بن أحمد بن أزيك . ثم قال : ورسم المكاتبه إليه الأسم و «السامى» بالياء ؛ فيكون في قطع العادة . وتعريفه «النائب بخلاط» .

الحاكم بحصن أرزن — وهى أرزن الروم . قال في "التثقيف" : وهو — على ما أنضح آخرا في رمضان سنة ست وسبعين وسبعمائة — علاء الدين على بن قرأ . وردت مكاتبتة أن صاحب حصن كيفا ابن خاله . ورسم المكاتبه إليه على ما في "التثقيف" مثل صاحب حصن كيفا من غير زيادة ولا نقص . على أنه في "التعريف" قد ذكر أن المكاتبه إليه «السامى» بالياء . قال في "التثقيف" : والصحيح ما تقدم ، فإن كتبت إليه هذه المكاتبه مرات ، وهو المتداول بين العوالم الجماعة إلى آخر وقت . وقد تسلم في المسالك والممالك أنها في آخر بلاد الروم من جهة الشرق .

صاحب بدليس — قد ذكر في "التعريف" أنه كان في زمانه الأمير شرف الدين أبو بكر . وقال : إنه يهتم بمذهب النصيرية . ثم قال : وبلده صغير ، ودخله يسير ، وعمله

ضيق . وهو طريقُ المازة وقُصَادِ الأبوابِ السلطانية إلى الأردنو إذا لم يكن بالعراق وله خِدْمَةٌ مشكوره . وعنه في "التثقيف" في جملة الأكراد . قال في "التعريف" :  
ورسُمُ المكتبة إليه : « صدرت هذه المكتبةُ إلى المجلس السامى الأميرى » أسوة  
الأمراء . وذكر في "التثقيف" أنه كان بها ضياءُ الدين أبو الفوارس الروشكى أخو  
الفرس بالو، وأن المكتبة إليه الأسم و« السامى » بالياء . وتعريفه « صاحب يدليس » .  
وأنه استقر بعده ولده الزجاج ، وكُتِبَ بمثل ذلك سنة ثلاث وخمسين وسبعائة .

صاحب موقان — وهى موغان . وسمها في "التثقيف" موغان . قال  
في "التثقيف" : وكان بها محمد شاه بن أميرشاه ، وكتب إليه مستجداً في سنة سبع  
وستين وسبعائة « السامى » بغير ياء .

النائب بخرت يرت — وهى حصن زياد . ذكره في "التثقيف" من جملة رُكُبان  
البلاد الشرقية ، وذكر أن اسمه يومئذ باليس ، وأن رسم المكتبة إليه الأسم و« السامى »  
بالياء . وتعريفه اسمه ، ثم قال : وهكذا كان يكتب إلى صاحب بخرت يرت قبله .  
ثم ذكر أنه رأى بخط القاضي شهاب الدين بن الصفدى أنه استقر بها علاء الدين  
أبن خالد المليكى بعد حسام الدين توربندة ، وأن مكانته « السامى » بالياء .

### الصنف الثالث

(من يكتب بهذه المملكة العربان ، وهم : عبادة وحقاجة)

وقد تقدم في الكلام على أنساب العرب أن نسبهما في عامر بن صعصعة من  
قيس عيلان . وأجل من يكتب إليه منهم رسمه « هذه المكتبة إلى المجلس السامى  
الأمير » . على أن صاحب التثقيف قد ذكر أنه لم يطلع على مكتبة إليهم .



## الصنف الرابع

(من يكتب بهذه الملكة التُرُكَّان)

قال في "التحيف": والأكابُرُ في البلاد الشرقية الذين يُكْتَب إليهم من هذه الطائفة مفردا قليلٌ . أما بقيتهم من تُرُكَّان الطاعة الشريفة ، فقد يُكْتَب إليهم عند المهمات مُطْلَقَاتٌ شريفة ، ثم ذكر جماعةً ممن يكتب إليه على أنفراده ، ولم يعين لأحد منهم بلدا ولا رئاسة قومٍ معروفين . وها أنا أذكرهم على ما ذكرهم : ليقاس عليهم لدى تحقق مقامهم .

منهم - مُراد خَواجَا ، ورسم المكاتبه إليه الأسم و « السامى » بغير ياء . وتعريفه اسمه .

ومنهم - ياكيش الكبير ابن أنسى تُوْزَطُوغان . ورسم المكاتبه إليه الأسم و « السامى » بغير ياء . وتعريفه اسمه .

ومنهم - زَيْنُ الْمَلِكِ تُوْزَطُوغان . ورسم المكاتبه إليه الأسم و « السامى » بغير ياء . وتعريفه «مُقَدَّمُ التُّرُكَّانِ بِالْبِلَادِ الشَّرْقِيَّةِ» .

ومنهم - على بن إينال التُّرُكَّانِيّ من الطائفة البُوزُقِيَّةِ . ورسم المكاتبه إليه الأسم و « السامى » بغير ياء . وتعريفه اسمه .

ومنهم - يعقوب بن علي شار . ورسم المكاتبه إليه الأسم و « السامى » بالياء . وتعريفه اسمه . قال في "التحيف": وقد ذكر القاضي ناصر الدين بن النشأني أنه كتب إليه كذلك في سنة إحدى وأربعين وسبع مائة .

ومنهم - سالمُ الدَّلُكْرِيّ ، ورسم المكاتبه إليه الأسم و « السامى » بالياء ، وتعريفه اسمه .

وأعلم أنه قد تقدم في الكلام على تُرْكُان البلاد الشامية نقلا عن "التنقيف" أن من طوائف التُّرْكُان الذين هم تحت الطاعة من لم يُكْتَب إليه بعد ، بل إذا كَتِبَ في مهمَّ شريف ، كَتِبَ إلى كلِّ طائفة منهم أو إلى سائر الطوائف مطلقاً شريف . وقد منهم طوائف :

الأولى — البوزقية : جماعة ابن دلفادر وابن إينال المقدم ذكره .

الثانية — أولاد رمضان : الأهرية .

الثالثة — الأوشرية : تُرْكُان حلب .

الرابعة — الدلكرية : جماعة سالم الدلكري .

الخامسة — الخربندلية : جماعة مصطفى .

السادسة — الأغاجرية .

السابعة — الوردسقي : تُرْكُان طرسوس .

الثامنة — القنقية .

التاسعة — البابتدرية : وهم القنبية<sup>(١)</sup> .

العاشرة — البكرلية : أولاد طشجون .

الحادية عشرة — البياضية .

ثم قال : وتمَّ جماعٌ كثيرة لا يمكن أستيعابهم .

قلت : فإن كان من هذه الطوائف شيء بهذه البلاد ، فحكه ما تقدم في الكلام

على تُرْكُان البلاد الشامية .

(١) في الضرر ص ٣٢٧ وهم من القنبية .

(٢) في الضرر ص ٣٢٧ البلوية وأولاد طشجون .

## الصفحة الخامس

( ممن يكتب هذه المملكة الأكراد )

وقد تقدم الكلام على طوائفهم ومنازمهم من بلاد الجبال من عراق العجم . قال في "التعريف" : وهم خلأق لأبْحَصُونَ ، ولولا أن سيف الفتنة بينهم يستحصد قائمهم ، ويَبِّه نائمهم ، افاضوا على البلاد ، واستضافوا إليهم الطارف والتلاد ؛ ولكنهم رُموا بَسَاتِ الرأى وتفرق الكلمة ، لا يزال بينهم سيف مسؤل ، ودم مطلول ، وعقد نظام محلول ، وطرف باكية بالدماء مبلول . وهم على ضربين :

## الضرب الأول

( المنسوب منهم إلى بلاد ومقرات معروفة )

قال في "التعريف" : وهم رأسان كل منهما رجل جليل ، ولكل منهما عدد غير قليل . أحدهما - صاحب جَوْلَمَرَك ، من جبال الأكراد من عراق العجم . قال في "التعريف" : وهو الكبير منهما الذى تُتَّفِقُ طوائف الأكراد مع اختلافها على تعظيمه ، والإشارة بأنه فيهم الملك المطاع والقائد المتبع . وهو صاحب مملكة منسعة ومدن وفلاع وحُصون ، وله قبائل وعشائر وأنفار . قال : وهم يُنسَبون إلى عتبة ابن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف . ثم قال : وكانت الإمرة قد آتت فيهم إلى أسد الدين موسى بن مجلى بن موسى بن منكلان . وكان رجلاً كريماً عظيماً تهاباً وهاباً ، تُجِلُّه ملوك الممالك الجلييلة ، وتعظمه حُكَّام الأردو وصاحب مصر . وإشارته مقبولة عند الجميع . وإذا اقتلت طائفتان من الأكراد فتقدم إليهما بالكف كفوياً ، وسمعوا له سمع [مراع لاسمع] <sup>(١)</sup> مطيع . وذكر أن القائم

ففيهم إذ ذلك من بينه الملك عماد الدين مجبى : وهو رجل يحب أهل العلم والفضل ، ويحل منهم عنده من أمه أعظم محل . وقد مضى القول على ذلك مستوفى في الكلام على الأكراد عند ذكر عراق العجم من المسالك والممالك ، من المقالة الثانية . قال في "التعريف" : ورسم المكاتبية إليه «أدام الله تعالى نعمة المجلس العالى الأميرى» والألقاب التامة الكاملة .

الثانى — صاحب عقروش من بلاد الجزيرة . قال في "التعريف" : ومُلوكها الآن من أولاد المبارزك . قال : وكان مبارز الدين كك هذا رجلا شجاعا كريما تغلب عليه [ غرائب من ] الهوس . فيدعى أنه ولى من الأولياء يقبل النذور . وكانت تُندَر له النذور تقربا إليه ؛ فإذا أتاه النذرُ أضاف إليه مثله [ من ماله ] وتصدق<sup>(١)</sup> بهما جميعا . قال : وأهل هذا البيت يدعون عرافة الأصل في الإمرة وقدم السؤدد والحشمة . ويقولون إنهم عُقدت لهم ألوية الإمارة وتسلموا أزمة هذه البلاد وتسلموا صهوات الصياصي بمنشير الخلفاء ؛ وأنهم كانوا لهم أهل وفاء . ولهم في هذا حكايات كثيرة ، وأخبار مأثوره ؛ وهم أهل تنعم ورفاهية ونعمة ظاهرة ، وريّة فآخرة ؛ وأدير منخرقه ، ورياض موفوه ؛ وخيول مسومه ، وجوارح معلنه ؛ وخدم وغلمان ، وجوارح حسان ؛ ومعازف ومجان ، وسماط محدود وخوان . قال : وموقع بلادهم من أطراف بلادنا قريب ، والمدعو منهم من الرجة وماجاورها يكاد يُجيب . ثم قال : ومُلوكنا تشكرهم إخالص نصيبه ، وصفاء سريرة صحيحه . وذكر أن القائم فيهم في زمانه شجاع الدين ابن الأمير نجم الدين خضر بن المبارزكك ، إلا أنه

(١) الزيادة من التعريف ص ٣٨ .

(٢) في التعريف زيادة (بما تنفق عليه لا اعتقادا فيه فيسر بذلك) .

(٣) في التعريف ص ٣٩ زيادة (وأهل عشرة وأخوان) .

لم يبلغ مبلغ أبيه، <sup>(١)</sup> بل لأيقار به ولا يدانيه، على أنه قد ملك ملكه، ونظم سلطه .  
 وقد تقدم الكلام على ذلك أيضا في الكلام على المسالك والممالك في المقالة الثانية .  
 ورسم المكاتبه إليه على ما ذكره في "التعريف" مثل صاحب جُولَمَرَك، وهى :  
 «أدام الله تعالى نعمة المجلس العالى الأمرى» . وذكر فى "التنقيف" أن المكاتبه  
 كانت إلى خَضِرِ بْنِ الْمُبَارِزِ كُتُ «صدرت» و «العائى» . والعلامة «أخوه» .  
 وتعريفه «خَضِرِ بْنِ الْمُبَارِزِ كُتُ» . مع عدم تعريفه على ما فى "التعريف" جملة .  
 وقد ذكر فى "التنقيف" منهم جماعة سوى مَنْ تقدم من هم منهم بالحزيرة . كالحاكم  
 بحزيرة ابن عمر، والحاكم بجافى . وصاحب عقروشوش . ولم يذكر بلاد من ذكره  
 منهم من باقى ذكره منهم ومن كان بكل بلد منهم من أكابره وحكامهم . ورسم  
 المكاتبه إليهم على ما ذكره . وهم قسما :

القسم الأول — من علمت المكاتبه إليه . وهم :

صاحب بَرُخُو — وهو يومئذ أمير حَسِينِ بْنِ الْمَلِكِ أَسَد . ورسم المكاتبه إليه  
 الأسم و «السامى» بالياء .

صاحب الباهيتية — قال : وكان بها شمس الدين بن البيلىق ، ثم استقر بعده أخوه  
 أحمد . ورسم المكاتبه إليه الأسم و «السامى» بالياء أيضا .

صاحب الدرْبَنْدَه — وهو سيف الدين أَصْبَرِ بْنِ أَرْشِيرِ الْحَسِينَانِ . ورسم المكاتبه  
 إليه الأسم و «السامى» بغير ياء . وتعريفه «أمير أَرْشِيرِ الْحَسِينَانِ صاحب الدرْبَنْدَه» .

صاحب كَرْمَلَيْس <sup>(٢)</sup> — وهو صاحب مسعود . ورسم المكاتبه إليه الأسم و «السامى»  
 بغير ياء .

(١) فى التعريف ولا أخته يقاربه الخ .

(٢) لعله وهو المعروف بخت مسعود .

صاحب العِمَادِيَّة — عمادُ الدين إسماعيلُ بن حليّ بن موسى . ورسمُ المكتبةِ إليه «السامى» بغير ياء . وتعريفه «صاحب قلعة العِمَادِيَّة» . وقد تقدم في الكلام على المسالك والممالك أنهم بالقرب من طائفة الجولمركية . قال في «التنقيف» وكان بها أولادُ الحاجي بن عمر، وردت مطالعته كذلك «الحاجي بن عمر صاحب العِمَادِيَّة» في ستة أربعين وسبعائة .

صاحب ماز كرد — حسنُ بن إسماعيل . ورسمُ المكتبةِ إليه الأسمُ و «السامى» بغير ياء .

صاحب رندشت — بيجال همدان وشهر زور . وهو عبدُ الله بن حسام الدين رسلان . ورسمُ المكتبةِ إليه الأسمُ و «السامى» بغير ياء .

صاحب جردقيل — بهاءُ الدين عمرُ بن إبراهيم الهكاري . ورسمُ المكتبةِ إليه الأسمُ و «السامى» بغير ياء .

صاحب سراك — كرجي بك . ورسمُ المكتبةِ إليه «مجلس الأمير» . والعلامة الأسم .

صاحب فلس<sup>(١)</sup> — سلطان شاه . ورسمُ المكتبةِ إليه «مجلس الأمير» . والعلامة الأسم .

صاحب شكوش — أمير أحمد . ورسمُ المكتبةِ إليه «مجلس الأمير» . والعلامة الأسم .

صاحب جرموك — «مجلس الأمير» . والعلامة الأسم الشريف .

(١) كذا بهذا الرسم في الأصل ولم تتر عليها كما لم تتر على كثير غيرها من هذه الاسماء ويظهر أنها أسماء مدن حدثت أو تغيرت .

صاحب بهرمان - عبد الصمد . ورسمُ المكتبة إليه « مجلسُ الأمير » .  
والعلامةُ الأسم .

صاحب حصن أَران - وهو حصن الملك - شجاع الدين خِضر بن عيسى  
الشهرى . ورسمُ المكتبة إليه « مجلسُ الأمير » والعلامةُ الأسم .

القسم الثاني - من ذكره في التتيف ولم يذكر مكانته وقال : إنه وقف عليه  
كذلك ، وهم :

صاحب خُفتيان - تاجُ الدين أخو باشاك .

صاحب سُويج - أمير عيسى بن باشاك .

صاحب أكريسنا - ملكُ بن باشاك .

صاحب يزا كرد - بهاءُ الدين الزرّازى .

صاحب زاب - نغرُ الدين عثمان الزابى .

صاحب الدرّسه <sup>(١)</sup> - شمسُ الدين بن بهاءُ الدين .

صاحب الدرّبنّات القرايلية - على بن كزاقى ، تعريفه « صاحبُ درّبنّد القرايلى » .

صاحب قلعة الجبلين - حُسامُ الدين بن تاجُ الدين العالمى .

صاحب سيدكان - أميرُ على بن حسامُ الدين الزرّازى .

صاحب هرور - بهاءُ الدين حسنُ بن عمّاد الدين .

صاحب رمادان - أميرُ عبد الله الكركانى .

صاحب الشّعبانىة - حُسامُ الدين أميرُ مصرى السينى .

(١) كذا في الأصل بغير نقط .

- صاحب نمرية - بهاء الدين .
- صاحب سياح - سنقر .
- صاحب المحمدية - الشيخ محمد .
- صاحب كوكبك - .

### الضرب الثاني

(من لم يَصْرَحْ له بمكان)

وقد ذكر في "التنقيف" منهم جماعة من كان في الزمن المتقدم، وصرح بذكر المكتبة إليهم، فذكر منهم أبو بكر بن المبارز ككُ الاسم و «السامى» بغير ياء، وتعريفه اسمه .

مبارزُ الدين عبد العزيز أخوه مثله .

عليُّ وعمرُ ولدا ابن روى<sup>(١)</sup> خليل بن روى<sup>(١)</sup> . ورسم المكتبة إلى كلٍّ منهما الاسمُ و «السامى» بغير ياء .

خالدُ المليكى كذلك .

أولاده : محمودٌ وأحمد «مجلس الأمير» .

بهاء الدين بن الغرس بألو - الاسم و «السامى» بغير ياء .

عبد الله الشهرى - الاسم و «السامى» بغير ياء .

شجاعُ الدين خَضر بن عيسى الشهرى أخو عبد الله الشهرى - الاسم و «السامى» بغير ياء .

(١) كذا بالأهمال ولم نشر عليه بعد البحث .



مبارز بن عيسى بن حسن السلاري - الأسم و « السامى » بغير ياء . قال  
في « التنقيف » : ومكاتبه مستجدة في العشر الأول من شعبان سنة ثلاث وستين  
وسبعائة .

خضر بن محمد الهكاري - الأسم و « السامى » بغير ياء . قال : وهو مستجد المكتبة  
أيضا في العشر الآخر من صفر سنة تسع وستين وسبعائة .

قلت : فإن اتفق المكتبة إلى أحد من هؤلاء المجهولى الكتابة أو غيرهم من  
الأكراد كتب له على قدر مقداره بالنسبة إلى من علمت المكتبة إليه .

قال في « التعريف » هنا : ومما يُنبه عليه أن في طرق المسارين ، ومسالك  
المسافرين ، من بلادنا إلى خراسان ومنها إلينا يظهر في بعض الأحيان أهل فساد  
يعمدون إلى عميد يقدمونه عليهم فيقطعون السبل ، ويخيفون الطرق ، وتطير سمعة  
تمييدهم ، وتتشر في قريتهم وبعيدهم ، فيكتب ذلك العميد من أبواب الملوك ،  
ويضطر إليه لفتح الطريق بالسلوك ، ويكون من غير بيت الإمرة ، وربما هوى نجهه ،  
فانقطع بانقطاع عمره اسمه ، مثل الجملوك الخارج بطريق خراسان ، والغرس بالو  
الخارج فيما يقارب بلاد شهر زور ، ومثل الخارجين على درب سد القرايلى . قال :  
وهؤلاء وأمثالهم يطلعون طلوع الكفاة لأصل ممتد ، ولا قرع مشتد ، فهؤلاء لا يعرف  
لأحد منهم رتبة محفوظة ، ولا قانون في رسم المكتبة معروف ، وإنما الشأن  
فما يكتب إلى هؤلاء بحسب الإحتياج وقدر ما يعرف لهم من اشتداد الساعد ، وعدد  
المساعد . قال : ولقد كتبنا إلى كل من الجملوك والغرس بالو ، بالسامى بالياء ،  
وجّهت إليهما الخلع وأثيفا بالتحف .

## الصف السادس

(من يكتب بمملكة إيران أرباب الأقاليم)

ذكر في "التتيف" أنه كُتِبَ إلى محمد الدين أنى الوزير غياث الدين: «أدام الله تعالى نعمة المجلس العالى، الصاحي، الأجي، الكبيرى، العالمى، الكافى، الماجدى، الزينى، الأميرى، الأوحدي، المعظمى، الذخرى، المجاهدى». .  
قال في "التتيف": هذا ما وجدته بخط القاضي ناصر الدين بن النشاني، ولم يذكر تعريفه ولا العلامة إليه. وكُتِبَ إلى علاء الدين صاحب الديوان مثله. والعلامة إليه «أخوه». قال في "التتيف": هكذا وجدته في خط ابن النشاني ولم يذكر تعريفه.

الوزير شمس الدين — قال في "التتيف": نقلت من خط القاضي شهاب الدين ابن الخضر أن مكاتبته في قطع العادة الأسم و «السامى الأميرى الشريفى الحسينى النسبى». . وبقية الألقاب. ولم يكتب له «الصاحي» ولا «الوزيرى». قال: ولم يذكر شيئاً غير هذا. ثم قال: ولا أعلم لمن وُزِّرَ المذكور، ولا من أى بلاد الشرق.

ضياء الدين صاحب الديوان — المكاتبه إليه حسب ما نقله في "التتيف" عن خط ابن الخضر أيضا الأسم و «السامى الأمير الأجل». . وذكر أنه كُتِبَ إليه على يد سراج الدين قاضى قيسارية. قال في "التتيف": وعلى هذا أن ضياء الدين هذا من أهل المملكة الرومية.

مُعين الدين صاحب الديوان — مثله.

## الصنف السابع

( من يكتب بمملكة إيران أكابر المشايخ والصلحاء )

قد ذكر في "التنقيف" من كُتِبَ من مشايخ هذه البلاد ثلاثة مشايخ . فنحن نذكرهم ليقاس عليهم ، ولا يهمل شيء مما أورده في التنقيف .

الأول - شمس الدين الطوطى . قال في "التنقيف" : وهو فيما أُظُنُّ من كان يُكْتَبُ إليه قديما ، ولم يُكْتَبْ إليه بعد ذلك . قال : ورسم المكتبة إليه حسب ما نقلته من خط القاضي ناصر الدين بن النشأى : « صدرت هذه المكتبة إلى المجلس السامى الشيخى ، الأجلّى ، العالمى ، العاملى ، الكامل ، الفاضل ، الزاهدى ، الورع ، العابدى ، الخاشعى ، الناسكى ، القدوى ، الأوحدى ، الفلافى ، مجد الإسلام ، صدر الأنام ، بقية السلف الكرام ، نفي العلماء ، أوحده الكبراء ، زين الزهاد ، عماد العبادة ، قدوة المتوزعين ، دُخْرُ الدُّوَل ، ركن الملوك والسلاطين » . والدعاء « وتصف لعلمه المبارك » . والعلامة الأسم . قال في "التنقيف" : هذا صورة ما وجدته من غير زيادة . ولم يذكر تعريفه ولا محله من البلاد . قال : وقد كُتِبَ في نعوته : « ركن الملوك والسلاطين » . وهو غريب لأنه خلاف ما جرت به العادة .

الثانى - الشيخ غياث الكججى تبريزى . ورسم المكتبة إليه فيما ذكره المشار إليه : « أعاد الله تعالى من بركة المجلس السامى الشيخى » . وبقية الألقاب « الغيائى » وتكملة النعوت بما يناسب . والعلامة الأسم ، وتعريفه « محمد الكججائى » .

الثالث - الشيخ حسن بن عبد القادر الحيلانى . وكان من المناهجين الذين يُكْتَبُ إليهم قديما . قال في "التنقيف" : ورسم المكتبة إليه الأسم و« السامى » بالياء . ثم قال : ومن ألقابه : « الشيخ العالم العامل القدوة المرشد فلان الدين » .

قلت : هذا دُھول منه ، وإلا فقتضى هذه الألقاب المجردة عن الياء أن تكون الكتابةُ إليه «السامى» بغير ياء .

### الصنف الثامن

( ممن يكتب بمملكة إيران النساء )

وقد ذكر في " التتيف " المكاتبَةُ إلى أربعٍ منهن :<sup>(١)</sup>

الأولى — دل شاد زُوج الشيخ حسن الكبير . كُتِبَ إليها في قُطعِ العادة : « أدام الله تعالى صَوْنَ الجهة المحجبة ، المصونة ، العِصمية ، الخاتونية ، المعظمية ، سيدة الخواتين ، زينة نساء العالمين ، جميلة المحجبات ، جليلة المصونات ، قرينة نُوَيْرِ الملوك والسلاطين » . والدعاء ، والعلامة « أخوها » . وتعريفها « الخاتون المعظمة دل شاد » .

الثانية — كاش والددة بولاد مثلها ، غير أن العلامة الأسم ، وتعريفها آسُمها المذكور .

الثالثة — زوجة أملكان ابن الشيخ حسن الكبير على ما استقرَّ عليه الحال عند ما كتب جوابها على يد رسولها في ذى القعدة سنة أربعين وسبعائة مثل دلشاد ، والعلامة « والدها » . وتعريفها سلطان نختي .

### المهيمع الثاني

من المكاتبَةِ إلى الملوك

( مملكة تُورَانَ ، وهي مملكة الخاقانية )

قد تقدم في الكلام على المسالك والممالك في المقالة الثانية نقلاً عن المقرَّ الشهابي ابن فضل الله في كتابه " التعريف " أن هذه المملكة من نهر بلخ إلى مطلع الشمس

(١) لم يذكر الرابعة في الأصل .

على ستمت الوسط ، فما أخذَ عنها جنوباً كان بلادَ السُّند ، ثم الهند ، وما أخذَ عنها  
شمالاً كان بلاد الخُفجاج وهي طائفة القَبجاق ، وبلاد الصَّقَلَب ، والجهارمُرس ،  
والرُوس ، والمآجار ، وما جاؤَهم من طوائف الأمم المختلفة سُكَّان الشمال .  
فِيَدْخُلُ في هذه المملكة ممالك كثيرةٌ وبلاد واسعة ، وأعمال شاسعة ، وأممٌ مختلفة  
لا تكاد تُحصى ، تشتمل على بلاد غَزَنَةَ ، والبامِيان ، والغُور ، وخُوارِزْم ، ودشت  
القَبجاق ، وما وراءَ النهر : نحو بُخارا ، وسمرقند ، والصغد ، والنخجند . وبلاد  
تُرِكستان ، وأشروسنة ، وقرغانة . وبلاد صاغون ، وطرآز ، وصريروم . وبلاد الخطا  
نحو شمالق والمسائق إلى قرآقوم ، وما وراء ذلك من بلاد الصين وصين الصين ،  
فإنها كانت في القديم بيد قرآسياب ، بن شنك ، بن رُسْم ، بن تْرُك ، بن كُومر ،  
أبن يافث ، بن نُوح عليه السلام . وهو ملكُ الترك في زمانِ موسى عليه السلام ،  
على خلاف في نسبه سبقُ هناك . وأنها الآن بيد بني جنكرخان من ولد طُوجي خان  
أبن جنكرخان .

ثم هذه المملكة بيد ثلاثة ملوك عظام من بني جنكرخان .

الأول — صاحبُ خُوارِزْم ودشت القَبجاق . وتُعرف في القديم بمملكة  
صاحب السِّرير ، ثم عُرفت في الدولة الجنكرخانية ببنت بركة ، نسبة إلى بركة  
أبن طُوجي خان بن جنكرخان . وقاعدتها مدينة السَّرَوى وهي مدينةٌ على نهر إاتل ،  
بناها بركة بن طُوجي خان المقدم ذكره . وقد تقدم الكلام على ذلك مستوفٍ في الكلام  
على المسالك والممالك .

ثم فيها جملتان :

(١) هي مدينة نصرى بالصاد المهملة المنقذة ، في ج ٤ ص ٤٥٧ .

## الجملة الأولى

( في رسم المكاتبة إلى قائمها القائم بها )

قال في "التعريف": وكان صاحبها في الأيام الناصرية، (يعني محمد بن قلاوون) «أزبك خان». وقد خطب إليه السلطان فزوجه بنتا تقرباً إليه. قال: وما زال بين ملوك هذه المملكة وبين ملوكنا قديم اتحاد، وصديق ووداد، من أول أيام الظاهر بيبرس وإلى آخر وقت. ثم قال: والملك الآن فيهم [في أولاد أزبك]: إمامتي بك، وإماماني بك، وأظنها في نتي بك. وقد تقدم أن الملك بعد أزبك كان جاني بك لا نتي بك، على خلاف ما ظنه في التعريف.

ورسم المكاتبة إلى قائمها الجامع لحدودها قال في "التعريف": والأغلب أن يكتب إليه بالمعنى. وذلك مما كان يتولاه ايمش محمدى، وطايربغا الناصرى، وإرغدلى الترمجان. ثم صار يتولاه قوصون الساقى. ورأيت في بعض الدساتير نقلا عن القاضى علاء الدين بن فضل الله أنه كتب له مسودة على أن تكتب له بالعربى ثم بطل وكتب بالمعنى. قال: فإن كتب له بالعربى، فرسم المكاتبة إليه ما يكتب إلى صاحب إيران.

وقد تقدم قلا عن "التعريف" أنه يكتب في قطع البغدادي الكامل، يتبدأ فيه بعد البسلة وسطر من الخطبة المكتبة بالذهب المزمك - بالقباب سلطاننا على عادة الطغراوات، ثم تكمل الخطبة، ويفتح ببعدية إلى أن تساق الألقاب، وهي: «الحضرة الشريفة، العالية، السلطانية، الأعظمية، الشاهنشاهية، الأوحديّة، الأخوية، القانية. ولا يخلط فيها «الملكية» هوانها عليهم. ثم يدعى له بالأدعية المعظمة المفخمة الملوكية: من إعزاز السلطان، ونصر الأعوان، وحلّود

(١) الزيادة من "التعريف".

الأيام، ورفع الأعلام، وتأييد الجنود، وتكثير البُنود، وما يجري هذا المجرى .  
ثم يؤتى بذكر دوام الوداد والشوق، ثم يذكر القصد، ثم يحتم بدعاء جليل وتستعرض  
المراسيم ويوصف التطلع إليها والتهاقتُ عليها .

قال في "التثقيف": وكان يُكْتَب إلى أربك في الأيام الناصرية «محمد بن قلاوون»  
في ورق عَرَض البغداديّ الكامل . وبعد البسملة الشريفة سطران هكذا :

بِقُوَّةِ اللهِ تَعَالَى

وَمِيَامِنِ الْمَلَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ

ثم يحلّ موضع بيت العلامة، ثم تكتب الألقاب السلطانية، وهي : «السلطان  
الأعظم» وبقية الألقاب الشريفة على العادة حسب ما يأتي ذكره . ثم بعد الحمدلة  
وخطبة مختصرة جداً : «فقد صدرت هذه [المكتبة] إلى الحضرة الشريفة العالية،  
حضرة السلطان الكبير، الأنج، الشفيق، العالم، العادل، القان الأعظم، الأوحدي،  
شاهنشا، الملك، أربك إل خان، سلطان الإسلام والمسلمين، أوحدي الملوك  
والسلطين، عمدة الملوك، سلطان المعل والقباقي والترك، جمال ملوك الزمان، ركن  
بيت جنكرخان، معز طنجان، صاحب التخت والتاج، عضد المتقين، دُختر المؤمنين .  
والدعاء بما يناسبه، «فإننا نخصه بالسلام وأستعلام أخباره وتفاوض علمه الشريف» .  
قال : والكاتب بالذهب والأسود حسب ما تقدم في المكتبة إلى أبي سعيد، وكذا  
العنوان . ثم قال : ولم يكتب أحد بعده بنظر ذلك . وكان قد ورد على الأبواب  
الشريفة في سنة ست وخمسين وسبعائة كتاب جاني بك ابن أربك، وكتب إليه  
الجواب الشريف بنظر الكتاب الوارد من عنده، وهو في ورق دون البغداديّ  
بنلات أصابع مطبوقه، والافتتاح بخطبة مناسبة مكتوبة بالذهب جميعها، ثم أما بعد

بالأسود خلا ما تقدم ذكره في مكانية أبي سعيد، والعنوان بالذهب، والذي كُتب إليه من الألقاب: «الحضرة الشريفة، العالمة، السلطانية، الأعظمية، العالمة، العادلية، الأكلية، القانية، الأخوية، العزيزية، الملكية، الشرفية زيدت عظمتها». قال: ولما كان في العشر الآخر من ربيع الأول سنة ست وسبعين ومبعمائة، رسم لي بالكتابة إلى القان محمد يبلاد أربك، وهو القائم مقام أربك على ما قيل، على يد رسل الأبواب الشريفة، بالسلام والموودة وأسنعلام الأخبار ونحو ذلك فكتبته إليه في عرض البغدادى الكامل حسب ما رسم به، بخطبة مختصرة بالذهب، والبقية بالأسود والذهب على ما تقدم ذكره في مكانية القان أبي سعيد. وكُتب له من الألقاب بعد المراجعة: «المقام العالى، السلطانى، الكبيرى، الملكى، الأشرفى، الأعدلى، الشمسى، شمس الدنيا والدين، مؤيد الغزاة والمجاهدين، قاتل الكفرة والمشركين، ولي أمير المؤمنين خلدت سلطنته». والعنوان بالذهب بغير تعريف. وعلم له في بيت العلامة الشريفة بالمفرقة العراقية «المشتاق شعبان». وهذه نسخة ما كتب إليه بعد البسملة الشريفة.

الحمد لله الذى وهبنا ملكا دانت له ملوك الأقطار، وأزدانت الأسيرة والبيجان بما له من عظمة وقهار، وأذعن العطاء لعزة سلطانه الذى شمل الأولياء وقصم الأعداء، بره الجابر وقهره الجبار، وقاد الجيوش إلى أن فتح الله على يديه الشريفتين معاقل الكفار، بأمره الجارى على الرقاب وعسكره الجرار، ومنحه خدمة الحرمين الشريفتين اللذين لم يزل لهما منه الانتصاب وبهما له الانتصار. بحمده على أن جعل مملكتنا الشريفة هى محل الإمامة العباسية فلا يجوز ولا إنكار، ومرتبنا المنيفة بما عهد به إلينا أمير المؤمنين إلى قيام الساعة عيلة المقدار، ونشكره على أن أورشنا ملك أسلافنا الشهداء فأقر العيون وسر الاسرار، وجعل السلطنة العظمة فى بيتنا المكرم تنقل



تَقَلُّ البُدُورِ فِي بُرُوجِهَا إِلَّا أَنهَا آمَنَةٌ مِنَ السَّرَارِ . ونشهد ان لا إله إلا الله وحده  
لا شريك له شهادة لم نزل قائلين بِنُصْرَتِهَا ، قائلين بالإخلاص في كلمتها . نُعَدُّ بِذَلِكَ  
مِنَ الْأَبْرَارِ ، ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله المُوَيَّدُ بِمَلَائِكَتِهِ ، الْمَخْصُوصُ بِبِنُوتِهِ  
وَرِسَالَتِهِ ، الَّذِي عَظَّمَ اللَّهُ قَدْرَهُ عَلَى سَائِرِ الرُّسُلِ كَمَا جَاءَتِ النُّصُوصُ وَالْأَخْبَارُ . صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَوَّلَى الْفَضْلِ الدَّازِ ، صَلَاةً دَائِمَةً بَاقِيَةً بِدِيَامِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَسَلَامًا .  
أما بعد ، فإنَّ قُلُوبَ الْأَوْلِيَاءِ وَإِنْ تَنَاءَتِ الْأَجْسَامُ مُتَعَارِفَةً بِالْإِخْتِلَافِ ، مُتَقَارِبَةً  
عَلَى بُعْدِ الدِّبَارِ حَيْثُ لَا تَتَاكَّرُ بَيْنَهَا وَلَا اخْتِلَافٌ ، لِاسْمِهَا مُلُوكُ الْإِسْلَامِ ، الَّذِينَ هُمْ  
مُتَّحِدُونَ بِالصَّفَاةِ وَالْإِسْتِسْلَامِ ، فَإِنْ سَرَّاهُمْ لَمْ تَزَلْ مُتَدَائِيَةً ، وَضَمَّاهُمْ مُتَكَاثِفَةً ،  
هَذَا وَالْمَحَبَّةُ لِبَيْتِهِ الْكَرِيمِ قَدِيمَةٌ ، وَالْمُودَّةُ بَيْنَ الْأَسْلَافِ لَمْ تَزَلْ مُسْتَدِيمَةً ، فَلَمْ نَكُنْ وَرِثَانًا  
ذَلِكَ عَنِ كَلَالَةٍ ، بَلْ تَبَعْنَا فِيهِ سَبِيلَ السَّلَفِ الصَّالِحِ عَلَى أَحْسَنِ حَالِهِ : لَمَّا هُوَ مُحْكَمٌ  
مِنَ عَقُودِ الْإِخْتِمَادِ وَالْوَلَاءِ ، حَيْثُ الْمَحَبَّةُ فِي الْآبَاءِ صَلَةٌ فِي الْأَبْنَاءِ ، وَكَانَ لَنَا مَدَّةٌ مُدِيدَةٌ  
وَقَدْ تَأَخَّرَتْ رِسْلَانَا عَنْ حَضْرَتِهِ وَلَمْ تَصْدُرْ مِنْ جِهَتِنَا الشَّرِيفَةِ ، كَذَلِكَ وَلَا وَرَدَتْ  
رِسْلٌ مِنْ جِهَتِهِ ، وَلَمْ يَسْتَفْلِتْنَا عَنْ ذَلِكَ إِلَّا مَوَاقِعَ الْفَرَّجِ الْمُخْذُولِينَ أَعْدَاءَ الدِّينِ ،  
وَمَقَارِعَهُمْ فِي سَائِرِ السَّوَاهِلِ بِسُدَّةِ الْبَأْسِ وَالْتِمَكِينِ ، بَلَى أَنْ أَمَكَنَ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ مِنْ  
نَوَاصِيهِمْ وَصِيَاصِيهِمْ بِنُصْرٍ مِنْ عِنْدِهِ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

وَالْآنَ قَدْ صَدَرَتْ هَذِهِ الْمَكَاتِبَةُ إِلَى الْمَقَامِ الْعَانِي السَّلْطَانِي - وَبِقِبَةِ الْأَلْقَابِ  
وَالنُّعُوتِ إِلَى آخِرِهَا حَسَبَ مَا تَقَدَّمَ ذَكَرَهُ - نُحُصُّ مَقَامَهُ بِسَلَامٍ أَرْقٍ مِنَ النَّسِيمِ ،  
وَالطَّفِّ مِزَاجًا مِنَ النَّسِيمِ ، وَشَاءَ قَدْ أَرَى نَشْرَهُ بِالْعَيْبَرِ ، وَسَرَى بِشْرَهُ فَغَدَّتْ تَهَلُّلٌ  
بِهِ الْأَسَارِيرُ . وَتُبْدَى لِعِلْمِ الْمَقَامِ الْعَانِي زَيْدَتْ مَعْدِيَّتُهُ أَنَّهُ لَمَّا يَلِغْنَا مِنْ عَدْلِ الْحَضْرَةِ  
الشَّرِيفَةِ ، وَإِنْصَافِهِ لِلرَّعَايَا وَتَأْمِينِ سُبُلِ الْحَوَارِ الْمُخِيفَةِ ، وَسُلُوكِهِ سَنَنِ الْإِحْسَانِ ،

وتأكد عقود المحبة على عادة من سلف في سالف الزمان ؛ فصدنا مفتاحه بهذه المكتبة ، و اردنا بدياته بهذه الخطابية ؛ ليعلم مانحن عليه من صحیح الوداد ، وأكيد الاتحاد ، ووجيل الاعتقاد ، وحسن الموالاة الخالصة من شوائب الانتقاد ؛ وجهزنا بها رُسُلنا فلان وفلان ومن معهما نستدعي وده ، ونستدني وآءه الذي أحكم عقده ؛ لناكد المصافاة بين هاتين الدولتين ، والمخالصة من كلنا الجهتين ، والموالاة بين المملكتين ؛ ويامر المقام العالى لازال عاليا بتردد التجار من تملك الديار ، والمواصله بالأخبار على حسب الاختيار ؛ ومتابعة الرسل والقصاد ، على أجمل وجه معتاد .

وقد وجهنا إلى المقام العالى أعلى الله شأنه صحبة رُسُلنا المذكورين من الأقمشة السكندرية وغيرها على سبيل الهدية ، والمواهب السنية ؛ ما تضمنته الورقة المجهزة طمها ؛ فليأمر المقام العالى دامت معدنته بتسليم ذلك ، و يدين فور المحبة من سلطاننا المالك ؛ وتأكد أسباب المودة على أجمل المسالك ، والله تعالى يجمل بقاء سلطانته ملك الممالك ؛ ويديم عدته المبسوط على الأولياء ويرمي بباسه الأعداء في مهاوى المهالك ، ويغلب ملكه الذى تفتخر بالملك من مقامه العالى السرر والأرائك ؛ بمنه وكرمه ، إن شاء الله تعالى .

وأعلم أن صاحب "التتيف" قد ذكر أن المكتوب إليه بهذه المكتبة هو القائم مقام أربك ، وأن اسمه محمد ، وأن المكتبة إليه كانت في سنة ست وسبعين وسبعمائة . وقد تقدم ذكر من ولي هذه المملكة بعد أربك ولم يكن فيهم من اسمه محمد . وقد كان القائم بهذه المملكة في سنة ست وسبعين المذكورة اسمه "أرض" وهو الذى آتزع المملكة من أيبك خان المقدم ذكره ؛ وأصله من خوارزم على ما مر ذكره في الكلام على المسالك والممالك ، فيحتمل أن يكون اسمه محمد وأرض لقب

عليه ، كما كان خَدَابَنْدَا والدُ أَبِي سَعِيدٍ مِنْ مَلُوكِ إِيرَانَ ، أَسْمُهُ مُحَمَّدٌ ، وَلِقَبُهُ خَدَابَنْدَا .  
والأمر في ذلك راجع إلى النقل ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

قلت : وقد كُتِبَ فِي الدَّوْلَةِ النَّاصِرِيَّةِ "فَرُوحُ" بْنِ الظَّاهِرِ بَرْقُوقِ ، لِلْقَانِ الْغَائِمِ بِهَا  
فِي سَنَةِ أَلْفِ عَشْرَةٍ وَتَمَامَانَةٍ فِي قَطْعِ الْبَغْدَادِيِّ الْكَامِلِ مِنَ الْوَرِقِ الْمِصْرِيِّ الْمَعْمُولِ  
عَلَى هَيْئَةِ الْبَغْدَادِيِّ ، أَسْتَدْيُ فِيهِ بَعْدَ خَمْسَةِ أَوْصَالٍ بِيَاضٍ بِالْمِسْلَةِ فِي أَعْلَى الْوَصْلِ  
السَّادِسِ ، بِبِيَاضٍ مِنْ جَانِبَيْهَا عَرَضُ إِصْبَعَيْنِ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ ، وَالسَّطْرُ الثَّانِي عَلَى سِتْمَتِهِ  
فِي آخِرِ الْوَصْلِ ، يَخْتَوِي بِيَاضٍ مِنَ الْخَانِيَيْنِ بِقَدْرِ السَّطْرِ الْأَوَّلِ ، وَالطُّغْرَاءُ بَيْنَهُمَا بِالْقَابِ  
سُلْطَانًا عَلَى الْعَادَةِ ، مَكْتُوبَةٌ بِالذَّهَبِ بِالْقَلَمِ الْحَقِيقِ مَزْمَكٌ بِالسَّوَادِ ، بِأَعْلَى الطُّغْرَاءِ  
قَدْرُ عَرَضِ ثَلَاثَةِ أَصَابِعٍ بِيَاضًا ، وَمِثْلُ ذَلِكَ مِنْ أَسْفَلِهَا ، وَبَاقِي السُّطُورِ بِهَا مَشَى مِنْ  
الْخَانِبِ الْأَيْمَنِ عَلَى الْعَادَةِ ، وَبَيْنَ كُلِّ سَطْرَيْنِ قَدْرُ نِصْفِ ذِرَاعِ بَدْرَاعِ الْقَهَاشِ الْقَاهِرِيِّ ،  
وَالْأَسْمَاءُ الْمَعْظَمَةُ : مِنْ أَسْمِ اللَّهِ تَعَالَى وَرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَسْمِ سُلْطَانِنَا  
وَالسُّلْطَانِ الْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ ، وَالضَّمِيرُ الْعَائِدُ عَلَى وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِالذَّهَبِ الْمَزْمَكِ كَمَا تَقَدَّمَ  
تَقْرِيرُهُ فِي الْكَلَامِ عَلَى مَكَاتِبَةِ صَاحِبِ إِيرَانَ فِي الْقَدِيمِ .

وهذه نسخة مما أنشأته ، كُتِبَتْ بِإِشَارَةِ الْمَقْرَعِ الْعَالِيِ الْفَتْحِيِّ : صَاحِبِ دِيْوَانِ  
الْإِنْشَاءِ الشَّرِيفِ وَهِيَ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ مُؤَيِّدِ سُلْطَانِنَا « النَّاصِرِ » بِعَزِيزِ نَصْرِهِ ، وَرَافِعِ قَدْرِ مَقَامِنَا الشَّرِيفِ بِإِعْلَاءِ  
مَنَارِهِ وَإِعْظَامِ ذِكْرِهِ ، وَمُسَيِّدِ أَرْكَانِ مُلْكِنَا الشَّيْخِ بِإِسْعَادِ جَدِّهِ الْعَالِيِ وَتَالِهِ غَالِبِ عَلَى  
أَمْرِهِ . نَحْمَدُهُ عَلَى مَا جَنَّبَ مِنْ مَوَاقِعِ الْحَرَجِ ، وَجَعَلَ أُمُورَ رِعَايَاتِنَا بِمَعْدِلَتِنَا الشَّرِيفَةِ  
بَعْدَ الصِّبْقِ إِلَى فَرُوحِ ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً يَتَوَارَثُهَا  
عِظَاءُ الْمُلُوكِ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ ، وَبِنِاقَلِهَا مِنْهُمْ الْخَلْفُ بَعْدَ السُّلْفِ فَيُسَيِّدُهَا النَّاصِرُ عَنْ

الظاهر ، وشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله أفضل نبي جمع بموم دعوته مفترق الأمم ، ووفق بحنيفة ملته بين أقبال العرب وأساورة المعجم ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين اتخى بينهم فسناً المؤاخاة ، ونق من نفل الضغائن صدورهم ففازوا بكل المصافاة وأتم الموافاة ؛ صلاة تسير بفضلها الركائب ، وتزعم بذكرها الحداثة فعم نفاها المشارق والمغارب ، وسلم تسليماً كبيراً .

أما بعد ، فإن الأرواح إذا تمازجت تاجت بالضمائر ، والقلوب إذا تألفت اعتنت بشواهد الحال عن إبراز مافي السرائر ؛ والأجساد إذا تباعدت تعلت بالمكاتبات في بلوغ الأوطار ، والديار إذا تناعت اكتفت بالمراسلة عن تقارب الدار ؛ والمودة إذا صفت لا يؤثر فيها العباد ، والمحبة إذا صدقت لا تزال كل يوم في ازدياد ؛ والأذن تعشق قبل العين أحياناً ، والوضف يحرك من الشوق أغصاناً وأفناناً .

هذا وإن أحق ما اتخذته الملوك ذريعة لدواعي الإبتهاج ، وأهم ما أهتم به متخت بتخت أو متوج بتاج ؛ إحياء مذاهب الملوك السالفة في الوداد ، واقتفاء آثارهم الجميلة في موارد المكاتبات على الثنائى والعباد ؛ ومن ثم صدرت هذه المكاتبه إلى المقام العالى ، السلطاني ، الكبيرى ، الأخوى ، الفلاني ؛ ركن الملة الإسلاميه ، عماد المملكة الحنكرخانيه ، ذخيرة الدين ، خليل أمير المؤمنين - زيدت عظمته ، ودامت معدنته - تحضه بسلام تهب به الجنوب فتؤثر به في الشمال القبول ، وتحض به إلى السراي سراها ليكون لها بيت بركة أشرف قدم وأكرم وصول ؛ وتمتد على خوارزم والمدشت فضل رواقه المديد ؛ وتشر على مملكة السريلواة فيهم ما بين جيحون وطرنا ويشمل ما بين الخطا والباب الحديد . وتناجى علمه الشريف بأنه غير خاف عن شريف مقامه

(١) لله طنا . أو طرنا .

(٢) هو بكسر الطاء المعجمة وفتح الطاء المهملة وألف في الآخر كما تقدم ضبطه كذلك في ج ٤ ص ٤٨٣ .

أَنْ مَنْ سَلَفَ مِنْ مُلُوكِ مَمْلَكَتِنَا الْعَالِيَةِ الذَّرِيَّةِ ، وَالثَّلَاثَةِ الْقَائِمَةِ الْمَرْفُوعَةِ الذِّكْرِ رَفَعَ نَارَ  
الْقِرْيَةِ ؛ لَمْ تَزَلْ مُلُوكُهُمْ مَجْمَعَةً مَعَ تَنَائِي الدِّيَارِ ، مُؤْتَلِفَةً عَلَى الْحُبَّةِ وَإِنْ سَطَّ الْعَزَارُ ؛  
عَاقِفِيْنَ عَلَى تَسَابُعِ الرُّسُلِ وَإِنْ حَالَ دُونَهُمُ الصَّفَاحُ . مَشَارِقِينَ عَلَى تَوَارِدِ الْكُتُبِ  
وَلَوْ عَلَى أُنْجُنَةِ الطَّيْرِ وَمُتُونِ الرِّيَاحِ ؛ وَقَدْ مَضَتْ مَدَّةٌ مَدِيدَةٌ لَمْ يَقْدَمْ عَلَيْنَا مِنْ  
الْمَقَامِ الشَّرِيفِ - عَظَّمَ اللَّهُ تَعَالَى شَأْنَهُ - رَسُولٌ يُطْفِئُ لَوَائِحَ الْإِشْتِيَاقِ ، وَلَا وَرَدَ عَنْهُ  
كِتَابٌ يَتَعَلَّلُ بِالْحُبِّ بِتَلْقِيهِ عَنْ حَقِيقَةِ التَّلَاقِ ؛ بَلْ سَدَّ بَابَ الْمَكَاتِبَةِ حَتَّى كَأَنَّ الْمَكَاتِبَةَ  
لَمْ تُخْلَقْ ، وَأَغْلَقَ بَابَ الْمُرَاسَلَةِ وَإِنْ كَانَ بَابُ الْحُبَّةِ - بِحَمْدِ اللَّهِ - لَمْ يُنَاقَ ؛ فَطَمَحَ  
بِحَاطِرِنَا الشَّرِيفِ طَامِحِ الشُّوقِ الْمُتَعَارِدِ ، وَحَمَلْنَا مَوْصُولَ الْحُبَّةِ الْمُسْتَعْتَبِ بِمَوَاصِلِهِ عَنْ  
الصَّلَاةِ وَالْعَابِدِ ؛ أَنْ تَفَاحَ الْمَقَامِ الْعَالِي دَامَتْ مَعِدَلَتُهُ بِهَذِهِ الْمُقَاوِضَةِ ؛ لِتُجَدِّدَ مِنْ  
الْعُهُودِ الْقَدِيمَةِ رُسُومَهَا ، وَتُطْلَعَ مِنْ مَشَارِقِ الْمَخَاطِبَةِ نُجُومَهَا ؛ وَتَنْسَخَ آيَةَ الْحِجْرَانِ  
وَتَجُوهَا ، وَتَصْقُلَ مِرْآةَ الْمُصَافَاةِ وَتَجْلُوهَا ؛ وَتَسْجَلِبَ الْأَنْسَ وَإِنْ صَحَّ السِّبَاقُ ،  
وَتَذَكَّرَ الْخَوَاطِرَ الْوِدَادَ وَإِنْ ثَبَّتَ مِنْهُ الْأَصُولُ وَرَتَحَتْ الْأَعْرَاقُ ؛ وَتَتَوَبَّعَ عَنْ  
نَظَرِنَا الشَّرِيفِ فِي مُشَاهَدَةِ عِيَّاهِ الْكَرِيمِ ، وَمُصَاحَفَةِ كَفِّهِ الَّتِي حَدِيثٌ وَدَهَّاهُ قَدِيمٌ ؛  
وَتَسْتَطْلِعَ أَخْبَارَهُ ، وَتَسْتَعْرِضَ عَلَى تَعَاقُبِ الْأَزْمَانِ أَوْطَارَهُ .

وقد آخترنا لتبليغ رسالتنا ، وأداء أمانتنا ، المجلس السامي المقرب الأمين خواجا  
فلان أعزه الله تعالى ، وحنلناه من السلام ما يهندي بصفوه الساري ، ويفوق برفه  
العبر الشجري والمسك الداري : ليحكم بحسن السفارة من الخائصة مباتينا ،  
ويتقد منها بمنابعة الرسل والمصدا أوأخيها ، وجهزنا بحبته كذا وكذا على سبيل  
الهدية المندوب بذلها وقبولها ، والحالكم بصحة عقد المحبة كثيرها وقيلها ، والله تعالى  
يزيد في آرتفاع قدره الخطير ، ويحوط به من ملكه الجنكرخاني ما يحقق أنه  
صاحب التاج والسري .

## الجملة الثالثة

(في رسم المكاتبة إلى من أطوت عليه هذه المملكة من الأتباع والحكام،  
وهم على<sup>(١)</sup> أصناف)

## الصنف الأول

(كُفَّال المملكة)

قد تقدم أن ترتيب هذه المملكة في أمراء الأتوس والوزير نحو مملكة إيران،  
وإن لم يكن لأمير الأتوس والوزير بهذه المملكة من نفاذ الأمر نظير ما هنالك .  
ومقتضى ذلك أن يكونا منحتطين في الرتبة عن أمراء الأتوس بإيران والوزير بها،  
وهذه الرسوم التي وقعت في مكاتباتهم على ما أورده في "التثقيف" .

وأمرء الأتوس أربعة، أكبرهم يسمى بكلارى بك بمعنى أمير الأمراء كما تقدم  
في مملكة إيران . فقد ذكر في "التثقيف" أنه كان منهم في سنة آنتين وثمانين  
وسبعائة قتلوبغا إيناق ، وأنه كتب إليه في عاشر جمادى الآخرة منها ما صورته :

«ضاعف الله تعالى نعمة الجنب العالی، الأمیری، الکبیری، العالمی، العادلی،  
المؤیدی، العونی، الرعیعی، المهدي، المشیدی، الظهیری، التوبی، السیفی،  
عز الإسلام والمسلمین، سیف الأمراء فی العالمین، نُصرة الفزاة والمجاهدين، زعيم  
الجیوش، مقدم العساكر، كهف المله، دُخر الدوله، ظهير الملوك والسلاطين،  
سیف أمير المؤمنین» . ثم الدعاء والعلامة «أخوه» وتبريقه «قتلوبغا إيناق نائب  
القان جاني بك» .

(١) يباصر في الأصل ومع ذلك لم يذكر الا صنفين .

ثم ذكر أنَّ الأمر كان عند القان محمد بمثابة الأمير بلغا العمري، يعني الخاصكي  
بالأبواب السلطانية بالديار المصرية، وأنه استحدثت المكتبةُ إليه في سنة ثلاثٍ  
وسبعين وسبعائة، وأنه كتب إليه في قطع الثلث ما صورته :

«أدام الله تعالى نعمة الجناح العالي، الأميري، الكبيرى، العالمى، المجاهدى،  
المؤيدى، الذئرى، البصيرى، الحسامى، المقدمى، التوثى، السيفى، عز الإسلام  
والمسلمين، سيد الأمراء فى العالمين، نصره الغزاة والمجاهدين، مقدم العساكر،  
ذخر الدولة، عضد الملوك والسلاطين، حسام أمير المؤمنين». والدعاء المناسب .  
والعلامة «والده». وتعريفه «مماى». وفى هذا نظر : لأنه إذا كان بمثابة ما كان  
عليه يلغا بالديار المصرية، ففقتضاه أن يكون أكبر أمرائه . وإذا كان كذلك،  
فكيف يكتب إليه دون أمراء الأئوس؟ فقد تقدم أنه يكتب إليهم : « ضاعف  
الله تعالى نعمة الجناح العالي» .

الوزير بهذه المملكة . قد ذكر فى "التعريف" أن الوزير بها كان اسمه  
محمودا، ولقبه حسام الدين، وكان يعرف بمحمود الديوان . وذكر أن رسم المكتبة  
إليه فى قطع الثلث ما صورته :

«أدام الله تعالى نعمة المجلس العالي، الأميرى، الكبيرى، الذئرى، الأوحدي،  
الاكلى، المتصرفى، العوفى، الوزيرى، الحسامى، مجيد الإسلام والمسلمين،  
شرف الأمراء والوزراء فى العالمين، جمال المتصرفين، أوحيد الأولياء المقربين، ذخر  
الدولة، مشير الملوك والسلاطين . ثم الدعاء، والعلامة «والده». وتعريفه «خوآجا  
محمود وزير المملكة القانية» .

قلت : وقد علمت أنّ المكتبة إلى أمراء الأتوس والوزير بهذه المملكة دون المكتبة إلى أمراء الأتوس والوزير بمملكة إيران ، فقد تقدمت أن المكتبة إلى بكلازي بك أكبر أمراء الأتوس بمملكة إيران : « أعز الله تعالى نصر العقز الكريم » . وإلى الثلاثة الذين دونته : « أدام الله تعالى نصر الجباب الكريم » ، ثم استقر « أعز الله تعالى أنصار الجباب الكريم » . وأن المكتبة إلى الوزير : « ضاعف الله تعالى نعمة المجلس العالي » . والمعنى في ذلك ما تقدم من أنه ليس لأمراء الأتوس والوزير بهذه المملكة من التصرف بالأمراء الأتوس والوزير من التصرف بتلك المملكة .

فجاء على بك بهذه المملكة . قال في « التنقيف » : وهو من أسخديت المكتبة إليه في سنة خمس وستين وسبعائة .

ورسم المكتبة إليه فيما ذكره في « التنقيف » الأسم و « السامح » بالياء وتعريفه اسمه .

## الصف الثاني

( الحُكَّامُ بِالْبِلَادِ بِهَذِهِ الْمَمْلَكَةِ )

وها أنا أذكر من ذكر المكتبة إليه منهم في « التنقيف » .

الحاكم بالقرم : وهو إقليم شمالي بحر نيطش . وقاعدته مدينة صلغات ، وهي مدينة على نصف يوم من البحر ، وقد غلب عليها اسم القرم . وقد ذكر في « التنقيف » أن الحاكم بها في سنة خمسين وسبعائة كان اسمه زين الدين رمضان ، ثم استقر بعده على بك ابن عيسى بن تكتمر . وقد رأيت في بعض التواريخ أن الحاكم بها في حدود سنة ست وسبعين وسبعائة كان مامأى المقدم ذكره . وقد ذكر



في "التثقيف" أن رسم المكتبة إلى الحاكم بها في قطع العادة، والعلامة «أخوه» و «صدرت» و «العالي»، والذي رأيت في دستور يعزى في الأصل للقر العلاتي بن فضلي الله أنه يكتب إليه في قطع الثلث وأن المكتبة إليه «السامي» بالياء . وتعريفه «الحاكم بالقرم» .

الحاكم بأوزاق : وهي مدينة على بحر مانيطش المقدم ذكره في الكلام على المسالك والممالك . وهو المعروف الآن ببحر الأزق، وهي عن القرم في جهة الجنوب والشرق، وبينهما نحو خمس عشرة مرحلة . قال في "التثقيف" : ورسم المكتبة إلى الحاكم بها مثل الحاكم بالقرم على السواء . والذي رأيت في الدستور المقدم ذكره أنه في قطع الثلث «السامي» بالياء كما في الحاكم بالقرم .

## الثاني

( من ملوك توران من بني جنكوزخان صاحب ماوراء النهر )

وقاعدة ملكه في القديم بخارا ، والآن سمرقند . ومن مضافاتها غزنة وما والاها من متاخمين الهند . وقد تقدم الكلام عليها مستوفى في الكلام على المسالك والممالك . وقد ذكر في "التعريف" أن آخر ما استقرت لرماسيرين ، وكان حسن الإسلام عادل السيرة ، طاهر الذليل ، مؤثرا للخير ، محبا لأهله ، مكرها لمن يرد عليه من العلماء والصلحاء ، وطوائف الفقهاء والفقراء .

قال : وكتب إليه على رسم المكتبة إلى صاحب إيران . وقد تقدم في الكلام على المكتبة إلى صاحب إيران نقلا عن "التعريف" أنه يكتب إليه في قطع

البغدادي الكامل ، يتبدأ فيه بعد البسملة وسطر من الخطبة الغراء المكتوبة بالذهب المزك باللقاب سلطاننا على عادة الطغراوات ، ثم تكمل الخطبة ويُفتح بعبارة الى أن تُساق الألقاب ، وهي : «الحضرة العلية ، السلطانية ، الأعظمية ، الشاهنشاهية ، الأوحديّة ، الأخويّة ، القانية ، الفلانية» . ولا يخط بها «الملكية» طوائها عليهم ، ثم يدعى له بالأدعية المفخمة الملوكة : من إعراز السلطان ، ونصر الأحرار ، وخلود الأيام ، ونشر الأعلام ، وتأيد الجنود ، وتكثير البنود ، وغير ذلك مما يجرى هذا المجرى . ثم يقال ما فيه التصريح والتلويح بدوام الوداد ، وصفاء الاعتقاد ، ووصف الأشواق ، وكثرة الأتواق ، وما هو من هذه النسبة ، ثم يُوقى على المقاصد ، ويختم بدعاء جليل وتستعرض المراسيم والحكم ، ويوصف التطلع إليها ، ويظهر التهافت عليها ، وأنه تكتب جميع خطبة الكتاب وطغراه بالذهب المزك ، وكذلك كل ما وقع في أثناءه من أسم جليل ، وكل ذي شأن نبيل : من أسم الله تعالى أوليبيه صلى الله عليه وسلم ، أو ذكر الإسلام ، أو ذكر سلطاننا أو السلطان المكتوب إليه ، أو ما هو متعلق بهما ، مثل لنا ولكم ، وكنا بكم ، وكتابكم ، جميع ذلك يكتب بالذهب وما سواه بالسواد . وأن العنوان يكون بالألقاب إلى أن ينتهي إلى اللقب الخاص ، ثم يدعى له بدعوة أو اثنتين نحو أعز الله تعالى سلطانها ، وأعلى شأنها ، ونحو ذلك . ثم يسمى أسم السلطان المكتوب إليه ، ثم «يقال» خان : مثل أن يقال : تروماشيرين خان ، ويضمع بالذهب طمغات عليها ألقاب سلطاننا تكون على الأوصال ، يبدأ بالطمغة على اليمين في أول وصل ، وعلى اليسار في ثاني وصل ، ثم على هذا النمط إلى أن ينتهي في الآخر إلى اليمين ، ولا يضمع على الطرة البيضاء . والكتاب يخلي لمواضع الطمغة مواضع الكتابة تارة يمنة ، وتارة يسرة ، إلى غير ذلك مما سبق القول عليه .

قلت : وآخر ما استقرت هذه المملكة لثُمَّرَلِك ، وُثُمَرَأْسَمِه الَّذِي هُوَ عَلمَ عَلَيْهِ . ومعناه بالتركية حديد . وأنتك لقبٌ عليه ، ومعناه بالفارسية أَعْرَج : لأنه كان به عَرَجٌ ظاهرٌ ، ولذلك تسميه التُّرك ثُمَرَأْفَصَق ، إذ أَفَصَقُ عندهم بمعنى أَعْرَج . وهو يتسمى في كُتُبِهِ تَجُورْكُورْكان . ومن هذه المملكة أَنَسَابُ عَلَى بلادِ إِيْرَانَ حَتَّى اسْتَوَى عَلَى جَمِيعِهَا ، وسار إلى بلاد الهند فاستولى عليها ، ثم طاح إلى الشَّامِ في سنة ستٍّ وثمانمائة وعاثَ فسادًا ، وَتَرَبَّ وَأَفْسَدَ وَلَقِيَهِ السُّلْطَانُ « الملك الناصر » فَرَجَّ ابنُ الظاهر برقوق صاحب مصر والشَّامِ عَلَى دِمَشْقَ ، وجرى بينهما مراسلةٌ ، ثم طرأ للسُّلْطَانِ الملك الناصر ما أوجب عَوْدَهُ إلى مصر لِأَمْرِ عَرَضَ لَهُ مِنْ جِهَةِ بعضِ أَمْرَائِهِ ، وبنى ثُمَرَلِك نازلًا بالشَّامِ محاصرًا لدِمَشْقَ ، إلى أن خَدَعَ أَهْلَهَا وَفَتَحَهَا صُلْحًا ، ثم غَدَّرَ بِهِمْ وَنَهَبَهَا وَسَبَى حَرِيمَهَا ، ثم حَرَّقَهَا بعد ذلك بعد أن أسرف في القتل وَأَثَمَنَ فِي الحِرَاحِ ، وَأَمَعَنَ فِي الأَسْرِ .

وللكتابة إليه حالتان :

الحالة الأولى - حين كان السُّلْطَانُ الملك الناصر فرج - عزَّ نصره - بالشَّامِ محاربًا له ، وَكُتِبَ حِينَئِذٍ تَرَدُّ فِي القِطْعِ الصَّغِيرِ عَلَى مَا سَأَى ذَكَرَهُ ، وَكَانَ يَكْتُبُ إِلَيْهِ حِينَئِذٍ فِي قِطْعٍ<sup>(١)</sup>

(١) بعض المؤلفين لبقية الكلام ، وأستدرك بعضهم له بقية وأثبتها في النسخة المطبوعة بخط مفاتيح غرناطة

الأصل وعنوانها هكذا "مفات المؤلف" .

## مما فات المؤلف رحمه الله تعالى

ما كتبت عن مولانا الشهيد الملك الظاهر أبي سعيد برقوق، نعمده الله تعالى برحمته ورضوانه، في جواب الأمير تمرلنك المذعور تيمور، عن الكتب الواردة منه قبل ذلك - من إنشاء المرحوم المقر البدرى محمد، ابن المرحوم المقر العلائى على ابن المرحوم المقر المحبوى يحيى، بن فضل الله العمري العدوى القرشى رحمهم الله تعالى - في سنة ست وتسعين وسبعائة، عند سفر مولانا السلطان المشار إليه إلى حلب المحروسة للنتى المذكور، في قطع الثلث بغير علامة، وسعة ما بين السطور قدر عرض الإصبعين . والعظة وصلان، طولها نحو الذراع الهاشمى، وكان عنوان كتاب تمرلنك الذى ورد آخرًا وهو الذى أقتضى الحركة الشريفة والجواب المشار إليه :

سلام وإهداء السلام من البعد \* دليل على حسن المودة والمعهد

فكتب العنوان الشريف :

طويل حياة المرأة كالיום في العبد \* فصيرته أن لا يزيد عن الحد!

فلا بد من نقص لكل زيادة \* لأن شديداً البطش يقص العبد!

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله العلى الشان، العظيم السلطان، العيم الإحسان، العليم بما كان وما يكون في كل زمان ومكان، تاهت في سادين فلوات معرفته سوابق جياذ الأفهام، وتد كدكت هنية جلالة جبال العقول والأوهام، وصلّى الله على سيدنا محمد حبيب الرحمن، وسيد الأكوان، وصاحب المعجزات والبرهان، المبعوث الى الخلق أجمعين من الإنس والجان، والمنعوت بالفضل العيم، وانخلق العظيم، في التوراة والإنجيل والزبور

والقُرآن؛ وعلى آله وصحبه الغرِّ الكرامِ الحسان؛ وعلى التابعين لهم بإحسان؛ وسلم تسليماً كثيراً ما تعاقب الحدّان .

وبعد، فقد وصل إلى أبوابنا الشريفة العالية كلُّ ما جهزته أولاً وأخيراً أمير تيمور من كتاب، وأحاطت علومنا الشريفة بما فيها من كلامٍ وخطابٍ وقصيدٍ وعتابٍ، وإرعادٍ وإرغابٍ وإرغاب .

فأما ما ذكرته في أول كُتُبِك من القابنا الشريفة بالتعظيم، والتبجيل والتفخيم؛ فقد علمناه وعرفناه، ولكن وجدنا الكلمتين اللتين في الطمغات آخر الكُتُب وهما رأسي رستي منافيتين لذلك التعظيم، وهذا غير مستقيم؛ لأنه متناقض غير متناسب، فعجبنا من هذا التناقض الواضح، والتخالف الفاضح؛ وفي المثل السائر: «أصليح وقايل وأفسد وقايل» .

وأما إرسالك السيف والتركاش لنا، فقد تعجبنا منه إلى الغاية، وأنكرناه إلى النهاية؛ لأنك لم ترزل في كُتُبِك كلها تستشهد بتاريخ جنكرخان وأخباره وأحواله، وتقتدي به في أقواله وأفعاله، وما سمعنا في التواريخ ولا اتفق قط من جنكرخان، ولا ممن تقدمه وتأخره من ملوك مملكته في زمن من الأزمان؛ أنه أهدى إلى خادم الحرمين الشريفين سيفاً ولا تركاشاً؛ ما اختلف في ذلك آثنان . فأرسالها منك إلينا هل هو من باب المحبة أولاً، وإن كان تخويفاً، فنحن ما نخاف من سيفك وتركاشك بعناية الله العظيم الأعلى .

السيف والرمح والنشاب قد علمت . من الحروب فسلمها فهي شيكا!

إذا التقينا نجد هذا مشاهدة . في الحرب؛ فأنيت فأمر الله آيكا!

بخدمه الحرمين الله شرفنا . فضلاً وملكنا الأمصار تملكنا!

وبالجمل وحلوا النصير عودنا، \* خذ التواريخ وأقرأها تليكا!

والأنبياء لنا الركن الشديد فكم \* يجاههم من عدو راح مفلوكا!

ومن يكن ربه الفتاح ناصره، \* ممن يخاف؟ وهذا القول تكفيكا!

وقد أجبناك عن السيف والتركاش فيما مضى قبل هذا الوقت وتقدم ، فاعرف ذلك وأعلم .

وأما ما ذكرته من قولك : إنك فتحت معنا باب المحبة والوداد ، والصحبة والأئمة ، لا باب الخاصية والمشاركة والعناد ، فقد علمنا ذلك وفهمناه . والذي نعرفك به أن الذي وقع منك بخلاف ما قلت : لأنك لو كنت صادقا في قولك ، كنت لما حضر إليك شكر أحمد وأرغون السلامي اللذان هما من بعض مماليكنا ومن جملة رعايانا أمكنهما وجهزتهما إلينا بعد أن قيدتهما ، فافعلت ذلك بل عملت بالضد منه لأنك أوتيتهما ، وحميتهما وعظمتهما وأكرمتهما ، وجعلتهما من خواصك وأحبائك ، وأوليائك وأصحابك . وأيضا توجه إليك صولة بن حيار الذي هو قطعة هجان من هجاننا فأكرمته ، وألبسته التاج وعظمته ، وبعثت معه خلة إلى نعيم المذكور وإلى غيره من عربانه ، ووعدته بالتقدمة والإمارة ، بالتصريح العظيم لا بالتلويح والإشارة ، وكتبت إليه كتابا ما تركت فيه ولا خليت ، وأظهرت كل ما كان عندك وما أبقيت ، بجهزه إلينا وقري على مسامعنا الشريفة كلمة كلمه ، وعرفنا واضح معناه ومبهمه ، وما نحن نشرحه لك لتعلم وتتحقق أنه وصل إلينا ، وأطلعنا عليه وما خفي أمره علينا . وهذا نصه :

(١) هذا الضبط من الأصل ورسوم فيه تحتها حاء صغيرة إشارة إلى الإجمال ولكن الذي سبق في الأجزاء المتقدمة جبار بالجيم والياء تبعا للأصل والضوء والتعريف غرر .

دام دولته

الأمير الكبير، المعظم أمير نغير، أدام [الله] دولته شمساً . تُعرض لعلو علومه المحروسة أنه قد اتصل بنا طردك عن الشام، ومعاملتهم معك غير الواجب . حال ووقوفك على هذا المثال تُسرع في الوصول إلينا بحيث نُعطيك ما أعطى المرحوم عمك أمير سليمان طاب ثراه، ويجعلك مقدم العساكر المنصورة؛ وبهذا برز الحكم المطاع من الحضرة العالمة؛ ففى عزيم العساكر والجيوش المعظمة الوصول إلى أطراف البلاد شرقاً وغرباً ورومياً من سائر النواحي والأمصار، والبلاد والأقطار؛ وإن أبطأ ركابك عن الوصول، فنحن واصلون إليكم فى طريقنا إلى مصر وغيره، ولا يبقى لطاعتك مزية ولا منة، فيكون ذلك على الخطر المبارك . فينبغى أن لا يكون جواب الكتاب، إلا قدوم الركاب؛ ففيه لكم الفوائد العظيمة، والعطايا الجسيمة؛ ومع ذلك إصابه الرأى منكم، تُعنى عن تأكيد الوصية إليكم؛ ومهما عُرِض من المهام يقضى حسب المراد، ومنهج السداد؛ والله الموفق .

وبحاشية الكتاب المذكور ما نُضه :

وقد كتبنا إلى السلاطان أحمد أن يصل إلينا، فانظر كيف كان عاقبة أمره ؟ فينبغى أن تتوجه أو يتوجه بعض أولادك إلينا لأجل مصالحك كافة .

فيا أمير تبمور لو كنت صادقاً، وكلامك بالحق ناطقاً، ما وقع منك مثل هذا ولا صدر، ولا اتفق بل ولا بيالك حطر؛ ولكن كل ما يكون فى خاطر الإنسان يظهر من الكلام الذى يخرج من فيه، وكل وعاء ما يوضح إلا بما فيه .

يافاعلاً بالضد من قولي . فعل الفتى دال على باطنه،

والمرء مخزى بأعماله . إذا ظهرت ما كان فى كامنه !

وأما طلبك منا السلطان أحمد الحلّابى غير مرّة، فقد علمناه. ولكن عرفنا يا أمير  
تيمور ايش عمل بك؟ حتى حلفت له عدّة مرار بآيمان الله تعالى العظيمة وأعطيتّه  
العهود والمواثيق بأنك ما تتعرض إليه ولا إلى مملكته ولا توافيه ولا تشوش عليه،  
حتى أطمأنّ بآيمانك، وركن إليك، وأحسن ظنّه فيك، ووثق بك، واعتمد عليك  
مخّته وغدّرتّه، وأتيته بنته على حين غفلة وبدّرتّه، وأخذت مملكته وبلاده،  
وأمواله وأولاده. وأعظم من ذلك أنك أخذت أيضاً حريمه وهنّ في عقد نكاحه  
وعضته وأعطيتهنّ لغيره، وقد نطق الكتاب والسنة بتحريم ذلك وعظّم ذنب فاعله  
وقبيح جرمه، ففى أىّ مذهب من المذاهب يحلّ لك أخذ حريم المسلمين، وإعطاؤهنّ  
لغير أزواجهنّ من المُفسدين الظالمين؟ وهنّ فى عصمة أزواجهنّ وعقد نكاحهنّ  
إنّ هذا لهوّ البلاء المبين، وكيف تدعى أنك مسلم وتفعل هذه الفعّال؟ عرفنا  
فى أىّ مذهب لك هذا حلّال؟ فاعمالك هذه كلّها منافية لدعواك، بل منافية  
لدين الإسلام، وشرع سيدنا محمد عليه أفضل الصلوة والسلام. قال الله تعالى:  
﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ وقال: ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ وقال: ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾  
وقال عز وجل: ﴿ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ﴾ وقد بين لنا الخير والشر،  
والحلّال والحرام وأهلها فقال: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ  
وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ﴾ وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرُبُوا الزَّانَةَ إِنَّهَا كَانَتْ فَاحِشَةً  
وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ وقال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ  
وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ  
إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ فَمَنْ آتَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ  
فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴾ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ



حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ“ . وقال عليه السلام: ”الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ يَدِهِ  
وَلِسَانِهِ“ . ففى أىّ مذهب من دين الإسلام تستحل هذه الحرمات العظيمة ،  
والمُنكرات الفبيحة الشنيعة الجسيمة ، التى يهتر لها العرشُ وَيَغْضَبُ اللهُ عز وجل  
لها ورُسُلُهُ والملائكةُ والناسُ أجمعون ؟ وما كفى ما فعلت مع القان أحد المشار  
إليه حتى تطلبه منا ؟ . اعلم أنّ القان أحد المشار إليه قد استجار بنا وقصدنا ، وصار  
ضيفنا ، وقد ورد : مَنْ قَصَدَنَا وَجَبَ حَقُّهُ عَلَيْنَا . وقال تعالى لسيد الخلق  
أجمعين فى حق الكفار الذين هم أئحس الناس : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ  
فَأَجْرُهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْتَلَتْهُ مَا مَنَعَهُ ﴾ فكيف بالمسلمين إذا استجاروا بالمسلمين ؟  
وكيف بالمملوك أبناء مملوك المسلمين ، الذين لأسلافهم الكرام معنا ومع مملوك الإسلام  
حُدَامِ الحرمين الشريفين مُحَبَّةٌ ومحبةٌ وأخوةٌ فى الله تعالى ؟ ولو لم يكن ذلك كيف  
يجوز فى شرع المرؤءة والنخوة والوفاء أن نُسَلِّمَ ضيفنا وتزينا والمستجير بنا ؟ خصوصا  
وجنسنا يحرّكس جنس ملوك الإسلام السالفين ، حُدَامِ الحرمين الشريفين الذين  
أتفق لهم مع التتار ما تشهد به التواريخ ، ومن عادتنا وشأننا وطباع جنسنا أننا لأنسلم  
ضيفنا ولا تزينا ولا من استجار بنا لأحد . وإن كنت ما تُصدّق ذلك فعندك من هم  
من جنسنا ، سلّمهم يعرفوك ، فنحن لا يُضَامُ لنا تزيل ، وتقرى الضيف ونعامه  
بالجيل ، وهذه جيلنا الغريزية وعادة أصلنا الأصيل ، فأرسأل القان أحد إليك  
أمرٌ مستحيل .

بِأَنَّ ذُوو الْفَضْلِ الْغَزِيرِ الْوَارِثِ \* أَبُو بَنِي هِيَ مَلْجَأٌ لِلْحَائِفِ !

تَقْرَى الضُّيُوفَ وَلَا يُضَامُ تَزِيلُنَا ، \* شِيمٌ وَرِثْنَا فَضْلَهَا عَنْ سَالِفِ !

وَكَلِمَةٌ تَكْفَى الَّذِي هُوَ عَاقِلٌ ، \* وَالرَّمْزُ تَصْرِيحًا غَدَاً لِلْعَارِفِ !

وقولك : إن العادة كانت جارية بين من سلف من ملوك الإسلام وملوك التتار ، أنه من هرب من جهة إلى أخرى يُمسكه الملك الذي يهرب إليه ويقيده ويجهزه إلى الملك الذي هرب من عنده ، وأن ديمرداش بن جوبان لما هرب في الزمن الماضي من ملكه وجاء إلى سلطان مملكتنا المعظمة المشرقة ، أمسكه وقيده وأرسله إليه ، فقد علمناه ، وليس هذا الذي قلته وحكيته بصحيح ، لأن الذي وقع وأتفق بخلافه : وهو أن أميراً من أمراء السلطان الملك الناصر كان يسمى قرأستقر ، هرب من عنده وراح إلى أبي سعيد فقطع رأسه ، وجهزه إلى الملك الناصر . وأما ديمرداش المذكور فالملك الناصر ما أرسله إلى أبي سعيد مثل ما قلت وما مات ديمرداش المذكور إلا في مصر المحروسة ، فليكن ذلك في علمك ثابتاً ، وعلى كل حال فكلأئك حجة عليك لالك : لأنك قد آويت شكر أحمد وأرغون السلمي وأكرمتها وقررتهما ، وكذلك كل من حضر إليك من ممالكنا ورعايانا وخدمتنا من أهل مملكتنا ، فلو أسكتهم وقيدتهم وجهزتهم إلينا ، كنت تكون صادقاً في قولك ، وكنت إذا طلبت منا أحداً ما نلام على طلبه ، فكيف وأنت البادي والمتعدي ؟ فهذا الكلام كله شاهدٌ عليك لالك .

وأما قولك : إن صاحب بركيت كان حرامياً قاطع طريق ، ففعلت معه ما فعلت مقابلة له على نجسه وحرامه وقطعه الطرقات ، فقد علمناه وسألنا لك هذا الأمر ، بيض الله وجهك ، وما قصرت فيه ، فخذ ما علمت ، ونعم ما فعلت في حقه من إعطائه جزاءه . أفأهل بغداد كانوا حرامياً قاطع طريق حتى فعلت بهم ما فعلت ، وقتلت منهم من التجار خاصة ثمانمائة نفس في المصادرة بالمقوابة والعذاب . ففى أى مذهب يجوز هذا ؟ وهل يحل لمن يدعى الإسلام أن يعمل بخلاف الله تعالى الذين أمر بالشفقة عليهم والإحسان إليهم ونشر العدل فيهم هذه الفعّال ؟ وقد تعجبنا منك

يا أمير المؤمنين إلى الغاية ! كيف تدعى أنك عادل، وتعمل بأهل بغداد المسلمين  
الموحدين وغيرهم من المسلمين هذه العمائل؟ أما تعلم أن الشفقة على خلق الله  
تعظيم لأمر الله، وأن الله رحيم يحب من عباده الرُحَاء، وأن الظلم حرام في جميع  
الملل؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله تعالى يقول: يا عبادي إني  
حرمتُ الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا". وقال عليه السلام:  
"لا أحد أغبر من الله، من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن".  
وورد: "إن فاني ظلم ظالم فإنا الظالم" وحسب الظالمين رب العالمين الذي قال  
في حقهم ﴿الآن لعنة الله على الظالمين﴾ وقال ﴿إنه لا يفلح الظالمون﴾. والباغي  
له مضرع. ولما جاء هؤلاء منكم ومنكوتهم وغازان وقصصوا ملوك الإسلام خدام  
الحرمين الشريفين، الذين كانوا من جنسنا كما ذكرنا لك أعلاه، أتفق لهم ما أتفق  
ما هو مشروح في التواريخ ومعلوم عند الناس: فهما أخذاه أولئك تأخذاه  
إذا جئت.

وأما قولك في شكيب: إنه إن لم يجهز إليك السلطان أحمد الخلاوي مقيداً نجي  
في أول فصل الربيع إذا نزلت الشمس برح الحمل، أو لمّا نزل الميزان، وإن  
جهزناه إليك مقيداً، لنا كد المحبة والصحة بيننا وبينك، فقد علمناه، والذي  
نعرفك به هو أننا كنا نتوقع أنك نجي، قبل هذا الوقت، فقد أبطأت كثيراً، وملوك  
الإسلام خدام الحرمين الشريفين الذين كانوا قبلنا ما تصالحوا مع مثل هؤلاء  
وغيره إلا حتى تراورا وتقابلوا واجتمعوا، ونحن أيضاً كذلك ما نصلح إلا بعد  
أن تراورا وتقابلوا ونجتمع. وأنت طلبت أحمد الخلاوي، وهانحن واصلون إليك به،  
نطلب منك أن تسقنا فيه، ومبينا ذنبه الذي صدر منه، ونسأل عليك بسببه،  
ونسأل إحسانك أن تعين لنا موضعاً نلتقي معك فيه، حتى نأتيك بأحمد الخلاوي

المذكور فيه ، ونشقم فيه عندك . فعين لنا الموضع المذكور على حسب ما تختار : إما من ذاك الجانب من القرات ، أو من هذا الجانب . وأى موضع عينته وسميته لنا جنتك بالشار إليه فيه ، وتدخل عليك في أمره ، ونستوهب ذنبه منك .

وأما ما ذكرته من أمر الرسول ، فقد علمناه . والذي نعرفك به هو أن الرسول المذكور كان يكتب المنازل منزلة منزلة إلى بلادنا المحروسة ، وأطلع عليه في ذلك جماعة من جهتنا ؛ ولما وصل إلى الرحبة المحروسة ، قال للنائب بها : يس الأرض للأمير تيمور وأقرأ الخطبة باسمه . فلو كان رسولا مصلحا ما كان كتب المنازل ، ولا أكثر فضوله ، وتحدث بما لا ينبغي له ، وتكلم فيما لا يعنيه ، وتعدي طوره : لأنه لا ينبغي للرسول أن يكون إلا أعمى أعمى غير العقل ، ثقيل الرأس ، كما قال بعضهم :

إذا قصدت الملوك فالبس \* من التقي والعقاف ملبس !

أدخل إذا ما دخلت أعمى ، \* وأخرج إذا ما خرجت أعمى !

وكيف يمكن ثابتنا الذي هو من جملة ممالئنا ، وجبل لحمه ودمه على أنعمنا وصدقاتنا ، وعدي وربي ليلان فضلنا وجودنا [أن] بيوس الأرض لغيرنا ، أو يتخطب باسم غيرنا؟ وكيف يترك اسم خادم الحرمين الشريفين أستاذه ، ويذكر اسم غيره؟ . فقد تكررت منك الفعال القبيحة ، الموجبة لما يقدره الله تعالى؟ ونحن نقسم بالله تعالى لولا قلت لتغير تعال حتى أعمالك مقدم العساكر ، وتمشى على الشام ومصر ، وقربت ممالئنا وأوتيتهم ، وبدأت بهذا كله وحصل منك التعدي ، ما كان يفتق رؤسك ما أفتق . ولكن الجزء من جنس العمل ، والخير بالخير والباقي أكرم ، والشّر بالشّر والباقي أظلم . وأيضا كل وقت تسأل عن ممالئنا المصونة ، وكثرة عساكرنا المنصورة من قتلها . فلو كنت طالبا المحبة والصحبة والمصادقة ، ما وقع منك هذا .

• أما قولك إن هولا كواخذ من كل مائة رجلين وجاء بهم ، وأنت قد جئت بالرجلين وبالمائة ، وأعتادك على كثرة عسرك على قولك فقد علمناه ، وإن كان أعتادك على كثرة عسرك فاعتادنا نحن على الله تعالى وأستمدأنا من الحرمين الشريفين ، ومددنا ممن بهما من الأنبياء ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، والصحابية والصالحين رضى الله عنهم . فإذا تلاقينا يكون ما يقدره الله تعالى ويعطى الله النصر لمن يشاء ، وتعلم ذلك الوقت لمن العاقبة ؛ ويظهر فعل الله الرب القادر تعالى ، وعوائده الجميلة بنا التي لا شك عندنا فيها ولا ريب ، وقط ملك النار ما انتصروا على ملوك الإسلام ، بل ملوك الإسلام خدام الحرمين الشريفين ، هم المؤيدون المنصورون المظفرون بعون الله تعالى ، وببركة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، معودون من الله الكريم بالفضل والإحسان والعنايم والقنوحات : لأنهم أهل الكتاب والسنة والعدل والخير والخوف من الله تعالى ، لا يقعون في محاربه ، ولا يقدمون على ارتكاب ما ينهى عنه ، فهم المؤمنون المتقون . وقال الله تعالى : ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ وقال تعالى : ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾ وقال : ﴿ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ وسوف ينجز الله تعالى وعده ، لأنه لا يخلف الميعاد .

وأما ما ذكرته من أمر قوا يوسف وير حسن وغيرهما ، وأن في معاشهم زغلا ، وأنهم مفسدون . وجعلك لكل واحد منهم ذنبا ، وأنت أنت العدل الخير المصلح ، والناس كلهم مناحيس وأنت الصالح ، والله يعلم المفسد من المصلح ، فقد علمناه . والذي نعرفك به هو أن النور لا يجمع مع الظلام ، ولا اليقظة والنم ، ولا الخير والشر في حيز واحد : لأنها متضادة ، ليس بينها اتفاق ولا ألتزام ، وفعل المرء دال على نيته وطويته ، قال الله تعالى : ﴿ قُلْ كُلُّ يَعْمَلْ عَلَى شَاكِلِهِ ﴾ وقال :

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ وَلَا الظُّلُّ وَلَا الْحُرُورُ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾ وقال : ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ﴾ وشتان ما بين أهل الخير والفساد، وأهل العدل وأهل البغي والعدا، فانخير هو المتقى، ومن يرتكب ما حرم الله ويعتقد أنه على الحق فهو الشقي .

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَعْرِفْ قَيْحَ خَطِيئَتِهِ \* وَلَا الذَّنْبَ مِنْهُ مَعَ عَظِيمِ بَلِيَّتِهِ  
فَذَلِكَ عَيْنُ الْجَهْلِ مِنْهُ مَعَ الْخَطَا \* وَسَوْفَ يَرَىٰ عُقْبَاهُ عِنْدَ مَنِيَّتِهِ  
وَلَيْسَ يُجَازِي الْمَرْءَ إِلَّا بِفِعْلِهِ \* وَمَا يَرْجِعُ الصَّيَادُ إِلَّا بَيْتَهُ!

وأما قولك إن نعيم العرب أرسل بالخفية يطلب السلطان أحمد، وأنا نرسم لنوابنا أن يحترزوا من توجهه إليه ولا يمتكنوه من ذلك، فإنه إن اتفق توجهه إليه يكن ذلك سببا لخراب الديار، فقد علمناه. والذي نعرفك به هو أننا نتحقق أن ما يحصل خراب الديار والسمار ومحو الآثار إلا لمن يسعى ويتكلم بخراب الديار ﴿وَلَا يَجِئُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ . وستعلم ديار من تحرب، وعمر من يذهب، وعلى من تكون دائرة سوء دائره، وسطوات ألمانيا قاهره: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ . وهانحن واصلون بجيوش وجنود وعساكر مؤيدة من السباع أسمع، لا تروى أسلحتهم من دماء البهائم ولا تشبع، والجواب ما ترى لا ما تسمع :

قُلْ لِلَّذِي فِي الْوَرَىٰ أَصْحَىٰ بِعَادِيْنَا : « أَحْذَرُ فَا مَرَكَ رَبِّ الْعَرِشِ بِكُنِينَا!  
مَا زَالَ يَمْتَحِنَا فَضْلًا وَيَكُونَا » وفي العدا بعظيم النصر شيفينا!  
أَقَامْنَا رَحْمَةً لِلنَّاسِ أَجْمَعِهِمْ ، \* وَلَمْ يَزَلْ مِنْ جَزِيلِ الْجُودِ يُعْطِينَا!  
بِالْعِزِّ وَالنَّصْرِ وَالتَّأْيِيدِ عَوْدَنَا ، \* وَزَادَنَا فِي مَدِيدِ الْأَرْضِ تَمَكِينَا!  
وَالْجَمِيلِ وَفِعْلِ الْخَيْرِ وَقِنَا ، \* شُكْرًا لِهَيْبَتِهِ الْأَعْلَىٰ بِعُطِينَا!

قَدْ اسْتَكْرَمَ الرَّحْمَةَ الْحُسْنَى الَّتِي أَمِنْتَ • بِهَا الْإِنْسَانُ بِأَقْصَى مُلْكِنَا فِينَا!  
فَكُلُّمَا بِالْدُعَاءِ الْمُرْتَضَى نَطَقْتَ • لَنَا الرَّعَايَا، أَجَابَ الْكُفُوفُ آمِينًا!  
اللَّهُ حَافِظُنَا، اللَّهُ نَاصِرُنَا، • مَنْ ذَا يُعَانِدُنَا؟ مَنْ ذَا يُقَاوِينَا؟

والله الموفق بفضلله العمم ، والهادى إلى الصراط المستقيم ، بمنه وكرمه ، وجوده  
ونعمه ، إن شاء الله تعالى .

كتب في ... من جمادى الأولى سنة ست وتسعين وسبعائة .

الحالة الثانية — حين عاد السلطان من الشام إلى الديار المصرية وحرب هو  
دمشق وحرقها، ثم انتقل عنها، وترددت رسله بطلب أطلهش : أحد أمرائه الذى  
كان قد أسير فى أيام السلطان الملك الظاهر ”برقوق“ .

وفى هذه الحالة كان يكتب له فى قطع الثلثين : والعنوان بقلم جليل الثلث بحل  
الذهب سطران ، مضمونهما « المقام الشريف العاني ، الكبيرى ، العالمى ،  
العادى ، المؤيدى ، المظفرى ، الملجئى ، الملاذى ، الوادى القطبى ، نصرة الدين ،  
ملجأ القاصدين ، ملاذ العائدين ، قطب الإسلام والمسلمين ، دامت معدلته تيموركور  
كان » . والبسلة فى أول توصل الرابع ، والخطبة جميعها بالذهب ، وكذلك البعديّة وما  
يتعلق بالمكتوب إليه على عادة الفانات ، والعلامة بجليل الثلث بحل الذهب بالهامش  
ماصورته : « المشتاق فرج بن برقوق » إلا أنه اختلف مكانها فى المكاتبات على  
ماسيأتى ذكره ، إلا أن افتتاح المكتبة إليه فى هذه الحالة كان على ضربين بحسب  
ماأقتضاه الحال .

## الضرب الأول

(الافتتاح بـ «أما بعد» وذلك عند أول عقد الصلح)

وهذه نسخة مكاتبة كتبت إليه جواباً عما ورد منه بطلب أطعمش المذكور والتماس الصلح، جهزت صحبة الأمير شهاب الدين أحمد بن غلبك، والأمير قاني بيه<sup>(١)</sup> صحبة رسوله خوجا مسعود الكججاني رسوله الوارد بكتابه، في جمادى الأولى سنة خمس وثمانمائة. وعلم له فيها في الهامش بين السطرين الثاني والثالث بقلم جليل الثالث بحل الذهب «المشتاق فرج بن برقوق» على ما تقدم ذكره؛ والورق قطع الثلثين وهي :

أما بعد حمد الله الذي جعل الأرواح أجنادا مجتهدة، ووصل أسباب الرشد والفلاح بين افتتاح باب الإصلاح ولم يخلف مواعده، وكفل لمن توكل عليه في أموره النجاح يومه وغده، والشهادة له بأنه الله القاهر فوق عباده بقدرته المؤيده، والصلوة والسلام على أشرف نبي طيب الله عنصره ومجتهده؛ وأصلح ببعض نسبه الشريف بين فئتين عظيمتين بلغ كل منهما من الخير مقصده، وعلى آله الطاهرين، وذريته الظاهرين بالمصالح المرشدة، وأصحابه الذين كانت غالب قضاياهم صلحا بين الناس ورسلهم بالاتفاق مرددة ومن عدم الشقاق غير مترددة؛ صلاة وسلاما يصل بهما حبلى البؤة بالأبوة المتجددة، ومحمد بهما نار الحرب المتوقدة.

فقد أصدرنا هذه المفاوضات إلى المقام الشريف، العالي، الكبير، العالمي، العادل، المؤيد، المظفر، الملجئ، الملاذ، الوالدي، القطبي، نصره الدين، ملج القاصدين، ملاذ العائدين، قطب الإسلام والمسلمين، محمود كوركان، دامت معدته. تهدي إليه سلاما تتلى سورة وآياته، وشاء نتولى غنواته وروحاته

(١) سياق قرياقاني باي الخفاصكي .



ولا نتأهلها غاباً به ، وتبدي شريف علمه أن مفاوضته العالية [ التي ] وردت أولاً وأخرى ، تضمنت رموزها باطنا وظاهراً ، تجهيز الأمير أطلمش لزم المقام الشريف إلى حضرته العلية : لتتجسم مادة الحركات ، وتتكمن القلوب والخواطر في سائر ابجهاث ، وتتحذ المملكان في الصداقة والوفاء ، والمحبة والصفا ، على الصورة التي شرحها ، وبين مناهجها ووصفها ، خصوصاً ما أشار إليه من أن لجواب الكتاب حقاً لا يضيع ، فوقفنا عليها وقوف إجلال ، وقهمننا ما تضمنته على التفصيل والإجمال .

والذي نبديه إلى علومه الشريفة أن سبب تأخير أطلمش أنه لما قدم المقام الشريف إلى حدود الممالك الشامية ، وتوجهنا من الديار المصرية ، عرض لنا ما أوجب العود إليها سريعاً ، وكان الخزم فيها فعلناه بمشيئة الله تعالى . ثم تحققنا من المفاوضة الواردة على يد سودون ، وسودون (؟) والنمر ، والحاج يسوق أحد أمراء أخورية ، قسّمه بالله الطالب الغالب ، المدرك المهلك ، الحى الذى لا ينام ولا يموت أنه إن جهز إليه أطلمش المشار إليه ، رجع المقام الشريف إلى بلاده ، وأنه متوقع حضوره إليه بقارة ، أو سائمة ، أو حصص ، أو حاة . فآخذنا في تجهيزه إلى حضرته الشريفة على أجمل ما يكون .

فبينما نحن على ذلك إذ وردت علينا الأخبار بما أنفق لدمشق وأهلها : من أنواع العذاب وتحرير قلعها وديارها ، وإحراق جامعها الذى هو الجامع الفرد في المملك الإسلامية ، وغيره من المساجد والمدارس والمعاهد والمعابد . فلما تواترت هذه الأخبار ، وتحققت هذه المصائب ، لمنا من عدم ترجلكم عن دمشق وهى عامرة تقص ما تقدر ، وعدم آلتفاتكم إلى الأمير أطلمش المذكور وتجهيزه . فلما وردت مفاوضته الشريفة المجهزة إلى صاحب ماردين ، أرسلها إلينا [ وهى ] الواصلة على يد المجلس السامى ، الشيخى ، الكبيرى ، العالمى ، الناسكى ، الحسبى ، النسبى ، الشرقى ، عيد المؤمن ، شيخ

الجلال، ابن ولي الله، إمام العارفين، عبد القادر الجيلاني، أعاد الله تعالى من بركاته. والصدر الأجل نحر الدين الشاهر السفار، المؤرخة بثاني عشر ذي القعدة الحرام من سنة أربع وثمانمائة، المتضمنة وصول المقام الشريف إلى أرزنكان وكناخ قاصداً للبلاد الرومية، والقصد فيها تجهيز الأمير أطمش وأن يفتح باب المصالحه، ويسلك طريق المصادقة، رعاية لصالح المنكبتين، ونظراً إلى إصلاح ذات النبي، وأنه لا مطمع إلا في صحة المودة، وإرسال أطمش صحبة شخص من مقربي حضرتنا الشريفة: لينظر ما يصدر بعد وصولها من تعهد قواعد الجمالة، وتشديد مبان المحبة. وأن المقام الشريف - زيدت عظمته - أقسم بالله الذي هو في السماء إله وفي الأرض إله، أن يكون في هذه الحياة محباً لمن يحبنا، مبغضاً لمن يبغضنا، وأنا تتلفظ بحضور الأمير أطمش كما تلفظتم. فعند ذلك اجتمعنا مع مولانا أمير المؤمنين، المتوكل على الله، آدم الله تعالى أيامه، والشيخ الإمام الفرد، شيخ الإسلام سراج الملة والدين عمر البلقيني - أعاد الله تعالى من بركاته - وقضاة القضاة ومشايخ العلم والصالح، وأركان الدولة الشريفة، وقُرئت المفاوضة بحضورهم. فلما سمعوا ما تضمنته من عظيم القسم، والحلف بيارئ النسم، وعلموا أن جل القصد فيها تطلع المقام الشريف إلى تجهيز الأمير أطمش المذكور، فأجتمعت الآراء على إرساله إلى حضرته الشريفة صحبة من اقتضته الآراء الشريفة. ثم وردت بعد ذلك المفاوضة من المقام الشريف - زيدت عظمته - على يد شخص من أهل أزمير - مؤرخة بثاني عشر شهر صفر المبارك سنة تاريخه، متضمنة ما حصل من النصر على ابن عثمان، والظفر به، والاستيلاء على غالب قلاعه، وزبدة الكلام فيها الإسراع بتجهيز أطمش المذكور، ليجتمع شمله بأولاده بالحضرة الشريفة. ثم بعد ذلك وردت

علينا مفاوضة شريفة على يد المجلس السامي ، الشيخي ، الكبير ، الأوحدي ، العارفي ، السالكي ، المقربي ، مسعود الكججاني ، رسول المقام الشريف . وصحبه المجلس السامي ، الشيخي ، الكبير ، العالمي ، العاملي ، الإمامي ، القدوي ، الشمسي ، شيخ القراء ، إمام أئمة الكبراء ، محمد بن بخزري - أدام الله النفع به . مؤرخة بغرة ربيع الأول سنة تاريخه ، متضمنة معني الكلايين المجهزين من ماردین وأزمير . وجُلُّ القصد فيها تجهيز الأمير أطمش ليحصل طمأنينة قلوب العالمين ، وإعداد باب الفتن ، وأن العمدة على المشافهة التي تجلها الخواجا نظام الدين مسعود المشار إليه ، وأن قوله قول المقام الشريف . ومهما عقد الصلح عليه وآلتم به ، كان من رأى المقام الشريف وشوره ، لا يخرج عنه ولا يميل إلى غيره بقول ولا فعل . فلما أحضرناه وأصغينا إلى ما عمله من المشافهة ، فإذا هي مشتملة على خالص المحبة ، وأن يكون المقام الشريف والذنا عوضا عن قدس الله تربة به ، وأن تجهز الأمير أطمش إليه ، وتكون عمدتنا بعد الله عز وجل عليه ، فقابلنا ذلك بالقبول والاستبشار ، ونحو آية ليل الحقاء ، وأثبتنا آية نهار الوفاء ، في الإعلان والإسرار ، وقبلنا أيوته الكريمة على مدى الأزمان وتوالي الأعصار ، وشاهد الخواجا مسعود حال أطمش ، وعلم اهتمامنا بتجهيزه قبل وصوله بمدة اعتمادا على أئنته السابقه ، ووثوقا بما صرح به من الأتحاد والمصادقة ، وعقدنا الصلح مع الشيخ نظام الدين مسعود المذكور بطريق الوكالة الشرعية عن المقام الشريف ، وحققنا نصير ما حلف عليه ، بموافقة مولانا أمير المؤمنين - أدام الله أيامه - على ذلك بمحض من شيخ الإسلام ، وقضاة القضاة . ومشايخ العلم والصلاح ، وأركان الدولة الكبار ، مع حضور الأمير أطمش ، لزم المقام الشريف ، وشهادة من يضع خطه على نسخ الصلح التي

(١) كذا في الأصل وهي غامية لأصل لها في اللغة بالمعنى ليرادله إذ مراده المنوارة كما لا يخفى .

كُتبت ، وجُهِّزنا منها نسختين مثنويتين إلى حضرته الشريفة قرين هذا الجواب الشريف ، نُحْبِطُ الْعُلُومَ الشَّرِيفَةَ بِضَمُونِيهَا ، وَبِأَحَدِهَا خَطُّنَا الشَّرِيفَ تُخَلِّدُ بِنِزَانَتِهِ الشَّرِيفَةَ ، وَالْأُخْرَى يُشَمِّلُهَا بِنِخَطِهِ الشَّرِيفَ وَتُعَادُ إِلَيْنَا صَحْبَةَ رَسُولِنَا : الْمَجْلِسِ الْعَالِي الْأَمِيرِيِّ ، الْعَكْبِيرِيِّ ، الْمَجَاهِدِيِّ ، الْمُؤَيَّدِيِّ ، الْمُقَرَّبِيِّ ، الْأَعَزِّيِّ ، الْأَخْصِيِّ ، الْأَصْلِيِّ ، الشَّهَابِيِّ ، أَحْمَدُ بْنُ أَغْلَبِ الْبَلْبَلِيِّ مَقَرَّبِيًّا وَمَقَرَّبِيًّا وَالدُّنَا الشَّهِيدِ - أَدَامَ اللَّهُ تَعَالَى نِعْمَتَهُ - وَجُهِّزْنَا صَحْبَتَهُ الْمَجْلِسِ السَّامِيِّ ، الْأَمِيرِ ، الْأَجَلِّ ، الْكَبِيرِ ، الْمُقَرَّبِ ، الْمُرْتَضَى ، الْأَخْصَّ ، الْأَكْمَلِ ، سَيْفَ الدِّينِ ، قَانِي بَايِ الْخَلِصِيكِيِّ النَّاصِرِيِّ ، أَدَامَ اللَّهُ سَعَادَتَهُ ، الْمَتَوَجِّهَيْنِ بِهَذَا الْجَوَابِ الشَّرِيفِ ، الْمَجْهُوزَيْنِ صَحْبَةَ الْأَمِيرِ أَطْلَمَشْ ، وَبَقِيَّةَ قُصَادِ الْمَقَامِ الشَّرِيفِ وَرُسُلِهِ .

ومما نبديه لعلومه الشريفة أنه مما تضمنه الملخص الشريف المجهز عطف الكتاب الواصل على يد الشيخ مسعود الكججاني مضاعفة الوصية بأولاد الشيخ شمس الدين الجزري ورعاية أحوالهم وتعلقاتهم . وقد قابلنا ذلك بالإقبال والقبول وقررنا لهم بالأبواب الشريفة . ونحن بشهادة الله - وكفى به شهيدا - قد أخلصنا النية للمقام الشريف ، وعاهدنا الله عز وجل في التعاضد والتناصر والاجتهاد ، في عمل المصالح للعباد والبلائد ، وعدم التقاصر والعمل بما فيه بياض الوجه عند الله في الدنيا والآخرة ، وإجراء الأمور على السداد . بتوفيق الله عز وجل ، وطلباً لرحمته الباطنة والظاهرة . ثم آستقبل لسان الحال يُنشدنا :

« يَا أَوَّلَ الصَّفْوِ هَذَا آخِرُ الْكَدْرِ »

فيكون ذلك في علومه الشريفة ، والله تعالى يُديم عوارفه الوريفة ، بئنه وكرمه .

والمستند «حَسَبَ الْمَرْسُومِ الشَّرِيفِ» .

## الضرب الثاني

( ما صار إليه الأمر بعد وصول أطلمش إليه )

وهذه نسخة جواب

والعنوانُ سطرانِ بقلمِ الثُّلُثِ بقاءِ الذهبِ ماصورتهُ :

«المقامُ الشريفُ ، العالى ، الكبيرى ، العالمى ، العادى ، المؤيدى ، المظفرى ،  
الملجئى ، المَلادى ، الوالى ، القُطْبى ، نُصرةُ الدين ، ملجأُ القاصدين ، مَلادُ  
العائدين ، قطبُ الإسلامِ والمسلمين ، تَمُور كوركان - زيدت عظمته - .

والطرقةُ ثلاثةُ أوصال ، والبسملةُ الشريفةُ فى أولِ الوصلِ الرابع ، ثم « الحمد لله »  
وتمةُ الخطبةِ بالذهب ، وبيتُ العلامةِ عرضُ أربعةِ أصابعِ مضمومةٌ ، وما يليها  
من الأسطرسةُ ثلاثةُ أصابع ، والعلامةُ الشريفةُ بين السطرِ العاشرِ والخادى عشرَ  
من سطورِ الكتابةِ ، موافقاً لآتِهاءِ الخطبةِ عند « أما بعد فقد صدرت هذه  
المفاوضةُ » . والعلامةُ الشريفةُ بجليلِ الثُّلُثِ بقاءِ الذهبِ « المشتاقُ فرج بن برقوق » .  
وهامشُ الكتابِ أربعةُ أصابعِ مطبوقَةٌ ، والخطبةُ وما يليها من البَعْديةِ والقابِ المقامِ  
القُطْبى المركبةُ والمفردةُ الجميعُ بالذهب ، ومضمونه بعد البسملةُ :

الحمدُ لله الذى سَيّدَ قواعدَ الإصلاحِ ، ومهدَ مواطنَ الرُّشدِ والنَّجَاحِ ، وجعلَ أذنانَ  
المؤمنِ يُجيبُ داعيَ الفَلاحِ .

نحمدُه على أنْ أَلَّفَ بين القلوبِ بلطيفِ الإرتِياحِ ، ونشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ  
وحدهُ لا شريكَ له إلهٌ زَمَ نفوسَ المؤمنينَ بجبَلِ التقوى من حَيَّةِ الحِماحِ ، ونشهدُ  
أنْ سيدنا محمداً عبدهُ ورسوله الذى وَصَّحَ من نُورِ رسالتهِ بجزرِ الإيمانِ ولاح ، وَفَتَحَ

من نور معجزاته زهر الدين الحنيفي وفاح ، صلى الله عليه وعلى آله الذين سبوا  
ظهور كلهم من الصدق بأقنن وشاح ، وعلى صحابته الذين ينون من عهدهم (٩) بفقهم  
في الدين الواجب والمندوب والمحظور والمباح ، وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد ، فقد صدرت هذه المفاوضة إلى المقام الشريف ، العالی ، الكبيری ،  
العالمی ، العادلی ، المؤیدی ، المظفری ، المنجی ، الملاذی ، الوالدي ، القطبي ،  
نصرة الدين ، ملجأ القاصدين ، ملاذ العائدين ، قطب الإسلام والمسلمين :

مَلِكٌ فَوْقَ الْخَلْقِ طَرَاهِيَةٌ \* فِيهِ نِهَابَةٌ غَايَةُ التَّأْمِيلِ !

تيمور كور كان — زِيدَتْ عَظْمَتُهُ ، وَدَامَتْ مَعِدَّتُهُ ، وَلَا زَالَتْ رَايَاتُ نَصْرِهِ  
خافقة البُود ، وآياتُ فضله متلوة في التهاشم والتجود ، ومحبُّ فضائله هامية بالكرم  
والجود ، ومهابة سطوته تملأ الوجود — تُهْدِي إِلَيْهِ مِنَ السَّلَامِ مَا حَلَا فِي حَالِي  
الصُّدُورِ وَالْوُرُودِ ، وَمَنِ الْإِخْلَاصِ مَا صَفَا وَصَفَتْ مِنْهُ الْبُرُودِ .

وتسدي لعلمه الشريف أن مفاوضته الشريفة وردت علينا جواباً عما كتبناه  
إلى حضرته الشريفة ، على يد المجلس العالی الأميري الشهابي ، أحمد بن غلبك  
وسيف الدين ، فاني بيه الناصري ، المجهزين صحبة المجلس العالی ، الأميري ،  
الجلالي أطمش ، لزم المقام الشريف ، بوصول الأمير جلال الدين أطمش  
إلى حضرته الشريفة طيباً ، مبدياً بين يديه ما حملناه من رسائل الأشواق ، مبيئاً ما هو  
اللائق بخلاله الحسنة عن حضرتنا مادحج به الأوراق ، شاكرًا لإنعاماتنا التي هي  
في الحقيقة من شيم فضلكم الخفاق ، مبيئاً منه ومن خوي الخطاب في نظم الكتاب  
صدق المقال وصحة العهد ورسوخ الميثاق ، وأنه قد ثبت بما ثبت من غرائب المعاني  
حصول الأمان ، وسرى بعد ما يكون من هدايا التهاني ، وأن الذي أتفق الآن هو

المطلوب ، والمكتوب به إلى والدنا الشهيد الظاهر أولاً هو المرغوب ؛ وخلافه كان موجباً لنقل الحركات الشريفة إلى جهة البلاد . وما أتفق فيه للعباد ؛ ولكن كل بقضاء وقدر . ولما حصل قبول الإشارة بتجهيز الرسل والأمير أطلمش ، صارت القلوب متفقه . والعبود قارة ؛ وصفت موارد الصفاء ، وصفت ورود الوفاء ؛ وقطعت حبال المنافاة والحقاء . وأنّ المقام الشريف كان أقسم في كتبه قسماً وأعادته ، تم فصل بحمله وأفاده ؛ وهو . والله الطالب الغائب . المدرك المهلك ، الحى الذى لا ينام ولا يموت . من يومه هذا لا يخالف ما صدر من عقد الصلح المسطور ؛ ولا يرجع عن حكمه للمهد المزبور ؛ ويحب من يحبنا ويغض من يغضنا ؛ ويكون سلماً للمسلمين ، حرباً لمخاربتنا ؛ ومتى استنصرنا به على أحد من مخالفتنا أمداً بما شئنا من العساكر . وانه أمر ماناله أحد من الناس غيرنا ، وانه لو كان القسم على الوجه الذى ذكره مصرحاً مذكوراً في لفظ الكتاب ، وبعبارة الخطاب ؛ لكان أوضح ، والتبيين أبلغ ؛ وأنه حيث كان بأطراف ممالكه المجاورة لمالكنا أحد من المفسدين يجهزه إلينا مقيداً . وحيث كان أحد من المفسدين بمالكنا المجاورة لمالكنا يعرفنا به لتجهزه إليه ؛ لاتفاق الكلمين ، واتحاد المملكتين ، وطمانينة لقلوب الرعايا والسالكين من الجهتين ؛ وما تفضل به : من سؤال المقام الشريف الله عز وجل زيادة أسباب دولتنا ، وممّا إياتنا ؛ وأنّ اهتلال إذا رأيت نموه ، أيقنت أن سيصير بديراً كاملاً . وأنا سئى ما يصعده المقام الشريف . من الفضل المنيف ؛ ومن تلافى الأمور ، ما يظهر للخاصة والجمهور ، مما يزيد بديراً نمواً ، وقدرنا بين الملوك شتوا ؛ لأنه لنا أكثرى كفى ، وأشفق من الوالد والصاحب والخليل ؛ وإن من علامة الصفاء ، إظهار ما خفى ؛ وهو أن في أطراف ممالكنا الآن بلاداً كانت داخلة في ممالكنا ، وهى أبلسستين . وملطبة ، وكرمر ، ونحكا . وقلمة الروم ، والنيرة ؛ وأنه

كان يُحل معناها على لسان المجلس السامى، النظامى، مسعود الكججاني أولاً، المجهز الآن صحبة الأمير شهاب الدين بن غلبك وسيف الدين قافى بيه، وأن القصد أن نأمر من بها من الثواب أن تسألهما لنوابه، والممول فى انتظام الأمور على ما تجمله المشار إليه وعزول عليه؛ وأنه شاكر لمراقبنا، موافق لموافقنا؛ وأنه يصنى إلى ما نبديه، وتُخفف به ونهديه؛ على الصورة التى أهداها، والتحية التى بكرىم الشسيم أهداها؛ فقد علمنا ذلك جملة وتفصيلاً، وشكرنا حسن صنيعه إقامة ورحيلنا؛ وتضاعف سرورنا بوصول الأمير أطلمش إلى الحضرة الشريفة. ووصل إلينا الأمير شهاب الدين بن غلبك وسيف الدين قافى بيه مرتين من ذكر محاسنكم ترتيباً، وعرضاً ما تفضلتم به فى حقنا إكراماً وتوقيراً وتجبلاً؛ وأنها بين أيدينا ما عوملا به من الفضل الذى ماعليه مزيد، والبر الذى تعجز الفصحاء أن تُبدئ بعض محاسنه أو تُعيد؛ وإنما كانا كل يوم من توفى الفضل فى يوم عيد، وحصل لها من الإقبال مالا يُحصى بالحصر والتحديد؛ فحمدنا لإقام الشريف الوالدى حسن هذا الفضل العام، وشكرنا جميل تفضله الذى أنجمل الغمام؛ وتزايد شوقنا وحبنا حيث زُمنمت ألفاظ المفاوضة الشريفة إلى ذلك المقام.

ليس على الله بممتنك \* أن يجمع العالم فى واحد!

وهذا هو اللائق بالجلال الشريفه، والمؤمل فى جلال صفاته المنيفه؛ ووصل الخواجا نظام الدين صحبتهما مبدياً عن جنابكم من رسائل المحبة والصفاء، والمودة والوفاء؛ ما يعجز عن وصفه الناظم والنائر، مظهرها من حسن المودة وعزير المعرفة ما يفضح به الموائى والمؤاثر؛ سالكا من تأكيد أسباب الصلح ما تجعل به مفارق المفاسر، معتذراً عما تقدم فاقدر ربما يكون سبباً لإصلاح الآحر؛ متكفلاً عن صفاء طوبيتكم لنا بما يسر السرائر. فضاعفنا إكرامه، وراذقنا إنعامه، ووقرنا من العز



أقسامه ، وأنزله متراً يليق به ، ووصلنا كل خير بسببه ، وما هو إلا مستحق لكل ما يراد به من فيض فضل وفضل .

وأما ما أشار إليه من إعادة القسم تأكيداً للصنع ، وتوضيحاً للتشجع ، ولو كان القسم الذي أقمنا به مصرحاً لكان أوفى ، فقد علمنا ذلك وكتبنا الفاظ القسم في كتاب الصلح مصرحةً ، وأعدناه إلى حضرته ليقرأ على مسامحة الشريفة ، ويسمعه الخط الشريف ويعدّ إليها ، ونحن نكرر القسم ، يبارئ القسم ، الذي لا إله إلا هو ، الطالب الغالب ، المدرئ المهلك ، الحى الذى لا ينام ولا يموت ، أنا من يومنا هذا لأتحالف ما أنظم من عقد الصلح المسطور ، إلى يوم البعث والنشور ، ولا تحل عراه الوثيقة المشار إليها ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، ونكون حرباً لمن حاربه ، وسامداً لمن ساله ، ومبغضين لمبغضيه ، ومحيين لمحبيه ، ومن أشار بإشاره ، أو شق على أحد من [ رعاياه ] غاره ، رادفنا إسعافه وضاعفنا استظهاره ، وأخلصنا القول والعمل في مصافاة المقام الشريف : لأن الصلح بحمد الله قد تم وكل ، فيكون ذلك في شريف علمه .

وأما ما أشار إليه من أمر القرى التى قصد تسليمها لنوابه ، وأنها داخله في حدود مملكته : كبلستين ، وملطية ، وكركر ، ونكنا ، وقلعة الروم ، والبيرة ، فقد علمنا ذلك ، ونحن نبدى إلى علومه الشريفة أن هذه البلاد لا يحصل لنا منها حراج ، ولا ينال منكنا ونوابنا منها في كل وقت إلا الأزعاج ، وإذا جهزنا إليها أحداً من النواب ، نتكفل له غالباً بالخيول والرجل والركاب ، وبضواحيها من سراق التركمان ، وقطاع الطريق من العربان ، مالا يتخفى عن مقامه . ولو كانت دمشق أو حلب ، أو أكبر من ذلك مماله (؟) عن الطلب ، ماتوقفاً فيما عن قبول إشارته لنا كيد المحبة ، واتحاد الكلمتين من إجلالنا في أعلى رتبته ، غير أن لتسليمها من الوهن لمملكتنا منافاة لما

بتفضّل به المقام الشريف من سؤال الله تعالى في زيادة سلطتنا، خصوصاً وقد وعدّ المقام الشريف والوالدي بما سنرى، وسوف تظهر نتيجته مما يتفضّل به بين الوريثين، وأنّ الذي سمح لنا به من الاستظهار ماناله أحد من الناس، وما حصل لنا بما أبداه الخوارج مسعود بين أمراء دولتنا من المشافهة عن مقامه الشريف من قوة الجاش والإيناس، ونحن نترقب بين حركانه، وسديد إشاراته، وزيادة الخير في النفس والملك والمال، وتوقع من جميل كفالته السعادة الأبدية في الحال والمآل، فيكون ذلك في شريف علمه .

وقد جهّزنا بهذه المفاوضة المجلس العالي، الأميري، الكبير، الأعزى، الأخصى، المقرّب، المؤمن، الأوحدي، النصيري، مجد الإسلام والمسلمين، شرف الأمراء الخواص في العالمين، منتخب الملوك والسلاطين، منكلي بقا الناصري أمير حاجب، أدام الله تعالى سعده، وأنجح قصده، وعلى يده من الهدية المصرية ما تبيها تجهيزه بمقتضى القائمة الملتصقة بذيلها، وأعدنا المجلس العالي النظامي : مسعوداً ومن معه إلى المقام الشريف، متحمّلين من رسائل الأشواق والاتحاد، ما لا يقع عليه الحصر والتعداد، وما أحرنا الخوارج نظام الدين مسعوداً هذه المدة بالباب الشريف إلا لأمرٍ عرض من قضية السلطان أحمد بن أويس، وهزبه من بغداد إلى حلب، وجهّزنا من الباب الشريف من يحمّضه إلى دمشق ليحصل منه الأرب، ثم بعد ذلك بأيام ورد الخبر من كافل الشام الجرويس، بوصول قرآ يوسف بن قرآ محمد إلى دمشق في نقر قليل . فجهّزنا أخذ الأمراء إلى كافل الشام بمشال شريف، يتضمن القبض على السلطان أحمد بن أويس وقرآ يوسف المذكورين، وإيداعهما الاعتقال بقلعة دمشق المحروسة، وفاء

للعهد وتأكيده . وحملنا الأمير سيف الدين منكلي بغا المذكور، مشافهةً في معناهما .  
والقصدُ من حيل محبته . وجزيل أوثقه ، قبولُ الجَهْز من ذلك ، وبسطُ العذر فيه  
إذا وصل إلى حضرته هنالك : لأن الديارَ المصرية وأعمالها حلَّت بها من المحل لعدم  
طُلوع النَّيل في هذه السنة ، إلا يُحصَر ولا يُحصَى ، ولا يُسَمَّع بمثله ، وشموتُ نسخة الصلح  
المعادة بالخط الشريف ، ومضاعفةُ إكرام حاملها الأمير منكلي بغا بالبرِّ الوَرِيف ؛  
والإصغاءُ إلى ما تحمله من المشافهة في معنى أحمد بن أُوَيْسٍ وقرأ يوسف ، والله تعالى  
يشيّد بتهميده قواعد الدين الخنيف ، بمنه وكرمه ، إن شاء الله تعالى .

### الثالث

(من ملوك تُوران من بني جنكرخان القان الكبير، صاحب التخت،

وهو صاحب الصين والخطا)

قال في "التعريف" : وهو أكبر الثلاثة ، ووارثُ تخت جنكرخان . قال : ولم يكن  
يكتب لترفعه وإبائه ، وطيرانه بسُبعة آباءه ، ثم توارثت [ الآن ] الأخبارُ بأنه قد أسلم  
ودان دين الإسلام ، ورقيم كلمة التوحيد على ذنائب الأعلام . قال : وإن صحَّ ذلك  
- وهو المؤمل - فقد ملأت الأمةُ المحمدية انخافقين . وعمت المشرق والمغرب ،  
وأمنت بين صفتي المحيط . ثم قال : فإن صحَّ إسلامه وقُدِّرت المكتبةُ إليه ، تكون  
المكتبةُ إليه كالمكتبة إلى صاحب إيران ومن في معناه من سائر القانات المقدم  
ذكرهم ، أو أجل من ذلك .

قلت : ولم يتعرض إلى المكاتبه إليه على تقدير بقائه على الكفر، ويشبه أن تكون  
 المكاتبه إليه على ذلك وشدة سطوته، فيعطى من قطع الورق بقدر رتبته . ثم يجوز  
 أن تبدأ المكاتبه إليه كصاحب القسطنطينية ومن في معناه ، مع مراعاة معتقده  
 في ديوانته بالنسبة إلى <sup>(١)</sup> كما يرعى مثل ذلك في المكاتبه إلى ملوك النصرانية،  
 والوقوف في الخطاب وما يخرط في سلوكه عند الحد اللائق به . والأمر في ذلك  
 موكل إلى اجتهاد الكاتب ونظيره .

### المهيع الثالث

(في المكاتبه إلى من يجزيه العرب مما هو خارج عن مضافات  
 الديار المصرية، وفيه جملتان)

### الجملة الأولى

(في المكاتبه إلى ملوك اليمن، وهم فرقان)

### الفقرة الأولى

(أئمة الزيدية)

قال المقر الشهابي بن فضل الله في "التعريف" : وهو من بقايا الحسنيين  
 القائمين بأمل الشط من بلاد طبرستان، وقد كان سلفهم جاذب الدولة العباسية  
 حتى كاد يطبع رداها، ويُسَمِّت بها أعداءها. وهذه البقية الآن بصنماء وبلاد  
 حَضْرَمَوْت وما والاها من بلاد اليمن . قال : والإمامة الآن فيهم في بني المطهر،  
 ويخدم في المقالة الثانية في الكلام على المسالك والمالك أن أول من قام من هذه  
 الأئمة بايمن الإمام (يحيى الهادي) بن الحسين الزاهد، بن أبي محمد القاسم الرسي،

(١) لعله على ذلك بنسبة قدرته وشدة الخ تأمل .

(٢) يياض بالأصل ولعله النعت والألقاب كما يعلم مما تقدم .

أبن إبراهيم طباطبأ، بن إسماعيل الديباج ، بن إبراهيم الغمر ، بن الحسن المثنى ،  
 ابن الحسن السبط ، ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، في سنة  
 ثمان وثمانين ومائتين في خلافة [المعتضد] <sup>(٢١)</sup> ؛ وأنه كان فقيها عالما مجتهدا في الأحكام ،  
 حتى قال فيه ابن حزم : إنه لم يُعَدَّ عن الجماعة في الفقه كلُّ البعد . ثم [ ولى  
 بعده أبوه محمد المرتضى ] وتمت له البيعة فاضطرب الناس عليه وأضطروا إلى تجريد  
 السيف بفرده ومات سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة لثنتين وعشرين سنة من  
 ولايته [ ولى بعده أخوه ( أحمدُ الناصر ) ثم أخوه ( القاسمُ المختار ) ثم ( الحسين  
 المنتجب ) . وأطرد أمرهم بصنعاة إلى أن غلب عليهم السليمانيون أمراء مكة عند  
 نُحُوجهم منها ، فاستقرت أيديهم إلى أن ملك اليمن من جهة الساحل ( أحمدُ الموطئ )  
 ابن الحسين المنتجب المتقدم ذكره ، وذلك في أيام سيف الإسلام ابن أيوب سنة  
 خمس وأربعين وستمائة . وبقى أمر الزيدية هناك في عقبه .

وقد ذكر المقر الشهابي بن فضل الله أن الإمامة في زمانه ، في الدولة الناصرية  
 ابن قلاوون كانت في ( حمزة ) وذكر في "مسالك الأبصار" أن يحيى بن حمزة وُلِّيَ بعد  
 أبيه ، وكان في زمن المؤيد داود بن يوسف صاحب اليمن . وذكر قاضي القضاة  
 ابن خلدون أن الإمام قبل الثمانين والسبعائة كان ( علي بن محمد ) من أعقابهم ، وتوفي  
 قبل الثمانين . وولى أبوه ( صلاح ) وتابعه الزيدية . وكان بعضهم يُنكر إمامته لعدم

(١) ذكره فيما تقدم في ج ٥ ص ٤٧ "عبد الله" . وقد تبين هناك تقلا عن "الكامل لابن الأثير"  
 أنه إبراهيم كما هنا ، فثبتته .

(٢) في الاصل المأمون وهو خطأ فإن المأمون توفي سنة ٢١٨ وقد تقدم الكلام على هذه الدولة  
 في ج ٥ ص ٤٧ وما يليها فارجع اليه .

(٣) الزيادة من جزء ٥ ص ٤٨ وهي لازمة لأن أحمد الناصر أن يحيى الزاهد لا أخوه .

(٤) أخره فيما تقدم عما بعده .

استكمال الشروط فيه فيقول : "أنا لكم ماشيتهم إمام أو سلطان". ثم مات سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة ، وقام بعده آبيه (تجاح) فامتنع الزيدية من بيعته فقال : أنا "مُحْتَسِبٌ لِلَّهِ تَعَالَى". قال في "التعريف" : وأمرأء مكة تُسِرُّ طاعته ، ولا تفارق جماعته . قال : ويكون بين هذا الإمام وبين الملك الرَّسُولِيَّ باليمن مهادنات ، ومقاصحات تارة وتارة . قال : وهذا الإمام وكلُّ من كان قبله على طريقة ماغيروها . وهي إمارة أعرابية لا كبر في صدورها ، ولا شتم في عَرَائِنِها ، وهم على مُسْتَكَمَةٍ من التقوى ، وتردُّ بشعار الزُّهْدِ ، يجلس في نَدَى قومه كواحد منهم ، ويتحدث فيهم ويحكم بينهم ، سواءً عنده المشروفُ والشريفُ ، والقوى والضعيفُ ، وربما اشترى سلعته بيده ، ومشي في أسواق بلده ، لا يُعَلِّقُ الحِجَابَ ، ولا يَكُلُّ الأُمُورَ إلى الوزراء والحُجَّابِ ، يأخذ من بيت المال قدر بُلغته من غير تَوَسُّعٍ ، ولا تَكْثِيرٍ غير مُشِيعٍ ، هكذا هو وكل من سَلَفَ قبله مع عَئِلٍ شامِلٍ ، وَفَضْلٍ كَامِلٍ . قال : في "مسالك الأَبصار" : ولشِيعَة هذا الإمام فيه حُسْنُ الإِعْتِقَادِ ، حتَّى إنهم يَسْتَشْفُونَ بدعائه ، ويمرُّون يده على مَرَضَاهُمْ ، ويستَشْفُونَ به المطرُ إذا أُجْدَبُوا ، ويبالغون في ذلك بكلِّ المبالغة . ثم قال : ولا يَكْبُرُ لإمام هذه سيرته - في التواضع لله ، وحسن المعاملة لخلقِه ، وهو من ذلك الأَصْلِ الطاهر والعُنْصُرِ الطَّيِّبِ - أن يُجَابَ دعاؤه ويُقْبَلَ منه . قال : وزِيَّ هذا الإمام وأتباعه زِيُّ العرب في لباسهم والعمامة والحَنَكِ ، ويُنادى عندهم بالأذان «سُحَّى عَلَى خَيْرِ الْعَمَلِ» .

ورسم المكتبة إليه على ما ذكره في "التعريف" : أدام الله تعالى أو ضاعف الله تعالى نعمة ، أو جلال الجانيِّ الكريم ، العالى ، السيِّدى ، الإمامى ، الشريفى ، النَّسَبِيَّ ، الحَسَبِيَّ ، العَلَمِيَّ ، سَلِيلِ الأَطْهَارِ ، جَلالِ الإسلام ، شرفِ الأنام ، بقية البيت النبوى ، نَحْرِ النَّسَبِ العَلَوِيِّ ، مؤيدِ أمور الدين ، خليفة الأئمة ، رأس العلياء ،

صالح الأولياء، علم الهداة، زعيم المؤمنين، ذنر المسلمين، مُنجد الملوك والسلاطين .  
 ولا زال زمانه مُتربعا ، وغلبه مُسبعا ، وقرأه مُشعبا ، وكرمه لفيض نداء منبعا ، وهده  
 حيث أم بالشفوف متبعا ، وملكه المجتمع باليمن لو أدركه سيف بن ذى رزن لم يكن  
 إلا لديه منتضى وتبع لم يكن له إلا تبعا . ولا فتنت معاقده شرفه بالحوزاء ، وعقائد  
 حبه تعدد لحسن الجزاء ، ومعاهد وطنه أهلة بكثرة الأعراء ، ومباسم أهل ولاته تعز  
 إليه بالأعرزاء ، ومباسم ثغور أودانه ضاحكة السيوف في وجوه الأرزاء ؛ هذه التجوى  
 إلى روضه المبرع ، وإلا فارتزم الركائب ، وإلى حوضه المترع ، وإلا فما الحاجة إلى  
 السحاب ؛ وإلى حماه المحصب ، وإلا فقيم يسرى الزائد ، وإلى مرماه المطنّب فوق  
 السماء ، وإلا إلى أين يريد الصاعد ؛ تسرى وطأ من هادى وجهه دليل ؛ وفي نادى  
 كرمه مقبل ؛ وإلى بادى حرمه وما فيه للعاكف ، وإلى على حرمه مالا ينكره العارف ،  
 وفي آثار قدمه ما يحكم به كل عائف ؛ وفي بدار خدمه ما يدبر عداه كرماء آشتدت  
 به الریح في يوم عاصف . مبدية وأول ما تبدأ بسلام تُقدمه على قول كبت وكبت ،  
 وشاء ولا مثل قوله : (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ) .



صدر آخر - ولا عطل محراب هو إمامه ، ولا بطل عمل هو تمامه ، ولا جف  
 قرى نبات هو غمامه ، ولا خف وقار امرئ بيده المصرفة زمانه ، ولا آرتد مضرب  
 سيف رؤس أعاليه كجامة ؛ ولا آرتأى في حصول الخيرة له من كانت إلى كنفه  
 أنضامه . وأطال الله باع عليائه ، وأطاب بأبناؤه سماع أوليائه . وأدام إجماع السرور  
 عليه ، ومصافاته لأصفياه وتراميه إليه . صدرت بها الركائب إليه محفة ، وسرت

بها النجائبُ تَفَقَّ عليه والقلوبُ بها حُفِّهُ ؛ وأهوتَ لَدَيْهِ يَسْمَعُ بها لوصولها  
إليه الكبر ، وطوتْ إليه اليَدَ طَيَّ الشُّقَّةَ تَمَيِّسُهَا المَطَايَا بالأذْرُعِ والثَّرِيًّا بالشَّيْرِ ؛  
تَأْتِي بالعَجَبِ إِذْ تَجَلُّبُ إِلَيْهِ المِسْكُ الأذْفَرُ ، وتَجَلُّوهُ الصَّبَاحُ وما لآحَ واللَّيْلَ وما  
أَسْفَرُ ؛ وتَحَلُّ فِي مَقَرِّ إمامته ، ومُحَلِّي العاطِلَ بما تَرَهُ من الطَّلِّ صَوْبَ عَمَامَتِهِ ؛  
مُوصَلَةٌ لعلمه مالا يُقَطِّعُ ، ومضوَّعةٌ عنده من عَنَبِ الشَّحْرِ ما يُسْتَبْضَعُ ، ومُعَلِّمةٌ له  
كَيْتٌ وكَيْتٌ .

قلت : هذا ما أصَّله في "التعريف" وحاصله أنه يأتي بالصِّدْرِ المَقْدَمِ ذكره  
إلى قوله : « مُتَجِدِّ المَلُوكِ والسُّلَاطِينِ » ؛ ثم يأتي بالدعاء المناسب ؛ ثم يقول :  
« هذه النجوى » إلى آخره « مبدية لعلمه » أو « معلِّمة » أو « صدرت بها الركائب »  
ونحو ذلك .

ثم لم يتعرَّض في "التعريف" لقطع الورق الذي يُكْتَبُ إليه فيه ، ولا للعلامة  
له ، ولا لعنوان كتابه ، ولا لتعريفه ، ونبه على ذلك في "التتيف" وأنه أهل ذلك  
ثم لم يُبَيِّنْهُ هو عليه . وقد رأيت في دُستور منسوب للمقرِّ العَلَّائِيِّ بن فضل الله بيان  
ما أهمله من ذلك فقال : والخطابُ له بمولانا الإمام ، والطلب منه « والمسئول »  
وختم الكتاب بالإِنْهاء ، والعُنوانُ بالألقاب والدعاء المقدم ذكره ، والعلامة  
« الخادم » .

وقد ذكر في "التعريف" أنه وصل إلى الديار المصرية ، في الأيام الناصرية « محمد بن  
قلاوون » سقى الله عهده رسولاً من هذا الإمام [ ابن مطهر إمام الزيدية ]<sup>(١)</sup> من صنَّعاء ،  
بكتاب منه يقتضى الاستدعاء . أظال فيه الشكوى من صاحب اليمن ، وعند قبائحه ،

(١) لعله محفة فانه ليس في كتب اللغة التي بأيدينا أحف به ولكن حف به واحتف فنه .

(٢) الزيادة من التعريف ص ١٥ .



ونشر على عيون الناس فضائحه ، واستنصر بمدد يأتي تحت الأعلام المنصورة لإجلائه عن دياره ، وإجرائه تجرى الذين ظلموا في تعجيل دماره ، وقال : إنه إذا حضرت الجيوش المؤيدة قام معها ، وقاد إليها الأشراف والعرب أجمعها ، ثم إذا استنفذ منه ما بيده أنعم عليه ببعضه ، وأعطى منه ما هو إلى جانب أرضه ، ثم قال : فكتبت إليه مؤذنا بالإجابة ، مؤذبا إليه ما يقتضى إعجابي ، وضمن الجواب أنه لا رغبة <sup>(١)</sup> [ لنا ] في السلب ، وأن النصر تكون لله خالصة وله كل البلاد لا قدر ما طلب .  
وهذه نسخته :

ضاعف الله تعالى جلال الجانب - بالألقاب والنعوت - وأعز جانبه عزاً تُعقد فواضله بنواصي الخيل ، وصياصي المعائل التي لم يطلع على مثلها سهل ، وأقاصي الشرف الذي طلع منه في الصوق وتمسك سواه بالذيل ، وقدمه للنفين إماما ، وجعله للمستقين عماما ، وشرقه على المرتقين في علل النسب العلوى وتوره وصوره تماما ، ومن على اليمن يمنة ، وأعلم بصنعاء حسن صنيعه وبحضرموت <sup>(٢)</sup> [ حضور ] موت أعدائه ، وبعدهن أنها مقدمة لجنات عدته ، ولا زالت الآفاق تؤمل من فيضه سخابا دانيا ، وتهلل إذا شامت له برقا يمانيا ، وانتقل في رب محامده ولا تبلغ من المجد ما كان بانيا .

هذه التجوى وكفى بها قيا يقدم بين يديها ، ويقوم ولا يقوم من كل غالى الثمن ما عليها ، تطوى المراحل ، وتجوب البر والبد الماحل ، وتنب إليه البحار وتغذف منها العنبر إلى الساحل ، وترسى به سفنها ، وتحط إليه بل تخط لديه مدنها ، وتؤذن علمه - سره الله - بما لم يحل إليه من نظره ولم يحل منه من سبب أنف به النوم أو نقر ، وروود وأرد

(١) الزيادة من "التعريف" ص ١٥ .

(٢) الزيادة من "التعريف" ص ١٦ .

رسوله فقال : يا بشرى ولم يُقل هذا غلام ، ووصولهِ بالسلامة والسلام ، وما تضمَّنه ما استصحب منه من صحيفة كلها كرم ، وأخبارٍ صحيحة كلها مما لو قُدِف به الماء لأضطَّرم ، ذكر فيها أمرَ المتقلب العادى ، [والصاحب الذى يفعل فعل الأعدى] <sup>(١)</sup> ، والجار الذى جارَ والظالم البادى ؛ وما مدَّ الأيدى إليه من النهاب ، وما اختطف به القلوب من الإرهاب ؛ وتحدت عن أخباره وعُتدا علمه ، وأخبر عن أفعاله مما له أجر الصبر عليه وعليه ظلمه ؛ وقصَّ رسوله القصص ، وزاد الشجى وضيق مجال العُصص ؛ وأطار من وشكر هذا العُدوان طائرا كأنما كان فى صدره ، وحرك منه لأمرٍ كان يتجرع له كأس صبره ؛ وقد أسمع الداعى ، وأسرع الساعى ؛ وبلغ الأمانة حامِئها ، وأوصل الكلمة قائلها ؛ ومرحبا مرحبا بداعى القيام من قبله ، وأهلا أهلا بما بلغ على السنة رُسله ؛ وهلمَّ هلمَّ إلى قلع هذه الشجرة التى لم يُحب ظنُّ غارسها ، وقطع هذه الصخرة التى لم تُصَّب إلا مرزقة لدانسها ، والتعاضد التعاضد لما هتف به هاتفه الصارخ ، وسمعه حتى الریح الأصمُّ والسيفُ المتصاوخ ، فليأخذ لهذا الأمرِ الأثبة ، وليشدُّ عليه فقد آتت الوثبة ؛ فقد سَطَّرت وقد نهض إلى الخيل ملجمها ، وبأدر وضع السهام فى الكائن مَرجمها ؛ وكأنه بأول الأعتة ، وآذان الجياد نفوق بين شطرى وجهها الأيسنة ؛ وكأنه برسوله القائد وفى أعقابه الجيشُ المُطل ، والألويةُ وكلُّ بطلٍ بيسل يبتدر الوغى ولا يستدل ؛ ولا أرب لنا فى استزادة بلادٍ وسع الله لنا نطاقها ، وكثر بنا موادُّ أموالها وقدر على أيدينا إنفاقها ؛ وإنما القصدُ كله والأربُ جميعه كشف تلك الكرب ، وتدارك [ذلك الدماء الذى] <sup>(٢)</sup> أو شك أو كرب ، وإن قدر فتوح ، وتيسر ما طرف سوانا إليه طُموح ؛ كان هو أحقُّ بسقمه <sup>(٣)</sup> : لأنه جار

(١) بياض بالأصل ، والتصحيح عن التعريف ص ١٧ .

(٢) فى الأصل والتعريف بسبقه وهو تصحيف مكانى كما لا يخفى .

الدار، والاثول الذي كان له البدار، ويقال له لعظيم شرفه ما تسمح به وإن جل،  
ومانبه منه وإن عظم - شأن كل تبع وهو بعضه، استقل، وكأته والحيل قد واقته  
تجد في الإحظار، وتسرع إليه وتكفيه مؤونة الانتظار، إن شاء الله تعالى .

### الفِرقة الثانية

( أولاد رسول )

وهم المعروفون بملوك اليمن عند الإطلاق، ومقر ملكتهم حصن تعز، ورسول  
هذا الذي كان ينسب إليه ملوك هذا النسب من اليمن هو رسول أمير أخور الملك  
الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب . قال في "التعريف" : ولما بعث الملك  
الكامل ولده الملك المسعود أطمرا، وهو الذي تسميه العامة أفسيس، بعث معه  
رسولاً أمير أخور في جملة من بعثه معه . قال : ثم تنقلت الأحوال حتى استقل  
رسول بملك اليمن، وصار الملك في عقبه إلى الآن . والذي ذكره المؤيد صاحب  
حماة، وقاضي القضاة ولي الدين بن خلدون في تاريخيهما وهو الصواب أن أول  
من ملك اليمن على بن رسول، ثم أبوه المنصور عمر، ثم أبوه المنظر يوسف . ثم أبوه  
الأشرف عمر، ثم أخوه المؤيد هزبر الدين داود، ثم أبوه المجاهد سيف الدين علي،  
وهو الذي قال المقتدر الشهابي بن فضل الله في "التعريف" إنه كان في زمنه،  
ثم المنصور أيوب، ثم المجاهد علي المقدم ذكره ثانياً، ثم أبوه الأفضل سيف الدين  
عباس . وهو الذي قال في "التعريف" إنه كان في زمنه في الدولة الأشرفية «شعبان  
آبن حسين» ثم أبوه المنصور محمد، ثم أخوه الأشرف إسماعيل، وهو الذي كان  
في الدولة الظاهرية بقوق . ثم أبوه [الملك الناصر أحمد] وهو القائم بها الآن .

(١) ياض بالأصل هنا وفي ج ٥ ص ٣٣ أيضاً عند الكلام على ملوك اليمن من أولاد رسول والتصحيح  
من بنية المنفيد لابن أبي عمير .

وأعلم أنَّ المكتبات بينَ صاحبِ مصر وصاحبِ اليمنَ من حينِ استنقِزت مملكةُ اليمنِ مع بنى أيوبِ ملوكِ مصر وصارت المملكانِ كالمملكةِ الواحدةِ ، ثم توأصلت المكتبات بينَ ملوكِهما وتأكدت المودةُ إلى زماننا هذا، خلا ما وقع في خلال ذلك من حصولِ تباينٍ وقع بينَ أهلِ المملكتينِ في بعضِ الأزمانِ ، وهو علىَ ضربينِ :

### الضرب الأول

(ما كان الأمرُ عليه في النولةِ الأيوبيةِ ، وهو أن تفتتح

المكتبةُ بلفظِ «أصدرناها» )

وهذه نسخةُ كتابِ عن السلطانِ صلاح الدين يوسف بن أيوب صاحبِ مصر والشام ، إلى أخيه سيف الإسلام صاحبِ اليمنِ يستقدمه إليه ، معاونا له على قتالِ القرَج ، ويُخبره بما وقع له من الفُتوحاتِ في سنة أربع وثمانين وخمسمائة . وهي :

أصدرنا هذه المكتبةَ إلى المجلسِ ، وما تجدُ بمحضرتنا فتوح «كوكب» وهي كرسى الإِسْتَبَارِيَّةِ ودارُ كُفْرهم ، ومستقرُّ صاحبِ أمرهم ، وموضعُ سلاحهم وذُخْرهم ، وكان يجمعُ الطُرُقَ قاعداً ، ولم يبقِ السُّبُلَ راصداً ، فتملَّقت بفتحهِ بلادَ الفتحِ وأسْطوطلنت ، وسُلِكت الطُرُقُ فيها وأُمنت ، ومُحِرت بلادُها ومُكِنت ، ولم يبقِ في هذا الجانبِ إلا «صُور» ولولا أنَّ البحرَ يُجْبِدها والمراكبُ تَرِدُها ، لكانَ قيادُها قد أمكنَ ، وجاحُها قد أذعنَ ، وما همُ بحمدِ الله في حصنِ يحيمهم ، بل في سِجنِ يحويهم ، بل هم أسارى وإن كانوا طُلُقَاء ، وأمواتٌ وإن كانوا أحياءً ، قال الله عز وجل : ﴿ فلا تعجلْ عليهم إنا نَعْدُ لَهُمْ عَذَابًا ﴾ ولكلِ أمرئٍ أجلٌ لا بدَ أن يَصُدُقَهُ غائِبُهُ ، وأملٌ لا بدَ أن يَكْذِبَهُ خائِبُهُ .

وكان نزولنا على «كوكب» بعد أن فتحنا «صفد» بلد الديوية ومعقلهم ،  
 ومُسْتَعْتَمَلِهِمْ وَعَمَلِهِمْ وَعَمَلِهِمِ الْأَخْصَنَ وَمَتْرَحِهِمْ ؛ وَبَعْدَ أَنْ فَتَحْنَا «الكَرْك»  
 وَحَصُونَهُ ، وَالْمَجْلِسَ السَّيْفِيَّ - أَسْمَاءُ اللَّهِ - أَعْلَمُ بِمَا كَانَ عَلَى الْإِسْلَامِ مِنْ مَسْئُوتِهِ  
 الْمُتَقَلِّبَةِ ، وَقَضِيَّتِهِ الْمُسْكَكَةِ وَعَنْتِهِ الْمُعْضَلَةَ ؛ وَأَنْ الْفَرَجَ - لَعْنَهُمُ اللَّهُ - كَانُوا يَقْعُدُونَ  
 مِنْهُ مَقَاعِدَ السَّمْعِ ، وَيَتَوَبَّعُونَ مِنْهُ مَوَاضِعَ النِّفْعِ ، وَيَحْوِلُونَ بَيْنَ قَاتِ (؟) وَرَأْيِكِبَا ،  
 فَيَسْتَلْبُونَ الْأَرْضَ بِمَا كَانَ مِنْهُ يُقَالُ عَلَى مَنَّا كِبَا . وَالْآنَ مَا أُنْزِلُ بِلَادِ الْهَرَمِينَ ، بِأَشَدِّ  
 مِنْ بِلَادِ الْحَرَمِينَ ؛ فَكُلُّهَا كَانَ مُشْتَرِكًا فِي نُصْرَةِ الْمُسْلِمِينَ بِهَذِهِ الْقَلْعَةِ الَّتِي كَانَتْ تُرَامِي  
 وَلَا تُرَامُ ، وَتُسَامِي وَلَا تَسَامُ ، وَطَالَتْ أَسْفَرْنَا عَلَيْهَا بِيُوتِ الْأَمْوَالِ ، وَأَفْقْنَا فِيهَا  
 أَعْمَارَ الرِّجَالِ ، وَقَرَعْنَا الْحَدِيدَ بِالْحَدِيدِ إِلَى أَنْ صَحَّتِ النَّصَالُ مِنَ النَّصَالِ ، وَانْتَهَى الْمَشْكُورُ  
 عَلَى مَا أَنْطَوَى مِنْ كَلِمَةِ الْكُفْرِ وَأَنْتَشَرَ مِنْ كَلِمَةِ الْإِسْلَامِ . وَإِنْ بِلَادِ الشَّامِ الْيَوْمَ  
 لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَعْوًا وَلَا تَأْتِيهَا إِلَّا قِيْلًا سَلَامًا سَلَامًا [فَادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ] ؛ وَكَانَ نَزُولُنَا  
 عَلَى «كوكب» ، وَالشَّاءُ فِي كَوْكِبِهِ ، وَقَدْ طَلَعَ بَيْنَ الْأَنْوَاءِ فِي مَوَكِبِهِ ؛ وَالنُّجُوجُ تَنْشُرُ عَلَى  
 الْبِلَادِ مُلَاءَمًا الْقَضِيضَ ، وَتَكْسُو الْجِبَالَ عِمَامَتَهَا الْبَيْضَ ؛ وَالْأَوْدِيَةُ قَدْ دَعَجَتْ بِأَنْبَاءِهَا ،  
 وَفَاضَتْ عِنْدَ أَمْتَلَانِهَا ، وَشَمَخَتْ أُنُوفُهَا سُيُولًا ، غَرَقَتْ الْأَرْضَ وَبَلَّغَتْ الْجِبَالَ  
 طُولًا ، وَالْأَوْحَالَ قَدْ اعْتَمَلَتْ الطَّرْفَاتِ ، وَمَتْنَى الْمَطْلُوقِ فِيهَا مَسِيَّةُ الْأَسِيرِ فِي الْحَلَقَاتِ ؛  
 فَتَجَسَّمْنَا الْعَنَاءَ بَيْنَ وَرَجَالِ الْعَسَاكِرِ ، وَكَأَثَرْنَا الْعَدُوَّ وَالرِّمَانَ وَقَدْ يُحْزِرُ الْحَطَّ الْمُكَابِرَ ؛  
 وَعَلِمَ اللَّهُ النَّبِيَّةَ فَأُنْجِدَنَا بِفَضْلِهَا ، وَضَمِيرَ الْأَمَانَةِ فَأَعَانَ عَلَى حَمَلِهَا ؛ وَنَزَلْنَا مِنْ رُبُوسِ  
 الْجِبَالِ بِمَنَارِلِ كَانِ الْإِسْتِثْرَارُ عَلَيْهَا أَصْعَبَ مِنْ تَقْلِيلِهَا ، وَالْوَقُوفُ بِسَاحَتِهَا أَهْوَنَ مِنْ  
 تَقْلِيلِهَا ( وَأَمَّا نِعْمَةٌ رَبِّكَ لِحَدَّثِكَ ) .

(١) الزيادة عن كتاب الروضتين في أخبار الدولتين (ج ٢ ص ١٣٦) .

والحمد لله الذى ألهمنا بنعمته الحديث ، ونصر بسيف الإسلام الذى هو سيفه  
وسيف الإسلام الذى هو أخونا الطيب على الخبيث ؛ فمدح السيف ينقسم على  
حديه ، ومدح الكريم يتعدى إلى يديه ؛ والآذ فالجلس - أسماء الله - يعلم أن الفرح  
لا يسئلون عما فتحنا ، ولا يضربون على ما جرحنا ؛ فإنهم - خذلهم الله - أم لا تخفى ،  
وجيوش لأستقصى ؛ ووراءهم من ملوك البحر من يأخذ كل سفينة غصبا ،  
ويطمع في كل مدينة كسبا ؛ ويد الله فوق أيديهم ، والله محيط بأقربهم وأبعدهم ؛  
﴿ سيجعل الله بعد عسر يسرا ﴾ . ﴿ لا تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا ﴾ .

وما هم إلا كلاب قد تعاوت ، وشياطين قد تعاوت . وإن لم يُدقوا من كل  
جانب دحورا ، ويُبعوا بكل شهاب نقيب مدحورا ؛ استأسدوا واستكلبوا ، وآلبوا  
وجلبوا وأجلبوا ، وحاربوا وحربوا ؛ وكانوا لباطلهم الداحض ، أنصر منا لحقتنا  
الناهض ؛ وفي ضلالهم الفاضح ، أبصر منا هُدانا الواضح ؛ والله در جرح حيث يقول :  
إِنَّ الْكِرِيمَةَ يَنْصُرُ الْكَرَمَ أَنبَاهُ \* وَأَبْنُ اللَّيْمَةِ لِلثَّامِ نَصُورُ !

فالبدار إلى النجدة البدار ؛ والمسارة إلى الجنة فإنها لن تُنال إلا بإيقاد نار  
الحرب على أهل النار ، والهمة الهمة ؛ فإن البحار لا تلتق إلا بالبحار ، والملوك الكبار  
لا يقف في وجوها إلا الملوك الكبار :

وما هي إلا نهضة تورت العلاء \* ليومك ما حنت روازم نيب !

ونحن في هذه السنة - إن شاء الله تعالى - نزل على أنطاكية ؛ ونزل ولدنا الملك  
المظفر - أظفره الله - على طرابلس ؛ ويستقر الركب العادى - أعلاه الله - بمصر  
فإنها مذكورة عند العدوة - خذله الله - بأنها تطرق ، وأن الطاب على الشام ومصر  
تفرق ؛ ولا غنى عن أن يكون المجلس السيفى - أسماء الله - بحراً في بلاد الساحل

يَزْحَرُ سِلَاحًا ، وَيَجْرُدُ سَيْفًا يَكُونُ عَلَى مَا فَتَحْنَاهُ قُدْلًا ، وَمَا لَمْ يَفْتَحْ بَعْدُ مِفْتَاحًا ، فَإِنَّهُ لَيْسَ  
 لِأَحَدٍ مِمَّا لَاحِخَ مِنْ سُمِّهِ لَهَا فِي كُلِّ مَسْمَعٍ سَمْعُهُ ، وَفِي كُلِّ رُوعٍ رُوعُهُ ، وَفِي كُلِّ  
 مَحْضَرٍ مَحْضَرٌ ، وَفِي كُلِّ مَسْجِدٍ مَنِيرٌ ، وَفِي كُلِّ مَشْهَدٍ مَجْرِبٌ ، فَمَا يُدْعَى الْعَظِيمُ إِلَّا لِلْعَظِيمِ ،  
 وَلَا يُرْجَى لِمَوْقِفِ الصَّبْرِ الْكَرِيمِ إِلَّا الْكَرِيمُ ، وَالْأَقْدَارُ مَاضِيَةٌ ، وَبِمَشِيئَةِ اللَّهِ جَارِيَةٌ ،  
 فَإِنَّ شَيْئًا اللَّهُ يَضُرُّ عَلَى الْعَدُوِّ الْمَضْعَفِ ، بِالْعَدَدِ الْأَضْعَفِ ، وَيُوصِلُ إِلَى الْبُجُوهْرِ  
 الْأَعْلَى ، بِالْعَرَضِ الْأَدْنَى ، فَإِنَّا لَأَرْتَابُ بَأَنَّ اللَّهَ مَا فَتَحَ عَلَيْنَا هَذِهِ الْفُتُوحَ لِيُغْلِقَهَا ،  
 وَلَا يَجْمَعُ عَلَيْنَا هَذِهِ الْأُمَّةَ لِيُفَرِّقَهَا ، وَأَنَّ الْعَدُوَّ إِنَّمَا خَرَجَ مِنْ دَارِهِ بَطْرًا ،  
 وَدَخَلَ إِلَى دَارِنَا كَانَ فِيهَا جَزْرًا ، وَمَا بَقِيَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَّا أَمْوَالٌ تُسَاقَى إِلَى  
 نَاهِبِهَا ، وَرِقَابٌ تُقَادُ إِلَى ضَارِبِهَا ، وَأَسْلِحَةٌ تُحْمَلُ إِلَى كَاسِبِهَا ، وَإِنَّمَا نُؤَثِّرُ أَنْ لَا تَطْوِيَّ  
 صَحَائِفَ الْحَمْدِ خَالِيَةً مِنْ أَسْمِهِ ، وَمَوَاقِفَ الرُّشْدِ خَاوِيَةً مِنْ عَزَمِهِ ، وَنُؤَثِّرُ أَنْ يُسَاهِمَ  
 آلُ أَيُّوبَ فِي مِيرَاثِهِمْ مِنْهُ مَوَاقِفَ الصَّبْرِ ، وَمَطَالِعَ النَّصْرِ ، فَوَاللَّهِ إِنَّا عَلَى أَنْ نُعْطِيَهُ عَطَايَا  
 الْآخِرَةِ الْفَاحِشَةَ ، أَشَدُّ مَنًّا حَرَصًا عَلَى أَنْ نُعْطِيَهُ عَطَايَا الدُّنْيَا الْقَاصِرَةَ ، وَإِنَّا لَا يُسْرِنَا  
 أَنْ يَنْقُضِي عَمْرَهُ فِي قِتَالِ غَيْرِ الْكَافِرِ ، وَزَيْلِ غَيْرِ الْكُفِّ ، الْعُنَاظِرِي ، وَلَا شَكَّ أَنَّ سَيْفَهُ  
 لَوْ أَتَّصَلَ بِلسَانِ نَاطِقٍ وَقَمٍّ ، لَقَالَ : مَا دُمْتُ هُنَاكَ فَلَسْتُ نَمَّ ، وَمَا هُوَ مَحْمُولٌ عَلَى حُطَّةٍ  
 يَخَافُهَا ، وَلَا مَتَكَلَّفٍ قَضِيَّةٍ بِحُكْمِنَا بَعَاقُهَا ، وَالَّذِي بِيَدِهِ لَا تَسْتَكْبِرُهُ ، بَلْ تَسْتَقْصِرُهُ عَنْ  
 حَقِّهِ وَتَسْتَصْغِرُهُ ، وَمَا نَاوَلْنَاهُ لَفْتَحَ أَرْضَهُ السَّلَاحَ ، وَلَا أَعْرَنَاهُ لِمَلِكٍ مَرَكْرَهُ النَّجَاحَ ،  
 إِلَّا عَلَى سَخَاةٍ مِنَ النَّفْسِ بِهِ وَبِأَمَانَةٍ ، عَلَى عِلْمٍ مَّا أَنَّهُ لَا يَقْعُدُ عَنَّا إِذَا قَامَتْ [الْحَرْبُ]  
 بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ ، فَلَا تَكْفُرُ بِهِ ظَنًّا أَحْسَنَ مِنْهُ فَعَلًا ، وَلَا تَرْضَى وَقَدْ جَعَلْنَا اللَّهَ أَهْلًا أَنْ لَا تَرَاهُ  
 لِنُصْرِنَا أَهْلًا ، وَلَيْسَتْ شُرَّ أَهْلِ الرِّشَادِ فِيهِمْ [لَا بِأَلْوَنِهِ] حَقًّا وَأَسْتَنْبَاحًا ، وَلِيَعِصَ أَهْلَ الْغَوَايَةِ

(١) في الأصل «بانوه حقا» كما تقدم أيضا في ص ٢٧ من هذا الجزء والصواب ما بيناه في العتب

كما يقتضيه المعنى وقواعد اللغة تأمل .

فإنهم إنما يتغالون به لمصالحهم أغراضاً، ومن بيته يظنن وإلى بيته يقفل، وهو يحيننا جواباً مثله لثلثنا، وينوي في هذه الزيارة جمع شمل الإسلام قبل نية جمع شملنا، ولا تقعد به في الله نهضة قائم، ولا تحذله عزيمة عازم، ولا يستغف فيها قوت طالب ولا تأخذه في الله لومة لائم، وإنما هي سفرة قاصده، وزجرة واحدة، فإذا هو قد بيض الصحيفة والوجه والذكر والشمع، ودان الله أحسن دين ولا حرج عليه إن فاه إلى أرضه بالرجع، وليندر ما كتبناه، ولينصهم ما أردناه، وليقدم الاستخاره، فإنها سراج الاستنارة، وليغضب الله ورسوله ولدينه ولأخيه فإنها مكان الاستغصاب والاستنارة. وليحضر حتى يشاهد أولاد أخيه يستشعرون لفرقة عمّا، وقد عاشوا ماعاشوا لا يعرفون أن لهم مع عمهم عمّا، والله سبحانه يلهمه توفيقاً، ويسلك به إليه طريقاً، ويحذنا به سيفاً لرقبة الكفر ممزقاً ودمه مريباً، ويعمله في مضار الطاعات سابقاً لا مسبوفاً. إن شاء الله تعالى.

### الضرب الثاني

(من المكتبات إلى صاحب اليمن ما الأمر عليه من ابتداء الدولة التركية

وهلم جراً إلى زماننا، وهو على ثلاثة أساليب)

### الأسلوب الأول

(أن تفتح المكتبة بلفظ «أدام الله تعالى نعمة [أيام] المقام العالی»)

وهذه نسخة كتاب كتبت عن الملك الناصر محمد بن قلاوون، جواب كتاب ورد من صاحب اليمن في مقابلة البشري بدخول العساكر المنصورة إلى بلاد الأرمن، وطلب سلامش نائب التار بالروم الدخول في الطاعة، وذكر أن نائباً كان لأبيه

(١) أي صاحب اليمن في كتابه الذي ورد منه في مقابلة البشري.



في قلعة طِمْسَع وعصى عليه فَطْفِرَ به فبشّر بذلك ؛ ويحرّضه على الجهاد وإنقاذ الأموال ؛ ويهدّده ، ويوجّه به قُصَادَه إليه . من إنشاء الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي رحمه الله ، وهي :

أدام الله تعالى نعمة أيام المقام العالی ! وأنهضه بفرض الجهاد الذي بمثله يُتَّبَع ، وأيقظه لمتعين الغزو الذي ما <sup>(١)</sup> له تُدْرِك الرُّبَّ وترتفع الدَّرَج ؛ وأشهده في سبيل الله مواقف النصر التي إذا أودعنا نُشْرِبُها الطروس عبقت بما فيها من الأراج ؛ وأراه مشاهد فتوحنا التي إذا حدثت الأحلام عن عجائبها حدثت عن البحر ولا حرج ؛ وصان مجده عن إضاعة الوقت في غير حديث الجهاد الذي هو أولى ما يُبْدَل له الدُّخَانُ ويُبْدَلت فيه المَهْج .

صدرت هذه المكاتبة تخصّصه بحجة لتضوّع نُشْرَا ، وتُحْفَه من منجذبات الظفر نُشْرَا ، يملأ الوجود مسرة وبُشْرَى ؛ ونقص عليه من منجذبات فتح يأتي على ما أتعبت فيه الأفكار قرانها من مشهي النهائي فلا يدع له ذكرا ، وتلو على من ظن بعد ما سمع من البلاغ بلاغ العدا أن إزالة والٍ عن مركزه فتح كبير ؛ لقد جئت شيئا نكرا . وتوضّح لعلمه الكريم أن مكاتبته الكريمة وردت مقصورة على نبيا لا يُعتد بذكره ، محصورة على خبر لا ينبغي لمثل مجده أن يُعْمَره على فكره ، مطلقه عن القلم فيما كان ينبغي طي خبره وتعنى أثره ، وإخفاء سببه وتركه نسياناً منسياً فضلا عن التبحر بذكره ، والتهنئة به ؛ إذ في ذلك مقابلة البحر بالثاد ، والروح بالجماد ؛ والشمس بالدبال ، والهدى بالضلال ؛ فتم بكل له في ذلك المراد ، وأتى بما قالت له النهائي : (نحن في وادٍ وأنت في وادٍ) ؛ وقابلناها مع ذلك القبول الذي آجتلي غرّها ،

(١) يهاض في الاصل ولعله الذي بالقيام به تدرك الخ .

وأحدثت لديه وزدها وصدرها ؛ فأحطنا علماً بما تضمنته من الأحوال التي أبداها، والمجتمعات التي عظم موقع نشرها عنده فأهداها .

<sup>(١)</sup> وأما ما ذكره من أمر القلعة التي كان [ النائب بها ] لوالده شخصاً اعتمد عليه، وولاه مستحفظاً ظننه مع تغير الأحوال مؤتمناً على ما في يديه ؛ وأن ذلك الشخص بعد انتقال والده رحمه الله طمع فيما استودع بفحده الوديعه والمواضع، ورام المنازعة والمقاطعة، وخالف وخالف، وقارب العصيان وقارّف، وأنه في هذا الوقت قلع ذلك النائب، من تلك القلعة المقتصبة، وأراح من همه الناصب، أفكاره ووصبه ؛ إلى غير ذلك مما أورده على وجه البشرى لهذا السبب الضعيف ؛ وأبرزه في معرض التهنئة من هذا الأمر الطفيف ؛ وأراد أن يتكثّر فيه بما لا مدخل له في كثره وقله، فذكر بروزه بجمعه إلى شخص واحد في قبالة ما اتصل به من نيل كل موطن برز فيه الإسلام كله إلى الشرك كله ؛ وظاهر الأمر أن ذلك الشخص ماعصى بالمكان الذي كان فيه إلا ما رأى بالمنكبة التيمية من اضطراب الأحوال ، وأسباب الاختلاف والاختلال ؛ والوهن الذي حسن له الاحتراز والاختزال ؛ والغلوة التي حملته على أن ( طلب الطمن وحده والنزال ) ؛ وأمتداد الأيدي العادية بكل جهة إلى ما يليها، وضياح رعايا كل ناحية بالإشتغال عن اقتقاد أحوال من يباشرها وأقتاد تصرف من يليها ؛ فهو الذي أوجب طمعه، وقوى ضلعه، وحمله من مركب العناد، وأراه نظراء بتلك الجهة ممن سلك الفساد . وهذا الأمر ما خفي علينا خبره ، ولا توارى عنا وزده ولا صدره ؛ فإن أخبار مملكة اليمن ما زالت متواصلة إلينا بما هي عليه من اضطراب واف ، واختلاف غير خاف، وهيح لا يرجع الأمر فيه إلى كاف كاف ؛ وما أشرنا لحق جيوشنا المنصورة، وعساكرنا التي ممالكت العدا بمهانتها محصورة ؛

(١) لم بات لاما بجواب واضح ولكنه يدرك بالتأمل .

عن الوصول إلى الملكة النخبية لتقويم أودها، وتمكين سدها، وإقامة أمر الملك فيها، وحجم مادة الفساد عن نواحيها، وتطمين البلاد، وإقامة الرعايا من الأمن في أوطان مهاد، والإحتراز على الخزائن والأموال، وصونها عن الإنفاق في غير جند الله الذين منعوا دعوة الشرك أن تقام وكلمة الكفر أن تقال؛ إلا لأن عاكرنا كانت الآن في الممالك والأقاليم التي بيد الكفر؛ من التنازل للخذولين، ومن يقول بقولهم من أعداء الدين؛ تقتل وتأسر، وتلقى الجيوش الكافرة فتكسب وتكسر؛ وتضجهم حيث حلوا طلائع رعبها، وتضجهم منها أين طلوا ربح عاد التي تدمر كل شيء بأمر ربها.

وما سطرنا هذه المكتبة إلا وجيوشنا المنصورة قد وطئت عقر بلادهم فأذلتها وأذلتها، وغبرت أحوالها وحاليتها؛ وقاسمتهم شرقسمة فلها منها الحصون والمصون، والجنات الوارفة الفصون، ولهم منها الخراب والنباب، والمدارس الذي لا يحصل بكف دارس بيته إلا التراب؛ وماهى قادمة إلينا يقدمها النصر، ويتقدمها من أسر البدا وغنائهم مايربى عن الخصر؛ ومايتها وبين ركوب هذا البحر لملك تمهده، وعدل تجدهه؛ وبدة تكف غريبها، ورعاة تؤمن بالمهاية سربها، وتصفى من أكار الفتن سربها؛ وخزائن لها عن غير الإنفاق في سبيل الله تصونها إلا بمقدار ما استقر<sup>(١)</sup> بها المنازل استقرار السنة بأحقوق لا النوم، وأضمرت

نواحيها، وأساقف أهلها ومواسيها؛ وجعت قصورها صعيدا، وزرعها حصيدا؛ وعفايتها إماما، ومعاقها هباء؛ وأبتدلت مصونها الذي جعله الله لها أنقلا؛ واختارت من حصونها لمكنها ما كانت سيوفنا له مفتح فلما فتح عدن له أقالبا؛ وأقتعت من الفلاح التي كانت بيد الكفر كل معقل أشب، وحصن شابت نواصي

(١) يباصر بالأصل وتغله لأنوم باليونان فاس من جهة، وهذا لا وأضمرت الخ نامن .

الليل وهو لم ينسب ؛ قد صُفح بالصفاح ، وشُرف بأيسنة الرماح ، واستدار بقنة فلة  
ينبب الترقى إليها هوج الرياح ؛ فظهورته من النجس ، وعوضته بصوت الأذان  
عن صوت الجرس ، وأخرست الناقوس بسورة الفتح الذي عودته نوب الدهر  
بآيات الجرس ؛ مع ما أضيف إلى تلك القلاع من بلاد وبلاد ، وأغوار ونجاد ؛  
وجنات وعيون ، وأمواي أرئيج بها ما كان للاسلام في ذمة الكفر من بقايا الديون .  
وكل تلك الغنائم منحناها جيوشنا المنصورة وأبجناها ، وقويناهم على أمثالها من الفتوح  
برفع العوائق التي أزلناها ، بالقناطير المقنطرة من الذهب والفضة وأزحناها ؛  
وما وصل الآن فصاده إلى أبوابنا العالية إلا والبشائر تنطق بأيسنة التهانى ، وتحقق  
بمجددات هذه الفتوح في الأفاصي من ممالك والأداني ؛ وقد شاهدوا ذلك وشهدوه ،  
ورأوا ما رأى غيرهم من نوادر الفتوح التي أربت على ما القوه من قبل وعهدوه .  
هذا وما وصعت الحرب إلى الآن أوزارها ، ولا نحمدت نار الوغى التي أعلت  
جيوشنا المنصورة للأعداء أوزارها ؛ وما يمضى وقت إلا والبشائر متواردة علينا بفتح  
جديد ، وتصير له في كل يوم مخلق مخلق وفي كل بر بريد . وقصارى أمر العدو الآن  
أنهم ليس لهم بلد ، إلا وقد (أخى) عليه الذي أخى على (لبد) ؛ ولادار إلا وقد أصحمت  
كداريمية التي (أفوت) وطال عليها سالف الأمد) ؛ ولا جيش إلا وقد قر وأين يفر  
وهو يطوى في قبضتنا المراحل ؟ ، ولا طرائد بحر إلا وهى مطرودة في الفجع لتيقنهم  
أن العطب لا السلامة في الساحل .

فن أجل ذلك رأينا أن اشتغال جيش الإسلام بجانب الكفر هو المهيم المقدم على  
ماسواه ، والفرص الذي نبتنا فيه إنقاذ أهل الإسلام من كلمة الكفر وتحكيمه «ولكل  
أمرئى مانواه» ورأينا أن أمر هذه الجهة ما يقوت بشيئة الله وعونه وتمكينه ، وإذا  
كان الله قد أقام بقدرته منا ملكا لنصرة دينه فإن اليمين وغيره في يمينه ؛ وهى محسوبة

من أعداد ممالِكِ المحروسه، ومعدودة من أقسام بلادنا التي هي بوقود الفتوح مأنوسه، ولا بُد من النظر في أمرها، وإعمال الفكر في إزاحة ضرها، وتجريد العساكر المنصورة إليها، وإقدام الجيوش التي عادتْها الإقدام في الوغى عليها؛ ليكون العمل في أمرها بما يُرضى الله ورسوله، ويتبع من كان بتلك الجهات يروم الجهاد ولا يُطبقه سوله؛ فإن المملكة المذكورة توالث عليها المدد، ومضى عليها الأبد؛ وهمة من فيها إلى اللهو مضروفة، وعلى اللذات موقوفة؛ وأحكام الجهاد عندهم مرفوضة حتى كأن الجهاد لم يبلغهم وعمره حلسه، ولا أحاطت أفكارهم بشيء من علمه؛ بل كأنه على غيرهم وجب، وكأن ما أعد الله من الأجر عليه إنما أُريد به الذين يكثرون الذهب؛ وتمادت الأيام وليس في نكايه أعداء الله منهم مُصيب، وتفرقت الأموال وما لحق الله فيها احتواؤه عليه من ذلك سهم ولا تصيب؛ وأى عذر عند الله لمن جعله مؤتمناً على ماله فلم يكن له في سبيل الله إنفاق؟ وأى حجة لمن [لم] يقف موقف جهاد وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من مات ولم يغز ولم يحدث به نفسه مات على شعبة من نفاق".

والآن فإن الله سبحانه وتعالى قد أقامنا لنصرة الإسلام ورفق كلمة الإيمان وتمهيد البلاد، وإجراء الأحوال في القريب منها والبعيد على ما يرضى الله تعالى ويرضى رسوله عليه السلام من السداد؛ وأهم الأمور عندنا أمر العزاة والمجاهدين الذين ما منهم إلا مُسكٌ بينان فرسه، مكثيلٌ ببهاد حرسه؛ لا يامن العدو مهاجمة خيله في سراه، ولا مقاجاة خياله في كراهه، حصنه ظهر حصانه، وجوابه على لسان سينانه، كلمت سميع هيمه أو وقعة طار على متن فرسه ينتمس الموت والقتل في مظانه؛ وهؤلاء هم جيوشنا الذين دقخوا البلاد، وأذلوا أهل العناد، ووطهروا السواحل، وأجروا في كل

موطن من أنهار الدماء مأرؤى البلد الساحل؛ وهزموا جيوش التاروهم في أعداد الكواكب، وحصدوهم بسيوفهم عرورة (١) وهم في نحو المائة ألف راكب؛ حتى إن ملوك التار الآن ليمنون إرضاءنا وإغضائنا، ويستدعون ويدعون للأبائنا ولآئنا؛ ويطلبون المسألة منا، ويؤثون نعمة قبول تصدُر إليهم عناء والطويل العمر منهم وممن والاهم هو الذي يهرب من بين يدي جيوشنا المنصورة ليسلم بنفسه، وإن أسلم ما يعز عليه من ماله وولده وعمره . فمثل هؤلاء الذين يستحقون أموال الممالك الإسلامية ليستعينوا بها في جهازهم لجهادهم، وينفقوها في أعدادهم لأعدائهم؛ ويصرفوها في ذبهم عن دين ربهم .

وهذه المملكة اليمنية قد اجتمع فيها من الأموال مأرؤى عن الحضر والحد، ويزيد على الإحصاء والعد؛ لا ينفق منها شيء في الجهاد، ولا يبد منها مصروف إلا بما لا تحسد عاقبته في المعاد؛ قد صد عنها جند الله الذين ينفقونها سرا وجهوا، ويستزلون بها أرواح أعداء الله على حكم سيوفهم قسرا وقهرا؛ وأيجت لمن تأتي الجهاد جانبا، ورضى باللهو صاحبها؛ وأقتنى السلاح لغير يوم الباس، وأعتنى بارتباط الحيات بطرا ورياء الناس .

وكان كتابنا قد تقدم في أمر المجاهدين وما يحتاجونه من الإعانة بما يحمل إليهم من الأموال باملكة اليمنية : ليصرف ذلك في حقه، ويصل إلى مستحقه؛ ويكون قد أعتد منها للإنفاق في سبيل الله جانب بحيث لا يضاع، ووصل إلى مجاهدى الأمة نصيب من مال الله الذى هو في يد من ولأه شيئا من أمور عباده على حكم الإيداع؛ ويدخل ذلك في زمرة<sup>(١)</sup> الذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها؛ فحصلت المكابرة في الجواب عن ذلك، وأى عذر في المكابرة عن

(١) كذا في الأصل ونله ويخرج بذلك من زمرة الخ تامل .

مثل هذا الأمر وشغل الوقت بذكره " ونحن عندنا في كل وقت من البشائر بمواهب الفتح، وغرائب المنح، ومتجددات الظفر والنصر، ومتحليات التأييد التي قسّمت أعداء الله بين الخِصْد والحِصْر، ما يهبُّ نَسْرُهُ هبوبَ الرِّيحِ في البرِّ والبحار، ويودُّ الدهرُ لورقهِ بذهب الأصيل على صفحات النَّهار، وكلُّ ذلك في أشدِّ أعداء الله تعالى: من التَّار، الذين عُرِفَ عَدُوُّهم وجلْدُهم، والقَرْبِجِ الذين طال وكثُرَ في عداوة الإسلام أبْدُهُم ومددُهم، والأرمن الذين هم أكثرُ الطائفتين في الظاهرِ وفاقاً، وأشدَّ الفتنين في الباطنِ نفراً ونفاقاً، وهم هؤلاء وهؤلاء، مادة تدمير وتدمير، وتغريبهم وتغريبهم من نار الحربِ المضرِّية لسببنا إلى جهنمِ ونس المصير، وأى شيء من ذلك يُذكر عند مواقف جيوشنا المنصورة، وظفرِ عساكرنا المؤيَّدة، لو كان حصل عنده الفكرُ الصائب ماوردت مكانته إلا وهي مقترنة بما يرضى الله ورسوله وأهل الإسلام: من إمداد الغزاة بالأموال، وإعانتهم على الكلف التي كُلفوا أعدلها مال [بدت] حال يلائمها الإنفاق في سبيل الله ويستلئونك عن الخبال، وهامى قادمةً إلينا يقدّمها النصر، ويتقدّمها من أسرى العدا وغنائمهم ما يُزِي عن الخِصْر، وما بينها وبين ركوبِ تبيح هذا البحر لملك ثمَّهده، وعدلُ مجده، وبغاة تكفَّ غريبها، ورعاياً تؤمِّن بالمهابة سرَّها، وتصفى من أكدار الفتن سرَّها، وأموال تصونها، وخزائن يُنزه عن غير الإنفاق في سبيل الله مصونها، إلا بمقدار ما استقرَّ بها المنازل استقرار السنَّة بالحنون لا النوم، وتأخذ أهبَّةً لذلك المِهم في يومٍ أو بعض يوم.

ألهمم إلا أنت نلبي دعوة الجهاد من تلك الجهة باليسنة النغير، وتعي صفوف الحلال في الجوارى التي تكاد بأجنحة القلوع تطير، أو تنوب عنها خزائن الأموال التي تنفق في سبيل الله تعالى، أو تقوم مقامها النفقات التي تُصرف إلى جنود الله التي تنفر في سبيل الله تعالى خفافاً وثقالاً، ليكون قد استدر بركة ذلك الطل

أخلاف الوابل ، وأنفق ما أحترته في سبيل الله الذي مثل ما ينفق فيه كتل حبة  
 أنبت سبع سنابل ، وتستعد الجيوش المنصورة إلى طوي بصوت برأيه ملكه  
 ويصول ، ويستطيع على الوجود ولو أن البريوسف والبحر نصول ، والله تعالى يرشده  
 إلى ما هو أقرب للتقوى ، ويمسكه من طاعته بالسبيل الأقوم والسبب الأقوى ،  
 إن شاء الله تعالى .

### الأسلوب الثاني

( وهو المذكور في " التعريف " )

أن تفتح المكتبة بلفظ : « أعز الله تعالى جانب المقام العالی » إلى آخر الألقاب ،  
 ثم الدعاء ، مثل : ولا زال يحسن ولاية حسبه ، وينهض بجانب نسيه ، ويصون ملكه  
 بعدله أكثر من قصبه ، ويثبت في اليمن اليمن في حالة إقامته ومنقلبه .  
 أصدرناها إلى مقامه موشحة المعاطف بحلته ، شاكرة علا عليه ، ذاكرة من محامده  
 ما يتكثر السحاب بوليّه ، مبدية لعلمه الكريم كبت وكبت .

وهذه أدعية وصدور تناسب كل سلطان بها :

ولا زال به « تعز » تعز وتفوز ببه زبيد ، ويخرج من عدن عدن فضله المديد ،  
 ويمتلي بوفود البر والبحر : هذا تطير به المراكب وهذه الركائب كلاهما من مكان  
 بيد ، ولا برحت به أهلة الأوطان ، مشتقة صفات فطره اليمنى من « الإيمان يمان » ،  
 محجوبا بالجلالة أو محجوبا لما ينسب إليه من أحد الأركان .

أصدرناها والسلام يباري ما ثبت أرضه من نباتها الطيب ، ويجارى بالثناء  
 ما ينهل في أكفاه الجنوية من صحابها الصيب ، وتسرى إليه بغيئات الشرفه على  
 قادمة كل نسيم ، وفي طي كل عام له وقوف على ربه وتسليم ، وتوضع لعلمه الكريم .



دعاءً وصدرٌ يختص بالمجاهد على ، وهو :

ولا زال أفضل متوج في يمنه ، وأعلى على إذا قيس بأبن ذى يزنه ، وأشجع من  
حمى يهوده مالا تندر السيف على حمايته من وطنه . ولا آنك الملك المجاهد عن  
عرضه المصون ، وسيف الدين الذى يقوم في المقروض من مراضى الله بالمستون ؛  
وأبا الحسن لما يحسن في قطنته الحسنى أو فطرته من الضنون ، والعالى قدرا إذا  
أخذت الملوك مراتبها وحدقت إليه العيون .

صدرت هذه المفاوضات إلى حضرته وسلامتها يتفاح لئبها ، ويصالح عمائمها  
في يديها ، وتجري سفارث إخلاصه حتى تقف عليها ، وتبرى بجمياتنا مخلقة بالبشرى  
في صباح كل يوم يقرب من الوصول إليها ، وتبدي لعله الكريم .

قلت : ولم أقف على صورة مكتبة مفتحة بلفظ «أعز الله تعالى جانب المقام»  
كُتِبَ بها إلى بعض ملوك اليمن في زمن من الأزمان ، فأوردتها استمهادا لهذا  
الأسلوب .

### الأسلوب الثالث

( أن تفتح المكتبة بلفظ : «أعز الله تعالى نصره المقام العالى» )

وهذه نسخة كتاب كتب به إلى صاحب اليمن أيضا ، عن السلطان الملك المنصور  
قلاوون ، مبشرا بفتح صافينا ، من إهداء القاضي محيى الدين بن عبد الظاهر رحمه  
الله ، وهو :

(١) لم نجد نفتح مصدرا على قول قوما أن يكون جازى تعرف وإنما أن يكون جمع المصدر باعتبار أنواعه

ورؤاؤه وهو بعيد تأمل .

أعزَّ الله تعالى نُصرة المَقَامِ العَالِي، المَوْلَى، السُّلْطَانِ، المَلِكِ، المَظْفَرِ،  
السُّمْسِيِّ، وأشركه في كلِّ بُشْرَى تُسَدُّ الرِّجَالَ لِاسْتِعْمَالِهَا، وتُحَلُّ الحِجَى لِاسْتِعْلَامِهَا،  
وتنهأت التَّوَارِيخُ والسَّيَرُ عَلَى اسْتِرْفَاعِهَا، وتنافس الأَقْلَامُ والسِّيُوفُ عَلَى الأَفْهَامِ  
بأجناسها وأنواعها، ولا خَلَا مَوْقِفُ جِهَادٍ مِنْ اسْمِهِ، ولا مَصْرُفُ أَجْرٍ مِنْ قَسْمِهِ،  
ولا غَرَضٌ هَنَاءٍ مِنْ سَهْمِهِ، ولا أَفْقُ أَبْتِهَاجٍ مِنْ بُرُوعِ شَمْسِهِ وَطُلُوعِ نَجْمِهِ. سَطَرَ المَلُوكُ  
هذه البُشْرَى والسَّيْفُ والقَلَمُ يَسْتَمْدَانِ : هذا من دِيمِ وهذا من نِقْسِ، ويَمْضِيَانِ :  
هذا في رَأْسِ وهذا في طَرَسِ، وَيَتَجَاوَبَانِ : هذا بِالصَّلِيلِ وهذا بِالصَّرِيرِ، وَيَتَأَوَّبَانِ :  
هذا يَسْتَمِيلُ وهذا يَسْتَمِيرُ، وَكُلٌّ مِنْهُمَا يَنَافِسُ الآخَرَ عَلَى المِشَافَهَةِ بغير هذا الفَتْحِ  
الَّذِي مَاسَمَتْ إِلَيْهِ هُمُ المَلُوكُ الأَوَائِلُ، ولا وُسِمَتْ بِهِ سَيْرُهُمُ الَّتِي بَدَتْ أَجْيَادُهَا مِنْ  
حِلَاهِ عَوَاطِلِ، ولادَارِ فِي خَلْدٍ أَنْ مَثَلُهُ يَتَّبِعُ فِي المُنْدِ الطَّوِيلِ، ولا تَشَكُّلُ فِي ذَهْنِ  
أَنَّهُ سَيُذْرَكُ بِعَوْلٍ وَلَا حِيلَةَ، وَهُوَ النُّصْرُ المُرْتَبِ عَلَى حَرَكَتِنَا الَّتِي طَوَى اللهُ لِرِكَابِنَا  
فِيهَا المَرَاكِلُ، وَأَلْفِي بِدَرَرٍ عَسَاكِرِنَا مِنْ بَحْرِ الحَدِيدِ المَسَالِجِ إِلَى السَّاحِلِ، وَهَجُومِنَا  
عَلَى البِلَادِ القَرْتَبِيَّةِ : وَهِيَ طَرَابُلُوسٌ وَصَافِيْنَا وَأَنْطَرُوسُوسٌ وَصَرَقِيَّةٌ وَالمَرْقَبُ، كَمَا يَهْجُمُ  
الغَيْثُ، وَمُصَادِمَتِنَا صُدُورَهَا كَمَا يَصْدِمُ اللَّيْثُ، وَسَلُوكِنَا مِنْهَا حَيْثُ لَمْ يَبْقَ حَيْثُ  
وَمَا جَرَى فِي هَذِهِ الوِجْهَةِ مِنْ إِغَارَاتٍ أَحْسَنَتْ مَنَقَلَبَ الأَعْيُنِ، وَمَتَعَلَّقَ السِّيُوفِ  
وَمَخْتَرَقَ الأَسِنَّةِ، وَمَاتِبِيَا مِنْهَا مِنْ فُتُوحِ صَافِيْنَا الَّتِي هِيَ أُمُّ البِلَادِ، وَمُنْتَجِعُ الحَاضِرِ  
والبَادِ، وَكُونُهَا قَدَمَتْ نَفْسَهَا فِي جَمَلَةٍ مَا يُقْرَى بِهِ الضَّيْفُ، وَقَالَتْ : هَذَا فُتُوحُ  
حَضَرَ عَلَى هَذَا الفُتُوحِ لِهَذَا السَّيْفِ، وَتَلَطَّفَتْ فِي مَسْحِ أَطْرَافِ الأَمَانِ، وَطَلَبَتْ  
شُكْرًا وَمِنَّا شُكْرَانًا، وَأَحْضَرَتْ إِلَيْنَا مِنْ أَهْلِهَا الوَقْتَ وَهَدَيْتِ السِّيُوفَ فِي أَعْنَاقِهِمْ  
فَتَشَبَّهَتْ بِهَا الأَغْلَالُ، وَأَنْفَتِ أَيْمَانُ أَهْلِ الإِيمَانِ مِنْ مُصَاحِبِهِمْ لِأَنَّهمُ أَصْحَابُ  
السَّمَالِ، فَاطْلَقَهُمْ سَبْقُنَا وَأَمَلَهُ يَمْتَدُّ إِلَى مَنْ هُوَ أَعَزُّ مِنْهُمْ مَالًا، وَأَكْثَرُ أَحْتِفَالًا،

وأبرمًا لا، وأهز سيقًا قصارًا ورياحًا طوالًا، واستطار منها شرار نار الحرب الموقدة إلى غيرها من القلاع، واستطال إلى سواها من الحصون منهم الباع، فلا حصن إلا واقرت نيبته عن نصر منهل، وفتح معجل ومؤجل.

فمن ذلك حصن الأكراد الذي ناه يعطفه على المالك والحصون، وشمخ بأفقه عن أن تمتد إلى مثابه يد الحرب الزبون، وعدا جاذبًا بضبع الشام، وأخذًا بجناح بلاد الإسلام، وشلا في يد البلاد، وشجا في صدر العباد، تنقص من عشه صقور الأعداء الكاسره، وترناع من سطوتها قلوب الجيوش الطاره، وتريض بأرباضه آساد محي تلك الآجام، وتقوق من قسيه سهام تسمى موقوفات السهام، تعطيه الملوك الجزية عن يد وهم صاغرون، ويصطفى كرام أموالهم وهم صاغرون لأمصاريون، كم شكك منه حماة تلقى بنكرها قلة الإنصاف، وكم خافسه معزة وما من معزة خاف، ما زالت أيدي المالك تمتد إلى الله بالدعاء عليه تشكو من جور جواره تلك الحصون والنصاصي، وتبكي بدمع نهرها من تأثير آثاره مع عصيانها وناهيك بدمع العاصي، حتى نبه الله الحافظ سيوف الإسلام من جفونها، ووفى النصر ماوجب من ديونها، وذلك بأن قصدنا فسبح ربعة، ونزلنا ونزلنا محي صنعه، وخنمنا بنصاليها على قلبه وسنعه، وله مدد حوله خمس هو كالراحه وهي كالأنامل، وتكاد بروجه ترى كالمطايا المقطرة وهي منها بمنزلة الزوامل، ما خيمنا به حتى استبحنا محي تلك المدائن المكني عنها بالأرباض، وأحننا بساحتها بحرا من الحديد ما تدفع حتى فاض، وأخذنا الثقوب في أسوار لا تنقض ولا ينقض بئسائها المرصوص، ولا تقرا المعاول ما لخواتم أبراجها من نقوش الغصوص، ونصبتنا عليها عدة مجايق حملت في شواقي الجبال، على رؤوس الأبطال، فتغيظت السمورية أن الذي تقوم به هذه تلك به لا تقوم، وأن ما منها إلا له من الأيدي والرؤوس مقام معلوم، وصار يرمى بها كل

كفى محتلس ، وأزوع منتهس ، وكل لبث غايبة يجيها وتعيه ! فشكراً لآسود حتى غاباتها  
نفرس ، إلى أن جثت أسوارها على الركب ، وكانت سهام تجاريقها تميل من العجب  
فصارت تبيد من العجب ، وكانت تطلب فصارت تهرب من الطلب ، وأشدت  
الأمر على الكفار فقاتلوا قتالاً أقص مضاجع الأسلحة ، وأطار حجارة مجاريقهم بغير  
أجنحة ، وأنجى بشجو النصول المترمة على غصون السهام المترحة ، وهذا وأهل  
الإيمان يتلقون ذلك كله بصبر يستطعمون منه شهداً ، وإقدام يتلقى صدق الحديد  
بأجاد ما زالت إلى موارده قصداً ، يقتحمون نار الحرب التي كلبها أوقدوها أطفأها الله  
وقال يا نار كوني برداً ، والبلاد الفرنجية قد غضت منها الأبصار وخشمت القلوب ،  
واعتقد كل منها في نفسه أنه بعد هذا الحصن المطلوب ، فهذه تود لو أكتتها  
البحار تحت جناح أمواجها ، وهذه لو أسبلت الرياح العواصف عليها ذبول تجارها .  
وهذه لو أجننت من فوق الأرض ما لها من قرار ، وهذه لو حُسِف بها الرى وعقت  
منها الآتار ، وذلك لِمَا بلغهم وشاهدوه من ويل حل بأهل هذا الحصن المنيع ،  
ومن قذق أهل ربة المريخ ، وصيق مجالهُ الوسيح ، وقرايع أخضر الحديد من الحديد  
والأبطال لم تضجر ، ونضال أسهر كل جفن حتى جفون السيوف لأنا عودناها مثل  
جفوننا أن تسهر ، فكم شكك القلوب من منا كهم زحاما ، والشرفات من ترفهم  
التراما ، والرقاب من سيوفهم أقتساما ، وكمدت التجارب من رأيهم شيحا وحيد  
الإقدام من شوبتهم غلاما ، قد دوخوا البلاد فلا موطن إلا لهم به معركة ، وأرملوا  
الخلائل فلا مشرك إلا وقد أرمل من مشركه ، وأزعجوا الكفر فلا قلب إلا به منهم  
خوف ولا تنع إلا لهم به حركة ، وملئوا الأرض كثرة وكيف لا يكثر الله جمعا للإسلام  
جعل الله فيه بركة .

وكتابنا هذا والمولى بحمد الله أحق من هنيء بهذا الفتح الذي تُثني على كتاب  
بشائره الخائب ، وتجرى إلى سماع أخباره الركائب ، وتترأحم على المسير تحت  
البرد الواصلة به منون الصبا وظهور الجنايب ، وإذا ذكرت ملاحمة ، قال كل :  
هذا كتاب أم كتيبة تلوح ، وإذا شوهدت حمرة طرسه قيل : وهذا ما صبغته في اليد  
المعلمة عابه دم الكفر المستفوح ، وينعم - أعز الله نصره - بالإعلان بهذا النبيا  
الحسن الذي تستروح إليه الأسماع ، وتسر بالإنفهام به أخوات هذا الحصن من مدنه  
ومن قلاعه العظيمة الامتناع ، فإنه ما برح الأخ يفرح بأخيه ، وإذا كان الهناء عظيما  
أشرك كل شئ فيه ، إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة كتاب آخر إلى صاحب اليمن من هذا الأسلوب : كتب به الفاضل  
محي الدين بن عبد الظاهر أيضا ، عن الملك المنصور قلاوون ، جواب تعزية أرسلها  
إليه في ولده الملك الصالح في ورق أزرق ، وكانت العادة أن تكون في ورق أصفر .  
ونصها بعد البسملة .

أعز الله تعالى نصرة المقام إلى آخر الألقاب ، وأحسن بتسليته الصبر على كل  
فادح . ولأبجر على كل مصاب قرح القرائح وجرح الجوائح ، وأوقد من تعازيه كل  
مسكن طاحت به من تلقاء صنعاء اليمن الطوائح ، وكتب له جزاء التصبر عن جابر  
من دمع طافع ، على جابر لسويداء القلب صالح .

الملوك يتخدم خدمة لا يتدود المواصلة بها حادث ، ولا يؤخرها عن وقتها أمر  
كارث ، ولا يمتد بها عن تحسينها وترتيبها بواعث الاختلاف ولا اختلاف البواعث ،  
ويطلع العلم الكريم على ورود مشال كريم ، لولا زرقه طرسه وزرقه لبسه لقال :

(وَأَبْيَضَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ) . تتضمن ما كان حدث من رُزْءٍ تَلَا فِي اللَّهِ بِنَاسِيهِ ، وتوافق بَعُودَ الصَّبْرِ قَتُولَ التَّسْلِيمِ تَلَيْنِ تَقَاسِيهِ وَتَمَرِينَ قَاسِيهِ ؛ فَشَكَرْنَا اللَّهَ تَعَالَى عَلَى مَا أَعْطَى وَحَمَدْنَاهُ عَلَى مَا أَخَذَ ، وَمَا قُلْنَا : هَذَا جَزَعٌ قَدْ أَنْتَبَهَ إِلَّا وَقُلْنَا هَذَا تَنَبَّهْتُ قَدْ أَنْتَبَدْتُ ، وَلَا تَوْهَمْنَا أَنَّ فِلْدَةً كَبَدَقْدَ آخُطِفَتْ إِلَّا وَشَاهَدْنَا حَوْلَنَا مِنْ ذُرِّيَّتِنَا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ فِئْدَةً ؛ وَأَحْسَنًا الْأَحْتِسَابِ ، وَدَخَلَتْ الْمَلَائِكَةُ عَلَيْنَا مِنْ كُلِّ بَابٍ ، وَوَقَّانَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَجْرَ الصَّابِرِينَ بِغَيْرِ حِسَابٍ ؛ وَلَنَا - وَالشُّكْرُ لِلَّهِ - صَبْرٌ حَمِيلٌ لَا نَأْسَفُ مَعَهُ عَلَى فَائِتٍ وَلَا نَأْسِي عَلَى مَفْقُودٍ ، وَإِذَا عَلِمَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ حُسْنَ الْإِسْتِثَابَةِ إِلَى قَضَائِهِ ، وَالْإِسْتِكَانَةَ إِلَى عَطَائِهِ ، عَوَّضَ كُلَّ يَوْمٍ مَا يَقُولُ الْمُبَشِّرُ بِهِ : هَذَا مَوْتِي مُؤَلُودٌ . وَبِلِسْتِ الْإِبْلِ بَأَعْلَظَ أَكْبَادًا مِمَّنْ لَهُ قَلْبٌ لَا يُسَالِي بِالصَّدَمَاتِ كَثُرَتْ أَوْ قَلَّتْ ، وَلَا بِالنَّبَارِيحِ حَقُرَتْ أَوْ جَلَّتْ ، وَلَا بِالْأَزْمَاتِ إِنْ هِيَ تَوَالَتْ أَوْ تَوَلَّتْ ، وَلَا بِالْجُفُونِ إِنْ أَلَقَتْ بِمَا فِيهَا مِنَ الدَّمْعِ وَالْمُهْجُوعِ وَتَحَلَّتْ ، وَتَخَافُ مِنَ الدَّهْرِ مَنْ لَأَحَلَبَ أَشْطَرَهُ ، وَبِأَسَفٍ عَلَى الْفَائِتِ مِنْ لَابَاتِ بِنِيهِ الْخَطُوبِ الْخَطِيرَةِ ؛ عَلَى أَنْ الْفَائِحِ بِمَوْتِ الْوَلَدِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَإِنْ كَانَ مُنْكَيَا ، وَالنَّافِحِ بِشُجُودِهِ وَإِنْ كَانَ مُبْكَيَا ، وَالنَّائِحِ بِذَلِكَ الْأَسَفِ وَإِنْ كَانَ لِنَارِ الْأَسَفِ مُدْكَيَا ؛ فَإِنْ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنْ تَبَيُّتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَا يَنْسِفُهُ نَسْفًا ، وَمِنْ إِهْلَامِهِ الصَّبْرَ مَا يَجِدُّ لِنُزْرِيقِ الْقُلُوبِ أَحْسَنَ مَا بِهِ تُرْفَى . وَبِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى وَبِسُنَّةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَنَا حُسْنُ اقْتِدَاءٍ يَضْرِبُ عَنْ كُلِّ رِثَاءٍ صَفْحًا ، وَمَا كُنَّا مَعَهُ ذَلِكَ - وَالْمِنَّةُ لِلَّهِ - نُصْنِي لِمَنْ يُؤْتِبُ وَيُؤَبِّنُ أَذْنَا ، وَلَا نُعِيرُهَا لِمَنْ يَلْعَا إِذِ الْوَلَدُ الذَّاهِبُ فِي رِضْوَانِ اللَّهِ تَعَالَى سَالِكًا طَرِيقًا لَا عِوَجَ فِيهَا وَلَا أَمْتًا ، وَأَنْتَقَلَ سَارًا بَارًا صَالِحًا صَالِحًا وَمَا هَكَذَا كُلُّ الْمَوْتِيِّ تَمِيًا وَنَعْمًا ، وَكَيْفَ كَانَ نَفَعْنَا فِي الدُّنْيَا فَهِيَ نَحْنُ بِالصَّدَقَاتِ وَالرَّحْمِ عَلَيْهِ نَنْفَعُهُ ، وَإِذَا كَانَ الْوَلَدُ عَمَلًا أَبِيهِ وَقَدْ رَفَعَ اللَّهُ تَعَالَى رُوحَ

ولدنا إلى أعلى عُلَيْنَ تَحَقَّقَ أَنَّهُ الْعَمَلُ الصَّالِحُ يُرَفِّعُهُ ، وَفِيَا نَحْنُ بِصَدَدِهِ مِنْ آسْتِنَالِ  
بِالْحُرُوبِ . مَا يُهَوِّنُ مَا يَهْوِلُ مِنَ الْكُرُوبِ ، وَفِيَا نَحْنُ عَاكِفُونَ عَلَيْهِ مِنْ مَكَاْفَحَاتِ الْأَعْدَاءِ  
مَا بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ يُحَوِّلُ ، بَلْ عَنِ تَحْوِيلِ أَسْفِ فِي الْخَاطِرِ يُحَوِّلُ .

إِذَا أَعْتَادَ الْفَتَى خَوْضَ الْمَنَابِيَا . فَأَهْوَنُ مَا تَمَرَّبَهُ الْوُحُولُ !

فلما بحمد الله تعالى ذُرِّيَّةَ ذُرِّيَّةٍ ، وَعَقُودُ وَالشُّكْرُ لِهْ كُلِّهَا ذُرِّيَّةٌ .

إِذَا سَيِّدٌ مِنْهُمْ خَلَا قَامَ سَيِّدٌ . قَسُولٌ لِمَا قَالَ الْكِرَامُ فَعُولُ !

مَامِنْهُمْ إِلَّا مَنْ يُنْظَرُ سَعْدُهُ وَمَنْ سَعْدُهُ يُنْتَظَرُ ، وَمَنْ يَحْسُنُ أَنْ يَكُونَ الْمُبْتَدَأُ وَأَنْ  
يَسُدَّ حَالَهُ بِكَفَالِهِ وَكِفَالِيَتِهِ مَسَدٌ الْخَيْرِ ، (وَالشَّمْسُ طَالِعَةٌ إِنْ غَيَّبَ الْقَمَرَ) بِالْأَسْمَا  
مِنَ الَّذِي يَرَادُ هُوَ صِلَا حَهُ أَعْرَفَ ، وَمَنْ إِذَا قِيلَ لِبِنَاءٍ مُلْكٌ هَذَا عَلَيْهِ قَدْ وَهَى قِيلَ  
هَذَا خَيْرٌ مِنْهُ مِنْ أَعْلَى بِنَاءٍ سَعِيدٍ أَشْرَفَ . وَعَلَى كُلِّ حَالٍ لَا عَدِيمَ إِحْسَانِ الْعَمَلِ الَّذِي  
يَنْتَوِعُ فِي رِبِّهِ ، وَيُجَاوِلُ قِضَاءَ الْحَقُوقِ فَيُسَاعِفُ مَرْسُومَهُ فِي تَوْصِيَلِهِ طَاعَةَ بَحْرِهِ  
وَبِرِّهِ ، وَلِهَذَا الشُّكْرُ عَلَى مَسَاهِمَةِ الْمَوْتَى فِي الْفَرَحِ وَالْتَرَجِ ، وَمَشَارِكِيَتِهِ فِي الْهَنَاءِ إِذَا سَفَحَ  
وَفِي الدَّمْعِ إِذَا سَفَحَ . وَمَا يَمِثُلُ مَكَارِمِ الْمَوْتَى مِنْ يَعْزُبُ ذَلِكَ عَنْ عِلْمِهَا ، وَلَا يُعْزَى  
إِلَى غَيْرِ حُكْمِهَا وَحِلْمِهَا ، وَهُوَ - أَعَزُّهُ اللهُ - ذُو التَّجَارِبِ الَّتِي تَحَضَّتْ لَهُ مِنْ هَذِهِ  
وَهَذِهِ الزُّبْدَةِ ، وَعَرَضَتْ عَلَيْهِ مِنْهَا الْهَضْبَةُ وَالْوَهْدَةُ . وَالرَّغْبَةُ إِلَى اللهِ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَ  
تِلْكَ الْمَصِيبَةَ لِلرَّزَايَا خَاتِمَةً . كَمَا لَمْ يَجْعَلْهَا لِلظُّهُورِ قَاصِمَةً ، وَأَنْ يَجْعَلْهَا بَعْدَ حَمَلِ هَذَا  
الْمَهْمِ وَفِصَالِهِ عَلَى عَلَيْهِ فَاطِمَةً ، وَأَنْ يَجِبَّ إِلَيْنَا كُلَّ مَا يَلْبِغِي عَنِ الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ، مِنْ  
عَزْوٍ وَجِهَادٍ ، وَأَنْ يَحْوِلْنَا فَلَيْسَ يُجَدُّ لَدَيْنَا عَلَى مَفْقُودٍ نَأْدِبُ مَعَ اللهِ عِزَّ وَجَلَّ غَيْرُ  
السُّيُوفِ فَإِنَّهَا تُعْرَفُ بِالْحَدَادِ ، وَأَنْ لَا تُقْصَفَ رِمَا حُنَا إِلَّا فِي فُودٍ أَوْ فُودَادٍ ، وَلَا تُحَوَّلُ  
سُرُوحُ خَيْلِنَا إِلَّا مِنْ ظَهْرِ جَوَادٍ فِي السَّرَايَا إِلَى ظَهْرِ جَوَادٍ ، وَأَنْ لَا تُشَقَّ لَدَيْنَا إِلَّا

أَكْبَادُ النَّادَةِ ، وَلَا تُجَزَّ غَيْرُ شُعُورِ مُلُوكِ النَّارِ تُنَوِّجُ بِهَا رُؤُوسَ الرِّمَاحِ وَبُضْعَدَ بِهَا عَلَى قِيَمِ الصَّعَادِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَسْكُرُ لِلْوَلِيِّ سَعَى مَرَاتِيهِ الَّتِي لَوْلَا لُطْفُ اللَّهِ بِمَا صَبَرْنَا بِهِ لِأَقَامَتِ الْجَنَائِزِ ، وَاسْتَحْفَتِ النَّعَائِزِ ، وَلَا تُهَوِّتُ بِالنُّفُوسِ فِي أَسْتِمْعَالِ الْجَنَائِزِ مِنَ الْأَسْفِ وَغَيْرِ الْجَنَائِزِ ، وَلَا تَسْفِلُ اللَّهُ لُبَّ الْمَوْلَى بِفَادِحِهِ ، وَلَا خَاطِرَهُ بِسَانِحِيهِ مِنَ الْحُزْنِ أَوْ بَارِحِهِ ، وَلَا أَسْمَعَهُ لَغَيْرِ الْمَسْرَاتِ مِنْ هَوَاتِفِ الْإِبْهَاجِ صَادِحِهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

### الأسلوب الرابع

( أن تفتتح المكتبة بلفظ « أعز الله تعالى أنصار المقام الشريف العلى »

وعليها كان الأمر في أول الدولة التركية )

وهذه نسخة كتاب من ذلك ، كُتِبَ بِهَا عَنِ الْمَلِكِ الْمُظْفَرَقَطَزِ - وَصَاحِبِ الْيَمِينِ يَوْمَئِذٍ الْمَنْصُورِ - بِالْبِشَارَةِ بِهَزِيمَةِ النَّارِ . وَأَظْهَرَ مِنْ لِنَاءِ الْقَاضِي عَمِّي الدِّينِ بْنِ عَبْدِ الظَّاهِرِ ، وَهِيَ :

أَعَزُّ اللَّهُ تَعَالَى أَنْصَارَ الْمُقْتَرِ الشَّرِيفِ الْعَالِي ، الْمَوْلَوِيِّ ، السُّلْطَانِي ، الْمَلِكِيِّ ، الْمَنْصُورِيِّ ، وَأَعْلَى مَنَارِهِ ، وَضَاعِفِ آقْتِدَارِهِ ، تُعَلِّمُهُ أَنَّهُ لِمَا كَانَ النِّصْفُ مِنْ شَهْرِ رَجَبِ الْفَرْدِ ، فَتَحَ اللَّهُ تَعَالَى بِنَصْرِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى أَعْدَاءِ الدِّينِ :

مِنْ كُلِّ مَنْ لَوْلَا تَسَمُّرُ بَأْسِهِ = لَأَخْضَرَّ جُودًا فِي يَدَيْهِ الْأَسْمَرُ

فصدرت هذه التهنئة إليه راوية للصدق عن اليوم المحجل الأغر :

يَوْمٌ غَدَا بِالْبَقَعِ فِيهِ يَتَبَدَّى \* مَنْ ضَلَّ فِيهِ بِأَنْجِمِ الْمُرَانِ

فِي أُذُنِ الدَّهْرِ مِنْ وَقَعِهِ حَمَمٌ ، وَفِي عِرْقَيْنِ الْبَدْرِ مِنْ نَقَعِهِ قَتِيمٌ ، تَرْفَعُهُ رِوَاةُ الْأَسَلِ عَنِ الْأَسْنَةِ ، وَيُسَيِّدُهُ حَجْرُ الْعِوَالِي عَنِ حَجَرِ الْأَعْنَةِ ، أَمَا النَّصْرُ الَّذِي شَهِدَ



الضربُ بصحته ، والطعنُ بصيحته ؛ فهو أن التتر خذلهم الله تعالى استطلوا على الأيام ، وخاضوا بلاد الشام ، واستنجلوا بقبايلهم على الإسلام :

سَمِعَ الصَّمْعُ المُرْدَى بِهِم لِحُتُوفِهِمْ \* وَمَنْ يُمْسِكُنْ ذَيْلَ المَطَامِيحِ يَعْطَبُ

فاعتاضوا عن الصحة بالمرض ، وعن الجوهر بالعرض ؛ وقد أرخت الغفلة زمامهم ، وقاد الشيطان خطامهم ؛ وعاد كيدهم في نحوهم : ﴿ وَرَدَّ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغِيظِهِمْ لَمْ يَأْتُوا خَيْرًا وَكَفى اللهُ المُؤْمِنِينَ الفِتَالَ وَكَانَ اللهُ قَوِيًّا عَزِيمًا ﴾ .

رَأْمُوا الأُمُورَ فَمُدَّ لَاحَتَ عَوَاقِبِهَا \* يَضِدُّ مَا أَمَلُوا فِي الوِرِّ وَالصَّدْرِ ،

ظَلُّوا حَيَارَى وَكَأَنَّ المَوْتَ دَائِرَةٌ \* عَلَيْهِمُ شَرَعَا فِي الوِرِّ وَالصَّدْرِ !

وَأَضَعَفَ الرَّعْبُ أَيْدِيَهُمْ فَطَعَنَهُمْ \* بِالسَّمْهَرِيَّةِ مِثْلُ الوَخْرِ بِالإِبْرِ !

لاجرم أنهم لسن الدم قارعون ، وعلى مقابلة إحساننا بالإساءة نادمون .

تَدْرَعُوا بِدُرُوعِ البَغْيِ سَابِقَةً \* وَالمرءُ يَحْصِدُ مِنْ دُنْيَاهُ مَا زَرَعَا !

فأقلعت بهم طرائق الضلال ، وسارت مراكب أمانيهم في بحار الآمال ؛ فتلك

آمالٌ خائبة ، ومراكب للظنون عاطية ؛ وأقلعوا في البحر بمراكبه ، والبر بمراكبه ؛

وساروا وللشيطان فيهم وساوس ؛ تغرهم أمية الظنون الخوا<sup>١١١</sup>س ؛ فما وسوس

الشيطان كُفْرًا إلا وأحرقه الإيمان بكوكب هذا

وعساكر المسلمين مستوطنة في مواطنها ، جاذية عقباتها في وشور ظيبتها ؛ رابضة

أسادها في غيل أفتانها ، ما ترزّل لمؤمن قدم إلا وقدم إيمانها راسخه ، ولا ثبتت لأحد

حجة إلا وكانت انجعة لها ناسخه ؛ ولا عقد [ت] برجمة ناقوس إلا وحلها الأذان ،

ولا نطق كتاب إلا وأخرسه الثرءان ؛ ولم ترل أخبار المسلمين تنتقل إلى الكفار ،

وأخبار الكفار تنقل إلى المسلمين إلى أن خلط الصباح فضته بذهب الأصيل ،  
وصار اليوم كأمس ، وتسخت آية الليل بسورة الشمس ، واكتحلت الأعين بمرود  
الشبات ، وحاف كل من المسلمين إصدار البيات

ينام بإحدى مقلتيه ويتقى \* بأخرى الأعادي ، فهو يقظان نائم !

إلى أن تراءت العين بالعين ، وأضطرم نار الحرب بين الفريقين ، فلم تر إلا ضرباً  
يعمل البرق نضوا ، ويترك في بطن كل من المشركين شلوا ، حتى صارت المفاوز  
دلاصا ، ومراتع الغلبا للظبا عمراصا ، واقتنصت آساد المسلمين المشركين اقتناصا ،  
ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم موافعوها ولم يجنوا عنها متناصبا ، فلا روضة إلا درع  
ولا جدول إلا حسام ، ولا عمامة إلا نفع ولا وبل إلا سهام ، ولا مدام إلا دماء  
ولا نغم إلا صهيل ، ولا معرّب إلا قاتل ولا سكران إلا قتيل ، حتى صار كافور الدين  
شقيقا ، وتلون الحصباء من الدماء عقيقا ، وضرب النقع في السماء طريقا ، وأزدحت  
الجنائب في الفضاء بفعلته مضيقا ، وقيل من المشركين كل جبار عبيد ، ذلك بما  
قدمت أيديهم (وما ربك بظلام للعبيد) .

قلت : وهذه النسخة تلقفتها من أفواه بعض الناس ، ذكر أنه وجدها في بعض  
الجامع حفظها منه ، وهي في غاية من البلاغة ، إلا أنها لا تخلو من تغيير وقع  
في بعض أماكنها ، ولعله من الناقل لها ، من حيث إنه ليس من أهل هذه  
الصناعة . ولم يسعني ترك إيرادها لما فيها من الحسن ، ولا أفرادها بأسلوب من  
الأساليب التي كتب بها إلى ملوك اليمن ، فأوردتها على ما هي عليه . وجزى الله خيرا  
من نظف لها بنسخة صحيحة فقابلها عليها وصححها وأصلح ما فيها .

## الأسلوب الخامس

( وهو ماجرى عليه في "التثقيف" أن تفتتح المكتبة بلفظ

أعز الله تعالى أنصار المقام العالی)

صدره على ما ذكره في "التثقيف" أعز الله تعالى أنصار المقام العالی، السنطاني،  
الدلكي، الفلاني، الفلاني. مثل أن يقال: الأفضلي السيفي، ثم الدعاء، ثم يقال:  
أصدرناها وتبدي لعامة الكرم كذا وكذا. قال في "التثقيف" والمكتبة إليه في قطع  
النصف والطلب منه «واقصد من المقام العالی» وخاتمة الكتاب بالدعاء، والعلامة  
«أخوه» وتعريفه «صاحب اليمن». وفي دستور المقر الشهابي بن فضل الله أن  
خطابه يكون بالمقام العالی.

وهذه نسخة كتاب إليه. ذكر المقر الشهابي بن فضل الله في تذكرته أنه أنشأها  
جواباً عن هديته ولم يكتب بها إليه. وهو يومئذ الملك المجاهد سيف الدين علي  
ابن داود.

أعز الله تعالى أنصار المقام العالی، ولا زالت مكارمه تحض من كل نوع بأحسنه،  
وتثقف بأزیده وأزینیه. وتجلب كل غريب الديار من وطنه، وتمتخ من السوابق  
بما تمتد المجرة في رسته. ومن المحاسن بما يمتلي على (علي) أوصاف حسنه، ويعرب  
عن الفرس والسيف والريح بأطيب لحن في نصبه وجره ورفع.

صدرت إلى المقام العالی أعز الله جانبه يصل بوداده. وتصف حبا علي  
بقواده، وتعرض برحاه يمينه أحلام الكرى طمعا أن يرى طيفه في رقادته.  
وتبدي أن كتابه الكريم ورد جالبا لدر منته، جالبا ليمن من يمينه، نافعا بالطيب

من عَدْنِهِ ، نَاقِدًا من قُوَّة السِّوْفِ بِمَا لَا يَدَّعِيهِ ابْنُ ذِي رِيَّزَةَ ، فَنُؤْمَلُ مَا حَوَى مِنْ  
كَرَمٍ لَا يُجَارَى ، وَنِعِيمٍ تَمَلُّهُ الْبَرِّيرَاءُ وَالْجَارِيحَارَاءُ ، وَأَبْدَعُ فِي الْهَيْبَةِ الَّتِي قَدَّرَ مُهَيْبَهَا ،  
وَقَدَّرَ فِيهَا مِنَ السَّحْفِ مَا لَا يُوجَدُ إِلَّا فِيهَا ، وَجَاءَ بِكُلِّ مَا يَسْتَعِينُ بِهِ الْمُرَابِطُ ، وَتَهْتَرُّ بِهِ  
الْخِرَازِيُّ وَالْمُرَابِطُ ، وَتَفْتَحِرُّ مِنَ الرِّمَاحِ بِكُلِّ مَعْتَدِلٍ فَاسِطٍ ، وَبِمَا يُرِيدِي الْعِدَا مِنْ  
أَسِنَّةٍ بِكُلِّ نَجْمٍ هَابِطٍ . كَتَمَ لَهَا مِنْ فَعِيلٍ جَمِيلٍ لَا يُشَارِكُ ، وَكَمْ قَالَ طَعِيمٍ : إِنَّ لَهَا  
كَتَبًا مُدَوَّرًا وَمَا قَدَّرَ الْمَطَاعِينَ أَنْ يَقُولَ إِلَّا أَنَّهُا كَتَبٌ مُبَارَكٌ ، وَمِنَ السِّوْفِ بِمَا  
لَا يُطِيعُ النَّهْرَ فِي نَصْلِهِ ، وَلَا يَطْمَعُ الْبَرْقُ فِي مَنَاصِلِهِ مِثْلَهُ ، وَلَا يَطْمَحُ الْهَلَالُ أَنْ  
يَسْتَقِيمَ عَلَى شَكْلِهِ ، كَمْ أَحْمَدْتُ أَنْفَاسًا وَهِيَ الْآتِيَابُ ، وَلَمَعَتْ مِنْ نَوَاحِي الْعُمُودِ  
كَمَا نَصَلَتْ أَثْمَلُ مِنْ خِضَابٍ . وَمِنَ الْخَلِيلِ بِمَا تَرَفُّصُ فِي أَعْيُنِهَا ، وَتَفْتَحِرُّ عَلَى الْبُدُورِ  
بِأَنَّهَا تَدُوسُ عَلَى أَهْلَتِهَا : مِنْ كُلِّ أَشْهَبٍ يُحْسِنُ آسِدَارًا ، وَيُحْسِبُ قَرَأًا قَدْ تَكَلَّلَ  
إِبْدَارًا ، وَيُطْلِعُ فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ نَهَارًا جَهَارًا . وَأَدْهَمَ قَدْ غَصَبَ الظَّلَامُ ، وَاسْتَدَارَتْ  
عُرَّتُهُ فَاسْفَرَّ وَجْهُهُ لِحَمْتِ بُرْفُوعٍ مِنْ لِيثَامٍ ، وَأَخْوَى أَخْضَرَ الْجَلْدَةَ مِنْ بَيْتِ الْعَرَبِ ،  
قَدْ حَوَى مِنَ الرُّوضِ مَا سَلَبَ . وَكَمَيْتَ يَنْضُو الدَّقْعَ وَهُوَ سَبُوقٌ ، وَتَقَدَّمَ فِي مِيَادِينِهِ  
بِجَاءِ مَضْمَنًا بِالْخَلُوقِ . وَأَشْفَرَّ قَدْ كَشَفَ الْبَرْقُ عِذَارَهُ ، وَأَطَارَ الرُّكْحُضُ مِنْهُ شَرَارَهُ ،  
وَمَعَهَا كُلُّ فَيْسَلٍ كَأَنَّهُ غَمَامٌ تَبَدَّى . أَوْ مَلِكٌ مُقَدِّيٌّ ، بِمَحْرُطُومٍ يَرْتَدُّ كَالصُّوْبِ لِحَانَ ،  
وَيَمْتَدُّ كَالْأَقْمُومَانِ ، وَيَرُودُ مَنَظَرُهُ كَأَنَّهُ مِنْ تَمَامِ الْخَلْقِ بُنْيَانٌ ، وَيَتَحَرَّكُ فَتَحْسِبُهُ كُمْ  
رَاقِصَةً تُسِيرُ بِهِ إِلَى النَّدْمَانِ ، تَفْشَعُرُ مِنْهَا الْجُلُودُ ، وَتَقْتُلُ نَفْسَهَا بِيَرَانِ الْحِقْدِ عِمَاظَةً  
عَلَى عُهُودِ الْهُنُودِ ، كَمْ أَحْسَنْتَ بِمَحْرَاطِيهِمَا لَهَا مِنْ صُدُورِهَا الضَّبِيقَةِ مَحْرَجًا ،  
وَأَضَاعَتْ مِنْ فُرُوجِهَا بَيْنَ أَنْبِيَائِهَا طَرَّةٌ صُبْحَ تَحْتِ أَذْيَالِ الدُّجَى ، وَزَرَافَةٌ ، لَهَا نَافَةٌ ،  
كَأَنَّهَا شَفَقَتْ بَيْنَهُ مُجُومٌ ، أَوْ بُرُوقٌ تَكَلَّمَتْ بِقَطْرِ الْعُيُومِ ، لَهَا فِي الْمَدْحَلِ عَلَى الْقُلُوبِ

(١) لده التي دلت على الخ تامل .

حذافه، وولوح من باب ودخول من طاقه، وحمارة وحشية جاءت بوصف الربيع  
 في اعتدال الليل والنهار، وجمعت المساليت والأثمار، ودلت على أصل كريم  
 نفتحت في فروعه الأزهار، وحثت بحطوطها المذوح مما تراكم ظلّه فأظلم وأفترج  
 فانار، وتمر يؤلف على يقاره، وينسج ليله في أنهار نهاره، يتدفق في مثل أنبوب  
 القناة المضطرب، ويصدق من شبه ركود الربا على الرمال بقطعة من جلدة التمر،  
 وقط الرباد الذي لا تحكيه الأسود في صورها، ولا تسمع غزلان المسك بما يحزله  
 من عرفه الطيب في سررها، كما تنقل في بيوت وطابت موطنها، ومشي من دار  
 أصحابه فقالوا: ربنا عجل لنا قطننا، وكذلك من الطيب ما يطيب، وما يزور  
 بفتح الحبيب، قد بعث أكبره، وأفاد أكثره، وأستخدم المتنعّمون به صندله  
 وكافوره وعنبره، وغير هذه الأنواع مما جاد بإرساله، وأتى من كل يدع به وإمانته،  
 فقولت بالقبول هذه التحف، وأكرمت إكرام من لها عرف وبها اعترف، ومحمد  
 سبحانه الذي تسرعت مواطره، وبعثت من طرفها بانروض وما تنوء عنه أزاره،  
 وشرعت بما أنصت بمصر أوائله وبأيمن أو آخره، والله تعانني يسكرهمه التي  
 تعالت، وشيخه العلوية التي لأجلها المحامد قد توالى، وقد جهزنا له من التحف  
 المنعم بها ما أمكن تعجيل حمله، وجرت عوائد ملوك الأقاليم بالتمريض من خزائننا  
 العالية بمثله، وحملنا رسله من السلام ما تبعق به الفجاج، وتعذب به البحار وهي  
 ملح أجاج، والمراد منه أن يواصل بمكاتبته التي تتدوب الصدور، وتتوب عن نوحه  
 البذور، وتدوب بما تقدم به من السرور، والله تعالى يديم لسلطانه التأييد، ولملكه  
 التأييد، ولافتداره ما به تعزّز وتميد زبيد، إن شاء الله تعالى.

فائدة - المكتبة إلى صاحب اليمن عن ولى العهد بالسلطنة كالمكتبة إليه  
 عن السلطان نفسه في جمع المكتبة على السواء.

وعلى ذلك كتب القاضي محي الدين بن عبد الظاهر عن «الأشرف خليل  
ابن فلاوون» قرين كتاب أبيه المنصور فلاوون إلى صاحب اليمن، بالبشرى بفتح  
طرابلس .

وهذه نسخته :

أعز الله تعالى نصره المقام! وأوفد عليه كل بشرى أحسن من أختها، وكل  
تهنئة لا يجلها إلا هو لوقتها؛ وكل مبهجة يعجز البناء والبيان عن ثبتها ونعتها، وتبليج  
فتود الدرر والدرارى لورقت هذه إلى ترقيا وسمت هذه إلى سمتها . وصبحة منها  
بكل هاتفة أسمع من هوائف الحاتم، وبكل عارفة أسرع من عوارف الزهر عند  
عزائم النساء؛ وبكل عاطفة أعنة الإتحاف بالإيحاف الذى شكرت الصفاح منه  
أعظم قادر والصحائف أكرم قادم؛ والغزو الذى لا يخص تهامة بشراه بل جميع  
التجود والنهائم، ودوى الصوارم والصرائم، وأولى القوى والقوائم، وكل نعر عن  
آبهاج الإسلام باسم، وكل بربر بتوصيل ماترب عليه من ملاحم؛ وكل بحر عذب  
يمون كل غاز لا يجيس عن جهاد الكفار فى عفر الدار الشكائم، وكل بحر منع كم تعيظ  
من مجاورة أخيه لأهل الشرك ومشاركتهم فيه فراح وموجه المتلاطم .

المملوك يخدم خدمة يقتفى فيها أثر والده، ويجرى فى تجليها على أجهل عوائده؛  
ويستفتح فيها أسفناحا تحف به من هنا ومن هنا تحف حمائمه، ويصف ولاء  
قد جعله الله أجهل عفوده وأكل عقائده؛ ويشقها بإخلاص قد جعله ميلة أحسن  
وسائله وقلبه أزين وسائده؛ ويطلع علمه على أن من سجايا المتعرضين إلى الإعلان  
بشكر الله تعالى فى كل ما يعرض للسامين من نصر، ويفترض لهم من أجر غزوي كم  
قعد عنه ملك فيما مضى من عصر؛ أن يقدروا هذه النعمة حق قدرها من التحدث

بِعَمَّتْهَا ، وَالتَّنْبِيْهِه بِسَمَاعِ نَفْعَمَّتْهَا ، وَإِرْسَالِ أَعْنَةِ الْأَقْلَامِ بِهَا فِي مِيَادِنِ الطُّرُوسِ ،  
وَإِدَارَةِ حُرْبِيَّاهُ وَصِفِ حَرْبِ (٤) إِلَى مُوَاجَهَةِ خَيْرِ الشَّمُوسِ .

وَمَا كَانَتْ غَزَوَاتُ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ مَلِكِ الْبَيْسُطَةِ الْوَالِدِ خَلْدِ اللَّهِ سُلْطَانِهِ قَدْ  
أَصْبَحَتْ ذِكْرِي لِلْبَشَرِ ، وَمَوَاقِفُهُ لِلنَّصْرِ كَمَا جَاءَتْ حِي وَالْقَدْرُ عَلَى قَدْرٍ ، وَقَدْ صَارَتْ  
سَيْرُهَا وَسَيْرُهَا هَذِهِ شِدْوٌ فِي الْأَسْتِمَارِ ، وَهَذِهِ جَاذَةٌ تَسْتَطِيبُ مِنْهَا حُسْنَ الْخَدْوِ السُّقَارِ ،  
فَكَمْ قَانَلْتُ مَنْ يُبْلِيهَا مِنَ الْكُفَّارِ ، وَكَمْ جَعَلْتُ مِنْ يُوَالِيهَا وَهُوَ مَنصُورُهَا مَنصُورًا  
بِالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ .

وَمَا أَذَلَّ اللَّهُ بِهَا سَهَا طَوَائِفَ التَّنَارِ فِي أَقَاصِي بِلَادِ الْعَجَمِ ، وَجَعَلَ حَظَّ قُلُوبِهِمْ  
الْوَجْعَ مِنَ الْخَوْفِ وَتَضْيِيبَ وَجُوهِهِمْ الْوَجْمَ ، وَأَحْلَى اللَّهُ مِنْ نُسُورِهِمِ الْأَوْكَارَ  
وَمِنْ أَسْوَدِهِمِ الْأَجْمَ ، وَقَصَّرَتْ بِهِمْ هِمَمُهُمْ حَتَّى صَارُوا يَخَافُونَ الصُّبْحَ إِذَا هَمَّ ،  
وَالظَّنَّ إِذَا رَجِمَ ، وَصَارَتْ رُؤْيَا الدَّمَاءِ تَفْرِعُهُمْ فَلَوْ أَحْتَاَجَ أَحَدُهُمْ لِنَتْقِيسِ دَمِ  
لِمَرِيضٍ لِأَجْنَحٍ مِنْ خَوْفِهِ وَمَا أَحْتَجِمَ ، وَأَبَادَ اللَّهُ الْأَرْمَنَ فُخْلًا بِأَنْبِيْلٍ مِنْهُمْ الْوَيْلَ ،  
وَمَا شَمَّرَ أَحَدٌ مِنَ الْخُلُودِ الْإِسْلَامِيَّةِ عَنْ سَاعِدِهَا وَلَا وَشَمَّرَهُو مِنَ الذُّلِّ الدَّلِيلِ ، وَلَا  
أَنْزَلَتْ الْجِيَادُ مِنَ الْخَلِيلِ عَيْثَرًا مَتَعْقِدًا إِلَّا وَظَنُوهُ مَسَاءً قَدْ أَقْبَلَ أَوْ لَيْلٌ ، وَأَنْتَهَتْ  
نُوبَةُ الْقَتْلِ بِهِمْ وَالْإِسَارَ بِأَيِّ التَّكْفُورِ لِيَفُونَ مَلِكِ الْأَرْمَنِ الَّذِي كَانَ يَجِي سَرْحَهُمْ -  
وَيَمُرُّ صَرْحَهُمْ ، وَيَسْتَطِيقُ حَتْفَ التَّنَارِ وَيَسْتَرْجِعُ صَدْحَهُمْ ، وَتَعَسَّرَ طَرَابُلسُ  
الشَّامِ بِأَنَّهُ خَالَ أَرْتَمَهَا الْكَافِرَ ، وَسَانَ شُورَتِهِ السِّفِيرِ وَوَجْهَ تَدْيِيرِهِ السَّافِرَ ، وَطَالَ مَا  
غَزَى وَأَغْرَى ، وَأَجْرًا وَأَجْرَى وَضَرَ وَأَضْرَى ، فَلَمَّا تَوَكَّلَ مَوْلَانَا السُّلْطَانُ وَعَزِمَ  
فَوَكَّلَ ، وَتَحَقَّقَ أَنَّ السَّلَاءَ بِهِ قَدْ نَزَلَ وَمَا تَشَكَّكَ أَنَّ ذَلِكَ فِي ذِهْنِ الْقَدْرِ قَدْ تَصَوَّرَ  
وَتَشَكَّلَ ، وَأَنَّ يَوْمَهُ فِي النَّتِكِ سَيَكُونُ أَعْظَمَ مِنْ أُمْنِيَّتِهِ ، وَأَعْظَمُ مِنْهَا مُعَادَاةَ عَدُوِّهِ ،

وَأَنَّ نَصْرَ اللَّهِ إِن يُخَلِّفَهُ صَادِقٌ وَعَدَهُ ؛ أَكَلَّ يَدَهُ نَدَامَةٌ عَلَى مَا قَرِطَ فِي جَنَبِ اللَّهِ  
 وَسَاقِ الْخَلْفَ لِنَفْسِهِ يَدَهُ ، فَعَمَّرَ اللَّهُ بُرُوحَهُ الْخَلِيئَةَ الدَّرَكِ الْأَسْفَلَ مِنَ النَّارِ ، وَسَقَاهُ  
 الْخَلْفَ كَأْسًا بَعْدَ كَأْسٍ لَمْ يَكُنْ لَهَا غَيْرُ الْمَلِكِ مِنْ نَحَارٍ . وَكَانَتْ طَرَابِلُسُ هِيَ ضَالَّةُ  
 الْإِسْلَامِ الشَّرِيدَةِ ، وَإِخْدَى أَبْقَاتِهِ مِنَ الْأَعْوَامِ الْعَدِيدَةِ ؛ وَكَلِمَاتُ مَرَّتْ شَمَخَتْ بِأَنْفِهَا ،  
 وَتَأَثَّتْ فِي تَحْسِينِ مَنَازِهِ مَنَازِحِهَا وَتَزِينِ رِيحَانِهَا وَعَضْفِهَا ، وَمَرَّتْ وَهِيَ لَا تُغَازِلُ  
 مَلِكًا بَطْرَفِهَا ، وَكَلِمَاتُ تَقَادَمَ عَهْدُهَا تَكَثَّرَتْ بِالْأَفْوَاجِ وَالْأَمْوَاجِ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهَا وَمِنْ  
 خَلْفِهَا . إِذِ الْبَحْرُ لَهَا جِلْدَابٌ وَالسَّحَابُ لَهَا نَحَارٌ ، وَلَيْسَ لَهَا مِنَ الْبَرِّ إِلَّا بِمُقْدَارِ  
 سَاحَةِ الْبَابِ مِنَ الدَّارِ ؛ كَأَنَّهَا فِي سَيْفِ ذَلِكَ الْبَحْرِ جَبَلٌ قَدْ أَنْحَطَّ ، أَوْ مَيْلٌ أَسْتَوَى  
 قَدْ نَجَرَ عَنِ الْخَطِّ ، وَمَا قَصِدُ أَحَدٍ شَطْرَهَا بِتَكَايَةِ الْإِسْطِ وَأَشْطَطَ .

قَدَّرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ صَرَفَ مَوْلَانَا السُّلْطَانَ إِلَيْهَا الْعَيْنَانَ ، وَسَبَقَ جَيْشُهُ إِلَيْهَا كُلَّ خَيْرٍ  
 وَ"لَيْسَ الْخَيْرُ كَالْعَيْنَانِ" ، وَجَاءَهَا بِنَفْسِهِ النَّفِيسَةِ وَالسَّعَادَةِ قَدْ حَرَسَتْهُ عَيْونُهَا وَتَلَّكَ  
 الْخَوَافُ كُلُّهَا أَمَانًا ، وَقَدْ أَخَذَ مِنْ إِقْدَامِهِ عَلَيْهَا خَيْرَ حِبَابِلٍ وَمِنْ مَقَاجِئِهَا أَمْدَ عَيْنَانِ ؛  
 وَفِي خِدْمَتِهِ جُنُودٌ لَا تَسْتَعِيدُ مَقَازِهِ ، وَكَمْ رَاحَتْ وَغَدَّتْ وَفِي نَفْسِهَا لِلْأَعْدَاءِ حَرَّازَةٌ ؛  
 فَامْتَطَوْا بِجُيُومِهِمْ مِنْ جِبَالِ لُبْنَانَ لِيَجَانُوا لَهَا صَاعَتَهَا التَّلُوجُ ، وَمَعَارِجَ لِمُرَاقِقِهَا غَيْرِ  
 الرِّيَاحِ الْمُهْوجِ ؛ وَأَنْحَطَّتْ تَلَكُ الْجِيُوشُ مِنْ تَلَكِ الْجِنَادِلِ ، أَنْحَطَّاطُ الْأَجَادِلِ ؛  
 وَانْدَفَعُوا فِي تَلَكِ الْأَوْعَارِ ، انْدَفَاعُ الْأَوْعَالِ ؛ وَلَمْ يَحْفَلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ بِسَرَبٍ لِاصِقِ ،  
 وَلَا جَبِيلٍ شَاقِقِ ؛ فَقَالَ : أِهَذَا مَنخَفِضُ أَوْعَالِ ، وَشَرَعُوا فِي التَّحْصِيلِ لِمَا  
 يُوهِي ذَلِكَ التَّحْصِينَ ، وَأَبْتَنَى كُلُّ سَوْرَةٍ أَمَامَ أَسْوَارِهَا مِنَ التَّسْدِيرِ الْحَسَنِ وَالرَّأْيِ  
 الرَّصِينِ ؛ فَمَا لَيْتُوا إِلَّا بِمُقْدَارِ مَا قَبِلَ لَمْ دُونَكُمْ وَالْإِخْتِطَابِ ، وَقَبِلَ الْمَجَابِقِ عَلَى  
 الْخَيْلِ وَعَلَى الرِّقَابِ ؛ حَتَّى جَرَّوْهَا بِأَسْرَعٍ مِنْ جَرِّ النَّفْسِ ، وَأَجْرَوْهَا عَلَى الْأَرْضِ  
 سَفَائِقِ وَكَمْ قَالُوا : السَّفِينَةُ لَا تَجْرِي عَلَى يَمِينِ ؛ وَفِي الْحَالِ ثِقَلْتُ إِلَيْهَا فَرَاوًا مِنْ



متوقفاً من يمشي بها على رجاين ومنهم من يمشي على أربع ، ووجهت سهامها  
وجوهها إلى منافذها فما شوهدت منها عينٌ إلا وكان قدامها منها إصبع ، وأقيبت  
العداوة بين الحجارة من التجاربي والحجارة من الأسوار ، فكم تقبت وتقتب عن فلذة  
كبدها ، عن <sup>(١)</sup> وأوقدت نيران المكابذ ثم فكم حولها من صافين  
ومن صافير ، وكم رمتهم بشرر كالتصريف فوق الحافر كما يقال على الحافر ، وما برحت  
سوق أهل الإيمان في نفاق ، على أهل النفاق ، وأكابرهم نفاق ، وأرواحهم الخبيثة  
إلى الساق .

وكان أهل عكا قد أمجدوهم من البحر بكل برء ، ورموا الإسلام بكل شرر  
وبكل شرر ، فصار السهم الذي يخرج بها لا يخرج إلا مقترنا بسهم ، وشرفات  
ذلك النفر كالتنايا ولكنها لكثرة من بها لا تفقر عن ابتسام .

وما زالت جنود الإسلام كذلك ، ومولانا السلطان لا ترى جماعة مقدمة ولا متقدمة  
إلا وهو يرى بين أولئك . وأستمر ذلك من مستهل ربيع الأول إلى ربيع الآخر ،  
فرحف إليها في بكرة ذلك النهار وهو الثلاثاء زحفاً يقتحم كل هضبة ووهده ، وكل  
صلبة وصلده ، حتى أنجز الله وعده ، وفتحها المسلمون مجازاً وفي الحقيقة فتحها  
وحده ، وطلعت سناجق الإسلام الصفير على أسوارها ، ودخلت عليهم من أقطارها ،  
وجاست الكسابة إلى ديارها ، فاحتازها مولانا السلطان لنفسه ملكاً ، وما كان  
يكون له في فتحها شريك وقد تقي عنها شركاً ، وكلما قبل هذه طرابلس فصحفت قال  
التصير لمن قتل فيها من التجد الواصلة : واكثر عكا وأهل عكا ، وأعاد الله تعالى بها  
قوة الكفر أنكنا ، فكان أخذها من مائة سنة وثمانين سنة في يوم ثلاثاً ، وأستردت  
في يوم الثلاثاء .

(١) بياض الاصل .

ولما تحتمت هذه البشائر ، وكل بها مولانا السلطان إلى كل من يستجلي حسان  
هذه العرائس ، ويستحل نفيس هذه النفائس .

سير مولانا السلطان إلى المولى كل بشرى تقعقع بها البريد ، لتتلى بأمره على كل  
من ألقى السمع وهو شهيد ، وكما عم السرور بذلك كل قريب قصد أن يتم الهدوء  
كل بعيد .

وأصدر الملوك هذه الخدمة يتجزب بين يديه تجواها ، ويتوشب بعد هذه الفاتحة  
المباركة لكل سائحة يحسن لدى المولى مستقرها ومتواها ، لأبرح المقام العالی يستبشر  
لكافة الإسلام بكل فضل وبكل نعمي ، ويفرح بسرح الكفر إذا آتتهك وبسفع  
الملك إذا أبحي ، وبسمع الشرك إذا بصم وبقلبه إذا بضمي ، والله الموفق .

### الجملة الثانية

( في المكاتبات إلى عرب البحرين ومن أنضاف إليهم )

قد تقدم في الكلام على المسالك والممالك في المقالة الثانية أن بلاد البحرين لم تزل  
بيد العرب ، وأنها صارت الآن بيد بني عقيل - بضم العين - من بني عامر بن صعصعة ،  
من هوازن ، من قيس عيلان ، من العدنانية . قال في " التعريف " : ومنهم قوم  
يصلون إلى باب السلطان ووصول التجار ، يجلبون جراد الخيل وكرام المهاري والأولاد  
وأمتعة من أمتعة العراق والهند ، ويرجعون بأنواع الحباء والإنعام والقماش والسكر  
وغير ذلك ، ويكتب لهم بالمساحة فيردون ويصدرون . قال : وبلادهم بلاد زرع  
وضرع ، وبر وبحر ، ولهم متاجر مربحة ، وواصلهم إلى الهند لا ينقطع ، وبلادهم  
ما بين العراق والحجاز ، ولهم قصور مبنية ، وأطام عليه ، وريف غير متسع ، إلى ما لم  
من التمر والماشية ، والحاشية والفاشية ، إلا أن الكلمة قد صارت بينهم شتي ،

والجماعة متفرقة ، وقد سبق الكلام على بلادهم مستوفى في المقالة الثانية في الكلام على المسالك والممالك .

قال في "التعريف" : ورسم المكتبة إلى كُبرائهم «السامى» بالياء . والعلامة الشريفة «أخوه» ثم ما دون ذلك لمن دُونهم .

وَأَعْلَمُ أَنَّهُ فِي "التثقيف" قد جمع بين عَرَبِ الْبَحْرَيْنِ وَعَرَبِ الْبَصْرَةِ وَمَا وَآلِي ذَلِكَ ، وَجَعَلَ الْمَكْتَبَةَ إِلَيْهِمْ عَلَى ثَلَاثِ مَرَاتِبٍ .

المرتبة الأولى — مَنْ يَكْتُبُ إِلَيْهِ «السامى» بآيَاءِ وَالْعَلَامَةُ الْأَكْسَمُ ، وَذَكَرَ أَنَّ بِهَا يَكْتُبُ أَمِيرَهُمْ ، وَسَمَاهُ حَيْثُذ «صَدَقَةَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَبِي دَلْفٍ» وَأَنَّ تَعْرِيفَهُ فَلَانُ بْنُ فَلَانٍ . وَذَكَرَ فِي رَتْبَتِهِ فِي الْمَكْتَبَةِ يَوْمَئِذٍ مُحَمَّدُ بْنُ مَانِعٍ ، وَأَخُوهُ حَسِينُ بْنُ مَانِعٍ ، وَعَلِيُّ بْنُ مَنْصُورٍ .

المرتبة الثانية — مَنْ يَكْتُبُ إِلَيْهِ «السامى» بغيرياءِ وَالْعَلَامَةُ الْأَكْسَمُ ، وَذَكَرَ مِنْهُمْ بَدْرَانَ بْنَ مَانِعٍ — رُوَيْحِيَّ بْنَ أَبِي دَلْفٍ — زَيْنُ بْنُ قَاسِمٍ — يُوْسُفُ بْنُ قَاسِمٍ ، سَعِيدُ بْنُ مَعْدَى — رَاشِدُ بْنُ مَانِعٍ — عَيْسَى بْنُ عَرَفَةَ — ظَالِمُ بْنُ مُجَاشِعٍ — إِسْمَاعِيلُ بْنُ صَوَارِي — كَلْبِيُّ بْنُ مَاجِدِ بْنِ بَدْرَانَ — مَانِعُ بْنُ عَلِيٍّ — مَانِعُ بْنُ بَدْرَانَ .

المرتبة الثالثة — مَنْ يَكْتُبُ إِلَيْهِ «مجلس الأمير» وَالْعَلَامَةُ الْأَكْسَمُ . وَعَدَّ مِنْهُمْ جَمَاعَةً ، وَهِيَ عَظِيمُ بْنُ حَسَنِ بْنِ مَانِعٍ — مُوسَى بْنُ أَبِي الْحَسَنِ — سَعْدُ بْنُ مَقَامَسٍ — زَيْدُ بْنُ مَانِعٍ — هَلَالُ بْنُ بِيحِيٍّ — مَعْمَرُ بْنُ مَانِعٍ — مُحَمَّدُ بْنُ خَلِيفَةَ .

قلت : وَحَاصِلُ مَا ذَكَرَهُ فِي "التعريف" و"التثقيف" أَنَّ بِحَمَلَةِ الْمَكْتَبَةِ إِلَيْهِمْ لِاتِّجَاوِزِ الْمَرَاتِبِ الثَّلَاثِ الْمَذْكُورَةِ ، وَالْمَكْتُبُ يَسْتَخِيرُ أَحْبَابَهُمْ فِي الْمِقْدَارِ ، وَيُنَزِّلُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عَلَى قَدْرِ مَرْتَبَتِهِ مِنْ ذَلِكَ كَمَا فِي الْأَسْمَاءِ الْمُتَقَدِّمَةِ الذِّكْرِ .

## المهيم الرابع

( في المكتبة إلى صاحب الهند والسند )

وقد ذكر في " التعريف " أن صاحبه في زمانه كان اسمه أبا المجاهد محمد بن طغلقشاه . ثم قال : وهو أعظم ملوك الأرض شرقاً وغرباً وجنوباً وشمالاً ، وبرا وبحراً ، وسهلاً وقفراً ؛ وأن سيمته في بلاده « الإسكندر الثاني » ثم قال : وتالله إنه يستحق أن يسمى بذلك ويوسم به ؛ لانتساع بلاده ، وكثرة أعداده ، وغزير أمداده ؛ وشرف منابت أرضه ، ووفور معادينه ، وما تنبت أرضه ، ويخرج به بخره ، ويخرج إليه ، ويرد من التجار عليه . وأهل بلاده أمم لأخصى ، وطوائف لأعد . ثم حكى عن قوم ثقات منهم قاضي القضاة سراج الدين الهندي الحنفي ، وهو يومئذ مدرس البيدمرية بالقاهرة ، والتاج البري ، والشيخ مبارك الأنباري : أن سكر هذا السلطان نحو التسعمائة ألف فارس ، وعنده زهاء ألفي فيل يقابل عليها ، وخائف من العبيد تقابل رجاله مع سعة الملك والحلال ، وكثرة الدخل والمال ؛ وشرف النفس والإباء ، مع الاتضاع للعساء والصلحاء ؛ وكثرة الإنفاق ، وعميم الإطلاق ؛ ومعاملة الله تعالى بالصلفة ، وإخراج الكفاية للترفة ؛ بمراتب دائمة ، وإدراجات متصلة ؛ بعد أن حكى عن رسوله دميخوان وافنخار ما قال : إنه لو سكنت النفوس إلى براعتها من التعصب [ فيه ] لحكى منه العجائب ، وحدث عنه بالغرائب ؛ ثم ذكر أنه أرسل مرة مالا يرسم الحرمين وبيت المقدس ، وهديته للسلطان تزيد على ألف دينار ؛ فقطع عليها الطريق باليمن ، وقيل محضرها بأيدي مماليك صاحب اليمن ، لأمر بيت ببليل ؛ ثم قتل قائلوه ، وأخذ أهل اليمن المسال وأكلوه ؛

وكتب عن السلطان إلى صاحب اليمن في هذا كتاب منه « وقد عددت عليه فعلته » وقيل فيه : « وقفل مالا يليق ، وأسمى وهو يعد من الملوك فأصبح يعد من قُطَاع الطريق » . وقد سبق في الكلام على المسانك والمناك من عظيم هذه المملكة وعظم قدر رجالها ما فيه كفاية عن الإعادة .

قال في " التعريف " : ورسم المكتبة إليه رسم المكتبة إلى القانات الكبار المقدم ذكرهم . في هيئة الكتاب وما يكتب به والطغرة والخطبة . وألقابه « المقام الأشرف ، العالى - الماؤوى ، السلطانى ، الأعظمى ، الشاهنشاهى ، العالمى ، الجهادى ، المرابى ، المناغرى ، المظفرى ، المؤيدى ، المنصورى ، إسكندر الزمان ، سلطان الأوان ، منبع الكرم والإحسان ، المعفى على ملوك آل ساسان ، وبقايا أفراسياب وحازان ، ملك البسيطة ، سلطان الإسلام ، غياث الأنام ، أوحد الملوك والسلاطين » ويُدعى له . قال : ولم يكتب إليه في ذلك الوقت لقب ينسب إلى الخلافة نحو « خليل أمير المؤمنين » وما يجرى هذا الجرى ، إذ كان قد بلغنا أنه يرى بنفسه إلى أن يدعى بالخلافة ، ويرى له فضل الإنافة .

قلت : مقتضى ما ذكره في " التعريف " حيث قال : إن رسم المكتبة إليه رسم المكتبة إلى القانات الكبار في هيئة الكتاب وما يكتب به ، والطغرة والخطبة ، أن المكتبة إليه تُفتتح بخطبة مبتدأة بـ « الحمد لله » كما تقدم في افتتاح المكتبات إلى القانات . والذي ذكره في " التثيف " أن المكتبة إليه تكون في قطع البغدادى الكامل بالذهب والأسود ، كما جرت العادة به ، يعنى في كُتُب القانات ، إلا أنه جعل رسم المكتبة إليه : « أعز الله تعالى أنصار المقام ، العالى ، السلطانى ،

(١) في الأصل وقد سبق القول في الكلام الخ ولكن زيادة « القول » ضارة .

العالمى، العادلى، الملكى، الفلانى» . ثم قال : وهذه الألقاب سطران كاملان  
وبنهما بيت العلامة على العادة، وبعد السطرين المذكورين في الجانب الأيمن  
من غير بياض «أبو المجاهد محمد ابن السلطان طغلقشاه زبدت عظمته» . ولا يذكر  
لقبه . والثناء، والعلامة «أخوه» . وتعريفه «صاحب الهند» . وقد رأيت  
تصويره في بعض الدساتير على هذه الصورة :

أعز الله تعالى أنصار المقام العالى

### بيت العلامة

السلطاني، العالمى، العادلى، الملكى، الفلانى

قال في "التعريف" : والعنوانُ جميعه بالذهب وهو سطران، وتعريفه  
«صاحب الهند» . وبقية الكتاب بالسواد والذهب أسوة القانات، وبه يُشعر  
كلام "التعريف" فيما تقدم .

وهذا دعاء معطوف وصدر يليق به، ذكره في "التعريف" وهو :

ولا زال سلطانه للأعداء مُبيرا، وزمانه بما يقضى به من خلود مُلكه خيرا،  
وشأته وإن عظم يتدفق بحرا ويرسب تيرا، ومكانه سوان جل أن يحلبه مسكى الليل-  
يملا الأرجاء أرجا والوجود عيرا، وإمكانه يستكين له الإسكندر خاضعا وإن حاز  
نميا جحا ومُلكا كبيرا، ولا ربحت الملوك بولائه نتشرف، وبالانه نتعرف، وبما  
تطبع مهايته من البيض بيض الهند في المهج نتصرف . المملوك بخدم بدعاء يخلق إلى  
أفقه، [ويُجَل العلباء والمحجرة في طرفه<sup>(١)</sup>]، ويهذى منه ما يعبدل به الراج فوق مرقفه،  
ويستدله النجم ولا يتبئه إلا وسادة تحت مرقفه، ويسمو إلى مقام جلاله ولا يسأم

(١) الزيادة من "التعريف" وهي لازمة .

من دعاء الخيرة، ولا يئمل له إذا ملّت النجوم عن السير، ولا يزال يصفُ ملكه الحمديُّ  
بأكثر مما وصف به الملكُ السليمانى، وقد قال: وأوتيتنا من كلِّ شيء، وعلمتنا  
منطقَ الطير.

قلت: وهذا الدعاء المعطوف مما يؤكد ابتداء المكتابة بالدعاء، خلافا لما تقدم  
أنه مقتضى تصوير كلامه في "التعريف".

وأعلم أن في هذه المكتابة على ما ذكره في "التعريف" شيئين قد خالف فيهما  
قاعدة المكتابات عن الأبواب السلطانية.

أحدهما - إتيانه في "التعريف" في ألفاظه بالمولوى. والثانى - قوله في الصدر المتقدم  
الذكر «المملوك يخدم». فقد ذكر صاحب "التعريف" في كتابه «عصر الفتح»:  
أن السلطان لا يكتب عنه في العلامة «المملوك» وإنما خالف القاعدة في ذلك هنا  
تعظيماً لمقام المكتوب إليه وإعلاءً لرتبته، حيث قال في أول كلامه: إنه أعظمُ  
ملوك الأرض على ما تقدم ذكره، فعبّر عن مقامه بما يليق به، وخاصبه بما يليق  
بخطابه، كما تقدم أنه كان يكتب إلى أبواب الخلافة «المملوك» أو «الخدام يتهبُ  
ترى الأعتاب» أو «يقبل الأرض» ونحو ذلك تعظيماً لمحل الخلافة، لاسيما  
وقد تقدم أن صاحب الهند حينئذ كان يدعى الخلافة، إلا أن نظام هذا الملك قد  
أختلَّ ونقص عما كان يموت السلطان محمد بن طغلقشاه حين توفى، وأستقر مكانه  
ابن خالته فيروز شاه.

ولعل المكتابة التي ذكرها في "التعريف" إنما رُتبت على حكم ما كان في أيامه  
بعد ذكر المكتابة المذكورة، بعد أن ذكر أن محمد بن طغلقشاه مات وقام فيروز شاه

(١) لعل هذه البعدية برمتها من زيادة الناصح أو طغيان القلم كما لا يخفى.

مقامه ، إلا أنه مثل المكتبة المذكورة بمحمد بن طغلقشاه ، فاقنضى أن يكون هو المعنى بالمكتبة . ثم تفرقت المملكة بعد ذلك في سلطانين ، فيما أخبرني به بعض أهل الهند ، ثم تزايدت قصصها بعد أن غزا [ها] ثمرلوك وغلب عليها ، ثم نزع عنها . وبكل حال فلا ينبغي أن يقصر بصاحب الهند عن رتبة القانات ، ولم أفهم على نص مكتبة كتب بها إلى صاحب الهند فأذكرها .

### المقصود الثاني

(من المصطلح المستقر عليه الحال من المكتبات الصادرة عن ملوك الديار المصرية في المكتبات إلى ملوك الغرب ، وفيه أربع جمل )

### الجملة الأولى

( في المكتبات إلى صاحب أفريقية ، وهو صاحب تونس ، وتتضم إليها بجاية وقسنطينة تارة ، وتتفرد عنها أخرى )

وقد تقدم في المقالة الثانية في الكلام على المسالك والممالك نقلا عن "التعريف" أن حد هذه المملكة غربا من جزائر بني مرغان إلى عقبة برقة الفارقة بين طرابلس وبين برقة ، وهي نهاية الحد الشرقي ، ومن الشام البحر ، ومن الجنوب آخر بلاد الجريد والأرض السواخة ، إلى ما يقال إنه موقع المدينة المسماة بمدينة الثعاس . ثم قال : وهو أجل ملوك الغرب مطلقا .

وقد تقدم هناك أيضا ذكر حال مملكتها ومن ملكها جاهلية وإسلاما ، وأنها كانت قبل الإسلام بيد البربر حين كان معهم جميع المغرب ، ثم آتت منها الروم

(١) أي الروم كما تقدم في ج ه أثناء الكلام على مملكة تونس .



والفتح إلى أن انتهت حال الفتح الإسلامي إلى جرجيس ملك الفرج في جملة ممالك المغرب، ودار ملكه يومئذ سَبَيْطَلَة، إلى أن فُتحت في خلافة عثمان رضى الله عنه على يد عبد الله بن أبي سرح، وتوالت عليها نواب الخلفاء، وصارت دار المملكة بها القُيُروان حتى صارت منهم إلى [بني الأعلب] <sup>(١)</sup> ثم إلى العبيديين بنى عبيد الله المهدي، ثم الموحدين أصحاب المهدي بن تومرت، وهي بأيديهم إلى الآن. وهي مستقرة الآن بيد الخفصيين منهم. وهم يدعون النسب إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فيقولون: أبو حفص عمر بن يحيى بن محمد بن واوود بن علي بن أحمد بن وأل بن إدريس بن خالد بن اليسع بن إلياس بن عمرو بن واقتن ابن محمد بن نجيه بن كعب بن محمد بن سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، وباعتبار ذلك التماثل بها من بنى أبي حفص يدعون الخلافة، ويدعى القائم منهم في بلاده بأمير المؤمنين، ورتباً كاتبه بها بعض ملوك المغرب. قال في "التعريف": ومن أهل النسب من يُنكر ذلك، ويجعلهم نارةً بنسب إلى عدي بن كعب: رهط عمر بن الخطاب دون بنى عمرو. ومنهم من ينسبهم إلى هتاتة من قبائل البربر بالمغرب، وهي قبيلة عظيمة مشهورة.

وهي الآن (إلى حدود الثمانمائة) بيد السلطان أبي فارس عزوز، وقد دُوخ البلاد وأظهر العدل ورفع منار الإسلام. وقد ذكر في "التعريف" أن السلطان بها في زمانه كان المتوكل على الله أبو يحيى أبو بكر.

ورسم المكتبة إليه فيما ذكره في "التعريف" أن يكتب بعد التسلمة. «أما بعد حمد الله» بخطبة مختصرة في مقتضى الحال، ثم يقول فهذه المفوضة، أو النجوى، أو المذاكرة، أو المطارحة، أو ما يجري مجرى ذلك. ثم يدى من طيب السلام (ومن

(١) بعض له في الاصل والتصحيح ما تقدم في ج ٥ ص ٢٢.

هذا ومثله ) إلى الحضرة الشريفة ، العليّة ، السنية ، السريّة ، العالمة ، العادليّة ، الكاملية ، الأوحديّة ، حضرة الإمارة العدويّة ، ومكان الإمامة القرشيّة ، وبقية السّلالة الطاهرة الزكيّة ، حضرة أمير المسلمين ، وزعيم الموحّدين ، والقائم في مصالح الدنيا والدن ، السلطان السيّد الكبير ، المجاهد ، المؤيد ، المرابط ، المناظر ، المظفر المنصور ، المتوكّل على ربه ، والمجاهد في حبه ، والمناضل عن الإسلام بذبه ، فلان ويُدعى له بما يناسب مختصراً ، ثم يذكر ما يليق بكرم الجُدود .



صدر آنجر — من "التعريف" أيضا :

صدرت إليه هدى إليه من طيب السلام ما ترقق في جانبه الغريّ أصائله ، ويروق فيها ينصبّ لديه من أنهار النهار جداوله ، ويحمله لكلّ غاد ورائح ، وتجري به السّفن كالمُدُن والركائب الطّلائح ، وتخصّ ذلك المقرّ منه بشاءٍ يعزّل لأنّ يُنيب بعده الدار ، ويستطيع ليل العراق به من فرق أفريقيّة النهار ، وتحاجي مصر عن جارتها المنعمه ، وتفخر بحارتها الشمس التي لا تُرى في أفقها إلا مبرّقه .

ولم يذكر في "التعريف" قطع الورق ، ولا العنوان ، والخاتمة ، والعلامة ، وباقى معنى ذلك . والذي ذكره في "التتقيف" أنّ رسم المكتبة اليه في قطع الثلث بقلم التوقيعات ، نظير ما كتبت به لصاحب فاس ، وهو أن يكتب بعد البسملة بحيث يكون تحتها سواء في الجانب الأيمن من غير بياض ما مثاله « عبد الله ووليه » ثم يحلّ مقدار بيت العلامة ؛ ثم تكتب الألقاب الشريفة من أول السطر مسامتا للبسملة . وهي « السلطان ، الأعظم ، المالك ، الملك ، الفلاني ، السيّد ، الأجل ، العالم ، العادل ، المؤيد ، المجاهد ، المرابط ، المناظر ، المظفر ، الشاهنشاه . وهذه

تختصر غالباً - ناصر الدنيا والدين ، سلطان الإسلام والمسلمين ، محي العدل في العالمين ، منصف المظلومين من الظالمين ، وارث المثلث ، سلطان العرب والعجم والترك ، فاتح الأقطار ، مانع الممالك والأقاليم والأمنصار ، إسكندر الزمان ، مولى الإحسان ، جامع كلمة الإيمان ، مملك أصحاب المنابر وأنحوت والتيجان ، ملك البحرين ، مسلك سبيل القبليين ، خادم الحرمين الشريفين . ظل الله في أرضه ، القائم بسنته وقرضه ، سلطان البسيطة ، مؤمن الأرض المحيطة ، سيد الملوك والسلاطين ، ولي أمير المؤمنين ، أبو فلان فلان ، ابن الملك الفلاني فلان الدين والدنيا ، ويرفع في نسبه إلى منتهاه «خلد الله سلطانه» ونصر جيوشه وأعدائه . ويجهد أن يكون «أعدائه» آخر السطر أو قريباً من آخره . قال : والواجب بدل وفي أمير المؤمنين قسيم أمير المؤمنين ، ثم يقول : يخص الحضرة ، العلية ، السنية ، الشريفة ، الميمونة ، المنصورة ، المصونة ، حضرة الأمير العالم ، العادل ، العايد ، المؤيد ، الأوحاد ، فلان ، ذخر الإسلام والمسلمين ، عدة الدنيا والدين ، ناصر الغزاة والجهادين ، سيف جماعة الشاكرين ، صلاح الدول ، والدعاء بإهداء السلام والشكر . ثم بعد حمد الله بحضرة مختصرة جداً ، فإننا نوصح لعلمه الكريم ، وتعريفه «صاحب تونس» .

قات : وخطابه بالإخاء .

وهذه نسخة كتاب كتب بها عن الظاهر "برقوق" من إنشاء عملاء الدين ، وهي

بسم الله الرحمن الرحيم :

من عبد الله ووليه .

السلطان الأعظم المالك ، المليك الظاهر ، الأجل العالم العادل ، المجاهد

المربط ، المشاعر المؤيد ، المظفر ، سيف الدنيا والدين ، سلطان الإسلام والمسلمين ،

مُحْيِي الْعَدْلِ فِي الْعَالَمِينَ ، مُنْصِفِ الْمَظْلُومِينَ مِنَ الظَّالِمِينَ ، قَامِعِ الْخَوَارِجِ وَالْمُتَمَرِّدِينَ ؛  
 وَارِثِ الْمُلْكِ ، مَلِكِ مَلُوكِ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ وَالْتُرْكِ ، مُبِيدِ الطُّغَاةِ وَالْبَغَاةِ وَالْكَفَّارِ ؛  
 تَمَلِّكِ الْمَحَالِكِ وَالْأَقَالِمِ وَالْأَمْصَارِ ؛ إِسْكَنْ دِرَ الزَّمَانِ ، نَاشِرِ لِرِوَاءِ الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ؛  
 مَلِكِ أَصْحَابِ الْعَنَابِ وَالْأُسْرَةِ وَالْتَّخُوتِ وَالْتَّجَانِ ؛ مَالِكِ الْبَحْرَيْنِ ، صَاحِبِ مُبَلِّ  
 الْقِبْلَتَيْنِ ، خَادِمِ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ ؛ ظَلَّ اللهُ فِي أَرْضِهِ ، الْقَائِمِ بِسُنَّتِهِ وَقَرَضِهِ ، سُلْطَانِ  
 الْبَسِيطَةِ ، مَوْثِنِ الْأَرْضِ الْمَحِيطَةِ ، سَيِّدِ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ ، قَسِيمِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ،  
 «أَبِي سَعِيدِ بَرْقُوقٍ» خَلَدَ اللهُ سُلْطَانَهُ ، وَنَصَرَ جُنُودَهُ وَأَعْوَانَهُ ، وَأَفَاضَ عَلَى الْعِبَادِ  
 وَالْبِلَادِ جُودَهُ وَإِحْسَانَهُ ؛ نَحِيحَةَ نَارِجٍ نَفْعًا ، وَتَنْبَلِجٍ صُبْحًا ، وَتَطْوِي بِعَرَفِهَا نَشْرَ  
 الْخُرْمِيِّ ، وَتَعِيدُ مَيِّتَ الْأَشْوَاقِ حَيًّا إِذَا مَا ؛ تَحْصُ الْحَضْرَةَ الْعَالِيَةَ ، السَّنِيَّةَ السَّرِيَّةَ ؛  
 الْمَظْفَرَةَ الْمَيْمُونَةَ ، الْمَنْصُورَةَ الْمُصُونَةَ ؛ حَضْرَةَ الْأَمِيرِ الْعَالِمِ ، الْعَادِلِ ، الْمَجَاهِدِ ، الْمُؤَيَّدِ ،  
 الْأَوْحَدِ ؛ ذُنُورِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ ، عُدَّةِ الدُّنْيَا وَالْدِينِ ، قَدْوَةِ الْمُوَحَّدِينَ ، نَاصِرِ الْغَزَاةِ  
 وَالْمَجَاهِدِينَ ، سَيْفِ جَمَاعَةِ الشَّاكِرِينَ ، صِلَاحِ الدُّوَلِ ، الْمُتَوَكَّلِ عَلَى اللَّهِ أَحْمَدِ ،  
 ابْنِ مَوْلَانَا الْأَمِيرِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ ، ابْنِ مَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِي يَحْيَى أَبِي بَكْرٍ ،  
 ابْنِ الْأَسْرَاءِ الرَّاشِدِينَ ، أَعَزَّ اللهُ دَوْلَتَهُ وَأَذَلَّ عُدَاتَهُ ، وَأَنْجَزَ مِنْ صُعودِ أَوْلِيَائِهِ  
 وَسُعودِ آلِيهِ صَادِقِ عِدَاتِهِ .

بَعْدَ حَمْدِ اللهِ جَامِعِ الشَّمْلِ بَعْدَ تَفْرِيقِهِ ، رَاتِقِ خَالَ الْمُلْكِ عِنْدَ تَجْزِيقِهِ ، وَالشَّهَادَةِ  
 بِأَنَّ لِلَّهِ إِلَّا هُوَ مُبِيدِ الْبَاطِلِ بِحَقِّ سِرِّهِ وَسِرِّ تَحْقِيقِهِ ؛ وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى سَيِّدِنَا  
 مُحَمَّدِ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ مَوْضِعِ سَبِيلِ التَّوَكُّلِ عَلَى اللهِ وَطَرِيقِهِ . وَإِهْدَاءِ سَلَامِ مَا الزَّهْرُ  
 بِأَعْبَقِ مِنْ نَقِيحِهِ ، وَشَاءِ مَا الرُّوضُ بِأَعْطَرِ مِنْ خَلُوقِهِ ؛ فَإِنَّا نَوْضِعُ لِعَلِمِهِ الْكَرِيمِ أَنَّ كِتَابَهُ  
 الْكَرِيمِ وَرَدَّ وَرُودَ السَّنَةِ عَلَى الْبَلْحَنِ السَّاهِرِ ، أَوْ الْمَزْنَةِ عَلَى الرُّوضِ الزَّاهِرِ ، أَوْ الرِّزَالِ  
 عَلَى الْأَوَامِ ، أَوْ الْبُرَّةِ عَلَى السَّقَامِ ، لِمَدَدْنَا إِلَيْهِ يَدَ الْقَبُولِ ، وَأَرْتَمْنَا لَهُ أَرْتِيَا حِ الشَّمَالِ

إلى السُّمُول، ومِلْنَا إلى مُفَاكِهِته مِثْلَ الغُصُونِ إلى الرِّيحِ، وامتزجنا بمصافاته أمتزاج  
 الماء بالراح، وفَضَضْنَا خِتَامَهُ عن فِئْتِي كَلَامِهِ، وذهبتُ إلى ذَهَبِي نِتَارُهُ ونِظَامُهُ،  
 ونَأْمَلْنَا تَأْمَلًا كُلَّ نَظَرٍ عِبْدُهُ وخَادِمُهُ، ووقفتُ عليه وقُوفَ تَحِيحِ ضَاعٍ في التُّرْبِ  
 خَاتِمُهُ، ونَظَمْنَا جَوَاهِرَ أَعْتَابِهِ في قَلَائِدِ الأَفْكَارِ، وصَبَّوْنَا إلى آخْتِيَارِهِ كَمَا صَبَّتِ  
 النُّفُوسُ إلى الإِذْكَارِ، ووقفتُنا له جُهْدُ الطَّاقَةِ بَابًا من الحُبِّه لَمْ يُعْلَقْ، وتَنَسَّمَ بَيْنَ حَاقِ  
 الإِنْسَانِ من عَاتِقِ أُنْثَى بَغِيرِ قَلُوبِنَا لَمْ تَعْلَقْ، فإذا سَطُورُهُ جُنُودٌ مُصْطَفَّهٌ، أو قِيَانٌ بِهَا  
 الحِسَانِ مَحْتَفَّهٌ، وإذا رَمَهُ طِرَارُ حُلِّهِ، أو عَقَدُ شَدِّهِ البِنَانُ وحَلَّهُ به، وإذا لَفَّظَهُ قَدْرُقُ  
 وراقٍ، ومَرَّ بِالأَسْمَاعِ مُثَلِّمًا بِجَلَاوَتِهِ الأَوْرَاقِ، وإذا مَعْنَاهُ أَلْفُفٌ مِنَ السِّيمِ  
 السَّارِي، وأَعْدَبُ مَذَاقًا مِنَ المَاءِ البَحَارِي، وإذا تَجَمَّعَ بِفَوْقِ تَجَمُّعِ الحَمَامِ، وَيُرَى  
 بِالرُّوضِ الضَّاحِكِ لُبَّكَاءِ العَمَامِ، وإذا سَلَامُهُ قَدِ حَبَّتْهُ الأَزَاهِرُ، وطوى بِعَرَفِهِ تَشْرُ  
 الرُّوضِ الزَّاهِرِ، وإذا هَدَّوْهُ قَدِ مَلِكِ عِيَانِ التَّهَانِي، وأَسْتَمَطَّرَ عَنَانَ الأَمَانِ مِنَ سَمَاءِ  
 الأَمَانِي، فَعَبَّرْنَا لَفْظَ عَمِيرِهِ عن مَعْنَى الحُبِّه، وقَرَّبَ شَاسِعَ الذِّكْرِ وإنْ بَعْدَ المَدَى  
 بَيْنَ الأَحْبَةِ، وأَقَامَ شَاهِدَ الإِخَاءِ على دَعْوَى الإِخْلَاصِ قَبْلِيْنَاهُ، ونَادَى مُطِيعَ المُوَدَّةِ  
 فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، ولَبَّيْنَاهُ، سَقِيًّا لَهُ من كِتَابِ عُذِّي بِإِبَانِ الفَصَاحَةِ، وجرى جِوَادُ التَّجَاحِ  
 من مِضَامِ المَلَاحِه، لِأَعْيَبِ فِيهِ، سِوَى بِلَاغَةٍ فِيهِ، وَلَا نَقْصَ يَعْتَرِيهِ، سِوَى كِبَالِ  
 بَارِيهِ، لِعَمْرِي لَقَدْ فَاقَ الأَوَانِحَ والأَوَانِلَ، فَأَجْدَرُ كَلَامُهُ بِقَوْلِ القَائِلِ :

وكَلَامِ كَدْمَعِ صَبَّ غَرِيبٍ \* رَقَّ حَتَّى الحَوَاءُ يَكْتَفُ عِنْدَهُ!

راقٍ لَفْظًا وَرَقَّ مَعْنَى فَاضِحِي \* كُلُّ سَجَرٍ مِنَ البِلَاغَةِ عِبْدُهُ!

لله دَرُهُ من كِتَابِ حَلْبِ دَرِّ الأَفْرَاحِ، وَجَنَدَ من أُنُوبِ المَسْرَةِ مَا كَانَ قَدِ أَحْلَقْتَهُ  
 يَدُ الأَفْرَاحِ، فَهَمَّتْ مَعْنَاهُ فَهَمْنَا، وَشَرَحْنَا مَتْنَهُ فَجَوَّاهُ فَانْشَرَحْنَا، وَعَلِمْنَا مَا أَنْصَلَ

بِسْمِعِكُمْ مِنْ خَبْرِنَا الْعَجِيبِ ، وَحَدِيثِ أَمْرِنَا الْقَدِيمِ الْغَرِيبِ ، الَّذِي أَظْهَرَ فِينَا اللَّهُ  
 أَسْرَارًا ، وَكَتَبَ لَنَا مِنْهُ عَنَاءَةً كَتَبَتْ بِهَا أَشْرَارًا ، جَلَّ جَلَالُهُ خَافِضٌ رَافِعٌ ، مُعَلِّمٌ بِحِكْمَتِهِ  
 وَابْضِعٌ ، سَبْحَانَهُ أَوْجَدَ بَعْدَ الْعَدَمِ وَأَنْسَى ثُمَّ أَنْشَأَ ، قُلِ اللَّهُمَّ مَا لَكَ الْمَلِكُ تُؤْتِي الْمَلِكَ  
 مِنْ نَشَأٍ ، كَسَرَ وَجَبَرَ ، وَقَرَنَ الْمَبْتَدَأَ بِالْخَبَرِ ، وَهَبَّ مَا كَانَ سَلْبًا ، وَجَعَلَ لَصَبْرِنَا حَسَنًا  
 الْمُنْقَلَبَ ، أَعَادَنَا إِلَى الْمَلِكِ مَعَ كَثْرَةِ الْأَعْدَاءِ وَقِسْلَةِ الْأَنْصَارِ ، وَأَظْهَرَنَا بَعْدَ الْخَفَاءِ  
 فَاعْتَبَرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ، وَأَبْرَزْنَا بِرِزْنِنَا بَعْدَ السُّبُكِ خَالصًا يَرُوقُ النَّاطِرُ ، وَيَفُوقُ  
 بَرُوقَهُ وَجَهَ الرُّوضِ النَّاضِرِ ، فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ فِي ذَلِكَ سِرًّا خَفِيًّا ، لَمْ يَزَلْ بِبِرْكَةِ رَسُولِهِ  
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِنَا حَفِيًّا ، فُتِمَ لَنَا فِيهِ بِوَأَجِبِ الْهِنَاءِ ، وَأَحَاطَ بِنَا طَوْلُكُمْ الطَّوِيلُ  
 مِنْ هَاهُنَا وَهَاهُنَا ، فَاسْتَجَلَّيْنَا مِنْ كِتَابِكُمْ عِمْرَانَسَ بَشْرَاهُ ، وَحَمِدْنَا عِنْدَ صَبَاحِ طَرْسِهِ  
 لَيْلَ مَسْرَاهُ ، وَشَكَرْنَا لَهُ هَذِهِ الْأَيَادِي الَّتِي تَقْصُرُ عَنْهَا الْأَيْدِي الْمَتَطَاوِلَةُ ، وَشَيْئًا إِلَيْكُمْ  
 عِنَانُ الثَّنَاءِ الَّذِي فَاقَ بِجَاهِلِيهِ الرُّوضُ الْأَرِيضُ وَنَحْمَائِلُهُ .

وَمَا تَمَثَّلَ لَنَا رَسُولُكُمْ الْمَكْرَمُ ، وَصَاحِبُكُمْ الْكَامِلُ الْمَعْظَمُ ، ذُو الْأَصْلِ الطَّاهِرِ ،  
 وَالذَّنْبِ الْبَاهِرِ ، وَالرَّأْيِ السَّيِّدِ ، وَالْبَأْسِ الشَّدِيدِ ، فَلَانُ : لِأَزَالُ عَلَى مَقَامِهِ حَسَنًا ،  
 وَجَفْنُ عِلْمِهِ لَا يَبْعَثُ الْجَهْلُ عَلَيْهِ وَسْنَا ، فَأَبْدَى إِلَيْنَا مَا فِي وَطْأِهِ ، وَأَنْجَحَ الصُّدُورَ  
 بِحِكْمَةِ فَضْلِهِ وَفَصَّلِ خِطَابِهِ ، وَأَخَذَ بِمَآذِينَا عَنْكُمْ أَطْرَافَ الْأَحَادِيثِ الطَّيِّبَةِ ، وَرَبَّلَ عَلَيْنَا  
 مِنْ سَمَاءِ مَحَبَّتِكُمْ مَرْزَنَهَا الصَّيْبَةَ ، وَأَطْرَبْنَا بِسَمَاعِ أَخْبَارِكُمْ ، وَنَصَرَ أَعْوَانَكُمْ وَأَنْصَارَكُمْ ،  
 وَتَبَّ عَلَى مَا أُوْدِعَهُ كِتَابِكُمْ ، وَنَضَمْتَهُ مِنَ النُّصْرَةِ خِطَابِكُمْ ، وَدَوَسَ جُنُودَكُمْ جَزِيرَةَ  
 «عُودِش» وَعُودِيهِمْ بِالْمَنْ وَالْمَنْحِ ، وَتَلَاوَيْتِهِمْ عِنْدَ الْاِتِّصَارِ (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ)  
 وَقَفُّوهُمْ مَتَفَيِّئِينَ مِنَ الْجِهَادِ بِيْظَلِّهِ ، فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ، بَعْدَ أَنْ تَعَقَّتْ مِنْهُمْ  
 عَلَى الْكُفَّارِ الْغُرَبَانَ ، وَأَقْتَنَصَتِ الرِّجَالَ أَجْلَاهُمْ أَقْتَنَاصَ الْعِقْبَانِ ، وَجَاءَتْهُمْ كَالْجِبَالِ

الرواسي ، وظفرت بهم أظافير الرماة ومحالب المراسي ، وغنت عليهم أوتار القسي  
 فارتقت رؤوسهم على الضرب ، وسقتهم كئوس الردى مترعة ونعم هذا الشرب  
 لأولئك الشرب ، وأعادت المسلمين بالغنم إلى الأوطان بعد نيل الأوطار ، وبشرت  
 الخواطر بما أقر العيون من النجاح والنجاة من الأخطار ؛ هذا والعدو الملقى السلم عند  
 الجهاد ، جرى بهم ممرين في الأصفاذ ؛ إلهما غزاة أشرق نورها كالقراله ، وأشرق  
 يوم إسلامها على ليل الكفر فأزاله ، وتولمتها الجهاد فلا يرى بعدها إن شاء الله  
 عقيبا ، وتلا لسان الشوق إليه ﴿ يَا أَيَّتِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ . لا زالت  
 رقاب الأعداء لأسيافكم قرابا . وغزواتكم الصالحة تُبديكم من الله أجرا وثوابا .

ولما عرضت علينا من جودكم عند العشي الصافات الجياد ، وحلينا منها  
 بقلائد منها الأجياد ؛ نُقسم لقد حيرتنا ، ألوانها إذ حيرتنا .

فمن أشهب - كأن الشهب له فينصه . أو الصباح أبسه فينصه ؛ أو كأنما قلب  
 من الجوين في قالب البياض ، وسقى سواد أحداقه أقداح الرياحة من غير حياض .  
 ومن أحمر - كأن التنفس لمسه في مِداده ، أو الطرف أمد طرفه بسواده ؛ أو كأنما  
 تَمَّص إهاب الليل ، لمّا طلع عليه بحر غرته فوئى مشمر الذيل .

ومن أحمر - كأنما صيغ من الذهب ، أو كَوْن من النار واللهب ؛ أو كأن الشفق  
 التي عليه فينصه ثم أشفق ، أو الشقيق أجرى عليه دمعه دما وجيبه شفق .

ومن أشقر - كأنما أليس ثوب الأصيل ، وبشر السرية يمين طلعت بالنصر  
 والتحصيل ؛ أو كأن النصار كساه حلة العشاق ، وقد أذرعوا بأسواق الحجة مطارف  
 الأشواق ؛

ومن أخضر - كما نأثف من الروض الأريض بأوراقه، أو صيغ بالعذار الخضر  
وقد شقت عليه مرائر عشايق؛ أو كما نأثف الرشد تلويته، أو من شارب الشادين تكويته؛  
كل يظرف منها يسبق الطرف، ويروق الناظر بالحسن الناظر والظرف؛ تُقام به حجة  
الإعراض وهو باعتراف ممتطيه قادر ملي، وينصب إلى الإدراك حسن السير بكمود  
تخفي حظه السبل من علي - فأسرجنا لها جواد القبول، وأمتطينا منها صهوة كل  
مأمول؛ وأعدناها مرآكب لأواكب، ولليل المهمات الواقعة بدورا وكواكب؛  
وأطلقنا أئنة شكرها في ميادين المحامد، وطبقنا ترجع ذكرها بين شاكر وحامد.

### مكاتبه وزير تونس

رأيت في الدستور المنسوب للقر العلاءي بن فضل الله أنه كتب إلى أبي عبد الله  
أبن مخلص .

صدرت هذه المكاتبه إلى <sup>(٢)</sup> الشيخي، الكيرى، العالمى، الفاضلى،  
الأوحدى، الأكللى، الأرشدى، الأجدى، الأثيرى، اليبغى، العلاءى، مجد  
الإسلام، بهاء الأنام، شريف الفضلاء، زين العلماء، نجل الأكابر، أوحد الأعيان،  
بركة الدولة، صفوة الملوك والسلاطين؛ (ويدعى له بما يناسبه). وتوضح لعمه المبارك  
كيت وكيت؛ ولم يذكر قطع الورق ولا العلامة ولا التعريف. والذي يظهر أن قطع  
الورق العادة، والعلامة «أخوه». والتعريف «وزير تونس» .

(١) الظاهر أن هذا هو جواب ما عرضت قد فرغ بالفاء وهو جائز بعد ما وحقى إذا تأمل .

(٢) يياض بالأصل والظاهر أنه " إلى المجلس الشيعى الخ " .



## الجملة الثانية

( في مكتبة صاحب الغرب الأوسط ، وهو صاحب يلمسان )

وقد تقدم في المقالة الثانية في الكلام على المسالك والممالك الكلام على هذه المملكة ومن ملكها جاهليَّة وإسلامًا ، وهي الآن بيد بني عبد الواد من زناتة من قبائل البربر - والقائم بها الآن منهم إلى حدود الثمانمائة من الهجرة هو السلطان أبو زيان ، ابن السلطان أبي حمو : موسى بن يوسف ، بن عبد الرحمن ، بن يحيى ، ابن يعمراسن ، بن زيان ، بن ثابت ، بن محمد ، بن ركدار ، بن تيدوكس ، بن طاع الله ، ابن علي ، بن القاسم ، بن عبد الواد .

قلت : وذكر هذه المملكة في "مسالك الأبصار" مضافة إلى مملكة فاس :  
لإيضامها حينئذ إليها في مملكة السلطان أبي الحسن المريني : صاحب فاس في زمانه ،  
ولذلك لم يذكر لصاحبها مكتبة في "التعريف" . على أني رأيت من صاحبها موسى  
ابن يعمراسن مكتبة إلى الناصر «محمد بن قلاوون» صاحب مصر . وسياتي إيرادها  
في جملة المكتبات الواردة إلى هذه المملكة . وذكر صاحب "التتيف" أن صاحبها  
في زمانه في الدولة الأشرافية «شعبان بن حسين» أي سلطانها يومئذ أبو حفص  
عمر بن أبي عمران موسى ، وأن المكتبة إليه مثل المكتبة إلى صاحب تونس المقدم  
ذكره على السواء . وذكر أنه كتب ذلك إليه ورأى جماعة كتّاب الإنشاء يكتبونه ،  
وكذلك رأيت في الدستور المنسوب إلى المقرّ العلافي بن فضيل الله ، ولم أظفر بصورة  
مكتبة فأذكرها .

(١) في "تعريف" ج ٧ ص ٧٥ زكازة وحرر .

## الجملة الثالثة

( في المكتبة إلى صاحب العُرب الأقصى )

وهو صاحبُ فاس، وتعرف مملكته بِبِرِّ العُنُوة . وقد تقدّم الكلامُ على مملكتها وأحوالها ومَنْ ملكها جاهليّةً وإسلاماً في المقالة الثانية في الكلام على المسالك والتمالك ، وأنها الآن بيد نبي عبد الحق من نبي مَرِينٍ من زَناتة من قبائل البربر، وأنها الآن بيد السلطان أبي فارس عثمان، ابن السلطان أبي العباس أحمد، ابن السلطان أبي سالم إبراهيم، ابن السلطان أبي الحسن علي، ابن السلطان أبي سعيد عثمان، ابن السلطان أبي يوسف يعقوب، ابن عبد الحق، بن محيٍ، بن أبي بكر، بن حمّامة، ابن محمد، بن ورصيص، بن فُكُوس<sup>(١)</sup>، بن كوماط، بن مَرِينٍ، بن ورناجن، ابن ماخوخ، بن ورحج، بن قاتن، بن بدر، بن نجفت، بن عبدالله، بن ورصيص، ابن المعز، بن إبراهيم، بن رجيك، بن واشين، بن بصلتن، بن شرا، بن أكبا، ابن ورشيك، بن أدبت، بن جانا، وهو زَناتة .

وقد ذكر في " التعريف " أن السلطنة فيهم في زمانه في الدولة الناصرية « محمد بن قلاوون » صاحب مصر كانت في السلطان أبي الحسن علي بن عثمان المقدم ذكره . ثم قال : وورث هذا السلطان مُلْكَ العزفِينِ بسببته، ومُلْكَ بني عبد الواد يتلمسان، وأطاعه مُلْكُ الإندلس، ودان له مُلْكُ أفريقيّة، وعرض عليه ابنه فتروّجها، فساقها إليه سوّق الأمة . ثم قال : وبنو مَرِينٍ رجالٌ الوغى وناسها .

(١) تقدم في ج ٥ ص ١٤٤ " ورزيز " .

(٢) تقدم " جدجج " .

(٣) تقدم " ورشد " .

وأبطال الحرب وأحلامها ؛ وهم يفخرون بعزارة علمه وفضل تقواه . قال : وهو اليوم ملك ملوك الغرب ، وموقد نار الحرب .

ورسم المكتابة إليه على ما ذكره في "التعريف" بعد البسملة :

من السلطان الأعظم الملك الفلاني ، إلى آخر الألقاب المذكورة في المكتابة لصاحب تونس ، إلى قوله ونصر جيوشه وجنوده وأعوانه . ثم يقول : تحيةً بفتح بها الخطاب ، ويقدم منها ما زكا وطاب ؛ وتقال هنا تجمعات مختصرة نحو أربع أو خمس ، يُخص بها الحضرة الشريفة العلية ، الطاهرة الزكية ، حضرة المقام العالی ، السلطان ، السيد ، الأجل ، العالم ، العادل ، المجاهد ، المرابط ، المناصر ، المؤيد ، المظفر ، المنصور ، الأسمى ، الأسمى ، الأثني ، [ الجاهد في الله ]<sup>(١)</sup> المؤيد على أعداء الله ؛ أمير المسلمين ، قائد الموحدين ، مجهر الغزاة والمجاهدين ، مجتهد الجنود ، عاقد البوند ، مالي صدور البرارى والبحار ، مزعزع أسيرة الكفار ، مؤيد السنة ، مير الملة ، شرف الملوك والسلاطين ، بقية السلف الكريم ، والحسب الصميم ، ربيب الملك القديم ، أبى فلان فلان بن فلان . ويرفع نسبه إلى عبد الحق وهو أول نسبه . ويقال : فى كل منهم : أمير المسلمين أبى فلان فلان ؛ ثم يُدعى له : نحو أعز الله أنصاره أو سلطانه أو غير ذلك من الأدعية الملوكية بدعاء مطول مقخم . ثم يقال : أما بعد حمد الله ، ويخطب خطبة مختصرة . ثم يقال : أصدرت إليه ، وسيرت تُعرض عليه ، تُهدى إليه من السلام كذا وكذا . ثم يقال : ومما تبديه كذا وكذا .

صدر : يليق بهذه المكتابة - تُهدى إليه من السلام ما يطلع عليه نهاره المشرق من مشرقه ، ويحييه به الهلال الطالع من جانبيه الغربى على ألقه ، وتُصِف شوقاً أقام

(١) زدناها من "التعريف" .

بين جَفْتِيهِ والكَرَى الحَرْبَ ، وودادا يَمْلَأُ برسله كُلُّ بحرٍ ويأتي بكل ضَرْبٍ ، وثناءً يُسْتَرْوَحُ بنسيمه وإن كان لا يَسْتَرْوَحُ إلا بما يَهْبُ من الغرب ؛ مقدِّمةً شُكْرًا لما يهتر من عَزَمَاتِهِ التي أعزَّتِ الدينَ ، وعزَّتِ الملَّحدين ؛ وحلَّقت على مَنْ جاورها من الكُفَّارِ [تحليق<sup>(١)</sup>] صُفُورِ الرجالِ على مُسَفَّةِ الغُرَبانِ ؛ وتُقيم عند الشجاعِ عُدَّةَ الجبانِ ؛ وتُبين آثارها في أعناق الأعداءِ وللسيوفِ آثارُ بيانٍ ؛ وإن كان فعله أكثر مما طارت به الأخبارُ ، وطافت به مُخلَّقات البشائرِ في الأقطارِ ؛ وسار به المجهجُ تعرِّفُ آثاره عرَفَاتٍ ، وصارت تَسْتَعْلِمُ أخباره وتُدبُّ قبل زمانه مافات .

والذي ذكره في "التتيف" أنه كان السلطان في زمانه في الدولة الأشرافية «شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون» عبدالعزيز بن أبي الحسن على المقدم ذكره ؛ وذكر أن المكاتبه اليه في قطع النصف ، وأنه يكتب تحت البسملة في الجانب الأيمن من غير بياض ما مثاله «عبد الله ووليه» ثم يخلو بيت العلامة ؛ ثم تكتب الألقاب السلطانية في أول السطر ساميًا للبسملة «السلطان الأعظم الملك القلاني» إلى آخر الألقاب السلطانية المذكورة في المكاتبه إلى صاحب تونس ، إلى قوله : ونصر جيوشه وأعوانه . ثم يقول : تحضُّ المقام العالي ، السلطان ، الملك ، الأجل ، الكبير ، المجاهد ، المعاضد ، المرابط ، المناغر ، المُكْرَم ، المعظم ، المظفر ، الموقر ، المؤيد ، المسند ، الأبعد ، الأصعد ، الأرشد ، الأنجد ، الأوحده ، الأجمد ، البيبي ، الركي ، السني ، السري ، فلان ، أمير المسلمين ابن أبي فلان فلان ، إلى عبد الحق المريني . والدعاء بما يناسب ذلك المقام ؛ ثم أما بعد حمد الله ، بخطبة لطيفة ، فإننا نقاوضُ علمه الكريم ونحو ذلك . وأكثر مخاطبته بالإخاء وتُحَمِّم بالدعاء ،

(١) زدنا هذه الكلمة وإن لم تكن في الأصل ولا في التعريف لما لا يخفى من لزومها لصحة الكلام .

والعلامة «أخوه» وتعريفه «ملك الغرب» . وفي الدستور العلائق أن الطلب منه بالمستمد، ويحتم باستعراض الحوائج والخدم مكثلاً بالدعاء .

وهذه نسخة كتاب من الملك الناصر «محمد بن قلاوون» إلى السلطان أبي الحسن المريني، في جواب كتاب ورد عليه منه وهي :

عبدالله ووليه . السلطان الملك الناصر ، ناصر الدنيا والدين ، سلطان الإسلام والمسلمين ، محيي العدل في العالمين ، مؤمن أولياء الله المؤمنين ، ظل الله الممدود ، وميسر السبل للوفود ، حامي القبليين بحسامه من أهل الجحود ، وخادم الحرمين الشريفين متبهاً للسنة الإبراهيمية في تطهير بيت الله للطائفين والعاكفين والركع السجود ، والقائم بمصالح أشرف روضة وطيبه يعطر طيبها في الوجود ، ولي أمير المؤمنين جمع الله به كلمة الإسلام بعد الاقتراق ، وقمع برعبه أهل العناد والشقاق ، وأوزعه شكر نعم الله التي ألفت على ولآله قلوب ملوك الآفاق ، وأمنه بها منحة صيرت له الملك بالإرث والاستحقاق ، وسيرت كواكب مناقبه فلها بالمغارب إضاءة وبالمشارك إشراق . ابن السلطان السعيد الشهيد الملك المنصور ، سيف الدنيا والدين ، سقى الله عهدته عهاد الرحمة ذوات إغراق ، وأبقى مجده بمجده الذي للأمة الحمديّة على تعظيمه إجماعاً وعلى تقديره اتفاقاً ، يخصص المقام العالی ، الملك الأجل الكبير ، الحبير ، العاضد ، المشاعر ، المظاهر ، الفائز ، الحائز المنصور ، الماثور ، الفاتح ، الصالح ، الأمكن ، الأضون ، الأشرف ، الأعرف ، الكريم ، المعظم ، أبا الحسن علياً أمير المسلمين ، ابن السلطان السعيد ، الحميد ، الطاهر ، الفاجر ، المساهد ، الزاهد ، الأورع ، الأزوع ، أمير المسلمين ، أبي سعيد عثمان ، ابن السلطان ، السعيد ، الرشيد ، السابق ، الوامق ، الجامع ، الصادق ، أمير المسلمين

أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق، ناظم مُفَرَّقِ الفَخَّارِ، وهازِمِ فِرْقِ الفُجَّارِ، والملازم لإحياء سنة الجهاد المتروكة في الإفطار، حتى يجمع في ملكه أطراف الغرب الأقصى للاستيلاء والاستظهار، ويُنْضِعَ لِقَتِكَ كُلَّ مَكْبَرٍ جَبَّارٍ، وَيُرْصِعَ فِي سِلْكَه مَانَابِي وَصَعْبٌ مِنْ تِلْكَ الدِّيَارِ، وَيَرِيقُ لِنُسُكِهِ أَعْمَالاً مِنَ الْجِهَادِ وَالْإِجْتِهَادِ تُسَرُّ الحَفِظَةَ الأبرار، يَظْهَرُ فِيهَا لِبَرَكَةِ الإِسْمِ العَلَوِيِّ مِنْ تَشْرِعِ المَهْدِيِّ، وَقَهْرِ العِدَا، أَوْضَحُ الأَدِلَّةِ وَأَيِّنُ الآثَارِ، وَيُؤَثِّرُ سُلْطَانَنَا المَحْمَدِيَّ مِنْ عَلِيٍّ عَزَمَهُ، وَحِيٍّ حَزَمَهُ، بِأَعَزِّ الأَعْوَانِ وَالْأَنْصَارِ، فَتَظْفَرُ دَارُ الإِسْلَامِ مِنْ قَوْمِهِ بِمُهَاجِرِينَ مِنْ أبنَاءِ البِلَادِ يَقْرَهُ لِمِ بَأَمِّ القُرْبَى قَرَارًا، وَيَسِيرُ سِوَاهُمْ لِلبَيْتِ ذِي النَجْرِ وَالْمَجْرِ وَالْبَابِ وَالْمِيزَابِ وَالْمَلْتَرَمِ وَالْجِدَارِ وَالْأَسْتَارِ، بِإِسْلَامِ مُشْرِقِ الفُرُرِ، مُوقِنِ الجِبْرِ، وَثَنَاءٍ مَعَ رَبَّاهُ لَا يُعْبَأُ بِالعَبِيرِ مَعَ تَشْرِهِ وَلَا يُعْتَبَرُ، وَوِدَادِ عِثْقِي الجِبْرِ، وَأَعْتِدَادِ بَطُولِ مَنْهُ فِي السَّنَةِ الشُّكْرِ عَنْ إِحْصَائِهِ وَأَسْتِغْصَائِهِ قِصْرًا، وَإِبْرَادِ لِمَقَانِرِهِ الَّتِي سَارَتْ بِهَا الأَخْبَارِ وَالسَّيْرِ، وَأَعْتِقَادِ لِمَآزِرِهِ الَّتِي سَبَقَ عِثَابُهَا إِلَى إِحْرَازِ مَرَايَا الفَضْلِ وَجَاءَ عَلَيْهَا عَلَى الأَثَرِ .

أما بعد حمد الله الذي أمر أوليائه المؤمنين بالمُعَاوَنَةِ وَالْمُطَافِرَةِ، وَنَهَى عِبَادَهُ الصَّالِحِينَ عَنِ المِبَايِنَةِ وَالْمُنَافَرَةِ، وَرَعَى الحُجَّاجَ بَيْتَهُ حَرَمَةَ القَصْدِ وَكَتَبَ لِمِ أَجْرِ المِهَاجِرِ، وَدَعَا إِلَى حَرَمِهِ، مِنْ أَهْلِهِ مَنْ خَدَمَهُ، فَأَجَابَهُ بِالتَّلِييَةِ وَأَنَابَهُ وَأَجْرَهُ . وَالشَّهَادَةَ لَهُ بِالوَاحِدِيَّةِ الَّتِي تُسْعِدُ بِمِصَاحِبَةِ المِصَابِرِ، وَتُصْعِدُ إِلَى الدَّرَجَاتِ القَانِرِ . وَالصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدِ ذِي المَنَاقِبِ البَاهِرَةِ، وَالْمَوَاهِبِ الزَّائِرَةِ، وَالْمَرَاتِبِ الَّتِي مِنْهَا التَّبَوُّةُ وَالرَّسَالَةُ فِي الدُّنْيَا وَالوَسِيلَةُ وَالشَّفَاعَةُ فِي الآخِرَةِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ أَفْنَى اللهُ الشِّرْكَ بِصَوَارِمِهِمُ الحَاصِدَةَ وَأَذْنَى القَتْلَ بِعِزَاتِهِمُ الحَاضِرَةَ، صَلَاةً إِلَى مِظَانِ الرِّضْوَانِ مُتَوَاتِرِهِ، مَارِيحَتْ وَفُودُ مَكَّةَ البَرَكَةِ الوَافِرَةِ، وَوَسَّحَتْ لِقَاصِدِي الكَعْبَةِ البَيْتِ الحَرَامِ أَوْجُهُ القَبُولِ سَافِرِهِ .

فإنه ورد - أورد الله تعالى البشري على سمعه ، وأيد آهتاهم بتأليف شمل السعد  
 وجمعه - من جانبه المكرم ومعهده وربعه ، كآب كريم نسبه ، نعيم أدبه ، على منصبه ،  
 ملي إذا أخلف السحاب بما يهبه ، تبرى سرت إلى بيت الله وحرم رسوله  
 القريب قربه ، على يد رسوله : الشيخ الأمين الأزرقي ، الأورع الأثقي ، الخطيب  
 البليغ ، المدرس ، المنفيد أبي إسحاق ابن الشيخ الصالح أبي زيد ، عبد الرحمن بن  
 أبي يحيى ، تقع الله به ، وحاجبه الكبير المختار ، المرتضى ، الأعرز ، أبي زيان عريف  
 ابن الشيخ المرحوم أبي زكريا ، أيد الله تعالى ، وكاتبه الأجدد الأسعد أبي الفضل  
 ابن الفقيه المكرم أبي عبد الله ، بن أبي مدين ، وفقه الله تعالى وسدده ، ومن معهم  
 من الخاصة والعامة والفرسان المائلين في خدمة الجهة المصونة بلفها الله أربها ، وقيل  
 قرها ، الواصلة بركم المبارك الرواح والمعدى ، المعان على إكمال فرض الحج المؤدى ،  
 المرحولين بمجد المعفى كما حمد العبد ، ففضضنا خاتمه الذكى ، وأفضنا في حديث  
 شكره الزكى ، وعرضنا منه بحضرتنا رؤضا بانع الروض به محكي ، وحضضنا ثوابنا  
 على إعانة خاصة وفده وعامتهم على قضاء الشك بذلك الحرم المكى ، وتلمحنا فصوله  
 الميمونة فإذا هي مقصورات على منوبات محضه ، ورغبات تؤدى من الحج  
 قرضه ، وهبات يعامل بها من يضاعف أجره ويوفيه قرضه ، وقربات يجمد فاعلها  
 يوم قيام الأشهاد نشره وحشره وعرضه .

فأما ما ذكره من ورود الكتابين الواصلين إلى حضرته شحبة الشيخين الأجلين  
 « أبي محمد عبد الله بن صالح ، والحاج محمد بن أبي لحيان » وأنه أمضى حكمهما ،  
 وأجرى رسمهما ، فقد آثرنا للأجر حوزة ، وأخترنا بالشكر فوزه ، وقصدنا بهما تجديد  
 جلباب الوداد ، وتأكيده أسباب الولاء على العباد ، وإلا فمع وجود إنصافه الحقوق

من غاصبها تُستعاد ، والوُثُوقُ بِتَصْرِهِ لِلْمَظْلُومِ وَقَهْرِهِ لِلظَّالِمِ لَا يَخْتَلِفُ فِيهِ اعْتِقَادٌ ،  
وقد شكرنا لكم ذلك الاحتفال ، وأمرنا حمدكم في المحافل والمحال .

وأما مانعته مما أشرتم إليه مما يتعين له التقديم ، ويستحق توفيقه حقه من تكرير  
التكريم ، وهو تجهيز ركبكم المحروس في السرى والمقام ، في خدمة من يقوم مقام  
الوالدة المرحومة في الاحترام ؛ سقى الله صوب الرحمة صفيحها ، ورقي إلى العرفات  
روحها ، ومعها وجوه دولتكم الغز ، وأعيان مملكتكم من سُرَاة بنى صرير الذين تُبهِج  
صراييمهم ونسْر ، وما نهتم عليه من ارتفاع شانهم ، واجتماع فوسانهم ، واستيداع  
أمانتنا ففانس أنفسهم وأديانهم ؛ فقد استقبلناهم على بُعد بالإكرام ، وأحللناهم من  
القرب في أعلى مقام ، وصرفنا إلى تلقائهم وجه الإقبال والاهتمام ، وعرفنا حقهم  
أهل الإسلام ؛ ونشرنا لهم بينائنا الأعلام ، ونسّرنا لهم باعنائنا كل مرام ؛ وأمرنا  
بتسهيل طريقهم ، وتوصيل البر لفريقهم ؛ وأسدلنا الخلع على جميعهم ، واحتفلنا بهم  
في قدومهم ومقامهم وتسيبهم ؛ وأجزلنا لهم أقسام الإنعام في توجيههم ، وكذلك  
يكون في رجوعهم ؛ وعرضوا بين أيدينا ما أمحبتهم من الطرف والهدايا ، التي لا تحلها  
ظهور البحار فكيف ظهور المطايا ؛ من عقود منظمه ، وبرود مسهمه ، ومطارف  
معلمه ، ولطائف بالإمكان والإتيان معلمه ، وصنائع محكمه ، وبدائع للأفهام مفتحه ،  
وذخائر معظمه ، وضرائر للشموس في الكون والسّمه ، وبوآر تفرق بين الهام  
والأجسام والهام ملحمة ، وأخير بمقدار مهديها في الجلال مفهمه ، وخويل مسومه  
بالهلة مسرجه وبالتجوم مقجمه ، معودة يزال الأبطال معلمه ، ذوات صدور  
مبقورة وأكفال مسلمه ؛ نسحب من الحرير أذيالا ، وتصحب من الوشي سربالا ،  
وتميس بجلها وحلاها عجبا وأختيالا ، ويقيس مشبهها سرعتها بالبرق فلا يتغالي ،  
عائيات الأجسام ، عاليات كالات كأم ، لتفحوها صهيل يدعمر الأسود ، ولستايكها



وَقَعَ بِقَطْرِ الْجَلْمُودِ ، أَنْعَمَتِ الرُّؤُوسُ ، وَرُكِبَتْ مِنْهَا صَهْوَةٌ كُلُّ بَحْرِ سَابِحٍ حَيْثُ بُلُجٌ  
 الْمَوْتُ تَحَاضٍ ، وَفُرِنَتْ مَرَابِطُهَا بِحِمَايَةِ جِوَاهِرِ النُّفُوسِ مِنَ الْأَعْرَاضِ ، وَجَنِيْبِيَّةِ  
 تَجْرٍ مِنْ دُبُوقِهَا كُلِّ قَضَاضٍ ، وَحُسِبَتْ لِإِخْتِلَافِ سِيَّانِيَّتِهَا كَأَنَّهَا قَطَعَ الرِّيَاضُ : مِنْ  
 شَهَبٍ كَأَنَّهَا أَرْتَدَّتْ الْأَفَاحُ ، أَوْ غَدَّتْ رَافِلَةٌ فِي حُلِّ الْإِصْبَاحِ . وَدُهُمُ نَفَضَتْ  
 عَلَيْهَا اللَّيَالِي صَبِيغَهَا فَلَا بَرَّاحٍ ، وَرَبْعًا أُغْفِلَتْ مِنْ ذَلِكَ غُرُورًا وَأَوْضَاحٍ . وَكُنْتُ كَأَنَّهَا  
 قَطَعَ صُلْبَ الْبَيْطَاحِ ، تَطِيرُ إِلَى الظَّفَرِ بِيَعْنَاحٍ . وَحَمْرُ كَأَنَّهَا خُلِقَتْ لِلنَّجَاحِ ، وَأُطْلِقَتْ  
 أَعْيُنُهَا فَقَالَتْ أَلَيْسَنِيَّةُ أَسْتَبْهَا لِلطَّرَائِدِ : لِأَبْرَاحٍ . وَخَضِرُ كَأَنَّهَا الْبُرْهَةُ الْمَوْشَاةُ الْمَوْشَاحِ ،  
 أَوْ مَشِيْبٌ فِي الشَّيَابِ قَدْ لَاحَ . وَشُقْرُ تَكْبُو فِي طَلَبِهَا الرِّيحَ ، وَتَجْبُو نَارُ الْبَرِّقِ إِذَا  
 أَمْسَى بِسَنًا سَنَابِكُهَا أَقْبِدَاحٍ .

ووراءها العيال ، التي تعمل الأتقال ، ولا تزال في الأحوال بحال ، وعليها الزناريات  
 الموشعة ، وحليها الخلال الملمعة ، وهي تسمى رويدا ، وتبدي قوة وأيدا ، كان  
 قدامتها قناه عبدا (؟) وهي وافرة الأمداد . فاحرة على الحيات ، باهرة العدد متكاثرة  
 الأعداد ، راسخات القوائم كأنها أطواد ، شامخات الرؤوس حاليات الأجياد ، باذخات  
 الأكفال غلاظ شداد . وسارت لها إلى رحابنا أنقياد . وصارت من تحل إسماع  
 إلى مواطن إصعاد ، فتقبلنا أجناسها وأنواعها ، وتاملنا غرائبها وإبداعاتها ، وجملنا  
 يوما أو بعض يوم في حوزينا إيداعاتها ، ثم استصفينا منها غنائس آثرنا إليها إرجاعاتها ،  
 وفرقتنا في اولياتنا أجماعاتها ، وقسمنا مشاعها ، وغنمنا لما أفاء الله صفناياها ومرباعاتها ،  
 فتوالت لكل ولي منها منح ، وسارت إلى كل صفي منها ملح ، وقالت الأليسة  
 وطالت في ووصف ما عليه به فتح ، فاستبان ووضح ، وكان لأهل الإيمان بنعته  
 أعظم هناء وأكبر فرح .

(١) من جملة معاني الفتح الماء الجاري على وجه الأرض شبهها في جريها بظلم الجاري على البطحاء الصلبة تأمل .

وسطرناها وركبكم المبارك قد رامت السرى نجائبهم ، وأمت أم القرى ركائبهم ،  
يسارهم الأمن ويصاحبهم ، ويظاهرمهم الثمن ويواطبهم ، فقد أعدت لهم المير في جميع  
المنازل ، وشدت لهم الهجان البوازل ، وأترعت لهم الموارد والمناهل ، وأمرعت  
لهم بالميرة القفار والمراحل ، ووكلت بهم الحفظة في المَخَافِيفِ ونصبت لهم الأدلة  
في المجال ، وجرّد معهم الفرسان ، وجدد لهم الإحسان ، وأكّد لهم حسان حق  
مرسلهم وحق الإيمان ، وقد درك حياتهم أمراء العرّاب ، وشوهد من تعظيمنا  
لهم ما يتحسدهم عليه ملوك الزمان بكلّ مكان ، وكتبنا على أيديهم إلى أمراء الأشراف  
بالتهوض في خدمتهم والوقوف ، وأن يحيط بهم كلّ مقدّم طائفة ويَطُوف ،  
يتسامهم زعيم من زعيم ، إلى أن تُحط رحالهم بالحطيم ، ويحلّ كلّ منهم بالمقام ويقيم ،  
وتحلّ مناسكهم بشهود الموقف العظيم .

وكذلك كتبنا إلى أمراء المدينة المشرّفة ، أن نتلقّى بالقبول الحسن مُصحفَه ، ونجعله  
بين الروضة والمِنبر ، ونجعله فقد ريج سعى كاتبه وبرّ ، وكتبت له بعدد حروفه أجور  
توفر ، ويمكن من يرق لتلاوته في الأصايل والبكر ، ويهيمن على ذلك فإنه من بيت  
هم الملائك الأعلى وعندهم وفيهم جاءت الآيات والسور .

وعما قليل يتمّ حجهم وأعتابهم ، ويؤمّ طيبة الطيبة العاطرة زوارهم ، فيكرم  
جوارهم ويعظم نغارهم ، وتتمّ بإشراق تلك الأنوار بصائرهم وأبصارهم ، وتفوح  
أرواح نجد من تيابهم ، وتلوح أنوار القبول على شبيهم وشبابهم ، ثم يعودون إلينا  
فنعيد لهم الصلّات ، ونفيد كلاً منهم ديمّ النعم المرسلات ، ثم يصدّرون إن شاء الله  
إليكم ركائبهم بالمنامح مثقلات ، ومطالبيهم بالمنامح مكّلات ، ويظفرون من الله  
في الدارين بقسم النعم أنجزلات حتى يلقوا برحابكم عصا التسيار ، وبصونوا حرّ  
وجوههم بالصبر على حرّ الحجير [من] لفتح النار ، ويذخروا بما أنفقوا عند الله من

دَرَاهِمَ وَدِينَارًا، أَجْرًا بَحًّا وَمَاعِنَدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَقْرَبُهُ مِنْ تِلْكَ الْمَوَاطِنِ،  
وَيُدْنِيهِ مِنْهَا بِالظَّاهِرِ وَإِنْ كَانَ يَسْتَرِي إِلَيْهَا بِالْبَاطِنِ، وَيَسْهَلُ لَهُ [أَذُلَّ الْحَرَمِ، وَإِنْ كَانَ  
قَدْ أَمَانَ الْقَاطِنَ وَالْقَادِمَ، حَتَّى تَحُلَّ رِكَابُهُ بَيْنَ الْمُرَوِّتَيْنِ وَتَجْزِي، وَيَكُونُ لَهُ بِذَلِكَ  
عَلَى مُلُوكِ الْعَرَبِ تَمِيِزٌ، وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ.

لَا زَالَتْ مَقْبُولَةٌ عَلَى الْمَدِينِ هَدَايَاهُ . مَجْبُولَةٌ عَلَى النَّدَى تَجَايَاهُ، مَدْلُولَةٌ عَلَى انْهَدَى  
قَضَايَاهُ، مَنْصُورَةٌ عَلَى الْعِدَا سَرَايَاهُ، مَبْرُورَةٌ أَبَدًا تَحَايَاهُ . وَالسَّلَامُ الْأَمُّ الَّذِي يَعْبَقُ  
رَبَّاهُ، وَالنِّسَاءُ الْأَعْمُ الْمَشْرِقُ مَحْيَاهُ، عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، وَالْخَيْرُ يَكُونُ، إِنْ شَاءَ  
اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه نسخة جواب الكتاب الوارد على الملك الناصر « محمد بن قلاوون » من  
أبي الحسن علي المريني ، صاحب فاس المغرب ، بالبشارة بفتح بحاية ،  
والانتصار على تلبسان .

وَأَسْتَفْتَاخُهُ بَعْدَ الْبِسْمَلَةِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ فَيَنْصُرْكُمْ  
وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ وَأَصْلُ أَعْمَالِهِمْ ﴾ .

ثم المكتوبة المعهودة : من ألقاب الملوك ، والدعاء . والصدر :

قَهَرَ اللَّهُ بِبَأْسِهِ مَنْ نَاوَاهُ مِنْ أَعْمَةِ الْكُفْرِ وَطُغْيَانِهِ ، وَنَصَرَهُ عَلَى مَنْ لَاقَاهُ مِنْ حَرْبِ  
الشَّيْطَانِ وَحَايِهِ . وَنَشَرَ أَعْلَامَهُ بِالظَّفَرِ بَيْنَ خَائِفِهِ مِنْ عُدَاةِ اللَّهِ وَعُدَاتِهِ ، وَأَجْرَاهُ مِنْ  
بَلُوغِ الْوَطْرِ فِي سُكُونِهِ وَحَرَكَاتِهِ ، عَلَى أَجْلِ أَوْضَاعِهِ وَأَكْلِ عَادَاتِهِ . وَيُسْرِلُهُ بِدَوَامِ  
سُعُودِهِ فَتَحَّ مَا اسْتَعْلَقَ مِنْ مَعَاوِلِ الْخَائِدِينَ عَنْ مَرْضَاتِهِ . وَلَا زَالَتْ رِكَابُ الْبَشَائِرِ  
عَنْ تَسْرِي وَإِلَيْهِ مِنْ تِلْقَانَا تَسِيرٍ ، وَمَصِيرُ الظَّفَرِ حَيْثُ بَصِيرٍ ، وَيُدَوِّرُ الْفَلَكَ  
الْمُسْتَدِيرَ ، بِسَعْدِهِ الْأَثِيلِ الْأَثِيرِ . وَيُنَوِّرُ الْخَلْقَ بِضَوْءِ جَبِينِهِ الَّذِي يَهْتَدِي بِهِ الضَّالُّ

وَلَجَأَ إِلَيْهِ الْمُسْتَجِيرَ ، وَتَغَوَّرَ أَعْيُنُ الْعِدَا إِنْ عَاطَبُوا بِحَفْلِهِ الْحَرَارَ وَنَاهَدُوا جَيْشَهُ الْمِيرَ . بِجَحِيَّةٍ تَحْكِي اللَّطَائِمُ عَرَفَهَا الشَّمِيمَ ، وَتَوَدَّ الْجَائِمُ لَوْ تَفَتَّقَتْ عَنْ مِثْلِ مَالِهَا مِنْ نَضَارَةٍ أَوْ تَسْنِيمَ ، وَيُودِعُ عِتْدُ الْحَوَزَاءُ لَوْ آتَنَطَمَ فِي عِقْدِهَا النَّصِيدَ النَّظِيمَ .

وكيف لا وهي نعيمة صادرة عن مقام شريف إلى روضة غناء تُرْزَى بالنبئت العميم ، واردة من محل عظيم ، على محيا وسم ، منظوية على الأرض من سلامة والملوك الإسلام من سلام سليم ، وطرفة تُشْرُها كالمسك الذي يَبْنِي أن يَحْتَمَّ به هذا الكتاب ، وثناء يستفز الألباب ، ويستقر في حبات قلوب الأحاب ، ويستندر أخلاف الوديين المتعابين في الله فلا غرو أن دخلت عليهم ملائكة النصر من كل باب . يتسابقان إلى ذلك الحميد الأسنى في أسعد مضمار ، ويتساوقان بيمار قصبات السبق إلى تلك العُصبة المشرقة الأنوار ، ويزداد فيهما بالوفود عليه طيبا ، ويغدو عود الود بهما رطيبا ، حيث الرِّيح مريع ، والمهيع مبيع ، والعزم مجدد والقدر مطيع ، وشمع الكرم تزه ، ورياض الفضل مُحَضَّره ، وعساكر النصر محل نحوه من المحرّه ، حيث تستمر الحرب ، وتستجر الضرب ، وتشرق شمس المشرفيات لامعه .

أما بعد حمد الله مظهر دينه على كل دين ، ومظهر أرجاء البسيطة من الماردين المارقين ، ومجرد سيف النصر على الجاحدين الجائدين ، وموهن كيد الكافرين ، ومجزل أجر الصابرين ، ومُنَجِّز وعد من بشرهم في كتابه المبين بقوله : ( رَبِّ اَللّٰهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ) .

(١) هي أوعية المسك أو أسوانها واحدها لطيمة وفي الأصل اللطائم وهي تصفيف .

(٢) رياض بالأصل وتعلمه على ملء الأرض .

(٣) رياض في الأصل يسير .

الذى عصم حى الإسلام بكل ملك قاهر ، وقصم عرى الشرك بكل سلطان  
 غدا على عدو الله وعدوه بالحق ظاهر ، وقصم كل فاجر بهابة أمة الهدى الذين  
 مانهم إلا من هو للحاسن ناظم ولقصم العدا ناثر ؛ ناشر علم الإيمان بحجة الامصار ،  
 وناصر علم الإسلام بملوك الأقطار ، وجاعل كلمته العليا وكلمة الذين كفروا  
 السفلى ، لا حرم أن لهم النار ، جامع قلوب أهل الإيمان على إعلاء علم الدين الحنيف  
 وإن بعدت بينهم شقة النوى وسط المرار .

والمصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى أرسله الله رحمة للعالمين ونعمة على  
 الكفار ؛ ونصره بالرعب سيرة شهرو بالملائكة الكرام فى إيراد كل أمر وإصدار ؛  
 وألان بيأسه صليب الصلبوت وأهان بالشنكيس عبدة الأصنام ومدنة النار ، وأيده  
 بالأنصار ؛ وأصحاب وأنصار ، وجنود تهون تقع النار ؛ وأتباع ما أظلم خطب  
 إلا أجاثوا سيوفهم فبدأ نجم الظفر فى سماء الإيمان وأثار ، وأمة ظاهرة على من  
 ناواها ، ظافرة بمن عاداها ، ماتعاقب الليل والنهار ، صلاة وتسلية يدومان بدوام  
 العشي والإبكار .

فقد ورد علينا كتاب محتوم بالتكريم ، محتوم بالتبجيل والتقديم ؛ محتوم على وصف  
 فضل الله العظيم ، ونصره العظيم ، ومنه الحسيم ؛ فأكرمنا نزلته ، ونشرنا حلاله ؛  
 وتفهمنا نفاصيله وحمله ؛ فتمنا بوضوئه ، وتأملنا محاميل النصر العزيز من فضوله ؛  
 ووجدناه قد أشتمل من سعادة مرسله على أنواع ، ومن وصف تعداد نصرته على  
 عون من الله ومن عين الله فهو المنصور المطاع .

فأما ما ذكره المقام العالى من أمر الوالدة المقدس صفيحها ، المغفور بالرحمة  
 نصرحتها ؛ وما كانت عزمت عليه من قصد مبرور ؛ وتجارة إن تبور ، وأم إلى البيت

الآمين والحرم المعمور، وما فاجأها من الأجل، وعاجلها من أمر الله عز وجل؛  
فالمقام أجزل الله نوابه يتحقق أن النبوة في الأجور أبلغ من العمل، وأنه من أجاب  
داعية الجاهم فلا تقصير في فعله ولا خلل؛ والله نسأل أن يكتب لها ما نوتته من  
خير، وأن يطيف روحها الزكية بيته المعمور في جنات عدن كما أطاف أرواح  
الشهداء في حواصل ذلك الطير.

وكأن نود أن لو قدمت لبتلقاها منّا زائد الإكرام، ويؤا في مصاربتها وأقد الاحتفال  
والإهتمام؛ ونستجلب دعواتها الخالصة الصالحة، وتظفر هي من مشاهدته الحرم  
المعظم والمثوى المكرم والبيت المقدس بالصفحة الرابعة. على أنه من ورد من تلقائكم  
قائلاً من جملة الوفاة بما به يليق، وتقدمنا بمعاملته بما هو به حقيق، ويسرنا  
له السبيل وهديناه الطريق، وأبلغناه في حرز السلامة مع ركننا الشريف أملة من  
قضاء المناسك والتطواف بالبيت العتيق.

وأما ما أشار إليه من أمر من كان «بتلمسان» وأنه ممن لا يعرف مواقع الإحسان،  
وما وصفه المقام العالي من أحوال ليس الخبر فيها كالعيان، وأنه اعتدى على من  
يتاحه من الملوك، وخرج عن القصد فيما اعتمده من ذلك السلوك، حتى أن ملك  
تونس أرسل إلى المقام أبته ووزيره، وسأله أن يكون ظهيرة على الحق ونصيره،  
وأن المقام العالي أرسل إلى ذلك الشخص منكرًا اعتاده، طالبًا إصلاحه  
لا لإفساده؛ راجيًا أن يكون ممن تنفعه الذكرى، ظانًا أنه ممن يابى أن يقال له:  
(لقد جئت شيئًا نكرًا) وأنه بعد ذلك تمادى على غيبه، وأراد أن يدوق طعم  
الموت في حبه؛ وأبى الظالم إلا تقورا، وذكر الملك عنه أنه قتل أباه بعد أن آناه الله  
به نعمة وملكا كبيرا. وأن المقام العالي آناه نبأ عن أخيه المقيم بسجلماسة، وخبر  
صديق أوجب أن يعامل بما يليق بجميل السياسة وحرز الحراسه؛ فبغثد المقام له

جنودا ، وعقد بنودا ، وأضرى أسودا او هنت كيد ، وأذهبت أيد ، وعاجلت صيده ، وأذالت باسه ، وأزالت عنه سيما الملك ونزعت لباسه . وأنه في غضون ذلك أتاه سلطان الأندلس يستصرخ به على عدو الله وعدو المؤمنين ، ويستعديه على الكفرة المعتدين . وأنَّ المقام لِي دعوته مسرعا ، وأكرم نُزله مُمرعا ، ووعدّه الجميل ، وحقق له التاميل . وأن صاحب تلمسان لما غرّه الإمهال ، وظن هذه المهام توجب للمقام بعض اشتغال ، أعمل أطاعه في التجري على بعض ممالكة المحروسة ومدّ ، وسار إلى محلّ هو بينهما كالحذ . وأنَّ المقام عند ذلك صرف اليه وجه العزم ، وأخذ في حفظ شأنه بما لأعلام النصر من نصيب وما للإعتداء من رقع وما للاهتمام من حزم . وأنه لم يقدر عليه إلا بعد أن حذره من أليم العقاب خلولا ، وتمسك فيه بقوله تعالى : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى تَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [ولمَّا] لم ينفعه الإنذار ، وأبى إلا المداومة والإصرار ، أرسل إليه المقام العالى من جيشه الخضم ، وعسكره الذى طألكا تُعضده ملائكة السماء وإلى أعداده تشتم ، كل باسل يقوم مقام الكتية ، وكلّ مُشاهد يشاهد منه في العرين كلّ غريبه ، وكلّ ضُرغام تعرف العدا مواقع ضربه لكنها تجهل نده أو ضريبه ، فأذاقوه كأس الحام صرفا ، ولم يتفوا عن حماه بدون نفسه عدلا ولا صرفا ، إلى أن أخذوه في جماعة من بنى أبيه ، وشردمة قليلة ممن كانت تحالصة في الشدائد وتوافيه ، وأن المقام العالى بعد ذلك سير مطارف العدل في الرعيه ، وأقر أحوالهم في عدم التعرض إلى الأموال والذرية ، على ما هو المسنون في قتال البغاة من الأمور الشرعيه . وفهنا جميع ما شرحه في هذا الفصل ، وما أخبر به من هذا الطفر الذى أبيض به وجه الفتح وإن كان قد أحتربه صدر النصل ، والله تعالى يزيد ملكه رقيبا ، ويحزبه لقبول النعم لقيبا ، ويجعله دائما

(١) في الأصل "فتم ينفعه" بدون لما .

كوضفه مطلقاً، وكأجمه علياً . وأن المقام العالى لما فرغ وجهه من هذه الوجهة ،  
وحاز هذا الملك الذى لم يحز أبأوه كمنه ، عاد إلى المهم الذى قدم فيه سلطان  
الإنديس لأنه ابدى ما المساهون فيه من محاوره الأذى ، ومحاوره العدا ، وقرب  
المسافة بين هذين العدوین كالشجاً . وفى عيونهم كالقذى . وأنه توى به من الطغاة  
من أسدل على المسلمين أريدية الردى . وأنه على جانب البحر المعروف بالرفاق ، وبه  
قطانٌ يمتعون الإرفاد والإرفاق ، ويصدون عن السبيل من قصد سلوكه من الرفاق .  
وأن البر أيضاً مملوء منهم بصقور صائده ، وعلوج مكابده ، وكفار معانده ، وقجار على  
السوء متعاضده ، والبحر مشحونٌ بغربان طائرة بأجنحة القلوع طارده ، صادرة  
بالموت وارده ، جارية فى قلبك البحر كالأعلام إلا أنها بالإعلام بالخبر شاهده ، تختطف  
كل أم وقاصد ، وتتمعد لأهل الإيمان بالمرأصد ، وتؤدى الموت الأحمر ، ممن ركب  
البحر الأخضر ، وتمتع السالك ، إلا أن يكون من أهل الضلال الخالك ، من  
بنى الأصفر .

وأن المقام العالى عند ذلك قام لله وظار ، وأتجد جنوده فى طلب النار من أهل  
النار وأغار ، وأتجد قاصد حرمه بيوعت كرمه وأعار ، وأرسل عقبان قرسانه محلقة  
إلى ذلك الجبل الشاخ الثرى وأطار ، إلى أن احاطت بهم جنوده إحاطة الآساد  
بالفرائس لإحاطة الهالات بالأقمار ، فسا منهم إلا من أعمل على العدا رحن السنون  
وإدار ، وسار وناعى البين يقدمه إلى أين سار ، وقدم عليهم ولده الميمون النقيبه ،  
المنوح غربة من مواقع النصر بكل غريبه ، الجارى على سنن آباءه الكرام ، المظفر  
أتى سرى المدوح حيث أقام . وأنه مرق جوعهم الكثيفه ، وهدم معاقلمه المنيفه ،  
وأستدنى منهم القاصى ، وأستزل العاصى ، وأخذ بالأقدام والنواصي ، وأصل العذاب  
والنكال ، بمن يستحقه من أهل الإلحاد والمعاصى ، وقرن بين الأرواح والآجال ،



وأذكركم بهذا النصر أيام ابن نصر وأعاد ، وأثبت لهذا الجبل حقيقة أسم المدح ،  
وأسفرت في صحائف فعله المقام إلى آخر هذا المنح .

وعلمنا أيضا ما اعتمده الطاغى المعتال لعنه الله من الحضور بنفسه ، وجمعه  
الملحدين من أبناء خدمته والمبارقين من جنسه . وأنه أعظم هذا الأمر وأكبر ،  
وأبدئ الزفير لهذا المصاب وأظهر ، وأقسم بمعبوده المصنوع وصليبه المكسرا ، أن لا يعود  
إلا بعد أن يظفر بما سلبه الحق إياه وتبصر ؛ فإبى الله والمؤمنون أن تكون التوبة  
إلا خائبة ، وقضت سعادة الإسلام أن تكون الأيام لما عقده من الطوية الردية  
ناكبه ، فلما طال عليه الأمد وحان الحين ، عاد صفر اليمين ولكن بفتح حنين ؛  
ناكصا على عقبيه . خاسئا لسوء منقلبته ، وأسرع إلى مقر طاعوته سرى وسيرا ،  
ولو كان من ذوى الألباب لتعقل في أمر قول الله تعالى : ﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا  
بِعَيْتِهِمْ لَمْ يَأْتُوا خَيْرًا ﴾ . وأن المقام العالى أزمه بعد ذلك ما كان على أهل  
«أغرىناطة» له في كل عام موظفا . ووضع عنهم إضرما يرح كالأسر مجحفا .

وهذه عزة إسلامية جدد الله على يد المقام بذلك الفطر صدورها ، وسطر  
في صحائف حسناته أجورها ، وأبقى له مذخورها ؛ وأعد لها ليوم تجد فيه كل نفس  
ما عملت من خير محضرا إذا شاهدت عرضها ونشرها . ومنة من الله أربت على العدا ،  
وتجاوزت الحد . ومزية لا تطمح الآمال إلى مئها في جانبها ولا تمتد ، ورب جد  
يلحق بها الولد الناجم في سماء المعاني رب الكرام من أب له وجد . والله يجعله مظفرا  
على العدا ، منصورا على من حاد عن سواء السبيل وأعدى ؛ مستحقا لحسين  
الأخبار على قرب المدة وبعد العدى .

وقد كان أخونا أمير المسلمين ، وسلطان الموحدين ، والدك الشهيد قدس الله  
سره ، ويؤاه دار النعيم وبها أقره ؛ في كل آونة يُحبرنا بمثل هذا الفتح ، ويذكر لنا

ماناله من جَزِيلِ المنح ؛ (فهذه شِفْثَةٌ تُعْرِفُهَا من أنْحَزَم) ، وَسَنَّةٌ سَلَكَ فِيهَا السَّبِيلُ الصَّائِدُ  
 سَنَنَ ذَلِكَ الصَّيِّمِ الأعْظَمِ ، وَنَحْنُ نَحْمَدُ اللَّهَ الَّذِي أَقَامَ المَقَامَ مَقَامَ أَبِيهِ لِنُصْرَةِ الإسلامِ  
 وَأَبِي ، وَصَدَّقَ بِمَا تُثْبِتُهُ من حُسْنِ أَعْمَالِكَ وَسَعِيدِ آرَائِكَ أَنَّكَ أَبُو الحُسَيْنِ وَأَنَّ  
 أَبَاكَ أَبُو سَعِيدٍ حَقًّا .

وحيثُ سَلَكَ المَقَامُ سَنَنَ والدهِ الشَّهِيدِ ، وَأَتَّخَفْنَا من أُنْبَاءِهِ بِكُلِّ جَدِيدٍ ، وَقَصَّ عَلَيْنَا  
 أَحَادِيثَ ذَلِكَ الجَانِبِ القَرْبِيِّ المَشْرِقِ بِنُورِهِ ، وَنَصَّ مُتَجَدِّدَاتِهِ مَفْصَلَةً حَتَّى صِرْنَا  
 كَأَنَّنا مُشَاهِدُونَ لِذَلِكَ النُّصْرِ وَمَوَاقِعِ آثَارِهِ ، فَقَضَى الوُدَّ أَنْ تُخَفِّفَهُ من أَحَادِيثِ جَيْشِنَا  
 الَّذِي أَشْرَقَتْ لَمَعَاتُ سُووفِهِ فِي الشَّرْقِ الأعلى بِمَا يُسَنَّفُ سَمْعَهُ ، وَيُسْرَ مَعْنَى الإسلامِ  
 وَجَمْعَهُ ، وَمَوْجِئَتَهُ وَرَبْعَهُ : لِيَتَحَقَّقَ أَنَّ نَعْمَ اللهُ لِكُلِّ مَنْ قَامَ بِتَشْيِيدِ هَذَا الدِّينِ  
 المَحْمُودِيِّ عَامَّةً ، وَمِنَّةً لِذِيهِم تَامَةً ، وَالطَّائِفَةَ بِهِمْ حَافَةً ، وَمُنَاصَرَةً لِیَدِ سُلْطَانِ الإسلامِ  
 فِي أَعْنَاقِ العِدَا مُطْلَقَةً وَلَا تُكْفَى أَهْلِي الشِّرْكَ كَافَةً ، ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ .

فَمَا يُبْدِيهِ لِعَلْمِهِ ، وَيُهْدِيهِ لِسَعِيدِ قَهْمِهِ ، أَنَّ من جَمَلَةٍ من يَجِلُّ لِأَبْوَابِنَا الشَّرِيفَةِ  
 من مَلُوكِ الكُفْرِ القَطِيعَةِ فِي كُلِّ عَامٍ ، وَرَى أَنَّ ذَلِكَ من جَمَلَةِ الإِفْضَالِ عَلَيْهِ  
 وَالإِنْعَامِ ، مِمَّا تَمَلَّكَ سِيسَ ، الَّذِي هُوَ فِي مِلَّةٍ من سَاكِنِي البَرِّ كَالرَّيْسِ ، وَبَيْنَ بَطَارِقَتِهِ  
 وَطَفَاتِهِ كَالكَنْدِ الأعْظَمِ أَوْ كَالقَدِيسِ النِّفِيسِ ، وَعَلَيْهِ مع ذَلِكَ لِأَبْوَابِنَا الشَّرِيفَةِ من  
 القِنَاطِيرِ المَقْنُظَةِ من الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ وَالحَلِيلِ المُسَوِّمَةِ مَا لَا يَجِدُ عَنْهُ وَلَا يَجِيسُ ،  
 وَمَرَّتَبٌ لَا يَقْبَلُ التَّنْقِيسَ وَلَا يَسْمَحُ لِحَنَاقِهِ بِتَنْفِيسٍ ، تَجَلُّهُ نُوَابِهِ إِلَى أَبْوَابِنَا الشَّرِيفَةِ  
 عَنِ يَدِ وَهْمِ صَاغِرُونَ ، وَيَقُومُونَ بِهِ عَلَى قَدَمِ العُبُودِيَّةِ وَهَمِ ضَارِعُونَ .

وَمَا كَانَ فِي العَامِ المَاضِي سُوْفٌ بِبَعْضِهِ وَأَشْرُ ، وَدَافَعَ عِنْدَ إِبَائِهِ وَقَصَّرَ ، وَسَالَ  
 مَرَّاحَتَنَا فِي تَنْقِيسِ بَعْضِ ذَلِكَ المُقَرَّرِ ، وَأَرْسَلَ ضَرَاغَاتِهِ إِلَى نُوَابِنَا بِالمَالِكِ الشَّامِيَةِ

في هذا المعنى وكرر، وقدّر في نفسه المداوغة وأسرّ خسراً في ارتعا (٩) والله أعلم بما  
قدّر، فاقْتَصَتْ آرَأُوثًا الشريفة أن تُرْسِلَ إليه بعثاً يذلل قياده ، وَيُنَكِّسُ صَعَادَهُ ،  
ويَحْرَبُ يِلَادَهُ ، ويوطئ أطواده . ويوهن عياده . ويذهب قساده . ويُفَرِّقُ  
أجناده ، ويمزق أنجاده ، ويقتل أعداده ، ويُقَلِّلُ جموعه . ويُذَكِّدُ رُبوَّه ،  
ويُدْرِي على ملكه دُموعه . ويُدْرِي خُصُوعَه ، ويُفَصِّلُ تلك الأبدان التي هي  
للطُّغْيَانِ مجموعَه . فَأَهْضَمْنَا إليه من الأبطال كُلَّ بِسَلٍ . وأَهْدَأْنَا إليه منهم  
كُلَّ ضِرْغَامٍ خَادِرٍ يُظَنُّ الجاهل أنه مُنْكَاسِلٌ ، وَأَشْهَدْنَا حَرَبَهُ كُلَّ مُؤْمِنٍ يرى الشهادة  
مَعْتَبَةً ، والتخلف مأثَمًا ، والتباطؤ مفرمًا ، والعُدْرَ في هذا المِهمَّ أمرًا محرّمًا . وبعدُ  
الرُّكُوبَ إلى هذا السَّفَرِ قُربَه . والرُّكُوبَ إلى وَطَنِهِ غُربَه ، ويرغَبُ فيما وعد الله به  
جَيْشَه المنصورَ وحِزْبَه ، ويربُّا بنفسه أن يكون من الخالفين حِبًّا لها وتكريمًا ،  
ويبادرُ إلى ما أَمَرَ به رغبةً في قوله تعالى : ﴿ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ  
أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ . على صفات جِيَادٍ : ليس لها غير الطَّيْرِ في سرعة المَرَامِ أصداد ،  
وعاديَاتٍ عاديَاتٍ على أهل العناد ، وضاحيات ذابحات لَدَوِي الفساد ، ومُفِيرَاتٍ  
طالَمَا أسْفَرَ ضِحْجُهَا عن النَّجَاح ، ومثيرَاتٍ تَفْعُ يتبَلَّجُ غيِبُهَا عن تحقُّق النَّجَاح وإزالة  
الجَنَاح . وصَوَاهِلُ عِرَابٍ ، كَمَ للفضل بها من كُفُونٍ وللوت اقْتِرَابٍ ، وَأَصَابِلُ خَيْلٍ ،  
تُحْبِلُ لراكبها أنها أجزى من الرياح وأسرى من الليل ، قد عَقِدَ الخَيْرُ بِنَوَاصِيهَا ، وعُمِدَ  
النَّصْرُ من أَعْرَافِهَا وَصِيَاصِيهَا ، وتَسَمَّ رَاكِبُهَا لِدِرْوَةِ العِزِّ من ظُهُورِهَا ، واحتَوُوا  
على الكبير الأعلَى من نُصْرَتِهَا على العدا وظهورِهَا ، سَيُوفُ تَبَدُّدِ الأوهام ، وتُرْبِلُ  
الإيهام ، وتَقْدُ الحَافِمَ ، وتُدْنِي الموتَ الرُّؤْمَ ، وتُظَهِّرُ بِمِآمِنِهَا تَجَسُّ الشُّرْكَ ودَنَسَه ،  
وتَقْرَعُ أجسادَهُم فَنَمُودُوا كُلُّهَا عِيونًا وليكن بالدماء مُبْجِيسَه ، قد تَسْرِبِلُ كُلَّ منهم  
من الإيْمانِ دِرْعًا حَصِينًا ، وَأَتَّخِذُ لِنَفْسِهِ جُنَّةً ولكن من الذهب والإسْبَرِقُ ليكون

لفضل الله مُظهِراً وإِحْسَاناً مُبِيناً، وَاتَّخَذَ لِمَهَامِ الْقِيَمَى لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ الْإِنْسَانَ الْحَدَادَ،  
وَمَدَّ يَدَ الْمُظَاهِرَةِ بِيَضِ قِصَارٍ وَسُمُرٍ صَعَادَ .

فَلَمَّا جَاسُوا خِلَالَ تِلْكَ الدِّيَارِ ، وَمَاسُوا بِرِقْلُونٍ فِي حُلَلِ الْإِيمَانِ الَّتِي تَشْفِي  
صُدُورَهُمْ مَوْمِنِينَ وَتَغِيظُ الْكُفَّارَ، لَمْ يَسْلُكُوا شِعْباً إِلَّا سَلَكَ شَيْطَانُ الْكُفْرِ شِعْباً  
سِوَاهُ ، وَلَا وِطِنُوا مَوْطِئاً إِلَّا وَكَلَّ كَافِرٌ بِأَبَاهُ ، وَلَا نَالُوا مِنْ عَدُوِّ نَيْلًا إِلَّا كَتَبَ لَهُمْ  
بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ كَمَا وَعَدَهُمُ اللَّهُ ؛ وَمَا أَتَوْا لَهُمْ عَلَى ضَرْعٍ حَافِلٍ إِلَّا جَفَّ ، وَلَا مَرَوْا  
عَلَى زَرْعٍ حَافِلٍ إِلَّا أَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيحُ أَوْ حَطِيئاً تَكْفِيهِه الكَفَّ ؛ وَلَا هَشِيمٍ  
إِلَّا حَرَّقُوهُ ، وَلَا جَمْعٍ إِلَّا فَرَّقُوهُ ، وَلَا قَطِيعَ شَاءٍ إِلَّا قَطَّعُوهُ وَمَزَّقُوهُ ، وَلَا ضَائِرٍ إِلَّا ضَمُّوا  
عَلَيْهِ أَنْ يَدْعُوهُ لَهُمْ أَوْ يُطْلِقُوهُ ، وَمَا بَرِحُوا كَذَلِكَ إِلَى أَنْ نَازَلُوا الْبَلَدَ الْمَسْمُومَ بِأَيَّاسَ ،  
فَحَصَلَ لِأَهْلِيهِ مِنْ مَسْأَمِ الْأَشْتَقَاقِ الْأَصْغَرِ وَالْأَشْتَقَاقِ الْأَكْبَرِ بَقِيعُ الْأَمَلِ مِنْهُ  
وَأَتَّصَلَ الْإِيَّاسَ ؛ فَتَدَاهَمَ مِنْ ذَلِكَ الْحِصْنِ مِنْ أَسَارِي الْمَوْمِنِينَ :

بِارْحَمَةِ اللَّهِ حُلِّي فِي مَنَازِلِنَا \* حَسْبِي بِرَأْمِحَةِ الْفِرْدَوْسِ مِنْ فَيْكِ

وَيَاتَمَّرَ اللَّهُ أَنْشُرَ بِالظُّقْرِ رَايَاتٍ مُوَاجِهِنَا وَمَنَازِلِنَا فِطَالَمَا كُنَّا قَوْمَكَ وَنَزَجِيكَ ؛  
وَبِإِخْتِلَاقِ اللَّهِ أَرْكَبِي ، وَبِإِخْتِلَاقِ الْكُفَّارِ أَذْهَبِي ، وَبِإِجْتِنَادِ إِبْلِيسِ أَرْهَبِي ، مِنْ جُنْدِ اللَّهِ  
الْفَالِيينَ ؛ وَأَنْ وَجَدْتِ مَنَاصِبًا فَانْفِرِي ، وَبِأَمَامِ لِلْإِسْلَامِ مِنْ جُنُودِ وَأَنْصَارِ ، قَاتِلُوا  
الَّذِينَ يُلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ .

وَكَانَتْ مَوَافَاةً عَسْكَرِنَا الْمَنْصُورِ إِلَيْهِمْ عِنْدَ الْإِسْفَارِ ، فَلَمْ يَمْلِكُوا الْفِرَارَ ، وَلَا اسْتِطَاعُوا  
الْفِرَارَ ، وَلَمْ يَجِدُوا مَلْجَأً مِنْ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ . وَقَالَ : لَا وُزَرَ وَكَيْفَ بِهِ لِمَنْ يُلِي الْأَوْزَارَ ،  
وَرَأَوْا مَا أَعَدَدْنَا لِلْحَصَارِهِمْ مِنْ مَجَانِقِ تَقَدَّ الصُّحُورِ ، وَتُدَكِّدِ الْقُصُورِ ، وَتَغِيضِهَا  
مِنَاهُ نَفُوسَ تِلْكَ الْأَجْسَادِ الْخَيْبَةِ فَلَا يَجْتَمِعَانِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ وَالنُّشُورِ ، وَأَنَا أَمَدُّنَا

جُيُوسَنَا بِجَارِيَاتٍ فِي بَحْرِ الْفُرَاتِ ، مَسْحُونَةٍ بِالْأَمْوَالِ وَالْأَقْوَامِ ، وَالْعُدَدِ وَالْآلَاتِ ،  
وَأَرْفَدْنَا مِنْ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ بِالْفَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَاتِ . وَأَوْقَدْنَا عَلَيْهِمْ مِنْ أَتْجَادِنَا  
بِالْدِيَارِ الْبَكْرِيَّةِ . وَأَطْرَافِ الْبِلَادِ الشَّامِيَّةِ ، جُيُوشًا كَالسَّحَابِ الْمُتَرَاكِمِ ، وَأَطْرَافَنَا عَلَيْهِمْ  
عِيقَانًا اقْتِنَاصِ مِنْ عِيقَانِ التَّرَاكِمِينَ اعْتَادَتْ صَيْدَ الْأَرَاكِمِ ، وَأَسْرَ الضَّرَائِمِ ، فَلَمَّا  
تَحَقَّقُوا الدَّمَارَ ، لَمْ يَبْتُئُوا إِلَّا كَمَا وَصَفَ اللَّهُ تَعَالَى حَالَ مَنْ أَهْلَكَ مِنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ  
سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ .

فَعِنْدَ الظَّهْرِ حَمَى الْوَطَيْسِ ، وَنَكَصَ عِنْدَ إِعْلَانِ الْأَذَانِ عَلَى عَقِبِهِ الْبَلِيسُ ،  
وَشَاهَدُوا الْمَوْتَ عِيَانًا ، وَتَحَقَّقُوا الذَّهَابَ أَمْوَالًا وَإِخْوَانًا وَوُلْدَانًا . أَدْعُونَا إِنِّي السَّلَامُ ،  
وَنَادُوا الْأَمَانَ الْأَمَانَ يَا أَهْلَ الْإِيمَانِ وَالْعِلْمِ ، وَالْكَفَّ الْكَفَّ يَا جُنْدَ الْمَلِكِ الْمُوصُوفِ  
عِنْدَ الشَّقَاقِ بِالْحَزْمِ ، وَعِنْدَ التُّدْرَةِ عَلَى الْعِقَابِ بِالْحِلْمِ . وَأَرْسَلَ طَائِعِيهِمُ الْأَكْبَرَ  
لِيفُونَ . يُقْسِمُ بِصَلْبِهِ : إِنَّا مِنْ الْقَوْمِ الَّذِينَ يَقُومُونَ بِمَا عَلَيْهِمْ مِنَ الْحِزْيَةِ وَيُوفُونَ ،  
وَمِنَ الرَّعِيَّةِ الَّذِينَ يُطِيعُونَ أَمْرَ مَلِكِهِمُ الْأَعْظَمِ وَعَنْ حِمَى الْإِسْلَامِ يَكْفُونَ ، فَعِنْدَ  
ذَلِكَ رَأَى نَوَابِنَا بِذَلِكَ الْعَسْكَرِ أَنْ تُكْفَّ عَنْهُمْ شُقَّةُ الشَّقَاقِ وَتُطْوَى ، وَلَانَتْ قُلُوبُهُمْ  
لِتَذْكَارِ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَأَنْ تَعَفُّوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾ . وَطَالَعُوا عَلُومَنَا بِمَا سَأَلَهُ الْقَوْمُ  
مِنَ الرَّحْمَةِ وَالرَّأْفَةِ ، وَمَا ضَرَعُوا إِلَيْهِمْ فِيهِ مِنَ الْأَمَانِ وَالْأَلْفَةِ ، وَإِعْطَاءِ مَا كُنَّا رَشْتَنَا بِهِ  
مِنَ تَسْلِيمِ فَلَاحِجٍ مَعْدُودَةٍ ، وَتَسْوِيقِ أَرْضِ مَحْدُودَةٍ ، تَسْتَقْرِ بِيَدِ نَوَابِنَا وَتُقَطَّعُ بِالْمَنَاشِيرِ  
الشَّرِيفَةِ لِأَهْلِ الْإِجْهَادِ مِنْ أَبْوَابِنَا ، مَعَ اسْتِقْرَارِ مَا رَشْتَنَا بِهِ مِنْ قَطِيعِهِ ، وَعَقْدِ الْمَدِينَةِ  
عَلَى أُمُورِ هِيَ عِنْدَنَا حُبِّيَّةٌ وَلَدَيْهِمْ فَطِيمَةٌ .

هَذَا بَعْدَ أَنْ اسْتَوْلَتْ عَسَاكِرُنَا عَلَى فَلَاحِجٍ لَهُمْ وَحُصُونِ ، وَتَحَوَّرَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ  
وَمُصُونِ ، وَظَلَمَتْ أَعْلَامُنَا الْمُحَمَّدِيَّةَ عَلَى قَلْعَةِ آيَاسَ ، وَزَلَّ أَهْلُ الْكُفْرِ عَلَى حُكْمِ

(١) لعله وحين شاهدوا الخ ليعلق به أذعنا بعد .

أهل الإيمان وزال التحفظ والإحتراس، وأُعلن بالأذان في ذلك الصّرح، وظهرت كلمة الإيمان كما بدأت أول مرة وهذا يُغني عن الشرح، وعلت الملة الحنيفة بذلك القطر وقام أهلها وصلوا، وغلت أيدي الكفار ولعنوا بما قالوا .

وكان جيشنا قبل ذلك أخذ قامة تسمى « بكاورا » واستزلوا أهلها قسرا، واسترألوهم عنها ما بين قتلى وأسرى، وهي قلعة شامخة الذرى، فسيحة العرا، وثيقة العرا، يكاد الطرف يرجع عنها خاسئا .

ولما أتصل بأوبنا هذا الخبير السار، وشفع لنا من نرى قبول شفاعته في إجابة ماسأله هذا الشعب من إرجاء عذاب أهل الكفر إلى نار تلك الدار، متنا عليهم بالأمان، وقابلناهم بعد العدل بالإحسان، وتقدم أمرنا إلى نوبنا بكفّ السيف وإعماده، وإطفاء مسعر الحرب وإخماده، وأن يُجرى المنّ على مالوفه متنا ومعتاده، بعد تسليم تلك القلاع، وهدم الأسوار التي كان بها لأهل الكفر الإمتناع، واستيقاظ الرعية، واستحياء الذرية، وإجراء الهدنة المسئولة على القواعد الشرعية، وعاد عسكرنا منشور الدواب، مظفر الكائب، مؤيد المواقب، مشحونا بعرائب الرغائب .

وعند وصولهم إلى أوبنا فتحنا لهم أبواب العطاء الأوفى، وبدلناهم بالتي هي أحسن وعوضناهم الذي هو أكثر، وأفضنا عليهم من خلع القبول ما أنساهم مشقة ذلك السرى وثقة السير، وتلا عليهم لسان الإنصاف (وليس التقوى ذلك خير) .

وعد ذلك ورد علينا كتاب بعض نوبنا بالأطراف من أولاد قرمان، القائمين بشارق ممالكا على وجه الأمن وسمة الأمان، بأنهم عند عودهم من سيس، وأنصرتهم على حرب إبليس، استطردوا فأخذوا للكفر تسع قلاع، ما برحت شديدة الإمتناع،

لا تَمْتَدَّ إِلَيْهَا الْأَطْعَامُ ؛ فَكُلُّ الْمَأْخُودِ فِي هَذِهِ السَّفَرَةِ وَمَا قَبْلَهَا نَحْسَ عَشْرَةَ قَلْعَةٍ ،  
وَيَدَّ اللَّهُ شَمْلَ الْكُفْرِ وَفَرَّقَ جَمْعَهُ ، وَأَثَرْنَا أَنْ نُعَلِّمَ الْمَقَامَ الْعَالِيَّ بِمُهْمَةٍ مِمَّا لِلَّهِ لَدِينَا  
مِنَ النَّعْمِ ، وَابْرَهُ مِنْ شَارَةِ يُسْتَدَلُّ بِهَا عَلَى أَثَرِ اخْتِلَافِ كَالدَّيْمِ ، وَنُطَلِّعَهُ عَلَى دَرَّةٍ مِنْ  
سَحَابٍ ، وَعَرَفَهُ مِنْ بَحْرِ عُبابٍ ؛ وَطُرْفَةٌ نَسْرَهَا كَالْمِسْكَ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يَحْتَمَّ بِهَا  
هَذَا الْكِتَابُ .

وَنَحْنُ نَرْغَبُ إِلَى الْمَقَامِ أَنْ يُوَاصَلَ بِكُتُبِهِ الْمَفْتُوحَةِ بِالْوِدَادِ ؛ الْمَشْتَمَلَةِ عَلَى النَّصْرَةِ  
عَلَى أَهْلِ الْعِبَادَةِ ، الْمَشْحُونَةِ بِمَوَاقِعِ النِّمْحِ وَالظُّفْرِ الَّتِي لَتَضَاعَفُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَتَرَدَّدَتْ ؛  
الْمَحْتَوِيَةِ عَلَى الطَّارِفِ مِنَ الْإِحْلَاصِ وَالنَّالِدِ ، الْمَتَّصِلِ سَبَبُهَا بَيْنَ الْآبَاءِ الْكِرَامِ  
وَمُجْتَبَاءِ الْأَوْلَادِ ، وَاللَّهِ تَعَالَى يَجْعَلُهُ دَائِمًا لَثَرَاتِ النَّصْرِ مِنَ الزَّمَانِ يَحْتَجِي ، وَوُجُودِ  
الْفَتْحِ مِنَ الصُّورِ يَحْتَجِي ؛ وَيُدِيمُ عَلَى الْإِسْلَامِ مَزِيدَ الْعِزِّ الَّذِي يَتَجَدَّدُ كُلُّ آوِيَةٍ مِنْ  
طَلَائِعِ رَايَاتِ مُحَمَّدٍ وَبِدَائِعِ آرَاءِ عَلِيِّ ؛ بِمَنْهَ وَكْرَمِهِ .



وهذه نسخة كتاب جواب إني صاحب فاس حيث ورد كتابه بالتعرض لوقعة  
« تمرنتك » من إنشاء مؤلفه ، كُتِبَ بِذَلِكَ عَنِ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ « فَرَجِ بْنِ  
بَرْقُوقٍ » وَهُوَ .

عَبْدُ اللَّهِ وَوَلِيُّهُ السُّلْطَانُ الْأَعْظَمُ ( إِلَى آخِرِ الْقَابِ سُلْطَانِنَا ) أْبْرَأُ اللَّهُ تَعَالَى  
الْأَقْدَارَ بِرِقْمَةِ قَدْرِهِ ؛ وَأَدَارَ الْأَقْلَاقِ بِتَأْيِيدِهِ وَنَصْرِهِ ، وَأَذَلَّ رِقَابَ الْأَعْدَاءِ بِسَطْوَتِهِ  
وَقَهْرِهِ ، وَتَمَحَّنَ الْأَقْطَارَ بِسُمُوعَتِهِ وَمَلَأَ الْأَفَاقَ بِذِكْرِهِ ، يُحْصِنُ الْمَقَامَ الْعَالِيَّ ( إِلَى آخِرِ  
الْقَابِ ) : رَضِعَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ فِي مُلْكِهِ الشَّامِخِ مَنَارًا وَجَعَلَ النَّصْرَ وَالظُّفْرَ لَهُ شِعَارًا ،  
وَأَحْسَنَ بِحُسْنِ مُوَاتَاتِهِ إِلَّا لِأَهْلِ الْكُفْرِ جَوَارًا ، بِسَلَامٍ بِفَوْقِ الْعَبِيرِ عَمِيقِهِ ، وَيَزْرِي

بَقِيَّتِ الْمَسْكِ الْمَدَارِيَّ تَقِيْفَهُ ، وَيُجْبِلُ الرِّوَضَ الْمُنْتَمِمْ إِذَا تَرَيْنَ بِالْبَهَارِ خُلُوفَهُ ، وَثَنَاءِ  
تَكَلُّمِ الْإِلْسِنَةِ الْبَلِيغَةِ عَنْ وَصْفِهِ ، وَيَمِيزُ بِنَاءَ الْمَجْدِ الْأَثِيْلِ عَنْ حُسْنِ رِصْفِهِ ، وَتَعْتَرِفُ  
الْأَزَاهِرُ بِالْقُصُورِ عَنْ طِيْبِ أَرْجِهِ وَمَسْكِ عَرْفِهِ ، وَشُكْرُ يُوَالِي الْوَرْدُ فِيهِ الصَّدْرُ ،  
وَيَحْفَقُ الْخُبْرُ فِيهِ الْخَبْرُ ، وَتُسَبِّحُ فِي الْآفَاقِ ذِكْرَهُ فَتَنْخِذُهُ السَّمَارُ حَدِيثَ سَمَرٍ .

أما بعد حمد الله واصل أسباب المودة وحافظ نظامها، ومؤكد علائق المحبة بشدة الثنائها، ورباط جاش المعاضدة بالتحاد كلمتها وتأسب مرامها، ومجدد مسرات القلوب بتوالي أخبارها المبهجة عن عالي مقامها. والصلاة والسلام على سيدنا محمد أفضل نبي رعى الإمام على البعاد، وأكرم رسول قرن صدق الإخاء منه بصحة الوداد، صلاة تلغ من رتبة الشرف منهاها، وتنطوي الشقة البعيدة دون بلوغ مداها، فإنه ورد علينا على يد رسولكم فلان كتاب كريم طاب وروده، وتهللت بالبشر سعوته، وشهد بصدق المحبة الصادقة شهوده، وطلع من الجانب الغربي هلاله فلاحته بالشرق بحسن التلقى سعوته، فقر منه برؤيته الناظر، وأتمج بموافقته الخاطر، ولاحت من جوانبه لوائح البشر فأحسن تلقية سلطاننا الناصر.

وقابلنا من القبول بما كاد باطنه لكمال الموافاة يكون عنوانا للظاهر، وفضضنا ختامه المصون عن بديع كلام مخترع، وبنات فكر قبله لم تفرغ، وفصاحة قد أحكم اللسن مبانها، وبلاغة تناسبت للفظها فكانت قوالب لمعانيها، وبراعة قد أحسنت البدئية ترتيبها بجمام ونوالها تتبع هوايها، وفهمننا ما أظهره من كوامن المحبة التي بلغت من القلب الشخاف، وروارج الشوق الذي عندنا من مثله أضعاف أضعاف، وابتسنا إلى ما أشار إليه المقام العالی من التلويح إلى ما طرق أطراف ممالك الشريفة من طارق الاعتدا، وما كان من الواقعة التي كاد خترها لفظاعته يكون كالنبتدا.



ولنحسبُ سُبْدَى لعلم المقام العالى ما يوضح له أن ما وقع من هذه القصة لم يكن عن سوء تديره، ويُورد عليه من بيان السبب ما يحقق عنده أن ذلك لم يكن لعجز ولا تقصير، بل لأمرٍ قُدِّر في الأزل، ومقدور الله تعالى لا يُدفع بالحيل .

وذلك أنه لما اتصل بمسامعنا الشريفة قَصْدُ العدو إلى جهتنا، وتجاوزهُ حدُّ بلاده إلى أطراف مملكتنا؛ بأدْرنا الحركة إليه في عسكرِ لُحْب، وجُيوشِ بَضِيقٍ عن وَسْمِها القضاء الرُحْب؛ من كل بطلٍ عرَكَته الحروب، ونَقَفته الخُطوب؛ وحنَكنه التجارب، وعمِّمَ عودَهُ بكثرة المنازلات قِراعِ الكتاب. قد أمتطى طِرقاً عربى الأصل كَرِيمِ الحَسْب، خالِصِ العِزِّ صريحِ النَّسَب؛ يهتوُّ الطُّرفَ مَدَى باعه المَدِيد، وَيَسْبِقُ حافِرُهُ موقِعَ بصرِهِ الحَدِيد. وليس دِرْعاً قد أَحْكَمَ سَرْدُها، وأزْمَ سَدَّها، وبالغَمِّ في السُّوعِ فأنصفت بصفات الكرام، وضافت عينها فتمتت شيباً حتى ذُبابِ السَّهام. ووضَع على رأسه بيضةً يَحْطِفُ الأبصارَ وميضُ بَرَقِها، وتُرْبِقُ السَّهامُ الراشقةَ صلابَةً طَرَفِها؛ وترفعُها الأبطالُ على الرُّوسِ فلا ترى أنها قامت ببعض حَتِّها. وتقدِّمُ سيقاً يَمْضِي على الرقابِ نافِدُ حِكْمِهِ، ويقضى بانقضاء الأجلِ آقْضاضُ نَجْمِهِ، لا يَبْو عن صَرِيَةِ فِرْد، ولا يَقبُ حُدَّه في القَطْعِ عند حدِّه. وأعتقل رُحْمًا يَجْرِي الدماءُ سِنانُهُ بأنايِهِ، ويمدُّ إلى الفارسِ باعه الطويلَ فياخذُ بتلابيبِهِ؛ وتَحْسَكُ المنايا بأسبابِهِ فتتعلقُ منه بالأذيال، وتُضْرَسُ الحربُ بَرُوقِ أنيابه كأنها أنيابُ أغوال .

وتتَّكِبُ قَوْساً موعِزُ الأجالِ هلالُ هلالِها، ومُورِدُ المُنونِ إرسالُ نبالِها؛ ومُدْرِكُ التارِفةِ وتَرها، ومُوقِدُ نارِ الحربِ قَدْحُ سَرَرها، قد آقَرَنَ بها سِهامُ سُباقِ الرِّيحِ في سُرْعَتِها، وتُعاجِلُ الموتَ بصرعَتِها؛ وتَحْطِفُ العيونَ في مَرَّها، وتَحْلِسُ النفوسَ من مَقَرَّها؛ تدخلُ هجماً كُلَّ مَحْتَجِب، وتأتي الحادِرَ من حيث لا يَحْتَسِب. وتناولُ عموماً يهجمُ على الأضالعِ بأضلاعِهِ فيقدِّعُها، ويصاغُ الرُّوسَ بكفِّهِ الملاحِمَةِ الأضالعِ

قَدَّمَهَا ؛ يُقْرَبُ مِنَ الْأَجْلِ كُلِّ بَعِيدٍ ، وَيُخْلَقُ مِنَ الْعَمْرِ كُلِّ جَدِيدٍ ، وَلَا يُقَاوِمُهُ فِي الدَّفَاعِ بَيْضَةٌ وَأَتَى تُقَاوِمُ الْبَيْضَةَ زُبْرَةٌ مِنْ حَدِيدٍ .

وَسَحَرْتَنَا مِنَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ فِي جُيُوشِ لَا يَأْخُذُهَا حَضْرٌ ، وَلَا يَلْحَقُهَا هَضْرٌ ، وَلَا يُظَنُّ بِهَا عَلَى كَثْرَةِ الْأَعْدَادِ كَسْرٌ ، وَلَمْ نَزَلْ نَحْتُ السَّيْرَ ، وَتُسْرِعَ الْحَرَكَةَ لِلِقَاءِ الْعَدُوِّ إِسْرَاعَ الطَّيْرِ ، حَتَّى وَافَيْنَا دِمَشْقَ الْحَرُوسَةَ فَزَلْنَا بِظَاهِرِهَا ، مَسْتَمْطِرِينَ النَّصْرَ فِي أَوَائِلِ حَرَكَتِنَا وَأَوَانِحِهَا ؛ وَأَنْظَمَ إِلَيْنَا مِنْ عَسَاكِرِ الشَّامِ وَعُرْبَانِهَا ، وَتَرَكْنَا الزَّائِدَةَ عَلَى الْمَدَّةِ وَعَشْرَانَهَا ، مَا لَا يَنْقِطِعُ لَهُ مَدَدٌ ، وَلَا يَدْخُلُ تَحْتَ حَضْرٍ وَلَا عَدَدٍ . وَأَقْبَلَ الْقَوْمُ فِي لَيْفٍ كَالْجُرَادِ الْمُنْتَشِرِ ، وَأَمْوَاجِ الْبَحْرِ الَّتِي لَا تَحْتَصِرُ : مِنْ أَجْنَاسٍ مُخْتَلِفَةٍ ، وَجَمُوعٍ عَلَى تَبَايُنِ الْأَنْوَاعِ مُؤْتَلِفَةٍ ، وَتَرَاءَى الْجَمْعَانِ فِي أَفْسَحِ مَكَانٍ ، وَرَأَى كُلُّ قَبِيلٍ الْآخَرَ رَأَى الْعَيْنِ وَبَلِيسَ الْخَبْرِ كَالْعَيْبَانِ ، وَأَعْتَدَّ الْفَرِيقَانِ لِلزَّلَالِ ، وَأَحْضَرُوا خِتَادِقَ لِالْحِتْرَاسِ وَتَبَوَّأْنَا مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الْمُبَارَزَةُ ، وَأَلْتَقَاءُ الصُّفُوفِ وَالْمُنَابَزَةُ ، إِذْ وَرَدَ وَارِدٌ مِنْ جِهَتِهِمْ يَطْلُبُ الصُّلْحَ وَالْمُؤَادَعَةَ ، وَالْجُنُوحَ إِلَى السَّلْمِ وَقَطْعَ الْمُنَازَعَةِ ؛ فَاجْتَبَيْنَاهُمْ بِالْإِجَابَةِ ، وَرَأَيْنَا أَنَّ حَقْنَ الدَّمَاءِ مِنَ الْجَانِبَيْنِ مِنْ أَيْمٍ مَوَاقِعِ الرَّأْيِ إِصَابَةٌ . وَكَتَبْنَا إِلَيْهِمْ فِي ضَمَنِ الْجَوَابِ :

لَمَّا أَنَا مِنْكُمْ قَاصِدٌ \* يَسْأَلُ فِي الصُّلْحِ وَكَفِّ الْقِتَالِ

قُلْنَا لَهُ نَعَمْ الَّذِي قُلْتَهُ \* وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأَجَبْنَا السُّؤَالَ

فَبَيْنَا نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ ، وَاقِفُونَ مِنَ الْمَوَاعِدَةِ عَلَى الْمَوَادَعَةِ عَلَى مَا هُنَاكَ ، إِذْ بَلَّغْنَا أَنَّ طَائِفَةً مِنَ الْخُلُوفَةِ الَّذِينَ ضَلَّ سَبِيلَهُمْ ، وَعَادَ عَلَيْهِمُ بِالْوَبَالِ وَبَلَّغُوا الْحَمْدَ بِقِيَمِهِمْ ، تَوَجَّهُوا إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ لِلْإِسْتِبْلَاءِ عَلَى نَحْتِ مُلْكِنَا الشَّرِيفِ فِي الْعَيْبَةِ ، آمَلِينَ مَا لَمْ يَحْصُلُوا مِنْهُ إِلَّا عَلَى الْخَيْبَةِ ؛ فَلَمْ يَسَعْ إِلَّا الْإِسْرَاعُ فِي طَلَبِهِمْ ، لِلْقَبْضِ عَلَيْهِمْ وَإِبْقَاعِ السُّكَالِ

بهم ، وجازيتانهم بما يجازى به الملوك من رام مرامهم ، ووطن العدو أن قصدنا  
الديار المصرية إنما كان خوف أو فشل ، فأخذ في خداع أهل البلد حتى سلموه  
إليه وفعل فعلته التي فعل ، ليقضي الله أمرا كان مفعولا .

ثم لم نزل ندأب في تحصين البلاد وترويح أعماقها ، وترتيب أمورها وتعديل  
أحوالها ، حائطين ، أقطارها المنتسعة بجيوش لا يبكل حذنها ، ولا يعقب بأخزرها ،  
ليكونوا للبلاد أسوارا ، وللدولة القاهرة إن شاء الله تعالى أعوانا وأنصارا ، وأعاد الله  
تعالى المملكة إلى حالها المعروف ، وترتيبها المألوف ، فاستقرت بعد الاضطراب ،  
وتوطئت بعد الاعتزاز .

وفي خلال ذلك ترددت الرسل إلينا في عقد الصلح وإمضائه ، ودقن ما كان بين  
الفریقین من المباشرة وإخفائه ، فلم يسعنا التلکؤ عن المصالحة [ بل سعينا ] سعيا ،  
والله تعالى يقول : ﴿ وَإِنْ جُنَحُوا لِلْسَّلَامِ فَأَجْنَحْ لَهَا ﴾ . فعقدنا لهم عقد الصلح  
وأمضيناه ، وأحكمتنا فواعده توكلا على الله تعالى وأبرمناه ، وجهزنا إليهم نسخة منه  
طمعت بطمعة قاهم عليها ، وأعيدت إلينا بعد ذلك ليكون المرجع عند الاختلاف  
والعباد بالله تعالى إليها : ﴿ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ  
عَلَيْهِ اللَّهُ فَسِيْرِيْهِ أَجْرًا عَظِيْمًا ﴾ .

والله تعالى يحب إيمانكم الكريم مواقع الخير ، ويقرن مودته الصادقة بصفاء  
لا يشوبه على ممر الزمان كدر ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

## الجمعة الرابعة

( في مكاتبة ملك المسلمين بالأندلس )

وهو صاحب غرناطة ، ولقبتها تسمى خِراء غرناطة . وقد تقدم في المقالة الثانية في المسالك والممالك ذكر هذه المملكة وأحوالها ، ومن ملكها جاهلية وإسلاما ، وأنها الآن بيد نبي الأحرار . وقد ذكر في " التعريف " أنهم من ولد قيس بن سعد ابن عبادة سيد الخزرج الأنصاري : صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهي منهم الآن بيد السلطان محمد بن يوسف بن محمد الخَلْوَع ابن يوسف بن إسماعيل ابن الرئيس أبي سعيد فرج بن إسماعيل بن يوسف بن نصر ، وقد أزل الله من يجاوره من نصارى القرنج بسيفه ، وأمنع في أيامه ما كان يؤديه من قبله من أواخر ملوك الأندلس إلى ملك القرنج من الإتاوة في كل سنة ، لاستقبال سنة اثنين وسبعين وسبعمائة وإلى آخر وقت .

وقد ذكر في " التعريف " أن سلطانها كان في زمانه في الدولة الناصرية « محمد بن قلاوون » أبا الفضل يوسف ، ولعله يوسف بن إسماعيل المقدم ذكره . قال : وهو شاب فاضل له يد في الموشحات . ورسم المكاتبة إليه على ما ذكره في " التعريف " بعد البسملة " أما بعد " بخطبة مختصرة ، « فهذه المفاوضة إلى الحضرة العلية ، السنية ، السرية ، العالمية ، العادلة ، المجاهدية ، المؤيدية ، المرابطية ، المتأغرية ، المتطرية ، المنصورية ، بقية شجرة الفخار ، وخالصة سلف الأنصار ، المجاهد عن الدين ، والذباب عن حوزة المسلمين ، ناصر الغزاة والمجاهدين ، زعيم الجيوش ، خالصة الخلافة العظيمة ، أمير الإمامة المكرمة ، ظهير أمير المؤمنين ، أبي فلان فلان . »

وهذا صدر لهذه المكتبة ذكره في "التعريف" وهو .

صدرت هذه المكتبة إليه متكفلةً بالنصر على بُعد الدار ، مجزدةً النصل إلا أنه الذي لا يؤخره البدار ، مُسعدةً بالهم ولو لا الاشتغال بجهاد أعداء الله فيمن قُرب لنا تقدمت سرعان الخيل ، ولا أقبلت إلا وفي [أوائل<sup>(١)</sup>] طلائعها للأعداء المويل ؛ ولا كُتبت إلا والعجاج يُترب السطور ، والفجاج تَقْدِفُ ما فيها على ظهور الصواهل ابني بطون البحور . مبديةً ذكر ما عتدا بسببها لجاورة الكفار ، ومحاوره السيوف التي لا تمل من الفجار ، مع العلم بما لها في ذلك من فضيلة الجهاد ، ومزية الجلد على طول الجلاد ، ومصابرة السهر لأوقات منيمه ، ومكاثرة هذا العدو بالصبر ليكون لها غنيمه ، ونحن على إمدادها - أيدها الله - بالنصر والدعاء الذي هو أخف إليها من العساكر ، وأخفى مسيراً إذا قدر حقه الشاكر ، ثقةً بأن الله سينصر حزبه الغالب ، ويكف عدوه المغالب ، ويصل بإمداد الملائكة لجنده ، ويأتي بالفتح أو بأمر من عنده ، لتجرى أظفاره على ما عودت ، ويُؤخذ الأعداء بالجزيرة ، وليصرن الله من ينصره وينظر إلى أهل هذه الجزيرة .

والذي ذكره في "التشريف" أن رسم المكتبة إليه مثل صاحب تونس في القطع والخطابة ، والاختتام ، والعلامة ، والتعريف "صاحب حمراء غرناطة" .

وهذه نسخة جواب إلى صاحب حمراء غرناطة ، وقد ورد كتابه في ورقٍ أحمر يتضمن قيامه بأمر الجهاد في الكفار ، وما حصل من استيلاء بعض أقاربه على منكه وتزعه منه ، وأنه استظهر بعد ذلك على المذكور وقتلته ، وعاد إلى ملكه على عادته ، في جمادى الأولى سنة خمس وستين وسبعمائة ، وهي :

(١) من "التعريف" زدناه .

تُحْصُ الحَضْرَةَ العَلِيَّةَ ، حَضْرَةَ الأَمِيرِ فُلانَ ، وألقابه ، جعل الله له النَصْرَ أين سَارَ قَرِينًا ، وَالظَّفَرَ وَالإِسْتِظْهَارَ مَصَاحِبًا وَخَدِينًا ، وَزَادَ فِي مَحَلِّهِ الأَسْنَى تَمْكِينًا وَتَأْمِينًا ، وَبَتَحَ أَفْقَهُ العَرَبِيَّ مِنْ أَسْرَةٍ وَجْهَهُ المِثَالِثِي الإِشْرَاقَ ، وَمَهَابَةَ بَطْنِهِ الَّذِي يُورِدُ العِدَا مَوَارِدَ الرَّدَى بِالإِتِّفَاقِ ، تَحْصِينًا وَتَحْصِينًا - بِإِهْدَاءِ السَّلَامِ الَّذِي يَتَأَرَّجُ عَرَفَا ، وَيَتَبَلَّجُ وَصْفَا ، وَيَكَادُ بِمَازِجِ النَّسِيمِ لُطْفًا - وَإِبْدَاءِ الشُّكْرِ الَّذِي جَلَّهٗ مَلَائِسُ الإِكْرَامِ وَأَضْفَى ، وَأَجَلَّ مِنْهُ نَفَائِسُ عَقْدِ المُوَدَّةِ الَّتِي أَظْهَرَهَا فَلَمْ تَكُنْ تَخْفَى .

نَحْمُ بَعْدَ حَمْدِ اللهِ مُؤَكِّدَ أَسْبَابِ عِلَّاهِ ، وَمُؤَيِّدَ مَوْجِبَاتِ نَصْرِهِ وَمَا النَصْرُ إِلا مِنْ عِنْدِ اللهِ ، وَالصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ الَّذِي أَمَدَّهُ بِمَلَائِكَتِهِ المَقَرَّبِينَ ، وَنَصْرَهُ بِالرَّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ كَمَا وَرَدَ بِالنَّصِّ وَالتَّعْيِينِ ، وَرَفَعَ بِاسْمِهِ أَلْوِيَّةَ المُؤْمِنِينَ المُوَحَّدِينَ ، وَقَعَ بِسَاسِهِ نَائِرَةَ البُعَاةِ وَالمُتَمَرِّدِينَ .

وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ لَازَمُوا التَّمَسُّكَ بِأَسْبَابِ الدِّينِ ، وَجَاهَدُوا فِي إِقَامَةِ مَنَارِ الإِسْلَامِ لِمَا عَلِمُوا مِقْدَارَ أَجْرِهِمْ عِلْمَ اليَقِينِ ، صَلَاةً مُتَوَالِيَةً مُتَوَارَةً عَلَى مَرَّ الأَحْقَابِ وَالسَّنِينَ ، فَإِنَّا نَوْضِحُ لِعَلْمِهِ الكَرِيمِ أَنَّ كِتَابَهُ وَرَدَ عَلَيْنَا مُشْتَمِلًا عَلَى المَحَاسِنِ العَرَاءِ ، مُغْرِبًا بِلِ مَعْرِبًا لَنَا بِحِمْرَةِ لَوْنِهِ أَنْ نَسْبَتَهُ إِلَى الخَمْرَاءِ ، مُشْبِهًا وَرَدَ الخُدُودِ وَالتَّقْسُ فِيهِ كَالخَالِ ، أَوْ شَقَائِقِ الثُّمَانِ كَمَا بَدَأَ رَوْضَهُ غِيبِ السَّحَابِ المُتَوَالِ . فَوْقُنَا عَلَى مَضْمُونِهِ جَمِيعِهِ ، وَتَلَمَّحْنَا بِدَيْحِ مَعَانِيهِ مِنْ جَمِيلِ تَوْشِيحِهِ وَتَرْصِيحِهِ ، وَطَلَمْنَا مَا شَرَحَهُ فِيهِ : مِنْ أَسْتِمْرَارِهِ عَلَى عَادَةِ سَلْفِهِ فِي القِيَامِ بِأَمْرِ الجِهَادِ ، وَقَطْعِ دَابِرِ الكُفْرَةِ ذَوِي الشَّقَاقِ وَالعِنَادِ ، وَتَوْطِيدِ مَا لَدَيْهِ مِنْ تِلْكَ الإِبْلَادِ ، وَتَعْلِيمِ مَا بَهَا مِنَ العِبَادِ ، وَمَا آتَفَقَ مِنْ قَرِيبِهِ فِي الصُّورَةِ لِأَقْيَمِ المَعْنَى ، وَكَيْفِ أَسَاءِ إِلَيْهِ فَعَلَا وَقَدْ أَحْسَنَ بِهِ ظَنًّا ، وَأَنَّهُ رَصَدَ الغَضْلَةَ مِنْ جَنَابِهِ ، وَأَقْدَمَ عَلَى مَا أَقْدَمَ عَلَيْهِ مِنْ اقْتِرَافِ البَغْيِ وَالتَّمَسُّكِ بِأَسْبَابِهِ ، وَلَمْ

يَزُلُّ رِأْيِي غَيْبَةَ الرَّقِيبِ وَهُجُوعَ السَّامِرِ، إِلَى أَنْ تَمْتَكِنَ مِنَ الْأَسْتِيَاءِ عَلَى ذَلِكَ الْمَلِكِ  
الَّذِي ظَنُّ أَنْ أَمْرَهُ إِلَيْهِ صَائِرٌ، لَكِنَّهُ مَعَ كَوْنِهِ قَدْ اقْتَحَمَ فِي فَعْلَتِهِ هَذِهِ الْأَهْوَالَ، وَتَوَهَّمُ  
أَنَّهُ قَدْ حَصَلَ بِمَكْرِهِ عَلَى بُلُوغِ بَعْضِ الْأَمَالِ؛ فَإِنَّهُ مَا سَلَّمَ وَنَحْنُ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ حَتَّى وَدَّعَ،  
وَلَا أَقْبَلَ سَحَابَ اسْتِدْلَالِهِ حَتَّى أَقْشَعَ بِمَا قَدَّرَهُ اللَّهُ تَعَالَى لِحَضْرَةِ الْأَمِيرِ مِنْ نُصْرَتِهِ،  
وَعَوَّدَهُ إِلَى مَعْلَى أَمْرِهِ وَإِمْرَتِهِ. وَأَنَّهُ أَمَّا اطَّلَاعُ عَلِيمِنَا الشَّرِيفَةِ عَلَى هَذِهِ الْوَاقِعَةِ،  
لَمَّا يَعْلَمُ مِنْ نَأْيِ كَيْدِ الْمُوَدَّةِ الَّتِي عَدَّتْ حَمَامَهَا عَلَى أَفْتَانِ الْحُبَّةِ سَاجِعِهِ؛ وَقَدْ عَلِمْنَا  
هَذَا الْأَمْرَ، وَشَكَرْنَا حِمْلَ مَحَبَّتِهِ الَّتِي لَمْ يَنْسُجْ عَلَى مَنَوَالِهَا زَيْدٌ وَلَا عَمْرُو، وَأَبْتَهَجْنَا  
بِمَا يَسْرَهُ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ مِنْ ذَلِكَ. وَأَتَهَيَّزْنَا فُرْصَ الشَّرُورِ بِمَا مَنَحَهُ اللَّهُ مِنْ طَفَرِهِ  
الْمُقَارِبِ الْمُتَدَارِكِ؛ وَحَمِدْنَا اللَّهَ تَعَالَى عَلَى تَأْيِيدِ هَذِهِ الْعِصَابَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَمَا مَنَّ بِهِ  
مِنْ عَوْدِ شَمْسِ هَذَا الْأَفْقِ الْغَرْبِيِّ إِلَى مَطَالِعِهَا السَّيِّئَةِ؛ وَلَا جَرَمَ أَنْ كَانَتْ لَهُ النَّصْرَةُ،  
وَالْأَسْتِيَاءُ وَالْقُدْرَةُ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ تَكْفَّلَ سَبْحَانَهُ لِأَوْلِيَائِهِ بِزَيْدِ التَّكْرِيمِ وَالتَّعْزِيزِ،  
إِذْ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمَثَلِ مَا عُوِّقَ بِهِ ثُمَّ يُبَيِّنْ عَلَيْهِ لِيُنْصِرَهُ اللَّهُ﴾  
(إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ).

وَأَمَّا غَيْرُ ذَلِكَ، فَقَدْ وَصَلَ رَسُولُ الْحَضْرَةِ الْعَلِيَّةِ إِلَيْنَا وَتَمَثَّلَ بِمَوَاقِفِنَا الْمُعْظَمَةِ.  
وَحَالٌ مَمْلُوكَتِنَا الْمَكْرَمَةِ. وَأَقْبَلْنَا عَلَيْهِ. وَضَاعَفْنَا الْإِحْسَانَ إِلَيْهِ، وَأَذَى إِلَيْنَا مَا تَجَمَّلَهُ  
مِنَ الْمَشَافَهَةِ الْكَرِيمَةِ. وَرَسَائِلَ الْحُبَّةِ وَالْمُوَدَّةِ التَّمْدِيدِ؛ فَرَسَمْنَا بِإِجَابَةِ قَصْدِهِ، وَتَوْفِيرِ  
رَبِّهِ وَرِفْقِهِ. وَقَضَاءِ سُغْلِهِ الَّذِي حَضَرَ فِيهِ، وَتَسْهِيلِ مَا رَبَّهُ بِزَيْدِ التَّنْوِيلِ وَالتَّنْوِيهِ؛  
وَمَسَاعِدِ الْحَضْرَةِ الْعَلِيَّةِ بِمَا يَتَمَيَّنُ عَلَى مَا قِيمَتُهُ الْقَادِيبَارُ مِصْرِيَّةً حَسَبَ مَا عَيَّنَهُ رَسُولُهُ  
الْمَذْكُورُ؛ وَلَوْ كَانَ سَأَلْنَا أَعْصَافَ ذَلِكَ لِأَجِبْنَا سُؤَالَهِ مِنْ غَيْرِ تَرَوٍّ وَلَا قُتُورٍ. وَقَدْ جَهَّزْنَا  
إِلَيْهِ صُحْبَتَهُ مَا أَنْعَمَتْ بِهِ صِدْقَاتُنَا الشَّرِيفَةُ عَلَيْهِ مِنَ الدَّرِّيَاقِ وَدُهْنِ الْبَلْسَانَ، فَلْيَتَحَقَّقْ

ماله عندنا من المكآنة والمحلّ الرفيع الشأن ؛ وقد أعدنا رسوله المذكور إلى بجهته  
الكريمة بهذا الجواب الشريف ، محترماً مكرماً مشمولاً من إحساننا بالتأييد والطريقف ؛  
فُحيط علماً بذلك والله تعالى يُمدّه بمزيد التأييد ، ويمتعه من جميل الإقبال ، وجزيل  
النوال ، ما يُرَبِّي على الأمل وَيَزِيدُ ! .

تم الجزء السابع . يتلوه إن شاء الله تعالى الجزء الثامن

وأوله المقصد الثالث

( في المكآنة إلى أهل الجانب الجنوبي من جرت العادة بالمكآنة إليه

من العرب والسودان ، وفيه ثلاث جعل )

والحمد لله رب العالمين . وصلاته على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين

وآله وصحبه والتابعين وسلامه

وحسبنا الله ونعم الوكيل



فهرس

الجزء السابع

من كتاب صبح الأعشى للقلقشندي



صفحة

- الطرف العاشر — في المكاتبات الصادرة عن ملوك الديار المصرية ،  
 ولها حالتان ... .. ٥
- الجملة الأولى — ما كان الأمر عليه قبل دولة الخلفاء الفاطميين بها  
 في الدولة الأخشيدية والطولونية وما قبلهما ... ٥
- » الثانية — ما كان الحال عليه بعد الدولة الفاطمية في الدولة  
 الأيوبية ... .. ١٩
- الطرف الحادى عشر — في المكاتبات الصادرة عن ملوك أهل المغرب ،  
 ولها حالتان ... .. ٣٠
- الجملة الأولى — ما كان الأمر عليه في الزمن المتقدم ... .. ٣١
- » الثانية — ما الأمر مستقر عليه مما كان عليه علامة متأخرى  
 كتاب المغرب أبو عبد الله محمد بن الخطيب ... ٣٩
- الطرف الثانى عشر — في الكتب الصادرة عن وزراء الخلفاء المنفذين  
 أمور الخلافة اللاحقين بشأو الملوك ، وفيه جملتان ٧٢
- الجملة الأولى — في الكتب الصادرة عن وزراء خلفاء بنى العباس  
 ببغداد ووزراء ملوكها يومئذ ... .. ٧٢
- » الثانية — في الكتب الصادرة عن وزراء خلفاء الفاطميين  
 بالديار المصرية ... .. ٧٨
- الطرف الثالث عشر — في المكاتبات الصادرة عن الأتباع إلى الملوك  
 ومن في معانهم ، وفيه ثلاث جمل ... .. ٨١

منحة

- الجملة الأولى - في المكاتبات الصادرة عن أتباع ملوك الشرق إليهم  
 ٨١ ... .. في الزمن المتقدم
- » الثانية - في المكاتبات الصادرة عن أتباع ملوك الديار  
 المصرية إليهم ... .. ٨٧
- » الثالثة - في المكاتبات الصادرة عن أتباع ملوك الغرب  
 إليهم ... .. ٩١
- الطرف الرابع عشر - فيما يختص بالأجوبة الصادرة عن الملوك إليهم،  
 وهي على ضربين ... .. ١٠٣
- الضرب الأول - الأجوبة الصادرة عن الملوك إلى غيرهم،  
 وفيه ثلاث جمل ... .. ١٠٤
- الجملة الأولى - في الأجوبة الصادرة عن ملوك المشرق ... .. ١٠٤
- » الثانية - في الأجوبة للصادرة عن ملوك الديار المصرية  
 من وزراء الخلفاء الفاطميين القائمين مقام الملوك  
 الآن فمن يعلمهم ... .. ١٠٧
- » الثالثة - في الأجوبة الصادرة عن ملوك الغرب ... .. ١١٠
- الضرب الثاني - الأجوبة الواردة على الملوك ... .. ١١١
- القسم الثاني - المكاتبات الصادرة عنهم إلى ملوك الكفر،  
 وفيه طرفان ... .. ١١٣
- الطرف الأول - في الابتداءات، وفيه ثلاث جمل ... .. ١١٣

صفحة

- الجملة الأولى — في المكاتبات الصادرة إليهم عن ملوك بلاد الشرق  
 من بنى بويه فمن بعدهم ... .. ١١٣
- » الثانية — في المكاتبات الصادرة عن ملوك الديار المصرية  
 إليهم ... .. ١١٥
- » الثالثة — في الأجوبة الصادرة إليهم عن ملوك المغرب ... ١١٦
- الطرف الثاني — (ركتب خطأ الخامس عشر) المكاتبات الصادرة إلى  
 ملوك الكفر في الأجوبة ، وهي إما أن تصدر بما  
 يصدر به الابتداء وقد تقدم ، وإما أن تصدر  
 بلفظ وصل أو ورد ... .. ١١٧
- الفصل الرابع ... من الباب الثاني من المقالة الرابعة في المكاتبات  
 الصادرة عن ملوك الديار المصرية على ما استقر  
 عليه الحال من ابتداء الدولة التركية وإلى زمان  
 المؤلف على رأس الثمانمائة ، وفيه أربعة أطراف  
 (ركتب خطأ ثلاثة) ... .. ١١٩
- الطرف الأول — في المكاتبات الصادرة عنهم إلى الخلفاء من بنى  
 العباس ... .. ١١٩
- » الثاني — في المكاتب إلى ولاية العهد بالخلافة ... .. ١٣٤
- » الثالث — في المكاتبات الصادرة عن ملوك الديار المصرية  
 إلى أهل الملكة من مصر والشام والحجاز ،  
 وفيه ثلاثة مقاصد ... .. ١٣٨

صفحة

- المقصود الأول - في المكاتب المفردة ، وفيه مسلكان ... .. ١٣٨
- المسلك الأول - في بيان رتب المكاتب ورتب أهلها ،  
وهي على ضربين ... .. ١٣٨
- الضرب الأول - المكاتب التي للملوك على ما كانت عليه الحال  
في الزمن المتقدم ... .. ١٣٨
- » الثاني - المكاتب التي من عدا الملوك من أرباب السيوف  
والأقلام ... وفيه مهيذان ... .. ١٤٠
- المهيح الأول - في رتب المكاتب ، وهي على عشر درجات ... ١٤٠
- » الثاني - في بيان مراتب المكتوب إليهم من أهل  
المملكة ... وهم على ثلاثة أنواع ... .. ١٥٤
- انواع الاول - أرباب السيوف ... .. ١٥٤
- » الثاني - أرباب الأقلام ، وهم على ضربين ... .. ١٦٣
- الضرب الاول - أرباب الدواوين من الوزراء ومن في معانهم ... ١٦٣
- » الثاني - أرباب الوظائف الدينية والعلماء ... .. ١٦٥
- انواع الثالث - ممن يكتب عن الأبواب السلطانية ... ..
- الخوحدات السلطانية ... .. ١٦٦
- المسلك الثاني - في معرفة ترتيب المكاتب المقدمة الذكر وكيفية  
أوضاعها ... .. ١٩٤

صفحة

المقصد الثاني ... في المكتبات العامة إلى أدل هذه المكتبة وهي

٢١٨ لطلقات، وحاصل مرجوعها إلى ثلاثة أضرب

٢١٩ « الأضرب الأول - المطلقات المكبرة ... ..

٢٢٣ « الثاني - المطلقات المصغرة ... ..

٢٢٩ « الثالث - (وكتب خطا الثاني) من المطلقات البرالغ ... ..

المقصد الثالث - من المكتبات في أوراق الجواز وبطاق الحمام،

٢٣١ وفيه جملتان ... ..

٢٣١ الجسلة الأولى - في أوراق الجواز ... ..

٢٣٤ « الثانية - في نسخ البطائق، وهي على ضربين ... ..

٢٣٤ الضرب الأول - أن تكون البطاقة بعلامة شريفة ... ..

٢٣٤ « الثاني - أن تكون بغير علامة ... ..

الطرف الرابع - (وكتب خطا الثالث) في المكتبات إلى عطاء ملوك

الإسلام ومن انطوت عليه ممالكهم ممن دونهم ...

٢٣٥ وفيه أربعة مقاصد ... ..

المقصد الأول - في المكتبات إلى عطاء ملوك الشرق ... ..

٢٣٦ وفيه أربعة مباحث ... ..

المباحث الأول - في المكتبة إلى الملوك والحكام ومن جرى مجراهم

بمملكة إيران ... .. ويشتمل المقصود منها على

٢٣٦ ثلاث جمل ... ..

صفحة

- الجملة الأولى - في رسم المكتبة إلى قائمها الأعظم ... .. ٢٣٦
- « الثانية - في المكتبات إلى من ملك توريز وبقداد بعد
- موت أبي سعيد ... .. ٢٥٧
- « الثالثة - في رسم المكتبة إلى من أظوت عليه مملكة إيران ٢٦٢
- المهيع الثاني - من المكتبة إلى الملوك، مملكة توران ... .. ٢٩٢
- « الثالث - في المكتبات إلى من بجزيرة العرب ... وفيه جملتان ٣٣٢
- الجملة الأولى - في المكتبات إلى ملوك اليمن ... .. ٣٣٢
- « الثانية - في المكتبات إلى عرب البحرين ومن أضاف إليهم ٣٧٠
- المهيع الرابع - في المكتبة إلى صاحب الهند والسند ... .. ٣٧٢
- المقصد الثاني - ... .. في المكتبات إلى ملوك الغرب، وفيه
- أربع جمل ... .. ٣٧٦
- الجملة الأولى - في المكتبات إلى صاحب إفريقية وهو صاحب
- تونس ... .. ٣٧٦
- « الثانية - في مكتبة صاحب الغرب الأوسط وهو صاحب
- تلمسان ... .. ٣٨٥
- « الثالثة - في المكتبة إلى صاحب الغرب الأقصى ... .. ٣٨٦
- « الرابعة - في مكتبة ملك المسلمين بالأندلس ... .. ٤١٢

(تم فهرس الجزء السابع من كتاب صبح الأعشى)